بسم الـلـه الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية



دعاوى العهد القديم المسيئة للأنبياء عليهم السَّلام

في ضوء القرآن الكريم

دراسة تحليلية نقدية

إعداد: أحمد محمد فلاح النمرات

إشراف الدكتور: حسَّان راغب القاري

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراه في تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

العام الدراسي 2011- 2012م

نوقشت هذه الرسالة

دعاوى العهد القديم المسيئة للأنبياء عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم

" دراسة تحليلية نقدية "

وأجيزت في ٩/ جمادى الاولى١٤٣٣هـ الموافق ١/٤/٢٠١٢م

اعداد الطالب

احمد محمد فلاح النمرات

دكتوراه في العقيدة والفلسفة الإسلامية

الدكتور :**حسان راغب القاري** ، مشرفاً ....

استاذ مشارك في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأستاذ الدكتور: **بسام علي العموش**، عضواً ....

استاذ في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الاستاذ الدكتور: **محمد حسن مهدي**، عضواً ....

استاذ في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

الدكتور: **بهجت عبدالرزاق الحباشنة**، مناقشاً خارجياً ....

استاذ مشارك في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة آل البيت.



الإهداء

إلى خاتم النبيين سيِّدنا محمَّد صلى الـلـه عليه وآله وسلم إيماناً ومحبةً وتعظيماً

إلى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام إيماناً وتكريماً

إلى أمي رحمها الـلـه تعالى براً ووفاءً

إلى أبي أحسن الـلـه ختامه تقديراً وتبجيلاً

إلى الذاكرين الـلـه كثيراً والذاكرات

إلى شهداء الرّبيع العربيّ

إلى الناقد الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الـلـه تعالى

إلى الناقد الشيخ رحمت الـلـه الهندي رحمه الـلـه تعالى

إلى العلماء والمشايخ والأساتذة الذين علّموا... شكراً وعرفاناً

إلى المهتدين الذين أنار الـلـه قلوبهم بالإسلام

إلى إخواني وأخواتي

إلى زوجتي أم محمّد

إلى أولادي: محمّد، تاج الدِّين، الحَسن، الـلـهمّ اجعلهم من أوليائك

إلى من عرفني وأحبّني في الـلـه تعالى ودّاً وإخلاصاً

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين الودود الشكور، الحمد لله الذي يسّر وأعان وفتح وألان، اللهم أنعمت فأتمم بفضلك، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد الصادق الوعد الأمين وبعد:

فإنني أتقدم بالشكر والتقدير إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية بجميع كوادرها فجزاهم الله خيراً على جهودهم، سائلا المولى عزّ وجلّ أنْ يجعل هذه الجامعةَ منارةً عمَّانية أردنية إسلامية ومنهلاً لطلاب العلم والإيمان، إنه سميعٌ مجيب الدعاء.

وأتقدم بالشكر والعرفان لمشرفي الفاضل الدكتور حسّان القاري على توجيهاته ونصائحه القيمة، فجزاه الله خيراً وبارك فيه، كما أشكر عميد كلية أصول الدين الأستاذ الدكتور زياد أبو حمّاد، ورئيس قسم أصول الدين الدكتور جمال أبو حسّان على لطف التعامل وجميل الأخلاق. كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد على حُسن اختياره هذا الموضوع.

والشكر والتقدير للجنة المناقشة وهم الفضلاء:

معالي الأستاذ الدكتور بسام علي العموش، والأستاذ الدكتور محمد حسن مهدي، والدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة، شاكراً جهودهم وما قدموا من خالص علمهم وتصويباتهم وتوجيهاتهم القيمة التي أثرت هذه الدراسة، فجزاهم الله خيراً.

كما أقدم شكري وتقديري لكلّ من: الدكتور محمد الملكاوي، والدكتور محمد الخطيب والدكتور أحمد شكري على ما أبدوه من ملاحظات وإرشادات، فبارك الله فيهم ونفع بعلمهم. وأشكر الخبير اللغوي السيد إبراهيم الحسنات على مراجعة هذه الرسالة وتدقيقها، كما أشكر الدكتور أحمد العموش على ترجمة ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

وأشكر كلَّ من وقف إلى جانبي وساندني وشجّعني، والدعاء موصول لكلٍ من: الشيخ علي صالح الحسيني، والسيد علي اليمانيّ، والأستاذ الدكتور عبد الجليل عمرو رحمه الله تعالى، والأخ المهندس حسن داود، وإلى كلِّ من كان قلبه معي، فجزاهم الله خيراً.

وأسأل الله تعالى أنّ يتقبل هذا الجهد وينفع به، إنه هو السميع العليم، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمّد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، والحمد لله ربِّ العالمين.

محتويات الدراسة

ملخص الدراسة

دعاوى العهد القديم المسيئة للأنبياء عليهم السلام هي دراسة تحليلية نقدية، جاءت في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. تحدثت في الباب التمهيدي عن العهد القديم وأسفاره، والضياع الذي طرأ عليه، ثم كتابته مرة ثانية ومصادره ونُسخه وترجمته، وموقف المسلم منه.، إضافة إلى النّبيِّ وعصمته في اليهودية والإسلام.

وتناولت في الباب الثاني دعاوى العهد القديم من آدم عليه السلام حتى يعقوب عليه السلام ؛ والباب الثالث من يعقوب عليه السلام حتى خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد سرتُ على منهج إنصاف أهل الكتاب؛ حيث عرضتُ حجة علمائهم وتوجيههم كل دعوى، ثم نقضتُ تلك الدعوى ونقضتُ حجتهم من نصوص العهد القديم ومن البراهين العقلية والأخلاقية، ومن الآيات القرآنية.

وقد توصلت إلى إبطال جميع دعاوى العهد القديم التي أساءت للأنبياء عليهم السلام. كما ظهر لي بطلان دعوى صلاحية الكتاب المقدس للتعليم والتهذيب نظراً لاحتوائه قصص الزنا وسوء الأخلاق. كما ظهر لي احتواء العهد القديم بشارات بخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه. كما ظهرت الآثار السلبية لدعاوى العهد القديم على أخلاق أهل الكتاب حيث انتشار الفواحش وزنا المحارم، إضافة إلى الأثر الإجرامي حيث القتل والإبادة التي يمارسها اليهود على الشعوب الأخرى.

وفي الخاتمة ذكرت أبرز البراهين النصية والعقلية والأخلاقية التي توصلت إليها في هذه الدراسة، والتي تدل على تحريف العهد القديم وتناقضه. وأوصيت باختصار هذه الدراسة وترجمتها إلى العبرية والإنجليزية والفرنسية.

Abstract

This is an analytical and critical study of the false allegations of the Old Testament against prophets (pbut). The study consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The introductory chapter deals with the Old Testament, its geneses (books), the loss it has undergone, its rewriting, its sources, its copies, its translation, and the Muslim's position on this issue. In addition, prophethood and the prophet's infallibility in Judaism and Islam were also discussed.

The second chapter deals with the allegations of the Old Testament from Adam (pbuh) to Jacob (pbuh). The third chapter deals with the allegations of the Old Testament from Jacob (pbuh) to the last of the prophets, Prophet Mohammad (pbuh). The researcher has adopted a fair methodology in dealing with the people of the book. The researcher introduces the text of the allegation and then how it is refuted according to the Old Testament itself and the intellectual and ethical proofs, and verses from the Holy Koran.

The study has refuted all the allegations of the Old Testament against the prophets (pbut). It has also become apparent to the researchers that the Old Testament contained the good signs pointing to the last of the prophets, our prophet Mohammad (pbuh) and his companions.

The bad influences of the allegations of the Old Testament on the morals of the people of the book have also become apparent. Hence, fornication and incest were spread. In addition, the Jews' criminal deeds against other peoples are clearly demonstrated through killing and genocide.

In the conclusion, the most remarkable textual, intellectual, and moral proofs arrived at in this study were mentioned. These demonstrate beyond doubt the falsification and the contradiction of the Old Testament.

المقدمة

(**بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {1/1}الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {2/1} الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {3/1} مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ {4/1} إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {5/1} اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ {6/1} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ {7/1}**) (الفاتحة1- 7) اللـهمَّ إني أحمدك بجميع المحامد التي سيحمدك بها سيِّدُنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم عند مقامه المحمود يوم القيامة. اللـهمَّ ربَّنا صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وخاتم أنبيائك، سيّدِنا محمَّدٍ صلى اللـه عليه وسلم ، النبيِّ الأُمّيِّ، الذي أرسلته كافَّةً للناس بشيراً ونذيراً، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، وبعد:

فقد شاءت حكمة اللـه تعالى أنْ يرسل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هداةً للناس ونصحةً ودعاةً، وأنموذجاً للفضيلة والأخلاق؛ ولهذه الغايات الشريفة جعلهم معصومين من الذنوب ومن كلِّ ما يخالف العقل السليم والخلق القويم؛ ونتيجةً لذلك فقد أمر اللـه بالإقتداء بهم؛ حيث قال جلَّ شأنه: (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**)(الأنعام: 90)

وبالرغم من عصمة اللـه تعالى لأنبيائه عليهم السلام، إلا أنه وُجهت لهم إساءاتٌ واتهاماتٌ كثيرةٌ تولَّى اليهودُ كبرها. وقد بدأ اللـه تعالى الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام، في القرآن الكريم فبرَّأهم ممّا نُسب إليهم، وزكَّى أخلاقهم، وكذلك فعلَ خاتمُ النبيّن سيِّدُنا محمَّد صلّى اللـه عليه وآله وسلّم؛ إذ حملت سنتُه الذَّبَّ عن الأنبياء عليهم السلام، وإكرامهم ورفع قدرهم. وعلى الباحثين السير وراءَ الوحيين في إثبات براءة الأنبياء عليهم السلام، وفي إبطال دعاوى المبطلين، إقامةً للحُجّة وإبلاغاً للأمانة.

ولهذا جاءت هذه الدراسة، في محاولةٍ جادّةٍ للدفاع عن الأنبياء عليهم السلام، وإبطال أبرز الدعاوى التي نُسبت إليهم في العهدِ القديم بالنقد الداخلي من نصوص العهد القديم ذاته، ثم بالقرآن الكريم، والبراهين العقلية، والأخلاق الإنسانية.

ونظراً لتوسع مفهوم النبيِّ في العهد القديم وشموله مدَّعي النبوة، والنبيات من النساء، وأنبياء لم يذكروا في القرآن الكريم، فإنّ مسارَ هذه الدراسة، سيكون حول الأنبياء عليهم السلام الذين ثبتت نبوتهم في القرآن الكريم، وذُكروا في العهد القديم وألصقت بهم دعاوى وإساءات، دون الأصناف المشار إليها سابقاً. وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام هم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ولوط، وأيوب، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، ويونس، ومحمَّد، صلوات اللـه وسلامه عليهم أجمعين.

مشكلة الدراسة:

تتمثل المشكلة الأساسية في هـذه الدراسة بوجود نصوص في العهد القـديم تتضـمَّن دعـاوى قيـام الأنبيـاء علـيهم السلام بأفعال مشينة وتصورهم بصفات شنيعة، وهذه النصوص مقدَّسة عند أصحابها؛ حيث يَعـدونها وحيـاً إلهيـاً. وسأجتهد في هـذه الدراسة لإبطال هـذه الدعاوى وتفنيدها بالنصوص الدينية ذاتها، وبـالقرآن الكـريم، وبـالبراهين العقلية والأخلاقية.

أهداف الدراسة: تهدف هـذه الدراسة إلى:

- إبطال الدعاوى التي نُسـبت للأنبيـاء في العهـد القـديم مـن العهـد القـديم ذاتـه، ومـن القـرآن الكـريم والعقـل والأخلاق.

- إبراز صورة الأنبياء عليهم السلام الناصعة في القرآن الكريم.

- إظهار الفرق العظيم بين صفات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم والعهد القديم.

- نقض آراء وشروحات علماء اليهود والنصارى، المتعلقة بالأنبياء وإظهار تناقضها.

وللوصول إلى الأهداف السابقة، كان من المناسب أنْ تسير الدراسة وفق المنهج الآتي:

منهج الدراسة:

ستسير هـذه الدراسة وفق المنهج التحليلي النقدي المقارن. فتحليل النصوص التي تضمنت الدعاوى يسّهل فهمهـا، وأما النقد فغايته إبطال تلك الدعاوى. وأما المقارنة فيظهر منها الفـرق العظـيم بـين القـرآن الكـريم كـوحيٍ إلهـي والعهد القديم ككلام بشري. وحتى يكون النقد وافياً، وشافياً، ومقنعاً، فقد سِرتُ وفقَ الخطوات الآتية:

- عرضُ نصّ الدعوى التي تضمَّنت الإساءةَ للنبي من العهد القديم. - تحليلُ الدعوى إلى عناصر أو إسـاءات جزئيـة حسب ما يحتمل النَّص.

- عرضُ آراء أهل الكتاب وعلمائهم وتعليقاتهم وتوجيهاتهم للدعوى.

- نقد الدعوى بدايةً من العهد القديم ذاته، لإظهار تناقضها وبشرية مصدرها.

- فحصُ الدعوى ونقدها من النواحي العقلية، والخلقية، والاجتهاد في إيجاد إضافات جديدة قدر المستطاع.

- لإبراز النقد والتحليل والأفكار بشكل جلي وضعتُ عناوين فرعية في معظم مباحث الدراسة ومطالبها.

- ذكرت الدافع لكل دعوى من الدعاوى التي وردت في الدراسة والأثر الذي ترتب عليها.

- نقد الدعوى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وممّا يجدر ذكره هنا أنني قدَّمتُ النقد الداخلي للدعوى أي من نصوص العهد القديم ثمَّ النقد العقلي لتكون حجةً على المخالفين من أهل الكتاب، ذلك أنّ أهل الإسلام يُسلّمون أصلاً ببراءة الأنبياء من تلك الدعاوى، لذلك كان النقد من مصادر المخالفين ذاتها أولاً، ثمّ كان النقد بالأخلاق ونصوص القرآن الكريم للمقارنة وإظهار الفرق العظيم بين القرآن الكريم وبين العهد القديم.

- تمّت الإشارة في كل ما تقدم إلى آراء النقاد السابقين، كالإمام ابن حزم الأندلسي، والشيخ رحمت الله الهندي، والمهتدين قديماً وحديثاً، إضافة إلى ما كتبه أشهر النقاد المعاصرون على اختلاف أصولهم، والأطروحات الجامعية التي اطلعت عليها.

- بعد تحليل الدعوى ونقدها وإبطالها، تأتي المقارنة، لإظهار تميز القرآن الكريم وهيمنته على العهد القديم، ولذلك قمتُ بالآتي:

- عرضُ النص القرآني، بتبيين آراء المفسرين المسلمين في كل مسألة، مع الترجيح للأقوى مع الدليل.

- إبرازُ الصورة الناصعة للأنبياء جملةً، ولكل نبي تفصيلاً، كما جاءت في الآيات القرآنية، لتظهر المقارنةُ بشكل جليٍّ، بين ما ثبت في القرآن الكريم وما ورد في العهد القديم بحق ذلك النبيِّ.

وبعد الانتهاء مما تقدم تحليلاً ونقداً ومقارنةً، خرجتُ بحكمٍ منصف على النّص الذي تضمن الدعوى، مع البعد عن الهوى، والاستناد إلى الدليل من: العهد القديم، والعقل، والقرآن الكريم والخلق القويم، والحقّوق التي اتفقت الإنسانية على احترامها. وهكذا إلى أنْ يحيط النقد بذلك النص، إحاطة السوار بالمعصم، فلا يترك لمن يؤمن به باباً، إلا ويوجه له النقد بالأدلة من المصادر السابقة. وكان النقدُ في مسائل عديدة، من جميع هذه الأبواب أو معظمها، الأمر الذي لا يترك مجالا لمن به مسحة من إيمان، أو عقل، أو خلق، إلا ويسلّم بردّ تلك الإساءات وعدم تصديقها. وبناءً عليه وجود التحريف بشكل جلي في العهد القديم وبراءة الأنبياء عليهم السلام من تلك الدعاوى.

جديد الدراسة:

لعلّ الجديد في هذه الدراسة هو شرطها ومنهج نقدها وأثر كل دعوى وهذا تبيان ذلك:

أما شرط الرسالة، فإنني أشترط على نفسي في هذه الدراسة، ألّا أنقد ما ورد في العهد القديم إلا بعد ذكر آراء علماء أهل الكتاب وشُرَّاحُ العهدِ القديم في جميع الدعاوى الواردة في الدراسة. ذلك أنّ أكثر الانتقادات التي وُجهت – قديماً وحديثاً – للدعاوى المنسوبة للأنبياء في العهد القديم كانت من دون الإشارة إلى آراء المخالفين وحججهم. إلا أنني حاولت الاجتهاد والسيرعلى منهج يتسِمُ بالموضوعية، والبعد عن التعصّب، حيث إيراد حجّة الخصم ودليله، قبل توجيه النقد من باب العدل والأمانة العلمية، والله تعالى يقول:

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {8/5}**)(المائدة : 8).

ولعلّ من الجديد في هـذه الدراسة هـدف كل دعوى وأثرها، بحيث ذكرتهما في نهاية كل دعوى من الدعاوى التي وردت في الدراسة. وقد تحدثت عن الأثر من تاريخ اليهود وواقعهم المعاصر. ومن باب إنصاف الخصم فقد نقلتُ النصوص المقدسة عند أهل الكتاب بنفس الشكل كما وردت في العهد القديم بكل أمانة.

و بالرغم من الجهود التي بذلها النقاد قديماً وحديثاً في نقد دعاوى العهد القديم بحقِّ الأنبياء عليهم السلام إلا أنّ الكمال لله وحده؛ حيث عُرضتْ ونُقدتْ بعض تلك الإساءات سريعاً، وبعضها لم يُعرض؛ لذلك حاولت سدّ ثغرة في هـذا الباب، فعرضت الدعاوى بأسلوب منظم، وبتحليل أوسع، ونقد أشمل وأدقّ.

اعتذار: يقدم الباحث اعتذاراً للقارئ الكريم، نظراً لما سيجده في صفحات هـذه الدراسة، من أشياء لا تليق نسبتها إلى الأنبياء الأطهار، كدعاوى الزنا الكثيرة، وبعض الألفاظ النابية، التي نسبت للأنبياء عليهم السلام، ومن ردودي التي كنت مضطراً فيها لافتراض صحة بعض الأمور، لغاية الوصول إلى نقض الإساءة بالكلية. وقد نقل القرآن الكريم دعاوى الكفرة، ثم نقضها وأقام الحجّة على أصحابها.

الدراسات السابقة : وقفتُ على الدراسات الآتية:

- التراثُ الإسرائيليّ في العهد القديم، وموقف القرآن منه - رسالة دكتوراه للدكتور صابر طعيمه، من كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، سنة 1978.

- بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، رسالة دكتوراه، للدكتور: عبد الشكور بن محمد بن أمان العروسي، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1982.

- داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، عرض ونقد، رسالة ماجستير للباحثة: مي حسن المدهون، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، سنة 1421هـ.

- أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، رسالة ماجستير للباحثة: هند بنت دخيل الله القثامي، من جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، سنة 1421هـ.

- إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود - عرض ونقد - رسالة ماجستير للباحثة: فاطمة ردمان، من جامعة أم القرى سنة 2001.

- يعقوب عليه السلام بين القرآن الكريم والعهد القديم. دراسة مقارنة، رسالة ماجستير للباحث:محمد حسني عقلة، 2003، جامعة آل البيت – الأردن.

- قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن الكريم والعهد القديم – رسالة ماجستير للباحث: نضال عباس دويكات، من جامعة النجاح سنة 2006

- قصة لوط في القرآن والتوراة، دراسة مقارنة – رسالة ماجستير، للباحث: محمد حماد، جامعة النجاح، فلسطين، سنة 2007.

- نبيُّ اللـه داود عليه السلام بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، رسالة ماجستير للباحث: منير أحمد حسين ذياب، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2007.

- إيذاء الأنبياء العهد القديم بين العهد القديم والقرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث أحمد نجم عليات، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2011.

وتختلف هذه الدراسة من حيث منهجها وشرطها عن الدراسات السابقة.

وبعد هذا الجهد المتواضع فإنّني أرجو اللـه تعالى أنْ أكون قد وُفقتُ للصواب والسداد والعدل، والتزام شرط الدراسة ومنهجها، فإنْ كان كذلك فبمنةٍ من اللـه وفضل، وإنْ كان غير ذلك، فإنني أستغفر اللـه تعالى من كل زلل وخطأ. والرجاء عظيمٌ برحمته تعالى، وواسع فضله أنْ يقبل هذا العمل، ويجعل له القَبول في الأرض والسماء، وأنْ يجعله سبباً في إنارة القلوب والعقول وهداية من كتب لهم اللـه الهداية من غير المسلمين، إنه هو السميع العليم. وصلاةٌ وسلامٌ دائمين من الكريم المنَّان ذي الجلال والإكرام على أنبيائه ورسله عامّة، وعلى سيدنا محمّد وآله خاصة، والحمد لله ربّ العالمين.

جدول يتضمن أسفار العهد القديم الواردة في الدراسة واختصار كل سفر منها:

السفر	الإختصار	السفر	الإختصار
التكوين	تك	أيوب	أي
الخروج	خر	المزامير	مز
اللاويين	لا	إشعيا	إش
العدد	عد	مراثي إرميا	مرا
التثنية	تث	هوشع	هو
يشوع	يش	عاموس	عا

يون	يونان	قض	القضاه
حز	حزقيال	صم1	صموئيل الأول
مي	ميخا	صم2	صموئيل الثاني
حب	حبقوق	ملو 1	الملوك الأول
عو	عوبديا	ملو 2	الملوك الثاني
نش	نشيد الأنشاد	أخ 1	أخبار الأيام الاول
صف	صفنيا	أخ 2	أخبار الأيام الثاني
ملا	ملاخي	عز	عزرا
زك	زكريا	نح	نحميا
حج	حجي	أس	أستير

الباب التمهيدي

التعريف بمصطلحات البحث

تمهيد: الدعوى لغة واصطلاحاً

الفصل الأول: ما يتعلق بالعهد القديم(التاناخ)

المطلب الأول: التعريف بالعهد القديم

المطلب الثاني: أسفار العهد القديم

المطلب الثالث: تاريخ التوراة (العهد القديم)

المطلب الرابع: ترجمة العهد القديم

المطلب الخامس: نسخ العهد القديم

المطلب السادس: مصادر العهد القديم

المطلب السابع: موقف المسلم من العهد القديم

تمهيد: الدَّعوى لغةً واصطلاحاً:

الدَّعوى لغةً: جاء في لسان العرب: ادَّعَى يدَّعي ادِّعاءً ودَعْوى. وادعيتُ الشيء زعمته لي حقاً كان أو باطلاً. وقوله تعالى: (**فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا**) (الأعراف: 5) قال ابن منظور: المعنى أنهم لم يحصلوا ممّا كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدّعونه إلا على الإعتراف بأنهم كانوا ظالمين. والدعوى إسمٌ لما يدَّعِيه. وقد تأتي الدعوى بمعنى الدعاء لقوله تعالى: (**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللـهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {10/10}**) (يونس: 10) فإنه يعني أنَّ دعاء أهل الجنة تنزيه اللـه وتعظيمه، والدعوى الثانية الدعاء. والدِّعوى: ادعاء الولد إلى غير أبيه.([1])

وقال الرازي في مختار الصحاح([2]): ادعى عليه كذا، والإسم الدَّعوى. والدَّعوة إلى الطعام بالفتح.. والإدعاء : أنْ تدَّعي حقاً لك أو لغيرك. تقول ادَّعى حقاً أو باطلاً. وبمثل ذلك قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة([3]).

ونخلص إلى أنّ الدَّعوى لغةً تعني: الإدعاء حقاً كان أم باطلاً، كما تأتي بمعنى الدعاء.

الدعوى اصطلاحاً:

قال الجرجاني في التعريفات:" قولٌ يَطلب به الإنسانُ إثباتَ حقّ على الغير".([4])

وقال الإمام الرازي:" الدَّعوى إسمٌ يقوم مقام الإدعاء ومقام الدعاء([5]). وبالرجوع إلى كتب العقيدة الإسلامية وجدت أنْ أهل العلم يستخدمون كلمة(الدعوى) للتعبير عن الإدعاء حقاً كان أم باطلاً. وقد اشتهر استخدامهم هذه الكلمة في الحقِّ عند حديثهم عن النّبي الصادق الذي يّدعي النبوة.وفي الباطل للنبي الكاذب.([6])

وهكذا يمكن القول إنَّ الدَّعوى أمرٌ يدَّعيه إنسان أو جماعة، حقاً كان أم باطلاً. علماً بأنّني أردتُ من (الدَّعوى) في هذه الدراسة الدعوى الباطلة فقط.

---

1 . الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، 1968، بيروت. أنظر: مادة دعا.

2 . الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، 1989.مادة دعا ص 189.

3 . إبن زكريا، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991. مجلد 1، ص 280.

4 . الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **التعريفات**. ط 1985، مكتبة لبنان، ص 109.

5 . الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **تفسير الرازي**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981. ج14، ص 24.

6 . أنظر مثلاً: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **أصول الدين**. مكتبة الدولة، استانبول، 1928.ص 171. وانظر: الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد ، **كتاب المواقف**. دار الجيل ، ط1، بيروت، 1997. ج3، ص 338.

الفصل الأول: ما يتعلق بالعهد القديم (التاناخ)

المطلب الأول: التعريف بالعهد القديم:

العهد القديم هـو: الاسم الذي يطلق على جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء الذين قبل عـيسى عليـه السـلام . وقـد استُخدمت كلمة العهد لتعني العهد الصادق من اللـه للإنسان([1]).

واليهود يُسمون العهد القديم **(التاناخ)** وهـو لفظ مأخوذ من أول حرف من أسماء الأقسام الثلاثة للعهد القـديم، وهي: التوراة(الأسفار الخمسة) وأسفارالأنبياء(نبئيم) والكتب(كتوبيم)([2]).

وممَّا يجدر ذكره انَّ اليهود يفضلون اصطلاح (التانـاخ) عـلى العهـد القـديم، لأنَّ العبـارة الأخـيرة تفيـد أنّ العهـد الجديد قد أكمل كتاب اليهود المقدس وحلَّ محله. أما لفظ التناخ فهـو اصـطلاح وصـفي وحسـب، ولـيس فيـه أي اعتراف ضمني بقدم كتاب اليهود المقدس([3]).

وللوقوف على المراد بالعهد القديم بشكل أوضح ينبغي تحليل كلمتي:(العهد، والقديم) ومعرفة المراد بكل منهما،

فالعهد عند اليهود والنصارى هـو: ما قطعه اللـه على نفسه من العهد مع البشرية ؛ فقديماً قطع اللـه العهد مع أتقيائه آدم، ونوح، وإبراهيم، ومع بني إسرائيل على يد موسى النَّبيّ عليه السلام كما ورد: (وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ». [8]وَأَخَذَ مُوسَى الـدَّمَ وَرَشَّ عَـلَى الشَّـعْبِ وَقَـالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هـذِهِ الأَقْوَالِ»).(خر: 24: 7- 8).

---

1 . أنظر: **الهندي**، الشيخ رحمت اللـه، 1410هـ **إظهار الحق**، تحقيـق د. محمـد أحمـد ملكـاوي، الرئاسـة العامـة لإدارة البحـوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الرياض، ج1، ص 98.

2 . أنظر: علي، د . فؤاد حسنين، **اليهودية واليهودية المسيحية**، 1968، ص 101 – 102، معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة، جامعـة الدول العربية.

3 . أنظر: القثامي، هـند بنت دخيل اللـه، **أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى**، رسالة ماجسـتير مـن جامعـة أم القـرى ، مكة المكرمة ، سنة 1421 هـجرية، ص 21- 22.

وقد ورد في العهد القديم، العديد من العهود بين اللـه وأنبيائه([1]). وبناءً على ذلك يمكن القـول: إنَّ أصـل التسـمية بالعهد القديم يعود إلى العهود والمواثيق الإلهية مع الإنسان الواردة في تلك الأسفار.

وأمّا كلمة القديم فهي تسميةٌ اجتهادية، وكذلك العهد الجديد أخذها النصارى مما جاء في سـفر إرميـا([2]) :(«هَـا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَـعَ بَيْـتِ يَهُـوذَا عَهْـدًا جَدِيـدًا 32لَـيْسَ كَالْعَهْـدِ الَّـذِي قَطَعْتُـهُ مَـعَ آبَائِهِمْ)(إرميا:31- 32)

كما سُميت أسفارُ العهد القديم بهذا الاسم، للتفرقة بينها وبين مـا اتخـذه المسـيحيون في أسـفارهم التـي أطلقـوا عليها اسم العهد الجديد([3]). كما يطلق على مجموع ما ينطوي عليه العهـد القـديم والجديـد الكتـاب المقـدس([4]). وعليه يمكن القول إنّ تسمية العهد القديم والجديد تسمية نصرانيةٌ اجتهادية، أُخذت من الأسفار ذاتها.

وإذا كان العهد القديم قد سُمي بهذه التسمية بناءً على العهود المشار إليها سابقاً، فيمكن القـول بتخطئـة ذلـك، لأنّ جميع الكتب المقدسة قد احتوت بلا شك على عهود ووصايا وأوامر ومواثيق من اللـــه تعـالى لأنبيائـه ولأتبـاع الأنبياء عليهم السلام، ومع ذلك فليس كل كتاب إلهي يسمى عهـداً، بـالرغم مـن احتوائـه عهـداً أو أكـثر، فـالقرآن الكريم أثبت العهد الإلهي لآدم عليه السلام ، وهو العهد المتضمن طاعة اللـه وعدم الأكل من الشجرة، والتحـذير من عداوة الشيطان يقول تعالى: (**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِـدْ لَـهُ عَزْمًـا {115/20}**)(طـه: 115). والعهد الإلهي لبني آدم، وكذلك العهد لإبراهيم وإسماعيل علـيهما السـلام بتطهـير البيـت. وإنمـا يلتـزم المسـلمون

---

1 . **أول هـذه العهود:** عهد اللـه للبشر وكل الأحياء، بأنْ لا يكرر حدوث الطوفان الذي حدث في زمان نـوح عليـه السـلام . وجعـل القوس التي تظهر في السحاب عند المطر علامة على بقاء هـذا العهد فإذا رآها اللـه تذكر العهد الذي قطعه مع البشر وسائر دواب وطيور الأرض فلا يعود يهلكهم.(تك : 9:9 – 17) .ومما يجدر ذكره أنّ هـذا العهد قطعه اللـه على نفسه تجاه الناس، بعد حزنـه وندمه على الطوفان، الذي أهلك أكثر الخلق في زمن نوح عليه السلام ، ونصه في العهد القديم : (11أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأرض». 12وَقَالَ اللـه: «هذِهِ عَلاَمَةُ المِيثَاقِ الذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِـي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الحَيَّةِ التِي مَعَكُمْ الأَجْيَال الدَّهْرِ: 13وَضَعْتُ قَـوْسِي فِي السَّـحَابِ فَتَكُـونُ عَلاَمَـةَ مِيثَـاق بَيْنِـي وَبَـيْنَ الأرض.)(تك: 9 : 11- 13).

ثانياً: :عهد اللـه تعالى لإبراهيم عليه السلام ، إذ ظهر اللـه له وأعطاه عهدا بأن يعطيه أرض كنعان فبنى إبراهيم مـذبحاً للـرب في المكان الذي ظهر فيه .(تك :12:7) . ثم تكرر العهد الإلهي لإبراهيم بإكثار نسله، كما أعطاه عهداً بأنْ تكون لنسـله الأرض مـن نهـر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.(تك :15 : 18 -21).

ثالثاً: العهد بين اللـه تعالى وبين إبراهيم وولده، وهو ختان كل ذكر منهم في اليوم الثامن من ولادته.

رابعاً: عهد اللـه تعالى إلى موسى عليه السلام بعدما كلمه وأوحى إليه، حيث نزل موسى وأمر بذبح الثيران، ثم وضع نصـف الـدم في الطسوس ونصفه الآخر على المذبح، فأخذ موسى يقرأ على مسمع من الشعب كلام الرب وأحكامه، فوعد الشعب موسى أنْ يسـمعوا ويفعلوا ما أمروا به،ع ندها أخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال:(هـو ذا دم العهد الذي قطعه اللـه معكم على جميع هـذه الأقوال)(خر: 24 :1- 8).

2 . **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعـاصرة**، 2003، إشراف ومراجعـة د. مـانع الجهنـي، ط الخامسـة، دار النـدوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض . ج2، ص 1098.

3 . وافي، علي عبد الواحد. 1964، **الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام**، دار نهضة مصر، القاهرة. ص13.

4 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين**، طبعة بيروت سنة 1869، ص 4.

تسمية الكتاب المنزل إليهم، بما سمّاه الـلـه تعالى، فهو القرآن الكريم، إضافةً إلى الأسماء الكثيرة التـي سـمّاه الـلـه تعالى بها كالفرقان والذكر والكتاب.

المطلب الثاني: أسفار العهد القديم(التاناخ):

قبل تبيان أقسام العهد القديم، لا بدّ من التنبيه إلى وجود اختلاف عـلى هــذه الأقسـام، عنـد اليهـود والنصـارى، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبارٌ آخرون. أما النصارى فإنّ النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية([1])، وأما السامريون([2]) فلا يؤمنون إلا بخمسة أسفار هـي الأسـفار الخمسـة، ولا يؤمنـون ببقية الاسفار([3]). وتقسم التسعة والثلاثون سفراً إلى أربعـة أقسـام رئيسـة، مشـتملة عـلى تسـعمائة وتسـعة وعشريـن إصحاحاً([4]).

وقسّم اليهود العهد القديم إلى ثلاثة أقسام هـي:

1- الناموس(أسفار موسى الخمسة). 2- الأنبياء. 3- الكتب(الكتابات).

وفيما يأتي نبذة عن كل قسم:

القسم الأول: الأسفار الخمسة، وهي المعروفة بأسفار موسى الخمسة، أو التوراة، أو الناموس، أو الشريعة.([5]) وفيما يأتي نبذةٌ عن هـذه الأسفار:

1- سفر التكوين: أي تكوين الـلـه تعالى للعالم أي خلقه. ويتضمن هـذا السفر خمسين إصحاحاً تتنـاول تـاريخ(2369) سنة، أي من بدء خلق العالم إلى قصة آدم عليه السلام ، ثم قصـص الأنبيـاء عـليهم السـلام وأخنـوخ (إدريـس) ونـوح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، عليهم السلام إلى أنْ تنتهي بوفاة يوسـف عليـه السـلام ([6]). ويحـوي هـذا السفر كثيراً من الدعاوى المسيئة للأنبياء عليهم السلام.

2- سفر الخروج: ويقع في أربعين إصحاحاً، ويشتمل على تاريخ مدة (145) سنة، ويتنـاول هــذا السـفر الحـديث عـن الاضطهاد والعبودية، التي عاشها بنو إسرائيل في مصر،ثم ولادة موسى عليه السلام ودعوته فرعون، والمعجـزات الإلهيـة

---

1 . د. أحمد شلبي، **اليهودية**، مرجع سابق،ص230 .

2 .**السامريون أو السامرة**: فرقة يهودية ثارت ضد اليهودية التي خالفت موسى، يتقشفون في الطهـارة كثـيراً، وتختلـف تـوراتهم عـن التوراة العبرية بستة آلاف موضع، وينظرون إلى بقية اليهود على أنهم نجـس، وهـم أقليـة مقارنـة بسـائر اليهـود . أنظـر: الحفنـي، د.عبد المنعم، **موسوعة فلاسفة ومتصوف اليهودية**، مكتبة مدبولي، ص 119، **وهمو**، عبـد المجيـد هــمو، 2004، **الفـرق والمـذاهب اليهودية منذ البدايات** ، دار الأوائل، دمشق، ط2، **واليهودية.** ص 34 – 38 .

3 . أنظر: **السامريون وأثر البيئة الإسلامية فيهم**، رسالة ماجستير للباحـث إيـاد هــشام محمـود الصـاحب، مـن جامعـة آل البيـت ، الأردن ،المفرق، 1997 – 1998م ، ص 93. وانظر:يوسف، القس د. صموئيل، **المدخل إلى العهد القديم**، ط 2، دار الثقافة، القاهرة.

4 . د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق، ص23.

5. د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق، ص19.

6 . **مرشد الطالبين**، مرجع سابق، ص 64.

إبانها، ثم خروج بني إسرائيل من مصر وهلاك فرعون وجنده، ثم مرحلة التيه في سيناء، إضافة إلى ما أنزله اللـه تعالى على موسى عليه السلام من الشريعة اليهودية والمعاملات والعقوبات.([1])

3- سفر اللاويين([2]): ويتضمن هذا السفر سبعة وعشرين إصحاحاً، يشتمل على تاريخ شهر واحد، هو الشهر الأول من السنة الثانية لخروج بني إسرائيل من مصر، ويسمى عند اليهود شريعة الكهنة([3]). بينما الترجمة السبعينية اليونانية هي التي أسمته باللاويين([4]).

4- سفر العدد: ويتضمن هذا السفر ستة وثلاثين إصحاحاً، تتحدث عن تعداد قبائل بني إسرائيل ذكورهم وأموالهم وجيوشهم،وبعض الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات، ويشمل ثمانية وثلاثين سنة تقريباً، وهي مدة وجود بني إسرائيل في البرية([5]).

5- سفر التثنية: ويسمى تثنية الشريعة، أي الإعادة والتكرار، لأنّ موسى عليه السلام عاد وذكّر بني إسرائيل، بما ورد من وصايا وشرائع في الأسفار التي سبقت هذا السفر([6]).

ويُعدُّ هذا السفر سجلاً لخطب موسى عليه السلام ، التي ألقاها على بني إسرائيل، حوالي سنة 1408 ق.م([7]). وقد عُرضت الوصايا العشر في هذا السفر عرضاً جديداً، كما أعيد الكلام عن الحلال والحرام، وعن نظام الملك والقضاء عند بني إسرائيل، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة، وتحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى عليه السلام ، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى عليه السلام ودفنه في جبال مؤاب([8]).

ويرجح علماء أهل الكتاب أنّ الإصحاح الرابع والثلاثين وهو الأخير والذي يعرض خبر وفاة موسى عليه السلام ودفنه، قد أضيف إليه ليكون ختاماً لتاريخ موسى عليه السلام ، كما يرجحون أنّ يوشع بن نون هو كاتبه والبعض يرى أنه اليعازر بن هارون([9]). والحقّ أنهم يقولون بذلك خروجاً من الحرج المترتب على زعمهم أنَّ موسى عليه السلام كتب عن نفسه ودفنه وبكاء الناس عليه بعد وفاته.

---

1 . د.على وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص 14. وانظر: **دليل العهد القديم**، مرجع سابق، ص 44.

2 . **اللاويون** : هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، المكلفون بالاهتمام بالمقدس، وقد أفرز هارون وأبناؤه ليكونوا كهنة للرب وأصبحت هذه الخدمة وراثية. وقد وقع الاختيار على اللاويين لخدمة المقدس وذلك لأنه عندما نقض الشعب العهد مع الرب بصنع العجل الذهبي رجع اللاويون وحدهم ومن تلقاء أنفسهم الى عبادة الرب، وكان اللاويون متوسطين بين الشعب والكهنة ولم يجز لهم أن يقدموا ذبائح أو يحرقوا بخوراً أو يروا الأشياء المقدسة إلا مغطاة، إلا أنهم كانوا أقرب إلى التابوت من الشعب وكان من واجباتهم أن يحملوا خيمة الاجتماع إذا رحلوا وينصبوها إذا حلوا في مكان للإقامة فيه مدة من الزمن. وكانت الخدمة المفروضة على اللاوي تبدأ وهو في سنِّ الثلاثين أو في سن الخامسة والعشرين أو سن العشرين . أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 806-808.

3 . **مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين**، مرجع سابق، ص 75.

4 . محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق، ص 48 .

5 . وافي، د. علي عبد الواحد، **الأسفار المقدسة في الأديان في الأديان قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص 15.

6 . القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التثنية**، نسخة الكترونية إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة.

7 . محارب، ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق،ص 61.

8 . د. احمد شلبي، **اليهودية**، مرجع سابق، ص235 .

9 . **كتاب مرشد الطالبين**، مرجع سابق ص 61. وانظر: **المدخل إلى العهد القديم**، للقس صموئيل يوسف، ص132 .

وفيما يأتي ذكر لبقية أسفار العهد القديم:

2- **الأنبياء (نبئيم):** وهم الأنبياء الأولون والأنبياء المتأخرون، وهم: يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني. والأنبياء المتأخرون، وينقسمون إلى الأنبياء الكبار وهم: إشعياء وإرميا وحزقيال. والأنبياء الصغار وهم: هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

وتتعرض هذه الأسفار لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم والحوادث البارزة في شؤونهم([1]).

3- **الكتب(الكتوبيم):** وهي المزامير، والأمثال، ونشيد الأنشاد، وراعوث، والمراثي، والجامعة، وأستير، ودانيال، ونحميا، وعزرا، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني([2]).

ومجموع هذه الأسفار قي أقسامها السابقة تسعة وثلاثون سفراً، وهذا هو المعتمد عند الكنيسة البروتستانتية([3]).

الأسفار المتنازع عليها (أبوكريفا):

يتفق اليهود والنصارى- ما عدا السامرة- على الأسفار التسعة والثلاثين السابقة. أما الكنيسة الكاثوليكية فإنّها تزيدُ عليها سبعة أسفار أخرى، تسمى (أبوكريفا) بمعنى المحذوفة أو المزيفة؛ على أنّ رجال الكنيسة يسمونها بالأسفار القانونية الثانية([4]) .

إلا أنّ د.عبد الوهاب المسيري([5]) يرى أنّ "مصطلح أبوكريفا يشير إلى النصوص المقدسة التي لم يعترف بها اليهود ضمن أسفار العهد القديم، ولم تُشمل باعتبارها أجزاء منه". ويضيف د. المسيري: " إنَّ كلمة أبوكريفا تسمية مغلوطة، لأنّ الكتب التي أوصى الحاخامات([6]) بإخفائها، لا تتعدى كتاباً أو كتابين. أما بقية الكتب فهي أبوكريفا بمعنى أنها استُبعدت من الكتاب المقدس المعتمد لدى اليهود لأسباب أخرى، فهي تنطوي مثلاً على تناقض مع ما جاء في التوراة، أو كتبت بعد انتهاء عهد الأنبياء عليهم السلام والوحي، وبعد أنْ قام عزرا بتدوين العهد القديم، أو هي مجرد حكمة دونت إعجاباً، أو هي كتب لا ترتقي إلى المستوى الروحي في الأسفار القانونية، ولذلك لا يمكن

---

1 . وافي، علي عبد الواحد، **الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام**، مرجع س ابق، ص15.

2 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 764. مرجع سابق، والبار، د. محمد علي، 1990، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ط 1، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ص 161.

3 . البار، د . محمد علي، 1990، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ص 161، مرجع سابق.

4 . د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، ص23 .

5 . **الدكتور عبد الوهاب المسيري** : أشهر الباحثين المعاصرين في اليهودية والصهيونية، وله أشهر موسوعة معاصرة هي: اليهود واليهودية والصهيونية.

6 . **الحاخام:** هو الرجل الحكيم أو الكامل. والمعنى الأكثر شيوعًا للحاخام أنه القائد الديني للجماعة اليهودية، الذين كانوا يقومون بتفسير التوراة والإفتاء، وحديثاً صارت مهمته إضافة إلى ما تقدم الإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي. أنظر: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، د. عبد الوهاب المسيري، 1999، دار الشروق، ط1، القاهرة، ج5، ص 222 بتصرف.

اعتبارها وحياً"([1]). وهذه الأسفار هي طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع بن سيراخ، وباروخ، والمكابيين الأول، والمكابيين الثاني، فيكون عدد الأسفار المعتمدة عندهم ستة وأربعين سفراً([2]).

والأسفار السبعة هذه هي مجموعة من أسفار العهد القديم، وجدت ضمن الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم، وانتقلت منها إلى الكنائس التي قامت بترجمتها إلى لغات عدة، ومع ذلك رفضها علماءُ اليهود كأسفار موحى بها، وأقرّ هذا الرفض المجمع اليهودي المنعقد سنة مائة للميلاد في جامينا. وتسمى هذه الأسفار الأسفارُ المحذوفةُ، لأنها حذفت من الطبعات البروتستانتية للكتاب المقدس([3]).

المطلب الثالث: تاريخ الأسفار الخمسة(العهد القديم):

يمكن تناول تاريخ الأسفار الخمسة في أمرين اثنين:

أولاً: كتابة الأسفار الخمسة. **ثانياً:** الأسفار الخمسة بعد وفاة موسى عليه السلام :

أما كتابة الأسفار الخمسة فيراد منه أمران، الأول: كتابة الله تعالى ما في اللوحين. والثاني: كتابة موسى عليه السلام الأسفار الخمسة. أما كتابة الله تعالى ما في اللوحين فقد ورد في العهد القديم أنَّ الله تعالى هو الذي كتب ما في اللوحين، وأنه أعطاها لموسى عليه السلام بعد أنْ فرغ من تكليمه على الجبل، والكتابةُ كانت منقوشةً على الألواح كما في هذا النصِّ:

(فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هنَا وَمِنْ هنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. [16]وَاللَّوْحَانِ همَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ.)(خر: 32 : 15- 16).

وقد ورد في القرآن الكريم أنّ الله كتب لموسى عليه السلام ما في الألواح، وهو ظاهر قوله تعالى: (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ**)الأعراف: 145).

ويرى ابن عاشور رحمه الله أنّ الكتابة نسبت إلى الله تعالى، لأنها كانت منقوشةً نقشاً من غير فعل إنسان، بل بمحض قدرة الله تعالى([4]). ومن هنا يعلم أنّ نسبة الكتابة لله تعالى هي من باب المجاز، وليست على الحقّيقة، فلا تعني مباشرته تعالى لتلك الكتابة، فالله تعالى منزّه عن ذلك، لقوله جلَّ شأنه: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ {40/16}**). (النحل: 40).

---

1 . عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** . مرجع سابق، ج5، ص 105 .

2 . د أحمد شلبي، **اليهودية**، ص 231، وانظر، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم البار**، ص161، مرجع سابق.

3 . د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق ص 137.

4 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 9، ص96.

ثانيا: كتابة موسى عليه السلام الأسفار الخمسة:

يرى نجيب جرجس وهو أبرز شُرَّاح الكتاب المقدس في العصر الحديث أنَّ موسى عليه السلام كتب الأسفار الخمسة ما بين سنتي(1491) و (1450) قبل الميلاد، وهي المدة ما بين دعوته ووفاته. وأنه كتب اثنتي عشرة نسخة من التوراة، ووزعها على الإثني عشر سبطاً لتكون مرجعاً لكل سبط([1]).

لكنّ كتابة موسى للأسفار الخمسة قضية فيها نظر، وذلك نظراً لطول هذه الأسفار، ولأنه ليس من السهولة في ذلك الزمان، أنْ يكتب موسى أو غيره هذه الأسفار الطويلة التي تعد بمئات الصفحات، بل إنّ الإنسان يكاد يجزم باستحالة تلك الكتابة؛ إذ من المحال أنْ يكتب عليه السلام موسى(66599)([2]) كلمة في ذلك الزمان.

ويرى ابن عاشور أنّ موسى عليه السلام ربما كتب أصول الدين الذي أوحى الله إليه، ومن جملتها الوصايا العشر التي كلّم الله بها موسى في جبل سينا، ووقع في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروجّ أن الألواح لم تكتب فيها إلا الكلماتُ العشر([3]) بدليل النص الآتي:(وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ لِنَفْسِكَ هذِهِ الْكَلِمَاتِ، لأَنَّنِي بِحَسَبِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ». [28]وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ.)(تث: 6: 6: 9)

وأيضاً: ([6]وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، [7]وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، [8]وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، [9]وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ.) (خر:34: 27- 28). وعلى فرض صحَّة النصّ السابق فيجب صرف المراد إلى الوصايا العشر لا الأسفار الخمسة نظراً لسهولتها حيث كلماتها اليسيرة.والله أعلم.

أما اللغة التي كتب بها موسى عليه السلام التوراة فإنها محل خلاف؛ حيث يرى البعض أنها دُونت باللغة العبرية([4]) ما عدا أجزاء يسيرة دونت باللغة الآرامية([5]).

---

1 . جرجس، د نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 21- 28.

2 . قمت بجمع أعداد الكلمات في كل سفر من الأسفار الخمسة فكانتا هذه النتيجة. واعتمدت على الأعداد كما وردت في قاموس الكتاب المقدس ص 767، لكل سفر من منها، علما بأنّ النتيجة تقريبية، نظراً لاختلاف طبعات الكتاب المقدس.

3 . ابن عاشور، الطاهر محمد بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 9 ص 97 – 98 بتصرف.

4 . **اللغة العبرية أو العبرانية** : هي إحدى اللغات السامية. وكانت العبرانية لغة بسيطة جداً، إلى أنْ أضيفت إليها بعض الزيادات في القرن السادس للميلاد على يد جماعة من علماء مدينة طبريا. أما أول تغيير طرأ على اللغة فقد تم خلال فترة السبي، إذ فقدت اللغة نقاوتها، وأضيفت إليها تعابير آرامية حتى قامت في العبرية لهجة عامية كادت تقضي على الفصحى التي لم يتقنها في العصور المتأخرة إلا رجال الدين والفقه. وكانت تلك العامية تخضع للآرامية خضوعاً مباشراً، حتى أنَّ اليهود أيام المسيح كانوا يتكلمون الآرامية ذاتها. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 596 بتصرف.

5 . **الآرامية**: إحدى اللغات السامية الشمالية. وتسمى أحياناً الكلدانية لأن الكلمات التي نطق بها الكلدانيون المذكورون في سفر دانيال 2: 4 كانت بهذه اللغة، وأقدم الكتابات الآرامية فيما عدا الكتاب المقدس تنحصر في نقوش ترجع إلى ثمانمائة سنة قبل الميلاد. وقد اكتشفت في سوريا وآسيا الصغرى وكذلك وجدت نقوش أرامية على النقود والأوزان في أشور وبابل. وكذلك وجدت كتابات آرامية على أوراق البردي والرقوق اكتشفت في مصر وترجع إلى خمسمائة عام قبل الميلاد. ويظهر من الكتابات أنَ الآرامية كانت اللغة السائدة في ميادين التجارة والسياسة، ليس في الدول الآرامية فحسب ، وإنما في مناطق أخرى في الشرق الأوسط القديم. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس** ، ص41 .

ويُرجح البعض أنّ لغة موسى عليه السلام ولغة التوراة، هـي اللغة المصرية، باعتبارها اللغـة المشـتركة بـين جميـع سكان مصر. وقيل إنّ موسى عليه السلام تعلّم الكتابة من المصريين، حيث كـانوا يكتبـون عـلى ورق نبـات يسـمى البردي؛ لكنه بعد الخروج لم يجد في الصحراء نبات البردي، لأنه لا ينبت إلا على أطراف المسـتنقعات ، فكتـب عـلى جلود الحيوانات([1]).

وبالرجوع إلى بداية أمر التوراة، نجد أنّ موسى عليه السلام ، قد أخذ الألواح التي أعطاه اللـه تعالى، وفيها الوصايا العشر. وأمره أنْ يأمرَ بني إسرائيل بصناعة تابوتٍ أعلمهم أوصافه، ليكون المكان الذي تحفظ فيه التوراة (خر: 25: 10-21). ثم أعطى موسى عليه السلام التوراة لبني لاوي المخصصين بوحي اللـه تعالى، وأمرهم أنْ يضعوا التـوراة في التابوت، وأنْ يخرجوها مرة كل سبع سنين لتلاوتها على رجال بني إسرائيل ونسائهم وأطفالهم (تـث :31 : 9 -13 و 24 -26).

الاسفار الخمسة(التوراة) بعد وفاة موسى عليه السلام :

بعد وفاة موسى عليه السلام خلفه يوشع بن نون([2]) في قيـادة بنـي إسرائيـل. وأوحـى اللــه إليـه أنْ يختـار بنـو إسرائيل رجلاً من كل سبطٍ من أسباطهم الإثنيْ عشر، كي يحملوا تـابوت الـربّ الـذي فيـه التـوراة، وأنْ يعْـبُروا نهـر الأردن. فعبروا النهر، ونشبت حروبٌ بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وفي إحدى المعـارك هــرب الإسرائيليـون، وأخـذ الفلسطينيون تابوت الربّ، وفيه التوراة التي كتبها موسى في الألواح وبقي عندهم سبعة أشهر، إلا أنّ اللـه غضـب وسلّط على الفلسطينيين الأمراض، حتى أعادوا التابوت إلى اليهود.وبعد إرجـاع التـابوت أخـذه اللاويـون، فوضـعوه عند رجل اسمه ألعازر([3]) وبقى مدة عشرين سنة.(صم 1 :7 : 1- 3).

إلا أنّ المفاجأة الكبرى كانت أيام سليمان عليه السلام ، حيث جمع الكهنة وحملة التابوت، وعندما فُتح التـابوت لم يجدوا التـوراة، كـما في الـنص الآتي: ([9]لَـمْ يَكُـنْ فِي التَّـابُوتِ إِلاَّ لَوْحَـا الْحَجَـرِ اللَّـذَانِ وَضَـعَهُمَا مُـوسَى هــنَاكَ فِي حُورِيبَ([4]) حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ .)(ملو: 1 :8: 9). فهذا نـصٌّ صريـحٌ في فقـد التوراة أو ضياعها.

---

1 . د. ملاك محارب ، **دليل العهد القديم** ، مرجع سابق ،ص 24. وانظر : **المدخل إلى العهـد القـديم** ، القـس د. صـموئيل يوسـف ص 43.

2 . **يشوع:** هـو خليفة موسى وابن نون من سبط أفرايم ولد في مصر. وكان أولاً خادمـاً لمـوسى (خـر24: 13). وقـد عينـه لقيـادة بنـي أسرائيل)خر: 17: 9). وكان عمره آنئذٍ أربع وأربعون سنة. وبعد ذلك تعين جاسوسًا لسبطه، وقـد قـدم هــو وكالـب رفيقـه تقريـراً صحيحاً عن البلاد التي تجسسوها. ثم أقامه موسى أمام أليعازار الكاهن وكل الشـعب وعينـه خليفـة لـه . أنظـر: **قـاموس الكتـاب المقدس**، 1068.

3 . **أَلِيعَازَرُ وأَلِيعَزَرُ:** اسم عبري معناه اللـه عون، وهو اسم ابن أبينـاداب. وقد كرس رجال قرية يعاريم ألعازار لأجل حراسة التـابوت عندما أعاده إليهم الفلسطينيون (صموئيل الأول: 7 : 1-2) انظر: **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 104 .

3. **حوريب:** إسم يطلق على جبل وعلى البرية المحيطة، ويذكر هـذا الجبل في الكتاب المقدس مرةً باسم جبل سيناء، ومرة باسـم بريـة سيناء . وقد أعطى اللـهُ الشعب الوصايا العشر على هـذا الجبل. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص498.

يضاف إلى هـذا الفقد لتوراة موسى عليه السلام ، ما تعرض له الإسرائيليون للغزو والنهـب، إذْ غـزاهم شيشـق([1]) ملك مصر سنة (945) ق.م . وكان هـذا الغزو كفيلاً بفقد كل ما في الهيكل من نسخ التـوراة. وفي السـنة الخامسـة للملك رحبعام صعد شيشق ملـك مصر إلى أورشـليم، وأخـذ خـزائن بيـت الـرب، وخـزائن بيـت الملـك، وأخـذ كـل شيء([2])(ملو1 :14 : 25 -26).

ثم فقدت التوراة سنين طويلة، ولم توجد لها باقية، إذ عاد بنو إسرائيل إلى الوثنية، ولم يعد للتـوراة ذكـر. ثـم في عام 622 ق. م .وبعد ثمان عشرة سنة من حكم الملك يوشيا الذي أراد أنْ يعيد بني إسرائيل إلى عبادة الـلـه، ادعـى الكاهن حلقيا([3]) أنه وجد سفر الشريعة، وقال: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الربِّ. فلما سمع الملك كلام سـفر الشريعة مزق ثيابه كما في (ملو2: 22: 8-11). ولم تبيِّن النصوص ما الذي وجده حلقيا بعـد هــذه السـنين ؟ هــل وَجَد لوحي الحجر أم ما كتبه موسى، أم أنّ المقصود بسفر الشريعة هــو سـفر التثنيـة أو سـفر اللاويـين المختصـين بالشرائع؟([4])

وفي العام 605 ق. م حدث السبي البابلي؛ حيث تسلّط الملك بختنصر([5])على بيت المقدس، فنهب وسلب وأحـرق وسبى عشرة آلاف من أهلها. (ملو2 24- 11- 15). ثم في عام 586 ق. م عـاد بختـنصر إلى أورشـليم، وأحـرق بيـت الربِّ وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار.(ملو2: 25 :9).وهنا فقدت تـوراة حلقيـا كما يشهد بذلك علماء أهل الكتاب،: "إنّ الكتب السماوية ضـاعت، فـألهم عـزرا أنْ يكتبهـا مـرة أخـرى"([6]). وهـذا الشهادة صحيحة فيما يتعلق بالكتب السماوية التي نزلت قبل سيِّدنا محمَّد صلى الـلـه عليـه وسـلم . أمـا القـرآن الكريم فقد تكفل الـلـه تعالى بحفظه.

وهذا الأمر الخطير يؤكده أصحاب قاموس الكتاب المقدس بقولهم: "مـما لا شـك فيـه أنّ معظـم الأسـفار المقدسـة أُتلف أو فُقد في عصر الارتداد عن الـلـه والاضطهاد، في مدة حكم الملك منسي"([7]). ويظهر من تاريخ بنـي إسرائيـل

---

1 . **شيشق:** وهو أول ملوك الأسرة 22 من ملوك مصر. حكم من العام 945-924 ق.م. عندما طلب سليمان قتل يربعام، هـرب يربعام إلى مصر حيث كان في حمى شيشنق فرعون مصر، وفي السنة الخامسة لرحبعام انتهز شيشنق انقسام إسرائيل إلى دولتين بعد مـوت سليمان، وزحف إلى اليهودية، ونهب الهيكل. انظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 533 .

2 . د. منقذ السقار ، **هـل العهد القديم كلمة الـلـه** ؟ ، ص 44 .مرجع سابق.

3 . **حلقيا:** رئيس الكهنة المعاصر ليوشيا، الذي ساعد الملك في إصلاحه الديني، ووجد سفر الشريعة بينما كان يحسب الفضـة المدخلـة إلى الهيكل .انظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 314.

4 . د. منقذ السقار، هـل العهد القديم كلمة الـلـه؟ مرجع سابق، ص 44.

5 . ***نَبُوخَذْنَاصَّرُ نَبُوخَذْنَصَّرُ:*** اسم بابلي معناه نبو حامي الحدود ، وهو ابن نبوبلاسر وخليفته في الجلوس على عرش مدينة بابل وحكم الإمبراطورية البابلية في ما بين النهرين وسورية ، ولم يكتف نبوخذنصر بامتلاك القدس وأخـذ بعـض سـكانها أسرى، بـل أمـر رجالـه بأخذ جماعات أخرى من السكان ونقلهم إلى بابل، وأحرق نبوخذنصر هـيكل الرب، وأخذ آلاف السكان. وكان مـن عادتـه أن ينقـل سكان إمبراطوريته من مكان إلى آخر ليضمن ولاءَهم ويستعمل قواهم في مشاريعه العمرانية. وتمكن من بناء قصور ومدن وأسـوار وقلاع وهياكل كثيرة، لا تزال أثارها شاهدة على نمو العمران في عهده. وإليه ينسب بناء الجنائن المعلقة وحفـر القنـوات للـري مـن مياه شط العرب. وقد سماه دانيال ملك الملوك (دا2: 37).انظر: **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 954 – 955 .

6 . د . منقذ السقار، **هـل العهد القديم كلمة الـلـه** ؟ ص44. مرجع سابق.

7 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص

بعد موسى عليه السلام ، الاضطراب الكبير، والتباين الواضح والتردد لفترات عديدة بين الكفر والإيمان. ومن كان هكذا حاله فكيف يُؤمن عليه حفظ ما اؤتمن عليه؟

وقد فصَّل الإمام ابن حزم رحمه الله هذا التاريخ المشين لبني إسرائيل، وهذا الكفر الصريح، ثم لخّص رداتهم التي ارتدوها عن الدين إلى الكفر وعبادة الأوثان – من بعد وفاة موسى عليه السلام ، حتى ولاية شاول - إلى سبع ردات هذه مدة كل منها:

مدة الردة الأولى ثمانية أعوام. والردة الثانية ثمانية عشر عاماً. والثالثة: عشرين عاماً. والرابعة سبعة أعوام. والخامسة ثلاثة أعوام أو أكثر. والسادسة ثمانية عشر عاماً. والسابعة أربعين عاماً. ثمّ قال رحمه الله:" فتأملوا: أيُّ كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان، هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فقط ، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض"([1]).

ثم ذكر ابن حزم تاريخهم بعد شاول، وما اشتمل على متابعة أكثرهم لمن سبقه في الكفر بالله تعالى ولم يكن فيهم نبيٌّ قط إلا مقتولاً أو مخافاً. كما لم يكن للتوراة ذكرٌ ولا رسمٌ ولا أثر حتى غزو بختنصر لهم وسبيهم وتخريب بيت المقدس ، فكان بعد ذلك ما كان من جمع الكاهن الهاروني عزرا الوراق([2]) للتوراة من حفظه وكتابتها، وكان هذا بعد سبعين سنة من خراب بيت المقدس. ثم يؤكد ابن حزم رحمه الله أنّ العشر كلمات والتوراة، إنما كانت في الهيكل فقط عند الكاهن الهاروني الأكبر وحده، لأنه بإجماعهم لم يكنْ يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه. وقد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم من الكفر والفسوق وعبادة الأوثان، ومن كانت هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به([3]).

المطلب الرابع: ترجمة العهد القديم:

تمت ترجمة العهد القديم في نوعين من الترجة؛ حيث تمثل النوع الأول بالترجمة الشفوية أو الترجمة بالمعنى، والنوع الثاني للتراجم هو التراجم النصية الحرفية. وهذه نبذة عن كلٍ:

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق د محمد إبراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميره، بدون طبعة وتاريخ ، دار الجيل ، بيروت . ج1 ، ص290 .

2 .**عزرا الوراق : عَزْرَا:** اسم عبري معناه «عون كاهن ابن سرايا لقب بالكاتب، إذ أنه كان موظفاً في بلاط أمبراطور الفرس (أرتحشستا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي. وقد تمكن عزرا لثقة الإمبراطور به وتلبية لطلباته، من أنْ ينال عفو الإمبراطور عن اليهود وسماحه لهم بالعودة إلى القدس، وأقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين ولقبوه بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل (عز7: 11). وكان عزرا أول كاتب بهذا المعنى. ويعتقد اليهود أنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها. أنظر : **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 616 .

3 . ابن حزم ، علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،مرجع سابق ، ج1 ص 287- 301 بتصرف .

أولا: الترجمة الشفوية: هـي ترجمة العهد القديم من العبرية إلى الآرامية، وحدث ذلك بعد السبي البابلي لليهـود حيث ضعفت اللغة العبرية بعد السبي، وأصبح لا يعرفها إلا المتدينون، فاقتضـت الضرورة ترجمتهـا للشـعب عنـد تلاوتها في المجامع، وكانت وظيفة المترجم هـي الترجمة الشفوية بتصرف في أثناء قـراءة الأسـفار، وكـان ممنوعـاً أنْ تدوّنَ هـذه الترجمة أو التفسيرات، ولكن ظهرت الحاجةُ إلى كتابة هـذه التراجم في كتب سميت الترجوم أو الترغوم وكانت بجهد مجموعة من المترجمين([1]).

ثانياً: الترجمات النصية، وأبرزها:

1- **الترجمة السبعينية**([2]) وهي أشهرها، وكانت سـنة 280 ق.م، وكانـت هــذه الترجمـة مـن العبريـة إلى اليونانيـة. ويمكن تعريف الترجمة السبعينية بأنها ترجمة العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغـة اليونانيـة. وسـميت بهـذا الاسم نسبة إلى عدد الكهنة التقريبي للكهنة الذين أعدوا هـذه الترجمـة. وقـد أُنجِـزتْ ترجمـة العهـد القـديم إلى اليونانية في اثنين وسبعين يوماً. وللترجمة السبعينية منزلةً عالية عند اليهود، حيث عـدها رجـال الـدين والفلاسـفة قديماً وحديثاً إنما أنجزت بوحي إلهي، وأنّ الـلـه قد ألهم المترجمين الإثنين والسبعين المعاني، حتى قيل إنّ المترجمـين كانوا أنبياء، وتبع هـذا الرأي آباء الكنيسة([3]).

ويقول بعض فلاسفة اليهود إنّ هـذه الترجمة قد شملت الأسفار الخمسة فقط، وأنّ باقي الأسفار تمّـتْ ترجمتهـا في أوائل القرن الثاني الميلادي، كما أنّ اسم الترجمة السبعينية لم يقتصر على أسفار التوراة، بـل اتسـع ليتضـمن كـل أسفار العهد القديم الذي ترجم فيما بعد من اللغة العبرية([4])

1 . د. ملاك محارب ، **دليل العهد القديم** ، مرجع سابق ، ص27بتصرف .

2 . وردت هـذه الترجمة في رسالة كتبها ارستياس - وهو من العاملين في قصر الإمبراطور ابطليموس فقد ذكر في سبب هــذه الترجمـة أن أمين مكتبة الإسكندرية كتب تقريراً إلى الإمبراطور بطليمـوس فيلاديلفـوس الثـاني (285 -447 ق 0م) مفـاده أنـه قـد ضـم إلى المكتبة تسعمائة وخمسة وتسعين كتاباً، تمثل أعظم الكتب العالمية ما عدا خمسة كتب وهي الخاصة بالقانون اليهودي ويعنـي بهـا الأسفار الخمسة ، وذكر أنّ هـذه الكتب بحاجة إلى ترجمة إلى اليونانية. وقد استجاب الإمبراطور إلى هـذا الطلب وأرسل مبعوثين - من بينهم ارستياس – إلى اليعازر الكاهن الأكبر في القدس ليزوده برجال عالمين بالعبرية واليونانية مـع نسـخة مـن التـوراة، فأرسـل الكاهن اثنين وسبعين من اليهود العالمين باللغتين مع نسخة مذهبة مـن التـوراة، وقـد قوبلـوا بحفـاوة في الإسـكندرية ، ونقلـوا إلى جزيرة فرعون القريبة من الإسكندرية وقد هـيئ مسكن خاص لكل واحد من الكهنة ، ومنعوا من الاتصـال ببعضـهم وقـد هــددوا بالعذاب إذا اختلفت تراجمه. وقد ذكر في الرسالة أنّ البعثة أنجزت مهمة ترجمة العهد القديم إلى اليونانية في اثنين وسـبعين يومـاً. وقد قام أمين مكتبة الإسكندرية بكتابة النص المترجم الذي اتفقوا عليه وقرئت الترجمة أمام يهود الإسـكندرية حيـث أقـروا ورضـوا بصلاحيتها واتسامها بالتقوى والإيمان ، ثم اعتبرت مقدسة بحيث تحل اللعنة على من يحـاول أنْ يضـيف عليهـا أو يحـذف أو يغـير فيها بأيٍّ شكل من الأشكال. أنظر : **المدخل إلى العهد القديم**، القس د. صموئيل يوسف، مرجع سابق . ص 53

3 . القس د. صموئيل يوسف، **المدخل إلى العهد القديم** ، مرجع سابق، ص55.

4. د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق ص 29 .

وقد وُجِّه النقدُ لهذه الترجمة من الداخل والخارج، وللرسالة التي ذكرتها، ولكاتب الرسالة، من أهـل الكتـاب ومـن غيرهم . وقد عَدّ (إيرنست فيرتفن) هـذه الترجمة خرافةً. وقد وُجهتْ لها عدة طعون أخطرها:

- **أولاً:** أنَّ هـذه الترجمة تمّت بعد عهد بطليموس بقرنٍ من الزمان. وقد عاش بطليموس بين(285- 247 ق. م)

- **ثانياً:** أنّ المترجمين كانوا من يهود الإسكندرية، وليسو من يهود فلسطين. إلا أنّ الصفة الخرافية قد ذاعـت لهـذه الرسالة وصار يرددها الجميع([1]).

وفي دراسة مختصة بالترجمة السبعينية ذكرت د.سلوى كاظم أنّ الدراسات النقدية قد تناولت رسـالة ارسـتياس بالبحث والتحقيق، وأجمعت معظمها أنّ ما ورد فيها بشأن ترجمة التوراة إنما هـو ضرب من الخيال، وأنّ كاتبهـا لم يعش في ذلك الزمان، ولم يكن معاصراً لفيلاديلفوس. كما أنّ الترجمة السـبعينية قـد لحقهـا تغيـير وتحريـف شـمل ترتيب الأسفار وعناوينها وعددها،بالإضافة إلى بعض الاختلافات عن النص العبري لأسباب تعود إلى طبيعـة اللغتـين وأسباب خاصة بالمترجم([2]). أما أثر هـذه الترجمة فيذكر الباحثون أنّ الترجمة السبعينية للعهد القديم قد أصـبحت قاعدة أساسية قامت عليها ترجمات أخرى([3]).

2- **الترجمة السريانية**: تُعد هـذه الترجمة من أقدم الترجمات بعد الترجمة السـعينية، مـع أنـه لا يعـرف مـن هـو المترجم كما لا يُعرف بالتحديد وقت الترجمة([4]). وقيل إنها كانت في القرن الثاني أو الثالث للميلاد([5]).

3- الترجمة المصرية: يُظنُّ أنَّ العهد القديم تُرجم إلى المصرية من الترجمة السبعينية في الجيل الثاني أو الثالث بعد المسيح عليه السلام ([6]).

4- **الترجمة الحبشية**: وقد ترجم العهد القديم إلى هـذه اللغة من السبعينية، مـن غـير معرفـة للمـترجم أو زمـان الترجمة، ويظنّ أنَّ فرومنتيوس وهو المبشر([7]) في تلك البلاد هـو الذي قام بهذه الترجمة للأسفار المقدسة سـنة 370م([8]).

5- الترجمة اللاتينية: كانت هـذه الترجمة من النص العبري الأصلي. **وقد** عرفت هـذه الترجمة باسم (الفولجـات) أي الترجمة العامة، وكانت هـي الترجمة الشائعة في كنائس أوروبا([9]).

---

1 . القس صمؤيل يوسف ، **المدخل إلى العهد القديم** ، مرجع سابق ،ص53 .

2. د.سلوى كاظم، **الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الحقيقة والأسطورة**، مرجع السابق، ص 43.

3 . د.سلوى كاظم، **الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الحقيقة والأسطورة**، مرجع سابق، ص 80.

4 . القس د. صموئيل يوسف. **المدخل إلى العهد القديم**، مرجع سابق، ص 61.

5 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 768. مرجع سابق.

6 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 23.

7 . من الخطأ إطلاق لفظ المبشر على من يدعو للمسيح كإله؛ حيث إنَّ المبشر الحقيقي هـو من يـبشر بـالنبي الخـاتم محمَّـد ، وقـد أكد القرآن الكريم أنَّ المسيح عليه السلام قد بشَّر بهذا النبي الخاتم صلى اللـه عليه وسلم . أنظر: سورة (الصف:6).

8 . القس د. صموئيل يوسف. **المدخل إلى العهد القديم**، ص65، **ومرشد الطالبين** ص 23.

9 . د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، مرجع سابق ص 31.

6- **الترجمة العربية:** وقد قام بها أسقف يوحنا أسقف إشبيلية سنة 750 للميلاد من اللاتينية([1]).ثمّ كانت الترجمة لمعظم العهد القديم على يد سعديا الفيومي([2]) في بابل.

تعقيب: إنّ اعتراف أهل الكتاب بأنّ أقدم ترجمة عربية لأسفارهم المقدسة إنما كانت سنة 750 للميلاد، أي بعد ميلاد سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم ب(180) سنة، هو دليل قويٌ على أنّ القرآن الكريم إنما هو وحيٌ إلهي، حيث بعض التشابه في القصص بينه وبين العهد القديم، واللـه أعلم.

المطلب الخامس: نُسخ العهد القديم: للعهد القديم ثلاث نسخ مشهورة وهي:

1- **النُسخة العبرية**: وتتكون من تسعة وثلاثين سفراً. وهي النسخة المعتمدة عند اليهود

2- وجمهور علماء البروتستانت([3])، علماً بأنّ أقدم نسخة للنص العبري يرجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد([4]).

2- **النسخة اليونانية**: وهي المعروفة بالترجمة السبعينية،وتتكون من تسعة وثلاثين سفراً. وقد كان النصارى إلى القرن الخامس عشر شبه مجمعين على صحتها، لأنهم يعتقدون أنّ اليهود حرَّفوا النسخة العبرية عن قصد. ولا تزال الكنيسة اليونانية والكنائس الشرقية مجمعة على صحة الترجمة اليونانية واعتمادها إلى اليوم. أما الكنيسة الرومانية فقد اعتمدت الترجمة اللاتينية([5]).

3- النسخة السامرية: وهذه النسخة معتمدة لدى اليهود السامريين، وتحتوي هذه النسخة على الأسفار الخمسة فقط. والسامريون لا يؤمنون إلا بكتب موسى الخمسة ويضيفون إليها كتاب يشوع وكتاب القضاة ([6]).

ويدعي السامريون أنّ نسختهم السامرية هي أقدم نسخ التوراة، ويزعمون أنّ عندهم نسخة باقية بخط فينحاس بن اليعازر بن هارون. ويكذب اللاهوتيون هذا الادعاء لأنهم يقولون إنه قد صحَّ عند فحول علمائهم أنّ التوراة السامرية، إنما هي مأخوذة من الترجمة السبعينية مع بعض التغييرات التي تناسب المعتقد السامري([7]) .

المطلب السادس: مصادر العهد القديم:

قام الباحثون بجهود كبيرة قديماً وحديثاً لمعرفة المصادر التي نبعت وخرجت منها التوراة الحالية. وقد خرج الباحثون بنتائج عدة تشابهت أحياناً واختلفت أحياناً أخرى. وقد غالى بعض الباحثين في حكمه مثل ديورانت

---

1 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 24، مرجع سابق.

2 . **سعديا الفيومي:** هو سعديا الجاوون الحاخام اليهودي الشهير، كان رئيساً للمدرسة اليهودية في سورا في بابل، وتوفي سنة 942م. أنظر: **مرشد الطالبين ص 24،** والقس د. صموئيل يوسف، **المدخل إلى العهد القديم،** ص 68.

3 . طويلة ،عبد الوهاب عبد السلام ، **الكتب المقدسة في ميزان التوثيق** ، 2002، ص 94 ، ط2 ، دار السلام، القاهرة .

4 . بوكاي ، د. موريس بوكاي ،**التوراة والإنجيل والقران والعلم** ، مرجع سابق ص23.

5 . عبد الوهاب طويلة ،**الكتب المقدسة في ميزان التوثيق** ، مرجع سابق ، ص 95.

6 . الهندي، الشيخ رحمت اللـه، إظهار الحق، ج1، ص 102 بتصرف يسير .

7 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، مرجع سابق ، ص 16 .

صاحب كتاب قصة الحضارة، وبعضهم كان معتدلاً مثل الطبيب الفرنسي بوكاي. وقد خرج الباحثون بأنّ العهد القديم يعود إلى المصادر الآتية:

أولاً: نظرية المصادر المتعددة للتوراة:

تقوم هذه النظرية على أنّ التوراة قد قام بكتابتها أكثر من مصدر أو أكثر من شخص، سواء كان هذا المصدر فرد أو جماعة. وتمّت الكتابةُ على فتراتٍ مختلفة التباعد والتقارب تصل إلى قرابة الألف سنة. وأهم الباحثين الذين قالوا بتعدد مصادر التوراة: الناقد الكاثوليكي (استروك1753م) هو أول من أشار صراحة إلى تعدد مصادر التوراة ، مستنداً إلى اختلاف أسماء الألوهية في سفر التكوين، حيث عدّ الاسمين (ألوهيم) و(يهوه) ممثلين لمصدرين أساسيين للتوراة. وكذلك الناقد البروتستانتي (فيتر 1711م) الذي أشار إلى الخلافات الواضحة في أسلوب الروايات الخاصة بقضية الخلق في سفر التكوين. و(ايشهورن 1780م) وقد أضاف دراساته النقدية في قضية الطوفان. وأيضا (أيلجن 1798م) وقد توصل إلى تمييز عدة مصادر داخل المصدرين الألوهيمي واليهوي.

وقد اتفق هؤلاء الباحثون وغيرهم على نتيجة مفادها أنّ التوراةَ مكونة من مجموعة كتابات جُمعت وحُرِّرت وضُمَّت في عملٍ واحدٍ([1]).

أما المصادر المتعددة التي ذكروها فتشمل:

- **المصدر الألوهيمي:**

هذا الاسم نسبة إلى ألوهيم باعتباره إسم الإله([2]). وتتميز نصوص هذا المصدر بالشعور بتوحيد الإله، ورفض الوثنية ،والتأكيد على الوحي والشعور الديني بالطاعة والولاء لله تعالى، وضعف الصلة بين العناصر الدينية والعناصر القومية. إضافةً إلى التركيز على الجانب الأخلاقي، وسيطرة رؤية الأنبياء على نظرة المؤرخ الإلوهيمي؛ حيث الاهتمام الكثير بالأنبياء عليهم السلام . كما ينفرد بنسبة النبوة إلى إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام، وبسبب هذا الاهتمام بالأنبياء عدّ النقاد المصدر الإلوهيمي بداية حركة النبوة([3]).

ويوجد هذا المصدر في أسفار التكوين والخروج والعدد. وبعض النقاد يعدُ هذا المصدر أقدم مصادر التوراة، كما أنه المصدر الغالب بأفكاره ولغته([4]).

- **المصدر اليهوي:**

---

1 . د .محمد خليفة حسن ، 1988،**علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**، ص 18بتصرف ، دار الثقافة ، القاهرة. وانظر: بوكاي، د. موريس بوكاي ،1990، **التوراة والإنجيل والقران والعلم** ، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية ،ص33، الطبعة 3، المكتب الإسلامي، بيروت ، دمشق .

و .د .محمد خليفة حسن ، 1988،**علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية** ،مرجع سابق ، ص 23- 25 بتصرف .

2 . المسيري ، د .عبد الوهاب محمد المسري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ،ط 1، دار الشرق، القاهرة ، 1999. ج 5، ص 103

3 . د. عبد الوهاب المسيري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج 5، ص 103 ، مرجع سابق .

4 . د. محمد خليفة حسن، **علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**، مرجع سابق ص 20 .

يتميز هـذا المصدر باستخدام اللفظ (يهوه) كاسم دال على الذات الإلهية، وقد اختلف في زمان هـذا المصدر فقيل إنه من نتاج القرن العاشر ق.م ، بينما نسبه الـبعض إلى القـرن التاسـع ق.م . فـالخلاف حاصـلٌ في أقدميـةِ المصـدر اليهوي أو المصدر الأُلوهيمي([1]).

وتتميز نصوص المصدر اليهوي بالربط القويِّ بين الدين والقومية. ومن مظاهره: الاهتمام الواضح بمفـاهيم الأرض والملـك، والثناء على انتصارات بعض ملوك بني إسرائيل، والحماس السياسي والقومي، وربط ذلك بالطقوس الدينية. وفيه الربط بـين (الإله والشعب والأرض) بثالوث لا ينفك. كما تتميز نصوص هـذا المصدر بالحديث عن الإله بصورة بشريـة سـيئة. وطغـى هـذا المصدر في سفر التكوين، كما أنه يشترك مع المصدر الإلوهيمي والكهنوتي في سفري الخروج والعدد([2]).

- **المصدر الكهنوتي:**

وسمّيَ بهذا الاسم لأنه من عمل كهنة الهيكل الذين عكفوا على تحريـر المصـدرين: الألـوهيمي واليهـوي، فـزادوا علـيهما إضافات جديدة مطولة، من مصادر زعموا أنها كانت موجودة في الهيكل المدمر. ويعود تاريخ ظهور هـذا المصدر إلى فـترة السبي البابلي (586- 538) ق. م، وعلى النصف الثاني منه على التحقيق بعد العودة من السبي البابلي، وهذه الإضافات قد وضعت على يدي عزرا ونحميا في وقت كان الأحبار والكهنة قد بلغوا قمةَ قوتِهم وكاملَ سيطرتهم على مقدرات اليهود([3]).

وكان الكهنة يعتمدون في كتابتهم على ما سمعوه، وما تلقاه السلف عن الخلـف مـن أخبـار وأسـاطير وأقـوال، ومـا كـان يجيش في صدورهم وما كانوا يأملونه ويتخيّلونه([4]).

وأهم ما يميز هـذا المصدر التركيز على طقوس العبادة ، والأحكام التشريعية والأعياد الدينية، فالمادة الدينية تتصـدر عـلى المادة التاريخية بعكس موقف المصدرين السابقين.

يعرض الديانة اليهودية في إطار تاريخي([5]). وتركيزه في سفري اللاويين والعدد ، وشيء قليل في سفري التكوين والخروج([6]).

- **المصدر التثنوي:**

هــذه التسـمية نسـبة إلى سـفر التثنيـة، وهـو السـفر الأخـير مـن الأسـفار الخمسـة. أمـا زمـن كتابـة هــذه النصوص فمحلُّ خلاف بين الباحثين؛ حيث ذهـب (إدمونـد يعقـوب) إلى أنَّ بدايـة تدوينـه في القـرن الثـامن قبـل الميلاد، بينما ذهب مؤرخون آخرون كالأب (دوفو) إلى القرن السابع قبـل المـيلاد([7]). والمصـدر التثنـوي في جـوهره

---

1 . د.محمد خليفة حسن ، **علاقة الإسلام باليهودية**، ، مرجع سابق ص 28 .

2 . د. منقذ السقار، **هـل العهد القديم كلمة اللـه** ، ص47 .

3 . د.حسن ظاظا ، **الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه** ،1971، ص30-31 ، جامعة الـدول العربيـة معهـد البحـوث والدراسـات العربية ، بدون طبعة .

4 . د. احمد شلبي ، **اليهودية** ، مرجع سابق ، ص256 .

5 . د.محمد خليفة حسن ،**علاقة الإسلام باليهودية** ، مرجع سابق ص 29- 31 .

6 . د. منقذ السقار، هـ**ل العهد القديم كلمة اللـه** ، ص47 .

7 . موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقران والعلم** ، مرجع سابق ، ص33.

تشريعي بحت لا يلقي بـالاً إلى القصـص الشـعبي بقـدر مـا يهـدف إلى التعلـيم والتوجيـه والتطـوير عـن طريـق سـنّ القوانين.([1])

ويميّز مصدر سفر التثنية اختصاصه بسفر التثنية فقط، ومحاولة التوفيق بين المصدرين الألـوهيمي واليهـوي، أي بـين تراث الشمال وتراث الجنوب([2]).ويُلاحظ أنه يحتفظ بالاتجاه القومي للمصدر اليهوي ويضيف إليه الاتجاه الأخلاقـي في المصدر الألوهيمي. وهذا بسبب تأثره بهذين المصدرين([3]).

وهكذا يجد الباحث أنّ كتاباتٍ عديدةً قد تجمّعت على مدى قرون عديـدة، مـن جهـاتٍ وأشـخاصٍ كثـيرين، أضـافوا وحذفوا ما رأوه مناسباً حتى خرجوا بتوراة جديدة هـي الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام ، وهو بريء مـن كثير من نصوصها.

وقد أفضى تعدد المصادر التي تداخلت في نصوص التوراة إلى وجود كثير من التناقض والتباين والتكرار في الروايات التي تتحدث عن نفس الأحداث([4]).

ويقرر د. محمد حسن خليفة أنّ المصدر الألوهيمي هـو أقرب مصادر التوراة للإسلام،وأنه يتوافق مع الإسلام في المبادئ الآتية:

1- اهتمام المصدر الألوهيمي بطاعة الإله الواحد وتحذيره من الشرك والوثنية.

2- اتفاق المصدر الألوهيمي مع القرآن الكريم في أنّ الاختيار الإلهي لبني إسرائيل إنما هـو لسبب ديني هـو القيام بأمر اللـه تعالى. وينكر المصدر فكرة الربط بين الإله والشـعب، وينكـر التفسـير العـنصري الـذي يجعـل الإلـه خاصـاً ببنـي إسرائيل. وبهذا يكون الاختيار مشروطاً بعدم نكث العهد مـع اللـــه تعـالى، وهـذا مـا أكـده القـرآن الكـريم في مواضـع عديدة.

3- يركز هـذا المصدر على الجانب الأخلاقي، وضرورة تمسك بني إسرائيل بالأوامر والوصـايا الإلهيـة، وتوجيهـات الأنبيـاء عليهم السلام الخلقية؛ ولذلك أكثر القرآنُ الكريم من هـذا الجانب، وعاب على بني إسرائيل كثيراً سوءَ أخلاقهم.

4- يتفق المصدر الألوهيمي مع القرآن الكريم فـيما يتعلـق بالعقـاب الإلهـي المـدمر لبنـي إسرائيـل بسـبب عصـيانهم المتواصل للأنبياء ونقضهم العهود([5]).

---

1 . ، د.حسن ظاظا، **الفكر الديني الإسرائيلي** ، مرجع سابق ، ص30 .

2 . عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، ج 5، ص 104 ، مرجع سابق .

3 . د.محمد خليفة ،**علاقة الإسلام باليهودية**، مرجع سابق ص32 بتصرف .

5 . د.محمد خليفة حسن ،**علاقة الإسلام باليهودية** ، مرجع سابق ص 51 – 57 .

وبناءً على هـذا التشابه بين القرآن الكريم والمصدر الإلـوهيمي في هــذه المبـادئ الأساسـية فـإنّ الإنسـان يشـعر بشيء من الطمأنينة ، لمّا يرى هـذه النصوص الحقة المتبقية مما أوحاه الـلـه تعالى إلى موسى عليه السلام . لكنه ما يلبث إلا يسيراً ويصطدم بنصوص تناقض كثيراً ما سبقه، وذلك بسبب تعدد مصادر التوراة الحالية.

أما المصادر الأخرى التي أخذت منها هـذه التوراة فهي:

ثانياً: الأساطير:

يذكر الباحثون أنّ الأساطير والحكايات الشعبية الموروثة جيلاً بعد جيل، هـي أحد المصادر التي اعتمد عليها كتبة العهد القديم . وهذه الأساطير متعددة المصادر فبعض البـاحثين يرجعهـا إلى أسـاطير الجزيـرة العربيـة ؛ يقـول ول ديورانت: إنّ أساطير الجزيرة العربية كانت معيناً غزيراً لأسفار العهد القديم. كما أنّ القصص الشعبية العالمية التي وجدت في مصر والمكسيك وبلاد فارس واليونان تحدثت عن الجنة، وما فيها من نعيم وما فيها من الأشجار المحرمة والأفاعي. وقد سَلبتْ هـذه الأشياء الخلودَ من الناس ونزلت بهم إلى الأرض. أما قصة الطوفـان فقـد كانـت واسـعة الانتشار في الأدب الشعبي. فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمّة لم تعرفها، فقلما وجـد جبـل في آسـيا لم يـرسُ عليـه راكب السفينة الذي قدر له أنْ ينجو من الطوفان([1]).

تعليق: بالغَ البعضُ مثل ديورانت وغيره من النقاد، الذين أرجعوا قصص العهد القديم إلى الأساطير، وذلـك لوجـود آثارٍ كتاباتٍ قديمة تُظهر وجودَ هـذه القصص عند البابليين، أو الفرس أو الهنود. وكذلك انتشار قصة الطوفـان عنـد أكثر شعوب العالم.

وأرى أنّ هـذا الانتشار برهانٌ على صدق الأنبياء عليهم السلام الذين حدثوا بهذه القصص. ومـن يكـذب بنسـبتها إلى موسى عليه السلام من الكتاب الغربيين فهو على الأغلب يكذب القصة التي وردت في القرآن الكريم، فكثير من الناقدين ينقدون القصة من أصلها ويشككون فيها، أو يكذبونها ويصفونها بالأساطير.

ومن الممكن إرجاع انتشار قصة الطوفان عند الأمم إلى أنّ نوحاً عليه السلام ومـن نجـا في السـفينة معـه حـدثوا أبناءهم بها. ثم انتشرت من جيلٍ إلى جيلٍ ومن أمةٍ إلى أخرى- وقد تفرق الناس في الأرض- حتـى اسـتقرت القصـة بعد قرون عند مختلف الأمم. ومن الممكن أنّ الـلـه أوحى بهـا إلى الأنبيـاء السـابقين في مشـارق الأرض ومغاربهـا، فقصّها الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم. وهكذا تناقلتها الأمم جيلاً بعد جيل، ولكنْ مع ضـياع الكتـب السـماوية التي نزلت على الأنبياء ، وما طرأ على الأمم من كفر وعبادة أوثانٍ، فقد طرأ على هــذه القصـة الزيـادة والنقصـان والتحريف. والـلـه تعالى أعلم.

---

1 . ديورانت ،ول وايريل، **قصة الحضارة** ، ترجمة محمد بدران، ج 2 ، ص 368- 369 ، دار الجيل ، بيروت ،والمنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافة والعلوم ، تونس ، بدون تاريخ وطبعة .

ثالثاً: الفكر المصري القديم:

يَعدُّ الباحثون الفكرَ المصري القديم مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم. وقد وضع أدولف أرمان بحثاً بعنوان: مصدر مصري لأمثال سليمان، وتكلم عن كتاب لحكيم مصري اكتشف حديثاً على أوراق البردي. وقد وضع هذا الحكيم نصائحه في ثلاثين باباً وساقها في صورة نصائح والد لولده، وهو الطريق نفسه الذي سلكه حكماء الشرق منذ القدم، وقد تكررت هذه الحِكم بشكل واضح في سفر الأمثال. ويلاحظ كثيرٌ من الكتاب أنّ المعاني التي ذكرها أخناتون في قصيدته عن الشمس تكررت كذلك في أسفار العهد القديم([1]) .

ومن ذلك ما ذكره سفر التكوين عن مضاجعة لوط لابنتيه في:(تك : 19: 30 - 37) التي انتحلها كتبة العهد القديم من أسطورة مصرية، وتتحدث عن آلهة الموت أفروديت التي كانت تتمنى أنْ تنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس، فأسكرته وضاجعته، فولدت منه الإله أنوبيس([2]).

رابعاً: قانون حمورابي:

لقد قرر الباحثون أنَّ شريعة حمورابي التي وجدت قبل التوراة بعدة قرون، هي أحد المصادر التي اعتمد عليها كَتَبةُ العهدِ القديم في كتاباتهم، فضموها إلى أسفار العهد لقديم. بل يرى د. أحمد شلبي أنّ أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابي الذي يرجع تاريخه إلى سنة 1900 ق. م.؛ حيث التشابهُ الكبيرُ بينهما في الجوهر وفي التركيب واللفظ أيضا([3]).

ومن صور التشابه قانون المشابهة الذي يلزم أنْ تكون العقوبة مماثلة للجريمة ما أمكن.([4]) ومثال ذلك ما ورد في العهد القديم أنّ جزاء الذي يفقأ عين رَجل أنْ تُفقأ عينه، ومن كسر رجل إنسان أنْ تُكسر رجله. ويتشابه هذا إلى حدٍ كبيرٍ مع شريعة حمورابي، وبناءً على هذا التشابه فقد حكم بعض النقاد على هذه النصوص، بأنها مستمدة من قانون حمورابي.

وأرى أنه يمكن تفسير هذا التشابه على أنه من بقايا وحي اللـه تعالى إلى بعض أنبيائه السابقين لموسى عليه السلام ؛ ذلك أنَّ الدين يوافق العقل في مسائل، وما كتب في شريعة حمورابي فيه قضايا عقلية وقضايا تتعلق بالعدالة، وهذا مشتركٌ إنساني يتطابق فيه الوحي مع العقل. واللـه أعلم.

خامساً: الفكر البابلي:

عقد علماء الأديان مقارنات بين مأثورات بابل وفارس وبين مأثورات التوراة، فقصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية، تشبه قصة الخليقة في ألواح بابل، كما أنّ عقيدة المخلِّص المنتظر، الموجود في الديانة الفارسية موجود في الديانة الإسرائيلية([5]).

---

1 . د. أحمد شلبي ،**اليهودية** ،ص 258 ، مرجع سابق .

2 . د. منقذ السقار، **هل العهد القديم كلمة اللـه** ، ص 49.مرجع سابق .

3 . اكتشف قانون حمورابي مكتوباً على عمود من الصخر الأسود عام 1903، أنظر: **اليهودية** ، د. أحمد شلبي ، ص 258 .

4 . شلبي، **اليهودية** ، د أحمد شلبي، ص 259 بتصرف يسير .

5 .العقاد، عباس محمود، **اللـه**، ص118، **المكتبة العصرية** ، بيروت .

وهذا ما تؤكده دائرة المعارف البريطانية أيضا؛ حيث تقول:" إنّ الكتاب المقدس يبدأ بخلق الكون، ويروي القصة بصورة مستعارة من الأساطير البابلية. ثم حُولت لتعبرَ عن وجهة نظر الكاتب بين اللـه والإنسان. وفي قصة الطوفان استعارات واضحة من قصص بلاد ما وراء النهرين التي تتحدث عن طوفان أرسلته الآلهة لتدمير البشر".([1])

وقد وردت قصة الطوفان عدة مرات في القرآن الكريم ؛ الأمر الذي يقطع بصحتها، مع ملاحظة وجود بعض الإختلافات بين ما ورد في القرآن الكريم والعهد القديم.

وجملة القول إنّ العهد القديم المتداول اليوم إنما هو خليط من الآتي:

أولا: وحي اللـه تعالى الحقّ إلى موسى وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

ثانيا : الفكر الإنساني: وهذا يمثله الفكر المصري القديم، وشريعة حمورابي، والفكر البابلي بشكل عام.

ثالثا: الأساطير والقصص الشعبية. **رابعا:** الكذب المتعمد عند كتبة العهد القديم.

وبالتالي فالعهد القديم عبارة عن كرة ثلجية تدحرجت على مدى أجيال وأجيال، جمعت حولها قشرة سميكة جداً([2]).

المطلب السابع: موقف المسلم من العهد القديم:

ينطلق المسلم في موقفه من نصوص العهد القديم من الأمر النبوي الشريف؛ حيث يقول سيِّدنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم :" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم"([3]) الآية.

وبناءً عليه فإنَّ مضمون كلّ نصٍّ من نصوص العهد القديم إنْ صدَّقه القرآنُ الكريم أو صدقته السُّنة الصحيحةُ فهو مقبولٌ عند المسلمين يقيناً، وإنْ سكت القرآن الكريم أو سكتت السُّنة عن تصديقه أو تكذيبه فإننا نسكتُ عنه، فلا نصدق ولا نُكذب، لاحتمال الصدق والكذب فيه([4]). وإنْ كذّبه القرآن الكريم أو السُّنة الصحيحة فإننا نكذبه يقيناً.

وقد ورد في السنة أنّ عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه، أتى النَّبيّ صلى اللـه عليه و سلم بكتابٍ أصابه من بعضِ أهل الكتاب، فغضب النَّبيّ صلى اللـه عليه وسلم وقال:" أمتهوكون([5]) فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاءَ نقيةً. لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍ فتكذبوا به أو بباطلٍ فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى عليه السلام كان حيَّاً ما وسعه إلا أنْ يتبعني".([6])

ولهذا ينبغي على المسلم الإحتراز والتريث عند الحكم على ما ورد في العهد القديم، فلا يحكم بشيء حتى يُعرض على القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة.

---

1 .السعدي، محمود السعدي، 1985، **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**، ، ط 1 ، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ص 129بتصرف .

2 . حنا حنا ، هـ**فوات التوراة** ، ص 8 بتصرف . ط 1 ، دار النايا ،2007 ، دمشق ، سوريا .

3 . البخاري، محمد بن إسماعيل، 1997، **صحيح البخاري** المسمى(لجامع الصحيح)، ط ، دار الشعب، القاهرة، اكتاب الرهن، باب قولوا آمنا باللـه وما أنزل إلينا، رقم 4485، ج6، ص 25.

4 . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم، ط2، دمشق، بيروت، 1989، ص 585. **وانظر:** براهيم، د. صلاح عبد العليم، 1996،**عقيدة النصارى في ضوء القرآن الكريم**. دار الطباعة المحمدية، ط1 ص 81 .

5 **. التهوك** هو: التحير، والمعنى أمتحيرون. أنظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مرجع سابق، مادة هـ و ك.

6 . الشيباني، أحمد بن محمد، **مسند الأمام أحمد بن حنبل**، تعليق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، حيدث جابر بن عبداللـه رضي اللـه عنه، رقم 15195، ج3، ص 387.. وقد حكم المحقق بضعف إسناده.

الفصل الثاني: ما يتعلق بالقرآن الكريم

المطلب الاول: تعريف القرآن الكريم

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم

المطلب الثالث: القرآن الكريم كتاب الـلـه المحفوظ

المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم:

القرآن لغة:

اختلف فيه فقيل إنه مشتق وقيل إنه غير مشتق كما يأتي:

القرآن في اللغة: الجمع، يُقال: قرأتُ الشيءَ قرآناً أي: جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض.

وسمي القرآنُ قرآناً لأنه يجمع السور فيضمُها. وهو مصدر كالغفران والكفران([1]). والقرآن في الأصل كالقراءة مصدره قرأَ قراءةً وقرآناً، فيكون مصدراً واسماً.([2]) وذكر الزركشي انَّ القرآن مشتقٌ من القَرى وهو الجمع، ومنه قيل للجمع بين الحجِّ والعمرة قِران.

ونقل الزركشي في البرهان رأياً آخر فقال: أما القرآن فقد اختلفوا فيه، فقيل هو إسمٌ غير مشتق من شيء. بل هو إسمٌ خاصٌ بكلام الله، ونقل عن الشافعي أنه إسم وليس مهموز، ولم يؤخذ من (قرأت) ولو أُخذ من (قرأت) لكان كلّ ما قرئ (قرآناً) لكنه إسمٌ للقرآن، وهكذا اشتُهر عن الإمام الشافعي أنَّ القرآن غير مهموز([3]).والصواب الأول([4]) أي أنه مشتق وبمعنى الجمع.

وأما تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله تعالى لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم لقوله تعالى([5]): (**وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ**) (يوسف: 111).

القرآن إصطلاحاً: هو كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم([6]).

وقد وردت في القرآن الكريم التأكيد على مصدره الإلهي، والشخص الذي أنزل عليه. وفي الآيات (191- 196) من سورة الشعراء ذكرٌ للمصدر القرآن وهو الله تعالى جلَّ شأنه، والواسطة التي نزلت به على سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، ولسانه أي اللغة التي نزل بها، والغاية من هذا الكتاب، والإخبار عنه في الكتب الإلهية التي نزلت قبله. وكلُ هذه الأشياء الجليلة جمعها الله تعالى بقوله الكريم: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193/26} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194/26} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ {195/26} وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ {196/26}**) (الشعراء: 192 – 196).

1 . الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، 1968، **لسان العرب**. مادة: قرأ، دار صادر، بيروت. وانظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. مادة قرآ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. ط 2004.

2 . الباقلاني، محمد بن الطيب، **نكت الإنتصار لنقل القرآن**، تحقيق د. محمد زغلول سلاّم، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 56 بتصرف يسير.

3 . الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ، القاهرة، ج1، ص 278.

4 . القطان، د. منّاع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط13، بيروت، 1983، ص 20.

5 . الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. مادة قرآ ، ص 446.

6 . . الملاح، نديم بن محمود، **العقائد الإسلامية**، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس، 1952، ص 63.

أسماء القرآن الكريم:

اختص اللـه تعالى القرآنَ الكريم دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء، وهذا يدل على شرف القرآن الكريم وعلو منزلته. وقد أطنب بعض العلماء كالزركشي([1]) في ذكر أسماء القرآن وذلك بجعل الأوصاف الواردة في القرآن أسماءً له حتى زادت عن تسعين اسماً([2]).

وهذا ذكر للأسماء التي تدل صراحة على الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم :

- **القرآن**، لقوله تعالى:(**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**) (البقرة: 185).

- **الفرقان**، قال تعالى: (**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا {1/25}**) (الفرقان:1).

- **الكتاب**، يقول تعالى: (**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2/2}**) (البقرة: 2).

- **الذكر**، يقول تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9/15}**) (الحجر: 9).

- **نور**، يقول جلَّ شأنه: (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا {174/4}**) (النساء: 174).

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم:

أنزل اللـه تعالى القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك لقوله جلَّ شأنه: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**)(البقرة: 185) وقوله: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {1/97}**) (القدر: 1).

وشرَّف اللـه القرآن بأنْ جعل له ثلاث تنزلات([3]) كما يأتي: 1- التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ، لقوله تعالى: (**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ {21/85} فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {22/85}**) (البروج: 21-22).

2- من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزَّة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان جملةً واحدة، يقول تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**) (البقرة: 185) وقوله تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) (القدر: 1).

وقال ابن عباس ﷺ :" فُصل القرآن عن الذكر فوضع في بيت العزَّة من السماء الدنيا، فجعل جبريلُ ينزل به على النبي صلى اللـه عليه وسلم ".([4])

3- من بيت العزة بواسطة جبريل عليه السلام على قلب سيدنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم مفرقاً من بعثته حتى وفاته، صلَّى اللـهُ عليه وآله وسلم.

المطلب الثالث: القرآن الكريم كتاب اللـه المحفوظ :

تكفَّل اللـه تعالى بحفظ القرآن الكريم؛ حيث يقول: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(الحجر: 9). وقيَّض اللـه أسباباً كثيرةً لهذا الحفظ كما يأتي:

---

1 . أنظر: الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص273- 276. مرجع سابق.

2 . محيسن، د. محمد سالم، **تاريخ القرآن الكريم**، مجلة دعوة الحق،العدد 15، 1402هجرية.ص 6.

3 . الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، 1995، بيروت.

4 . الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**. ج1، ص 229. مرجع سابق.وانظر:الزرقاني، **مناهل** العرفان، ج1، ص 40.

1- نزول الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام به على سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم ، لقوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193/26} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194/26}) (الشعراء:193-194).

2- الـتمكين الإلهي لسيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم من حفظ القرآن الكريم في قلبه الشريف:

كان النبي صلى اللـه عليه وسلم يحرك لسانه ليعجل بحفظ القرآن المنزل عليه، فنهاه اللـه عن ذلك وتكفل له بحفظه وجمعه في صدره، يقول تعالى: (**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ {16/75} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {17/75}**)(القيامة: 16-17).

3- الجمع الكتابي للقرآن الكريم في عهد النَّبي صلى اللـه عليه وسلم:

كان النبي صلى اللـه عليه وسلم يتابع تدوين القرآن الكريم بنفسه؛ حيث كان الصحابة رضي اللـه عنهم يكتبون بين يديه ما ينزل من الوحي، وكان الرسول صلى اللـه عليه وسلم اتخذ له كتاباً من الصحابة يكتبون الوحي([1]).يقول عثمان بن عفان ﷺ: كان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم إذا نزلت عليه الآيات يدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: ضع هـذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"([2]).

ولا يُبطئهم عن ذلك ولا يثقلهم كثرة آيات المقدار المنزل، فقد سارعوا إلى كتابة سورة الأنعام حين نزولها، مع أنها من أطول سور القرآن، وأنها مكية نزلت زمن الاضطهاد، يقول ابن عباس:" نزلت جملةً واحدة، نزلت ليلاً، وكتبوها من ليلتهم"([3])

وخوفاً من تداخل المكتوب من القرآن مع غيره من كلام النبي صلى اللـه عليه وسلم نهى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم الصحابة عن أنْ يكتبوا شيئاً غير القرآن الكريم فقال صلى اللـه عليه وسلم :" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"([4]).

ولهذا كله يقول الطبيب الفرنسي المهتدي موريس بوكاي: " إنَّ نصوص القرآن كلّها قد تمَّ بالفعل تدوينها كتابياً في حياة النبي صلى اللـه عليه وسلم أولاً بأول([5]).

وكان الصحابة يكتبون القرآن الكريم على العسيب وهي جريد النخل، وعلى اللِخاف الحجارة الرقيقة) والرقاع وتكون من جلد وغيره، والأكتاف (وهي عظم عريض في كتف الحيوان) والأقتاب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعيرليركب عليه).([6])

---

3. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ج1، ص 206-207.

2 . السجستاني، ، أبو داود سليمان الأشعث، **سنن أبي داود**، دار الحديث ، 1391هـ برقم 786.

3 . الجوزي، عبد الرحمن بن على، 1984،**زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق محمد زهير الشاويش وآخرون، ط 1984، المكتب الإسلامي، بيروت.

4 . النيسابوري، **الجامع الصحيح المسمى: صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، بيروت،

5 . بوكاي، د. موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقران والعلم** ، مرجع سابق.

6 . محيسن، د. محمد سالم، **تاريخ القرآن الكريم** ،ص 131، مرجع سابق.

وهكذا لم يمت النبي صلى الـلـه عليه وسلم حتى كـان القـرآن الكـريم مكتوبـاً، لكنـه لم يكـن مجموعـاً في مصـحفٍ واحد.

جمع القرآن الكريم في مصحف واحدٍ في عهد أبي بكر الصديق رضي الـلـه عنه:

بعد وفاة النبي صلى الـلـه عليه وسلم بدأت حروب المرتدين، وكان أشدها معركة اليمامة التي قتل فيها قرابة سبعين من القراء من أصحاب النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، فاقترح عمر بن الخطابﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ جمع القرآن في مصحف واحد خشية وفاة المزيد من القراء، ووافق الخليفة على المقترح بعد طول تردد، وانتدب لجنة للقيام بذلك العمل العظيم برئاسة كاتب الوحي زيد بن ثابت ﷺ، وإشراف عمر بن الخطاب ﷺ ([1]).

وقد اتبع زيد بن ثابت ﷺ في كتابته منهجاً في غاية الدقة والحرص؛ إذ لم يعتمد محفوظاته ومحفوظات الصحابة، بل بحث عن المكتوب بين يدي النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، واشترط لقبوله أنْ يوثق بشهادة شاهدين يشهدان بكتابته من إملاء النبي صلى الـلـه عليه وسلم ([2]). وكلّ هـذا مبالغةً في الحيطة والحذر من زيد ﷺ ومن الخليفة ﷺ وسائر الصحابة الذين أقروا هـذا المنهج.

وهكذا كان أبو بكرﷺ أول من جمع القرآن في مصحفٍ واحد بهذه الكيفية([3]).

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند الخليفة أبي بكر ﷺ حتى توفاه الـلـه، ثم عند عمر ﷺ حتى توفاه الـلـه، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الـلـه عنهما حتى طلبها منها الخليفة عثمان بن عفان رضي الـلـه عنه.([4])

الجمع العثماني للقرآن الكريم:

اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراءُ في الأمصار، وكانت وجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن الكريم مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل بها، فكان إذا ضَمّهم مجمعٌ أو موطن من في الغزو عجب البعض من وجوه الإختلاف، وصار بعضهم يقول إنَّ حرفه أصح من الآخر، فقدم الصحابي حذيفة بن اليمان على الخليفة عثمان بن عفان وأخبره بالأمر ثم قال:" يا أمير المؤمنين، أدرك هـذه الأمة قبل أنْ يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".([5])

فخشي الخليفة عثمانْ ﷺ أنْ تقع فتنة بين المسلمين فاستشار أصحابَ النبي صلى الـلـه عليه وسلم في إعادة نسخ القرآن وفق لغة قريش التي نزل بها القرآن أول مرة ، فوافقوه في ذلك([6]) وأجمعوا رأيهم أنْ تُنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكرﷺ في مصاحف متعددة، ثم يُبعث إلى كل مصر مصحف منها يكون مرجعاً للناس

---

5. السقار، د. منقذ بن محمود، **تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين**، رابطة العالم الإسلامي، ص 23.

2 . الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ج1، ص 207.

3 . القطان، د. منّاع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، ص 128 بتصرف يسير. مرجع سابق.

4 . الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ج1، ص 207.

2. الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 236.

6 . السقار. د. منقذ بن محمود، **تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين**، ص 36

عند الإختلاف، وعلى إحراق ما عدا هـذه المصاحف([1]).

وقد تميَّز الجمع العثماني بالإقتصار على ما كانت روايته متواترة دون ما كانت آحاداً، وترك ما نُسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة.([2])

وهكذا وُثِق النصُّ القرآني كتابةً، فاجتمع ذلك إلى توثيقه بحفظ الحفاظ من أصحاب النَّبي صلى اللـه عليه وسلم ، وتناقلت الأمة في أجيالها نصَّ القرآن الكريم، يحفظه الألوف منهم في كل عصر، ويولونه من العناية ما لا مثيل له في أمة من الأمم([3]). وكل هـذ إنما هـو أسبابٌ يسرها اللـه تعالى لحفظ كتابه المنزل على سيدنا محمّد صلى اللـه عليه وسلم خاتم النبيين.د كما وعدَ جلَّ شانه وقال: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: 9).

والقرآن الكريم هـو المعجزة الخالدة لخاتم النَّبيين محمَّد صلى اللـه عليه وسلم ، وقد تحـدّى بهـا المعارضـين أنْ يـأتوا بسورة من مثل القرآن فعجزوا وهم أرباب الفصاحة والبلاغة. بل إنَّ اللـه تعالى أكد عجز الإنس والجـنِّ أنْ يـأتوا بمثـل القرآن فقال جلَّ شأنه: (**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَـوْ كَـانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً {88/17}**) (الإسراء: 88).

وبعد هـذا كله يتضح اتصال سند القرآن الكريم بالرسول الخاتم سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم بخلاف ما ظهر من انقطاع سند توراة موسى عليه السلام وسائر أسفار العهد القديم وضياعها.

---

1 . محيسن، د. محمد سالم، **تاريخ القرآن الكريم** ،ص 144، مرجع سابق.

2 . الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ج1، ص 213.

3 . السقار، د. منقذ بن محمود، **تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين**، ص 38.

الفصل الثالث: النّبي بين اليهودية والإسلام.

المطلب الأول: مفهوم اليهودية؟

المطلب الثاني: النَّبيّ في اليهودية.

المطلب الثالث: النَّبيّ في الاسلام.

المطلب الرابع: الأنبياء عليهم السلام الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم والعهد القديم.

المطلب الأول: مفهوم اليهودية؟

اليهودية لغة:

اختلف في أصل كلمة (اليهود) هل هي مشتقة أم أعجمية؟ فقيل إنها مشتقة، وفي هذا يقول الأصفهاني في مفرداته: " الهود الرجوع برفق، وصار الهود في التعارف التوبة. وكان اسم مدحٍ ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإنْ لم يكن فيه معنى المدح([1]).

وإلى مثل ذلك ذهب الشهرستاني، وقال: وإنما لزمهم هذا الإسم لقول موسى عليه السلام :(إنا هدنا إليك)(الأعراف: 156) أي رجعنا وتضرعنا([2]).

وذكر السكسكي أنهم سُموا بذلك لأنهم من ولد يهوذا بن يعقوب عليه السلام ([3]).

وذكر د. سعود الخلف أنها نسبة إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد عهد سليمان عليه السلام . وقال:"هذا أرجح لأنَّ إسم اليهود لم يذكر إلا في سفرعزرا الذي يتحدث عن فترة سبي شعب دولة يهوذا إلى بابل([4]). وهذا يقترب في أصل التسمية من القول بأنَّ كلمة يهود أعجمية، وأنها تعريب لكلمة يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل كما ذكر د. صلاح الخالدي.([5])

اليهود اصطلاحاً: أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة، قاله الشهرستاني رحمه الله([6]). وقال د. سعود الخلف: اليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام .([7])

وقد نشأت اليهودية ببعثة موسى عليه السلام بالدين الحق، وعلى هذا فاليهودية في أصلها الصحيح (دينٌ سماوي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام مشتملاً على مجموعة من العقائد والشرائع لهداية بني إسرائيل، والسير بهم على النهج الإلهي القويم.)([8])

---

1 . الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم،** تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 2004، بيروت.ص 579.

2 . الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل.** تحقيق الأستاذ أحمد فهمي محمد، ط7، دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، ج2، ص 231. الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم،** تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 2004، بيروت.ص 579..

3 . السكسكي، عباس بن منصور، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان،** تحقيق د. بسام العموش، مكتبة المنار،ط 2، الزرقاء، الأردن، 1996، ص 88.

4 . الخلف، د. سعود عبد العزيز، **دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية.** مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1997، ص 35.

5 . الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن،** دار القلم، دمشق ، ط1 ، 1998، ص 28 بتصرف يسير.

6 . الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل.** ج2، ص 231، مرجع سابق.

7 . الخلف، د. سعود عبد العزيز، **دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية.** ص31.

8 . الزغيبي، د. أحمد بن عبد الله، **العنصرية الإسرائيلية وأثرها في المجتمع الإسلامي وموقف الإسلام منها،** مكتبة العبيكان، ط1 ، 1997، ج1، ص 63.

ومما يجدر ذكره أنَّ الديانة اليهودية لم تُعرف بهـذا الإسـم إلا بعـد فـترة السـبي البـابلي سـنة 538 ق.م([1]). وبعـد التعرف على مفهوم اليهودية لا بدّ من معرفة مفهوم النَّبي عند اتباع هـذه الديانة المحرفة.

المطلب الثاني: النّبيّ في اليهودية:

اختلف الباحثون في معنى كلمة (نبي) فذهب د. ملاك محارب إلى أنها في العبرية إلى فعلٍ بمعنى يغلي أو يفور، وهذا إشارة إلى حرارة النبوة. ويعرف الأنبياء بـأنهم أنـاس يكشـفون عـن علـم اللــه، ولـيس مجـرد الكشـف عـن المستقبل. وتحدث النبوة عن طريق تبليغ الوحي الإلهي للأنبياء عن طريق الأحلام والرؤى والتجلي([2]).

وفي المقابل يرى د. محمد خليفة أنّ كلمة نبيّ في العبرية تعود إلى تنبّأ، وتحدّث كنبيٍّ وتغنّى بأناشيد دينيـة، كـما لو كان مُقاداً بواسطة روح إلهية، ومنه يؤخذ الفعل يسبح اللـه.

وخلُصَ إلى أنّ النَّبيّ شخصٌ مدعو من اللــه لتوصـيل رسـالة إلهيـة إلى قومـه، وهـذا المعنـى هــو الـذي اعتمدتـه الترجمة السبعينية([3]).

وذهب سبينوزا إلى أنّ النَّبيّ يستعمل بمعنى مفسر اللـه ،لأنّ هــارون بتفسـيره كـلام مـوسى لفرعـون كـان نبيـاً، حيث ورد: ([1]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهاً لِفِرْعَوْنَ وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ.)(خر: 7 : 1).

بينما جاء في كتاب مرشد الطالبين، أنّ هـارون كـان نبـي مـوسى عليـه السـلام أي مُعينـاً لـكي يوصـل إلى الشـعب الرسالات التي قبلها موسى عليه السلام من اللـه. وذهب اللاهوتيـون في الكتـاب المشـار إليـه إلى أنّ كلمـة النَّبـيّ تطلق على الإنسان الخداع الذي يدعي الوحي باطلاً. ويرجع إطلاق هـذا اللفظ على الأنبياء الخداعين نظراً لتشـابه حركاتهم المملوءة من الروح الشريرة بحركات الأنبياء الحقّ المملوء بروح القدس؛ إذْ كانت لهم حركـات خصوصـية، بسبب حماسهم وغيرتهم على إبلاغ كلمة اللـه إلى الشعب([4]).

وأما عن جنس النَّبيّ، فليست النبوةُ مقتصرة على الرجال ، وإنما هـناك نبيـات مـن النسـاء كمـريم([5]) ودبـوره([6]) وخلده([7]). وأما التسميات فكان أنبياء العهد القديم يُدعَون الرائين ورجالَ اللـه ورقباء([8]).

أما عدد الأنبيـاء فكثـيرٌ جـداً، قـد يصـل إلى خمسـين نبيـاً في آنٍ، بـل ورد الحـديث عـن أربعمائـة نبـي في مكـان واحد([9])كما في هـذا النص:

---

1 . الزغيبي، د. أحمد بن عبداللـه، **العنصرية الإسرائيلية ،** ج1، ص63. مرجع سابق. بتصرف يسير.

2 . د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم،** ص 98، مرجع سابق.

3 . د. محمد خليفة حسن ، **تاريخ الديانة اليهودية** ، ص 156 ، ط 1 ، دار قباء للنشر ، والقاهرة ، 1998.

4 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 153. مرجع سابق.

5 . **مريم** هي: أخت موسى وهارون عليهما السلام.حيث تُعد نبيَّة، أنظر: **قاموس الكتاب المقدس،** ص 952.

6 . **دبورة** هـي: نبية كانت تقيم تحت شجرة نخيل، سميت باسمها كانت تقـع بـين الرامـة وبيـت إيـل. وكانـت تـقضي هــناك لبنـي اسرائيل. أنظر **قاموس الكتاب المقدس** ،ص 952

7 . **خلدة** : هـي نبية شهيرة عاشت في عهد الملك يوشيا، وتنبأت عن خراب أورشليم. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس،** ص 952.

8 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 153 . مرجع سابق.

9 . د. فؤاد حسنين علي، 1968، **اليهودية واليهودية المسيحية**، معهد البحوث والدراسات العربي، جامعة الدول العربية، ص 24.

(ثُمَّ قَالَ يَهُوشَافَاطُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ: «اسْأَلِ الْيَوْمَ عَنْ كَلاَمِ الرَّبِّ». [6]فَجَمَعَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الأنبياء، نَحْوَ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُل وَقَالَ لَهُمْ: «أَأَذْهَبُ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ أَمْتَنِعُ؟»).(ملو:1 : 22- 5- 6).

ويقول المفكر اليهودي سيجال([1]) بوجود ازدواج بين الكهنة والأنبياء، كما في أشعيا(28:7)وإرميا(26 :9)، وقال:" بأنّ الكهنة أرقى من الأنبياء، ويذكرون دائماً قبل الأنبياء، وذلك لأنّ الكهنة كانوا أكثر أهمية في المعبد. وكان الأنبياء تبعاً لهم وملحقين بهم، وقد وَرد أنه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النَّبيّ أيضاً)(هوشع:4:5)".

والأنبياء في اليهودية مراتب؛ حيث يرى الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون([2]) أنّ النَّبيّ لا يتنبأ طوال عمره، بل قد يتنبأُ وقتاً وتفارقه النبوة أوقاتاً. وقد يتنبأ وقتاً بصورة مرتبة عالية، ثم يتنبأ وقتاً آخر مرتبة دونها. وربما لا ينال تلك المرتبة العالية إلا مرة واحدة في عمره، ثمّ يُسلبها، وربما بقي على مرتبة دونها إلى انقطاع نبوته، لأنه لا بدَّ من ارتفاع النبوة من سائر النَّبيّين قبل موته إما بمدة يسيرة أو كبيرة"([3]). ويرى أنّ النبوة لا تنزل عند الحزن وعند الكسل، وأنّ بعض الأنبياء تنبؤوا ثم ارتفعت عنهم النبوة([4]).

وقَّسم ابن ميمون النّبوة إلى قسمين :1- إصطفاء . و2- اكتساب. ويرى ابن ميمون أفضلية موسى عليه السلام على جميع الأنبياء. وذهب إلى "أنّ أحداً من الأنبياء ممن تقدم موسى، كنوح، وأخنوخ (إدريس) لم يقل قط لصنف من الناس: إنّ اللـه أرسلني إليكم وأمرني أنْ أقول لكم كذا وكذا". وذكر أنّ إبراهيم" دعا الناس من جهة الإرشاد والتعليم، وكذلك إسحاق ويعقوب كانوا يعلمون الناس بصورة أنهم مدرّسون ومعلّمون ومرشدون. وكلّ نبيّ بعد موسى إنما هم بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى"([5]).

---

1 . **سيجال** هو: من أشهر المفكرين اليهود في العصر الحديث، أصله من يهود بولونيا، وقد هاجر إلى فلسطين، درس التوراة والعهد القديم، وعكف على البحث والإنتاج حتى آلت إلية درجة الأستاذية في العهد القديم في الجامعة العبرية. درس العبرية في جامعات انجلترا وأمريكا، وله مؤلفات مشهورة. أنظر: تعليق د. حسن ظاظا على كتاب سيجال: **حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، ضمن كتاب: **أبحاث في لفكر اليهودي**، د. حسن ظاظا ، ط 1، 1987، ، دار القلم، دمشق، دار العودة، بيروت، ص58.

2 . **موسى بن ميمون** :هو الفيلسوف والطبيب اليهودي الشهير. ولد ابن ميمون بقرطبة سنة 1135م، ويعدّ اكبر فيلسوف يهودي ظهر في القرون الوسطى.وقد دافع عن اليهودية من خلال كتابه دلالة الحائرين. والذي يظهر فيه تأثره الكبير بالفلسفة الإسلامية، كان طبيباً عند القائد صلاح الدين الأيوبي، وتوفي بالقاهرة سنة 1204م. ونقل رفاته إلى طبرية بعد ذلك. وقد أُلفت كتب خاصة بالإحتفال سنة 1935م بمناسبة مرور ثمانمائة عام على وفاته. أنظر: الفقرة الأولى من مقدمة المحقق د. حسين آتاي على كتاب **دلالة الحائرين**، مكتبة الثقافة الدينية، مرجع سابق. و**موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية**، ص 39 – 44 بتصرف.

3 . موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ج2، ص 433.مرجع سابق.

4 . موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ج2، ص 404.

5 . موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ج 2، ص 413.

الردّ على موسى بن ميمون:

كلام ابن ميمون باطلٌ عقلاً وشرعاً؛ فأما عقلاً: فلو كان الأمر على جهة التعليم والإرشاد لا الأمر والوجوب، لَـمَا كـان الأنبياء عليهم السلام حجة لأنهم لم يصرحوا بأنهم رسل الـلـه إلى الناس، فلا تكون طاعتهم واجبة عندئـذٍ. فهـذا عقـلاً. وممّا يقوي ذلك الوجوب أنَّ الـلـه تعالى أيدّهم بالمعجزات الباهرات الدالة على نبوتهم ووجـوب اتبـاعهم فقـال جـلَّ شأنه: (**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الـلـهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) (النساء: 165).

وأما شرعاً فقد جاء صريحاً في القرآن الكريم إخبارَ الأنبياء عليهم السلام أقوامهم أنّ الـلـه تعالى هـو الذي أرسلهم كما في هـذه الآيات الكريمة: (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَـلِينَ {105/26} إِذْ قَـالَ لَهُـمْ أَخُـوهُمْ نُـوحٌ أَلَا تَتَّقُـونَ {106/26} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107/26} فَاتَّقُوا الـلـهَ وَأَطِيعُونِ {108/26}**) (الشعراء: 105 – 108).

وقوله تعالى: (**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ {123/26} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُـونَ {124/26} إِنِّي لَكُـمْ رَسُـولٌ أَمِـينٌ {125/26} فَاتَّقُوا الـلـهَ وَأَطِيعُونِ {126/26}**) (الشعراء: 123 – 126).

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام جميعاً وغيرهم، قد أعلنوا وصرّحـوا لأقـوامهم برسـالتهم ونبـوتهم، خلافـاً لـدعوى ابـن ميمون.

وجاء في كتاب مرشد الطالبين، أنّ الأنبياء كانوا يقبلون رسالتهم من الـلـه تعالى أحياناً بالرؤى والأحلام، وأحياناً وهـم في حالة من السُبات أو الغيبة. وكانت هـذه الإعلانات تُصحبُ أحيانـا بظهـورات العظمـة الإلهيـة الرهيبـة المدهشـة، وأحياناً كانت تسري خِفيةً إلى عقولهم عن طريق الروح القدس([1]).

وكان الـلـه يرسلهم ويقيمهم ليحرّضوا الناس على فعل الواجبات، ويبكتوهم على خطايـاهم، ويـدعوهم إلى التوبـة والإصلاح، ولكي يهذبوا الملوك وينبئوا بأحكام الـلـه على الشعوب أيضاً. وكانوا معينين للكهنة واللاويين بتعليم الديانـة، وكانوا مساعدين للملوك في الأمور الشائعة التي تؤول إلى ازدياد التقـوى والفضـائل. وكـان هــؤلاء الأنبيـاء متواضـعين أمناء زهّاداً، منكرين لأنفسهم ومبتعدين عن شهوات ولذات هــذه الحيـاة. وكـانوا غالبـاً مضـطهدين ومُـذلين. وكثـيرٌ منهم قضي عليهم بالموت بطرق متنوعة. لكنهم كانوا ذوي شجاعة وإقدام، وكان لهم سطوةٌ كشهود الـلـه"([2]).

تعليق: يتناقضُ إطلاق صفات الأمانة والزهد والشجاعة على الأنبياء عليهم السلام، مع ما ورد مـن صـفاتهم في العهـد القديم، كالخداع، والطمع، وحب المال، وقلة المروءة. كما تتناقض هـذه الدعوى مـع تصريحـات علـماء أهـل الكتـاب وشروحهم على الكتاب المقدس، كما سيتضح للقارئ في البابين الثاني والثالث من هـذه الدراسة.

ويُلاحظ اختلاط مفهوم النَّبيّ وتشعبه عند اليهود وعدم وضوحه، علماً بأنَّ موضوع الدراسة هـو النَّبيّ الـذي أوحـى الـلـه إليه، دون بقية الأصناف.

وبعد التعرف على مفهوم النبي في اليهودية لابد من التعرف على مفهومه في الإسلام.

1 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 153 .

2 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين** ، ص 152 – 153

المطلب الثاني: النَّبيّ في الإسلام:

ذكر الإمام عبد القاهر البغدادي([1]) أنّ لفظ النَّبيّ في اللغة مهموز وغير مهموز، فالمهموز يعود إلى النبأ بالهمز، فيكون النَّبيّ هو المخبر عن اللـه تعالى، وبدون الهمز من نبا الشيء، إذا ارتفع، والنباوة ما ارتفع من الأرض؛ وعليه فإنّ النَّبيّ هو الرفيع المنزلة عند اللـه تعالى. أمّا الرسولُ فهو الذي يتتابع نزول الوحي عليه، من رَسَلَ اللبنُ إذا تتابع درّه. وكلّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلّ نبيٍّ رسولاً([2]).

الفرق بين النَّبيِّ والرَّسول:

اختلفت أقوال العلماء في التفريق بين النَّبيِّ والرسول، وهذا الإختلاف راجعٌ إلى أنَّ البحث اجتهادي غير داخل في الحقائق القطعية المتفق عليها، ولذا وقع الخلافُ بين العلماء([3]).

وقد ذهب أكثر المعتزلة إلى أنَّه لا فرق بين اللفظتين أصلاً. قال القاضي عبد الجبار المعتزلي:" لا فرق في الإصطلاح بين الرسول والنَّبيِّ. والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الإستعمال. ورفض القاضي أنْ يكون عطف النّبي على الرسول يقتضي المغايرة، فقال: " وأما قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ...الآية)(الحج: 52) فإنه لا يدل على الإختلاف لأنَّ مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين".([4])

أما جمهور العلماء([5]) فقد استدلوا على التفريق بين النَّبيّ والرسول بالآية نفسها، وقالوا لو كانا شيئاً واحداً لما حسُن تكرارهما في الكلام البليغ.([6])

والجمهور الذين فرَّقوا بين النّبي والرسول، اختلفوا في تحديد كل منهما على اقوالٍ كما يأتي: **أولاً: (حسب الأمر بالتبليغ من عدمه):**

وملّخصه أنَّ النّبيَّ من أُوحي إليه بشريعة قديمة كانت أم جديدة، ولكنه لم يؤمر بالبلاغ، بينما الرسول من جاء بذلك وأُمر بالبلاغ. قاله ابن أبي العزّ شارح الطحاوية، ومن المعاصرين الشيخ محمود أبو دقيقة والدكتور البوطي والصابوني([7]) وغيرهم.

1 . **عبد القاهر البغدادي** هو: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني أبو منصور ، العلامة البارع ، صاحب التصانيف ، أحد أعلام الشافعية. ومن أئمة الأصول، وكان صدر الإسلام في عصره، ولد ونشأ في بغداد. كان يدرس في سبعة عشر فناً وكان ذا ثروة. من تصانيفه: أصول الدين، والناسخ والمنسوخ، والفرق بين الفرق، وفضائح الباطنية. توفي في إسفرايين سنة 429 هجرية. أنظر ترجمته في : **سير أعلام النبلاء** ، ج17 ، ص 572 ، **والأعلام** للزركلي ، ج4 ، ص 48 .

2 . البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **كتاب أصول الدين**، ص 153 -154 بتصرف ، ط 1، مطبعة الدولة، استانبول، تركيا.

3 . البوطي، د. محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، دار الفكر، ط8، 1997. دمشق، ص 184.

4 . المعتزلي، عبد الجبار بن أحمد، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، ط3، 1996، القاهرة. ص 567- 568.

5 . أنظر مثلاً: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **كتاب أصول الدين**، ص 153 -154، والطحاوي، علي بن علي بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق د. عبداللـه بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 155.

6 . اليحصبي، عياض بن موسى، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ط ، دار ابن الهيثم، 2006، القاهرة، ص 232.

7 . أنظر: أبو دقيقة، الشيخ محمود أبو دقيقة،**القول السديد في علم التوحيد**، تحقيق د. عوض اللـه حجازي، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة. ج 2، ص 157. والبوطي، د. محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص 184. مرجع سابق. والصابوني، محمد علي، **النبوة والأنبياء**، ط،2ص11، 1980. بيروت.

وهذا الرأي على شهرته، فقد انتقده كثيرون كألالوسي ود. عمر الأشقر. وقال الألوسي معترضاً:"لا يصحّ، لأنه إذا قوبل العام بالخاص يُراد بالعام ما عدا الخاص، فمتى أريد بالنبيّ ما عدا الرسول كان المراد به من لم يُؤمر بالتبليغ؛ وحيث تعلّق به الإرسال صار ماموراً بالتبليغ فيكون رسولاً، فلم يبقَ في الآية بعد تعلّق الإرسال رسولٌ ونبيٌّ مقابل له"([1])

ويرى د. يوسف الزيوت أنَّ هذا المعيار - عند التحقيق والتأمل- لا يصحُّ لأنه يتناقض مع مع روح الدعوة الرَّبانية لهداية البشرية، كما لا يتصور أنْ يبعث اللهُ نبياً ويوحِي إليه بالنبوة ثم لا يأمره بالتبليغ والإنذار، وهو تعالى يأبى على آحاد العلماء أنْ يتخاذل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر([2]). ولهذا كله رُدَّ هذا الرأي.

ثانياً:(**حسب ما يأتي به النبي من كتابٍ أو شريعة)** وملخصه أنَّ النّبيُّ من جاء بتقرير شريعةٍ من سبقه أو كتابه، ولم يأت بجديد ناسخ، والرسولُ من جاء بشريعةٍ جديدة أو كتاب ناسخ لما قبله. ذكره الرازي ولم ينسبه لأحد، وذكره الألوسي في تفسيره.([3])

والحق أنَّ هذا القول مخالفٌ للقرآن الكريم؛ حيث أطلق لفظ الرسول على من لم يكن لهم شريعة جديدة. ولعلّ الشيخ ابن تيمية([4]) أولّ من ردَّه؛ حيث يقول: "وليس من شرط الرسول أنْ يأتي بشريعةٍ جديدة، فإنَّ يوسف عليه السلام كان على ملَّة إبراهيم عليه السلام ، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة."([5])

ثالثاً: (حسب كيفية الإيحاء) وملخصه أنَّ من جاءة الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولاً أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله فهو النبيُّ الذي لا يكون رسولاً. ذكره الماوردي والرازي والجرجاني، وعدَّه الرازي أولى الأقوال([6]).

وقد قال الألوسي معترضاً: "وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أنَّ بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوحَ إليه إلا مناماً وهو بعيدٌ، ومثله لا يُقال بالرأي."([7])

---

1 . الألوسي، السيد محمود، **تفسير روح المعاني**، ج17، ص 173. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2 . الزيوت، د. يوسف الزيوت، بحث بعنوان: **معايير التفريق بين النَّبيّ والرسول، جمع ودراسة**، ص 430، جامعة دمشق. المجلد التاسع عشر، سنة 2003.

3 . الألوسي، السيد محمود، **تفسير روح المعاني**، ج 17، ص 174، مرجع سابق.

4 . **ابن تيمية:** هو أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني الحنبلي، أبو العبّاس شيخ الإسلام. ولد في حرّان وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر وأفتى قبل العشرين، وصار محدثاً وحافظاً ومفسراً وفقيهاً ومجتهداً، ناظر العلماء، وقد امتحن وسُجن عدة مرّات، قيل إنّ مصنفاته تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، والفتاوى، توفي سنة 728 هـ ودفن في مقبرة الصوفية في دمشق، أنظر: **الأعلام** 1ج، ص144، **ومعجم المؤلفين**، رضا كحالة، ج1، ص163.

5 . ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **النبوات.** تحقيق د. عبد العزيز الطويان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، طباعة مكتبة أضواء السلف ، الرياض، ط1، 2000م، ص 718.

6 . الماوردي، علي بن محمد **أعلام النبوة**، دار الكتب العلمية، ط1، 1986، بيروت، ، والرازي، **تفسير الرازي**، ج 12، ص 50، مرجع سابق، وانظر: الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، مكتبة لبنان، ط 1985. ص 359.

7 . الألوسي، **روح المعاني**، ج 17، ص 172- 173.

رابعاً: (**حسب التأييد بالمعجزة**) فالرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنَّبيُّ من لم ينـزل عليـه كتاب، وإنما يدعو إلى كتاب من قبله. ذكره الرازي([1]).

وهذا التفريق لا يصحّ، حيث إنّ بعض الأنبياء وُصف بالرسـالة ولم ينـزل عليـه كتـاب، وبعضـهم لم تـذكر لهـم معجزة، ومع ذلك وصفوا بالرسالة كسليمان وأيوب ويونس عليهم السلام، ومثال ذلـك قولـه تعـالى: (وإنَّ يـونسَ لمن المرسلين)(الصافات: 45)([2]).

خامساً: (**حسب حال المدعوين من الكفر أو الإيمان**) فالنّبيُّ من أُرسل لقوم موافقين، والرسول من بُعث لقوم مخالفين. وأول من ذكره ابن تيمية؛ حيث قال:" النبي هـو الذي ينبئه اللـهُ، وهو ينبيء بما أنبـأ اللـهُ بـه، فـإنْ أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر اللـه ليبلِّغ رسالةً من اللـه فهو رسولٌ كنوح عليـه السـلام ، وأمـا إذا كـان إنمـا يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسَل هـو إلى أحدٍ يبلغه عن اللـه رسالة، فهو نبيٌّ وليس برسول"([3]).

ولعلَّ القول الخامس وهو قول ابن تيمية، وملخصه أنَّ النَّبيّ مرسلٌ إلى قومٍ مـؤمنين، بيـنما الرسـولُ مرسـلٌ إلى قومٍ كافرين هـو المعيار الراجح والأقوى في الفرق بين النَّبيّ والرسول، لأنـه يسـلم مـن كـل الاعتراضـات([4]).واللـه أعلم وأحكم.

وأما اعتقاد المسلمين في النَّبيّ، فهو من يختاره اللـه تعالى ويصطفيه، ويوحي إليه بإنزال المَلَك، أو الوحي المباشر الذي هـو الإلهام أو في الرؤية، لكنه يبقى نبياً لا تنتهي نبوته، فإنّ الإسلام لا يعترف بانقطـاع النبـوة، أو رفعهـا عـن النَّبيّ بعض الوقت، فلا تنقطع النبوة في حياة النَّبيّ ولا ترتفع كما زعم ابن ميمون. وأما مسـألة فتـور الـوحي عـن سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم في بداية الدعوة فهذا لا يُعـدُّ انقطاعـاً، وقـد أنـزل اللــه قولـه الكـريم: (مـا ودَّعك ربك وما قلى)(الضحى:3) فاللـه تعالى لا يَسلب نبوةً وهبها نبياً أبداً. بل قد ورد في السنة أنّ الأنبياء عليهم السلام يكرمهم اللـه تعالى بحياة خاصة في قبورهم، تختلف عن بقية البشر بعد الموت لقوله عليه الصلاة والسـلام "الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم يصلون"([5])

وفيما يتعلق بجنس النَّبيّ، فقد جاء النصُّ القرآني جلياً وصريحاً على اقتصارالرسالة على جنس الرجـال دون النسـاء، فلم توجد امرأة رسولاً، وهذا متفقٌ عليه لقوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم**) (الأنبياء: 7).

أما نبوة النساء ففيها خلاف؛ حيث منعها أكثر العلماء، وقال بها بعضهم كالأشعري([6]) والقرطبي وابن حزم ([7]).

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج23، ص 50

2 . عبد الصبور، د. محمد، **الحجج البينات في إثبات النبوات**، دار الطباعة المحمدية، 1996، ص 18.

3 . ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **النبوات**، مرجع سابق، ص 714.

4 . الزيوت، د. يوسف، **معايير التفريق بين النَّبيّ والرسول**، ص 411، مرجع سابق.

5 .رواه البيهقي وصحّحه في كتاب: **حياة الأنبياء صلوات اللـه عليهم بعد وفاتهم**، تحقيق د. أحمد بـن عطيـة الغامـدي، ط1، 1414 هـ 1993، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ص 72.

6 . أنظر: السفاريني، محمد بن أحمد، **لوامع الانوار البهية**، تعليق الشيخ عبداللـه أبابطين، بدون طبعة، ج 2، ص 266.

7 . أنظر: ابن حزم، علي بن أحمد، **الأصول والفروع**، تحقيـق د. محمـد عـاطف العراقـي وآخـرون، ط1، دار النهضـة العربيـة، 1978، القاهرة، ج1، ص 276.

والأنبياء في الإسلام درجاتٌ. ودرجاتُهم تستندُ إلى التفضيل الإلهي لهم لقوله تعالى: (**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**) (البقرة: 253).

ولقوله تعالى: (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**) (الأحقاف: 35).

يقول د. عمر الأشقر: " أجمعت الأمة أنَّ الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم لقوله تعالى: (**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**) (البقرة: 253).

فأفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام. وقد جمعهم الله تعالى في أكثر من موضع([1]) فقال جلّ شأنه: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا {7/33}**) (الأحزاب: 7).

وإنما سموا(بأولي العزم) لأنّ عزائمهم كانت قويةً، وابتلاؤهم كان شديداً([2]).وقد اختلف في تعيين هؤلاء الرسل الكرام: فقال ابن عباس:" كلُّ الرسل كانوا أولي عزم. ولذلك قيل إنَّ (من) في قوله:(**أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**) للتبيين لا للتبعيض كما نقل ذلك ابن الجوزي والقرطبي وغيرهما([3]). والذي يظهر لي والله أعلم أنَّ الراجح في حرف (من) في الآية أنها تبعيضية، فيكون بعض الرسل أولي عزم بخلاف غيرهم، نظراً للتفضيل الإلهي لهم. أما أعظم الأنبياء عليهم السلام على الإطلاق فهو خاتمهم سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم :" أنا سيّد ولد آدم"([4]).

وأمّا اجتماع الأنبياء عليهم السلام في زمان واحد ومكان واحد، كوجود اثنين من الأنبياء عليهم السلام في زمان واحد فينطبق ذلك على بعض الأنبياء في القرآن الكريم، كإبراهيم ولوط عليهما السلام، وموسى وهارون عليهما السلام، وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن وجود ثلاثة أنبياء، وهذا أكثر ما ورد كما في الآية الكريمة: (**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {14/36}**) (يس: 14).

---

1 . أنظر مثلاً: الغزنوي، أحمد بن حمد، **أصول الدين**، تحقيق د. عمر الداعوق، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1998، بيروت، ص 145.و إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، المكتب الإسلامي، 1984، ج7، ص 393. والسفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج2، ص 300. والأشقر، د. عمر سليمان، **الرسل والرسالات**، مكتبة الفلاح ودار النفائس، الكويت، ط4، 1989، ص 216.

2 . أنظر تعليق د.عمر الداعوق على كتاب أصول الدين للغزنوي، المرجع السابق،ص 141.

3 . القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ج 19، ص 235. وانظر: إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، المكتب الإسلامي، 1984، ج7، ص 393. وانظر: والسفاريني، **لوامع الانوار البهية**، ج2، ص 300.

4 . أنظر مثلاً: النيسابوري، **الجامع الصحيح المسمى: صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم 6079، ج7، ص 59، **ومسند أحمد**، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم 10985، ج2، ص 54.

أما وجود عشرات ومئات الأنبياء، كما في العهد القديم، فلعلّ هـذا من الافتراءات في أشياءَ كثيرةٍ عند كتبـة العهـد القديم. والـلـه أعلم.

إلا أنّ الأخطر من كل ذلك، أنّه لم يُصَّرح بنبوة أكثر الأنبياء في العهد القديم، بما فيهم إبراهيم عليه السـلام الـذي حاز على نصيبٍ كبير من نصوص التوراة. بخلاف القرآن الكريم الذي نصَّ على نبـوة الأنبيـاء علـيهم السـلام، سـواء الذين اشتهروا وتكررت قصصهم، كإبراهيم وموسى عليهما السلام، أم الذين لم تُذكر لهم قصة، كإدريس عليه السلام ؛ حيث نصّ القرآن الكريم على نبوته، فقال تعالى: (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا {56/19} وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا {57/19}**) (مريم: 56-57).

كما أنّ الأنبيـاء علـيهم السـلام يُعلنـون عـن أنفسـهم أنهـم مبعوثـون مـن الـلــه تعـالى، ويؤيـدهم الـلــه تعـالى بالمعجزات، فيقيموا الحجة على الناس لا أنهم مجرّد معلمين أو واعظـين. وقـد ورد كثـيراً في القـرآن مقولـة الأنبيـاء عليهم السلام: إني لكم رسولٌ أمين، كما في هـذه الآيات: (**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {94/15}**) (الحجر: 94)، (**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُـوهُمْ لُـوطٌ أَلَا تَتَّقُـونَ {161/26} إِنِّي لَكُـمْ رَسُـولٌ أَمِـينٌ {162/26} فَـاتَّقُوا الـلــهَ وَأَطِيعُـونِ {163/26}**) (الشعراء:161-163).

وبالرغم من أهمية االنصِّ على نبوة النَّبيّ، إلا أنها لم تردُ على لسان الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم!

المطلب الثالث: الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم والعهد القديم.

اتفق القرآن الكريم والعهد القديم، في النصّ على أسماء بعض الأنبياء علـيهم السـلام، في حـين انفـرد القـرآن بـذكر بعضهم، وانفرد العهد القديم بذكر بعضهم أيضاً. وفيما يأتي بيان .

- أنبياء ذكروا في القرآن الكريم والعهد القديم:

وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام هـم: آدم عليه السلام (آل عمران: 33)،(تك:16:2) وإدريس عليـه السـلام (مـريم: 56)(ورد باسم أخنوخ في العهد القديم:(تك: 5:22)، إبراهيم: (النساء: 163) و(تك:12: 1)وأما الأنبياء: فنوحٌ عليه السلام (نوح:تك: 6:9) وإسحاق عليه السلام (تك: 48: 15) وأيوب عليه السـلام (أي:1)، ويعقـوب عليـه السـلام (تك 26: 34)، ويوسف عليه السلام (تك: 39: 2) وموسى عليه السلام :(خر: 3:1) وشعيب عليه السلام (يثرون)(خر: 3: 1)، وهارون عليه السلام (خر: 4: 37)، وداود عليه السلام (مزمور:3: 3)، وسليمان عليه السلام (:ملو1:1) فقـد ورد ذكرهم جميعاً في (سورة الأنعام: 84).

وإسماعيل عليه السلام ،(تك: 16: 11) وإلياس عليه السلام (الصافات: 123) و(ملو 1: 22:17) واليسع عليه السلام (الأنعام: 86) باسم أليشع بن شافاط (ملو 1: 16: 19) ولوطاً عليه السلام ،(تك: 1:19) ويونس عليه السلام باسم يونان،(يون:1 :1) ذكروا في(سورة الأنعام: 86) وسيدنا محمّد، (آل عمران: 144) والبشارة به صلى الله عليه وسلم في العهد القديم مثلاً في:(إشعيا : 42 : 1- 4) وفي(حجي: 2: 8). والأنبياء عليهم السلام الذين أُسئ إليهم في العهد القديم وورد ذكرهم في القرآن الكريم هم موضوع هذه الدراسة.

- **أنبياء ذُكروا في القرآن ولم يذكروا في العهد القديم:**

وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام هم: صالح عليه السلام (الأعراف:73)، وهود عليه السلام (الشعراء: 124). - **أنبياء ذكروا في العهد القديم ولم يذكروا في القرآن الكريم**([1]):

وهم : صموئيل(صم1:1: 20) وبلعام(عد:8:22-11) وناثان(صم2: 7:2) وصادوق(صم2: 15: 27) وعاموس (عا:8:2)، وهوشع(هو:1:2)، وإشعيا(إش: 1:1)، وميخا(ملو1: 22 : 7)، وناحوم(نا: 1:1)، وصفنيا (صف: 1:1)، وإرميا(1:1)، وحبقوق(حب: 1:1)، ودانيال(دا:2: 19) وحزقيال(حز: 1: 3)، وحجي(عز:5: 1) وزكريا بن يهوياداع(أخ2: 24: 20- 22)، وعوبديا(عو: 1:1)، وملاخي(ملا: 1:1)،ويوئيل(يو: 1:1)وإيليا(ملو1: 22 :7)

- **نبيات ذُكرن في العهد القديم** وهنّ: دبورة،(قض: 4:4) وحنَّة أم صموئيل(صم1: 1:2)، ومريم أخت موسى وهارون عليهما السلام(خر: 15: 20) وخلده ([2])(ملو2: 22: 14)

---

1 . من الممكن قيام أحد الباحثين بدراسة مختصةٍ بهؤلاء الأنبياء. وهذه إحدى توصيات هذه الدراسة.

2 .أنظر مثلاً: **مرشد الطالبين**، ص 153، و **قاموس الكتاب المقدس**، ص 952 .

الفصل الرابع: عصمة الأنبياء عليهم السلام بين اليهودية والإسلام

- تمهيد
- المبحث الأول: عصمة الأنبياء عليهم السلام في اليهودية
- المبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام

تمهيد:

لمّا كانت لكل طائفة من البشر صفات تميزهم عن غيرهم، فقد كان للأنبياء عليهم السلام صفات تميزهم عن غيرهم وبطريق الأولى، لأنَّ حاجة الخلق لهم عظيمة بل هي سبب سعادتهم في حالهم ومآلهم؛ ولذلك جعل الله تعالى بعلمه وحكمته في الأنبياء والرسل صفاتاً كريمةً وشمائل رفيعة تؤهلهم لمنصب النّبوة وتحمل تبعاتها فقال جلَّ شأنه: (**اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) (الأنعام: 124). إلا أنَّ اليهود لا يؤمنون بتميز الأنبياء عليهم السلام عن غيرهم، فهم كسائر البشر، بل إنَّ كثيراً من البشر صاروا أفضل من الأنبياء عليهم السلام وأطهر، فماذا نقلت نصوص العهد القديم عن الأنبياء وبماذا وصفتهم؟ وهل لهم عصمة أم لا؟ وهذا ما سيتضح في هذا المبحث:

العصمة لغةً :العصمةُ في اللغة: المنع والحفظ والإمساك. قال الراغب في مفرداته: العصمةُ الإمساك([1]). وفي لسان العرب: العصمة في كلام العرب المنع، وعَصَمه يعصِمُه عصْماً: منعه ووقاه. وعصم الله عبده، أي منعه مما يوبقه.وقوله تعالى: (**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء**) (هود: 43) أي: يمنعني. والعصمةُ الحفظُ، والقلادة([2]). وجاء في معجم مقاييس اللغة: العين والصاد والميم أصل واحد، يدل على إمساك ومنع وملازمة، ومن ذلك العصمة: أنْ يعصم الله عبده ورسوله من سوء يقع فيه.([3])

المبحث الأول: عصمة الأنبياء عليهم السلام في اليهودية:

قبل الإجابة على هذا السؤال، لا بدّ بداية من طرح سؤال آخر وهو: هل **الله تعالى معصوم عند اليهود؟** تتضح الإجابة بنصوص العهد القديم؛ حيث يدلّ بعضُها على أنّه لا عصمةَ لله تعالى من الخطأ. وإنْ كنت لم أقفْ على كلام أيٍّ من علماء أهل الكتاب يصرِّح بذلك، إلا أنّ هذا يفهم من خلال نصوص العهد القديم، وهذه بعضها:

1- (وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإنسان قَدْ كَثُرَ فِي الأرض، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. [6]فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإنسان فِي الأرض، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. [7]فَقَال الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض الإنسان الذِي خَلَقْتُهُ، الإنسان مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».)(تك: 6: 5- 7).

فيظهر من النصِّ ندمُ الله وحزنُه على أنه خلق الإنسانَ. والندمُ والتأسف لا يكون إلا على الخطأ.

2- (وَقَال الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلعَنُ الأَرضَ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الإنسان، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإنسان شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضاً أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. [22]مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأرض: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَال)(تكوين :8: 21 -22)

---

1 . الأصفهاني، الراغب، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**. تحقيق : إبراهيم شمس الدين، مادة عصم، ص 376، ط 2004، دار الكتب العلمية، بيروت .

2 . الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، 1968، **لسان العرب**. دار صادر، بيروت.

3 . ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط 1، دار الجيل، 1991، بيروت . ج 1، ص 347.

فيظهر وبوضوح أنّ اللـه تأسف وحزن على أنـه خلـق الإنسـان، وأنـه قـرّر إهـلاك الـبشر وهـذا مـا كـان خـلال الطوفان، كما في النص الأول، ثم ظهر في النص الثاني خلاف هـذا؛ حيث أن اللـه َعاد تراجع عن أسـفه وحزنـه، ثـمّ أعطى نوحاً وبنيه العهدَ على عدم تكرارِ ذلك. فيفهم ممّا سبق ندم اللـه وحزنه، ثم ندمه على ذلك الندم.

على أنّ خطأ الإلهِ قد تكرّر أكثر من مرّة. فمن ذلك ندمُه على ما كان سيهمُّ بـه، مـن عقـابِ بنـي إسرائيـلَ بسـبب عبادتهم العجل، لكنّ موسى عليه السلام راجع الإلهَ الذي ندم على ذلك، كما يظهر في هـذا العبـارة: (فَنَـدِمَ الـرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الذِي قَال إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ.)(خر:32: 14).

ومعلوم أنّ الندم والحزن والأسف لا يكون إلا على فعل خطأ، وهذا ما حصل للإله، حسب العهد القـديم، وهـو ما يؤمن به اليهود. وهذا يدل على أنّ الإلهَ يخطئ وأنه غير معصوم.

وقد فسر بعض علماء وشُرَّاحُ العهد القديم ندم اللـه وحزنه وأسفه بأنها كلمات غير حقيقيـة وانهـا أطلقـت مـن باب المجاز.([1])

وأرى أنه مهما حاول شُرَّاح العهد القديم إيجادُ تبريراتٍ وتأويلات للعباراتِ السـابقة، للإلتفـاف عـلى الـنصّ، فإنهـا تبقى محاولات يائسة وغير مجدية، وقاصرة عن تحويل وتحوير الكلمات الصريحة الواردة في النصوص كحزن الـربّ وأسفه وندمه؛ حيث جاءت مقترنة مع النصّ بأنّ اللـه لنْ يعود ويكرّر فعله الأول، سواءً كـان الطوفـان أو معاقبـة الشعب أيام موسى عليه السلام ، فالنص ومعناه يدلّانِ على صدور الخطأ من الإله حسب نصوص العهد القديم.

وممّا يؤكد عدم عصمة الإله عند اليهود ما جاء في التلمود من عباراتٍ كثيرةٍ ينسبونها لله تعالى؛ حيث يظهر فيهـا خطأ اللـه وندمه وتحسره على خراب الهيكل. حيث تقول العبارة: (تباً لي، صرّحتُ بخراب بيتـي وإحـراق الهيكـل ونهب أولادي.) ويعلّقُ أحبار اليهود بعدَ هـذه العبارة فيقولون:" وشَغَلَ اللـهُ مساحةَ أربع سنوات فقـط، بعـد أنْ كان يملأ السموات والأرض جميع الأزمان"([2]). على أنّ هـذا الندم ليس كالندم السـابق، وإنمـا تبعـه بكـاءٌ ونحيـبٌ، حيث يعتقد اليهود أنّ الإلهَ حتى الآن لم ينقطع عن البكاء والنحيب، لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة.

وهكذا يُعلم أنّ اليهود أثبتوا للإله عدة خطيئاتٍ، كما أثبتوا لـه النـدم والتوبـة عـلى تلـك الخطيئـات. ومـع إيمـان النصارى بالعهد القديم، فيمكن القولُ إنّ اللـه غير معصوم عن الخطأ عند أهل الكتاب جميعاً.

ويحقّ للإنسان أنْ يتساءلَ كيف يُنتظر من اليهود بعد هـذه الخرافات والأكاذيب السـاقطة عقـلاً وشرعـاً، المتضـمنة عدم عصمة الإله من الخطأ - أنْ ينزّهوا الأنبياء عليهم السلام وهم بشرٌ عن المعاصي والخطايا؟ إنه لشيء عجيب ؟!!

وإذا كان اليهود لا يعتقدون بعصمة اللـه تعالى. فقد صار من السَّهل عندهم أنْ لا يؤمنوا بعصمة الأنبياء عليهم السلام. ولعلّ هـذا أحد الأسباب التي جعلتهم يتلقون ما نسب للأنبياء من خطيئات وفواحش بالقبول والتسليم.

1 . أنظر مثلاً كلام الواعظ المسيحي نجيب جرجس، في كتابه **تفسير سفر التكوين**، ص 137.

2 . د. روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة د. يوسف نصر اللـه، ، ط 1، مطبعة المعارف، 1899، الفجالة . ص 37 – 38

وإنّ القارئ كتب أهل الكتاب لا يجد أيّةَ عبارةٍ تشير إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام جملـة أو آحـاداً، مـع ورود عباراتٍ تحمل تزكيةً ومدحاً لبعض الأنبياء عليهم السلام لكنها قليلة جداً.

وقد غصَّتْ أسفارُ العهد القديم، بإصحاحاتٍ وصفحاتٍ ترمي الأنبياء علـيهم السـلام بفـواحش الـذنوب وخـوارم المروءة، والسلوك الفاجر الفاحش، حتى أنه لا يخطر ببال إنسانٍ ذنبٌ إلا ويجده منسوباً لنبيٍّ مـن الأنبيـاء علـيهم السلام في أسفارهم. فقد رموا الأنبياء عليهم السلام بمختلف الذنوب من الكبائر والصغائر كصنع الأصنام، والزنا عن سبق إصرار، والسرقةِ والغشِّ والخداع، وزنا المحارم، وغيرهـا الكثـير مـن الكبـائرِ والأفعـالِ المشـينةِ وكـلّ ذلـك زوراً وبهتاناً. وعليه فلا عصمة للأنبياء عند أهل الكتاب.

وقد نقل علماء الإسلام قديماً وحديثاً إجماع أهل الملل والشرائع، ومنهم أهل الكتاب، على عصـمة الأنبيـاء علـيهم السلام من الكذب في التبليغ([1]).

ونقل الشيخُ رحمتُ الـلـه الهندي([2]) هـذا عن علمائهم فقال:" واعلم أنهم يدَّعون أنّ الأنبياء عليهم السلام إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط. أمّا في غير التبليغ فليسـوا معصـومين، لا قَبْـلَ النبـوةِ، ولا بعـدَها فيصـدر عنهم جميع الذنوب قصداً، فضلا عن الخطأ والنسيان"([3]).

أقول: وحتى هـذه قد كذبوا فيها، حيث نسبوا لموسى وهارون عليهما السلام، الخيانة في التبليغ([4])، وهـذا الـنص يشهد لذلك:

(لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إسرائيل عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَـانِي فِي وَسَـطِ بَنِـي إسرائيـل. [52]فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأرض مِنْ قُبَالتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إلى هـنَاكَ إلى الأرض التِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إسرائيل»)(تث: 32 : 51 – 52).

وهكذا لا عصمة للأنبياء في العهد القديم من أيَّة خطيئة، بما في ذلك الخيانة في تبليغ الوحي.

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 4، ص 5. **والإيجي**، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **كتاب المواقف**، بشرح السيد الشريف على الجرجاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ،ط 1، دار الجيل، 1997، بيروت. ج3، ص 415. وانظر مـن المعـاصرين مـثلاً: السقا، د. أحمد حجازي، **نقد التوراة**، مكتبة النافذة، الجيزة، ص237.

2 .**الهندي: هـو** الشيخ العلامة محمد بن رحمت الـلــه بـن خليـل الـرحمن الهنـدي، الحنفـي، نزيـل الحـرمين، باحـث عـالم بالـدين والمناظرة، ولد في كيرانة من توابع العاصمة الهندية سنة 1818م، اشتغل بالتدريس وكانت أسرته معروفة بالطب والمناصـب العليـا، لكنه ترك التدريس وتفرغ للردّ على المنصِّرين كتابةً ومناظرةً، وقد واجه القسيس فنـدر في منـاظرة شـهيرة حضرهـا أكـثر مـن ألـف شخصية ؛ حيث اضطر القسيس فندر إلى الإعتراف بوقوع التحريف في أسفار أهل الكتاب، ووجود أربعين ألف عبارة اخـتلاف . ثـمّ جاور بمكة وتوفي فيها. له كتب منها التنبيهات في إثبات الإحتياج إلى البعثة والحشر والميقات.وإظهـار الحـق، وهـو أفضـل كتبـه في موضوعه. **أنظر: الزركلي، الأعلام:** ج3، ص 14. **والهندي، إظهار الحق، 1989م، تحقيـق د.** محمـد أحمـد ملكـاوي، الرئاسـة العامـة لادارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، الرياض، ج1، ص 15- 17.

3 . **الهندي**، الشيخ رحمت الله الهندي، **إظهار الحقّ**، مرجع سابق، ج 4، ص 1214.

4. وهذه المسألة مفصلة في مبحث خاص في الفصل المتعلق بموسى عليه السلام .

سبب ذكر خطيئات الأنبياء عليهم السلام في أسفار العهد القديم:

ترتّبَ على عدم عصمةِ الأنبياء عليهم السلام عند أهل الكتاب، خطيئات عظيمة نُسبت للأنبياء زوراً وبهتاناً. وقد ذكرت هـذه الخطيئات في العهد القديم بما حملته من فسق وفجور. ويرى علماءُ أهل الكتاب أنّ خطيئات الأنبياء عليهم السلام ذُكرت في الكتاب المقدَّس لسببين:1- لتكون عبرة للأجيال([1]).2- لبيان أنّ تأثيرهم السيئ يمتد إلى عائلاتهم([2]).

وهكذا صارالأنبياءُ عند علماء أهل الكتاب عبرة سيئةً للأجيال، بدلاً من أنْ يكونوا النموذج للبرّ والاستقامة، ومصدراً للفضائل والأخلاقِ الكريمة،وقدوةً صالحة يتأثرُ بهم القريبُ والبعيد فيوجهونهم إلى اللـه تعالى، صارَ لهم حَسب فهم أهل الكتاب، أثرٌ سيءٌ امتد شرُّه إلى عائلاتهم. نعوذ باللـه من الخذلان.

ولم يكتف اليهود خاصة بنسبة الفواحش والخطيئات إلى الأنبياء عليهم السلام، وإنما زرعوا في نفوسِ اليهود تعظيمَ الأحبار، وامتهانَ الأنبياء عليهم السلام، وذلك بأمرين:

الأول: التحريف المتعمّد، وإضافة المعاصي والفواحش المعيبة والمنفرة للأنبياء عليهم السلام.

الثاني: رفع مكانة الأحبار فوق مكانة الأنبياء عليهم السلام، لدرجة أنّ من شتم حبراً فإنه يقتل، وأما من شتم نبياً فإنه لا يقتل([3]).

ويقود اعتقادُ اليهود بعدم عصمة الأنبياء عليهم السلام إلى معرفة أخلاق وصفات الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم.

صفات الأنبياء في العهد القديم:

ظهر التناقض جلياً في العهد القديم في صفاتِ الأنبياء عليهم السلام؛ حيث ظهرَ بعض الأنبياء عليهم السلام بصورة كريمة بكلمات يسيرة، ثم بعد ذلك جاءَ ما ينقض هذه الصفات، حيث نسب الكتبةُ لذلك النَّبيّ الزنا أو الخداع أو مخالفة الوحي الإلهي. ويمكن الكلامُ عن صفات الأنبياء عليهم السلام بإجمال بتقسيمها إلى قسمين كما يأتي:

القسم الأول: الصفات القبيحة : وهي الغالب والأظهر، وهي صفاتٌ في غاية القبح ومنتهى السُفل والبعدِ عن العلاقة الوثيقة باللـه وبالخلق. وهذه الصفات القبيحة بعضها اعتقادي وصل إلى درجة الخروج من الدين بالكليّة، كالشرك باللـه تعالى والشكِّ في قدرة اللـه تعالى وعدالته، وبعضها سلوكي كالزنا وتعطيل حدود اللـه تعالى. ولا شك أنّ كلَّ هذا مردودٌ عقلاً وشرعاً، علماً بأنّ اللـه تعالى حرّمَ في العهد القديم إيذاء الأنبياء عليهم السلام حيث ورد: (لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي، **وَلاَ تُسِيئُوا إلى أنبيائي**)(مز: 105: 15).

---

1 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 361 . بدون تفاصيل .

2 . د. بروس بارتون وآخرون، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ترجمة وليم وهبه وآخرون،. ط 3، 1999، هولندا، ص 29.

3 . ابن حزم، **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، 1960،تحقيق د. إحسان عباس، جامعة الخرطوم، ص 74، مكتبة العروبة، القاهرة.

خطيئات الأنبياء الواردة في العهد القديم:

فيما يأتي ذكرٌ لخطيئات الأنبياء عليهم السلام التي وردت في العهد القديم بذكر الخطيئة والنَّبيّ الذي نسبت إليه:

- الكفر بالـلـه تعالى والارتداد عن الدين وصنع الأصنام. وقد نسبوا ذلك لسليمان وهارون عليهما السلام.

- سوء خاتمة أكثر الأنبياء عليهم السلام، وهذا منسوب لآدم، ولوط، وإبراهيم، وإسحاق، وداود عليهم السلام.

- الزنا العَمْد، وقد نُسِبَ لداود عليه السلام . والزنا بالخطأ، وقد نُسِب ليعقوب، ولوط عليهما السلام. إلا أنّ لوطاً عليه السلام كان زناه عن غير وعي بسبب السُكْر بابنتيه كما زعموا.

- الخيانة بعدم تبليغ الوحي كما تلقاه النَّبيّ من ربه، وقد نسبوا ذلك لموسى وهارون عليهما السلام. وقريباً من ذلك ما اتهموا به يعقوب عليه السلام في احتياله على خاله لإكثار ماله مخالفاً بذلك الرؤيا التي رآها حيث كانت وحياً من الـلـه تعالى بواسطة الملاك.

- الشكّ في عدل الـلـه وقدرته، وقد نسبوا ذلك لأيوب عليه السلام .

- زنا المحارم ضمن أسرة النَّبيّ؛ حيث نسبوا الزنا للوط بابنتيه، ونسبوه لأبناء الأنبياء عليهم السلام وبناتهم وزوجاتهم، فقد نسبوه لرأوبين بكر يعقوب صلى الـلـه عليه وسلم الزنا بزوجة أبيه بلهة، وليهوذا ابن يعقوب بكنته ثامار بخدعة منها، وأبشالوم بن داود بسراري أبيه داود عليه السلام ، وزنا أمنون ابن داود بأخته ثامار، واغتصاب ابنة النَّبيّ كما نسبوا ذلك لدينة ابنة يعقوب عليه السلام .

تعقيب: ما أسهل أنْ يضطجع النَّبيّ مع امرأة بالحرام في العهد القديم أو ابنة النَّبيّ، أو الأخ مع أخته أو ابن النَّبيّ مع زوجة أبيه ! وهكذا فزنا المحارم سهل ميسور لا يغضب منه الـلـه تعالى، ولا النَّبيّ كما يظهر في العهد القديم.

وبناءً عليه، فإنني أنصح قارئَ العهد القديم، أنْ يوطّن نفسه لأيَّة مفاجأةٍ ومخالفةٍ لأبجديات النبوَّةِ وأخلاقها الفاضلة، وبديهيات العقل وحقوق الإنسان والخلق القويم.

- مجيء الأنبياء عليهم السلام من سلالة زنا، كما نسبوا ذلك لداود وعيسى عليهما السلام .

- القتلُ العمد قبل النبوة، وقد نسبوا ذلك لموسى عليه السلام . والتآمر للقتل كما نسبوا ذلك لداود عليه السلام .

- شربُ الخمر حتَّى الثمالة، كما نسبوا ذلك للوط عليه السلام ، والشرب مع التعري كما نسبوا ذلك لنوح عليه السلام .

- الكذبُ كما نسبوا ذلك لإسحاق ويعقوب عليهما السلام.

- الخداعُ والغش وقلب الحقائق كما نسبوا ذلك لإسحاق ويعقوب عليهما السلام.

- الأمر بقتل الأطفال، والإبادة الجماعية كما نسبوا ذلك لموسى وداودعليهما السلام.

- الشكوى والسخط وقلة الصبر عند نزول البلاء، كما نسبوا ذلك لأيوب عليه السلام .

- عدم التوبة من الذنب إذا أذنبوا كما أثبتوا ذلك لآدم وسليمان عليهما السلام.
- الطمعُ والجشع وحبُّ المال. كما نسبوا ذلك لإبراهيم ولوط ويعقوب عليهم السلام.
- البعد عن الحياء، والكلام البذيء والتغزل الفاضح بالمرأة ووصف عوراتها. وقد نسبوا ذلك لسليمان عليه السلام .
- النظر المحرم للنساء، كما نسبوا ذلك لداود عليه السلام .
- الحمق والغباء وعدم الفطانة، كما نسبوا ذلك لإسحاق ويعقوب عليهما السلام.
- المحاباة والظلم، وعدم العدل بين الأبناء، كما نسبوا ذلك لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.عليهم السلام.
- عقوق الوالد بالكذب عليه وخداعه كما نسبوا ذلك ليعقوب عليه السلام .
- الدعوى للجار وخيانته في أهله، كما نسبوا ذلك لداود عليه السلام .
- الأمر بتحنيط النَّبيّ بما فيه من إيذاء وشق لبدنه، كما نسبوا ذلك ليعقوب ويوسف عليهما السلام.
- أكل الأرض أجسادهم بعد الموت، كما نسبوه ليوسف عليه السلام .
- عدم غيرة النَّبيّ وبروده عند حدوث الفواحش في بيته كما نسبوا ذلك ليعقوب وداود عليهما السلام.
- الحلفُ بغير الـلـه تعالى، كما نسبوا ذلك ليوسف عليه السلام .
- مصارعةُ النَّبيّ لله تعالى أو لأحد الملائكة.
- الإخبار بالكذب، إذ وقع خلافُ نبوءات نوح ويعقوب عليهما السلام.
- تعطيلُ الأنبياء عليهم السلام حدودَ الشريعة وعدم إعمالها على أنفسهم وأسرهم .
- عدم المروءة وغير المبالاة تجاه الكوارث والأخطار كما نسبوا ذلك ليونس عليه السلام .
- كراهية إيمان الكفرة كما نسبوا ذلك ليونس عليه السلام .
- الاعتماد على الأسباب، وقلة التوكل على الـلـه تعالى، وضعف الإيمان كما نسبواذلك لإبراهيم عليه السلام .
- تأنيب آحاد الناس ووعظه النَّبيّ، بسبب معصية فعلها النَّبيّ أو واجب لم يفعله، كما نسبوا ذلك لإبراهيم، وأيوب، ويونس عليهم السلام. وهكذا قُلبت صورة النَّبيّ من واعظٍ وهادٍ ومعلم للناس، إلى صورة إنسان مقصر يقوم غيرُه بتعليمه وتوجيهه.

القسم الثاني: الصفات الحسنة:

منْ بابِ العدلِ والأمانة العلمية، فقد وجد الباحثُ في العهد القديم عباراتٍ تحملُ تزكيةً، ومدحاً لبعض الأنبياء عليهم السلام، ومثالُ ذلك:

(كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ الـلـهِ.)(تك : 6: 9).

وعن إبراهيم عليه السلام : (أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا)(تك:15: 1) و(خَائِفُ الـلـهَ)(تك:22-12).

وورد في حق يعقوب عليه السلام : (يَعْقُوبُ حَبْلُ نَصِيبِهِ. [10]وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلاَءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاَحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. [11]كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ، [12]هكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ الهٌ أَجْنَبِيٌّ.)(تث: 3 : 9-12)

وفي حق أيوب عليه السلام : (لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأرض. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللـهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ»)(أيوب : 1:8) .

وفي حق داود عليه السلام : (فَقَال سُلَيْمَانُ: «إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ عَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةً عَظِيمَةً حَسْبَمَا سَارَ أَمَامَكَ بِأَمَانَةٍ وَبِرّ وَاسْتِقَامَةِ قَلْبٍ مَعَكَ، فَحَفِظْتَ لَهُ هـذِهِ الرَّحْمَةَ العَظِيمَةَ وَأَعْطَيْتَهُ ابْناً يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ كَهـذَا اليَوْمِ)(ملو 1: 3: 6)

وفي حق سليمان عليه السلام : (هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْباً حَكِيماً وَمُمَيِّزاً حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ. [13]وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ أَيْضاً مَا لَمْ تَسْالهُ، غِنىً وَكَرَامَةً حَتَّى إِنَّهُ لاَ يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلَكَ فِي المُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ.) (ملو 1: 3 : 12- 13).

وَوُصِفَ موسى عليه السلام بأنه رجل اللـه وحليمٌ جداً، وأنه عبد الربِّ: (وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيماً جِدّاً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلَى وَجْهِ الأرض موسى.) (عدد:12: 3)(فَمَاتَ هـنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الـرَّبِّ فِي أَرْضِ مُـوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ)(تث:34 :5).

لكنْ يُلاحظ على العبارات السابقة أنها:

1- عبارات قليلة بل نادرة جداً.

2- أنها منقوضة بما قبلها أو بما بعدها من فقرات وقصص، ربما جاء بعضها في إصحاحات كاملة، تحمل ذمّاً وطعناً وقدحاً كبيراً في النّبيّ، وتتحدث عن زنا هـذا النّبيّ أو ذاك أو خداعه، أو خيانته أو كفره وسوء خاتمته، وغيرَ ذلك من الدعاوى التي لا يبقى معها أثرٌ لعبارات المدح القليلة بشأن بعض الأنبياء عليهم السلام؛ حيث الاعتقاد بأنّ أغلب عبارات المدح صحيحة في المعنى،(مع التوقف في صحة اللفظ) وبكذب العبارات أو الفقرات والإصحاحات التي حملت طعناً وإساءةً وقدحاً في الأنبياء عليهم السلام.

وهكذا ينتج أنَّ السواد الأعظم مما نُسب للأنبياء في العهد القديم، هـو محض كذب وافتراء، لأنه مخالف للعهد القديم ذاته، ومخالف للقرآن الكريم والعقل السليم. وعليه وَجَبَ على أهـلِ الإيمان، وأصحاب العقول، والفطر السليمة، الحكمَ بكذبِ تلك الدعاوى.

خاتمة الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم:

يُلاحظ سوءُ أكثر خواتيم الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم: فنوحٌ كان رجلاً باراً، وسار مع اللـه تعالى، لكنه لمّا تقدم به العمر شَرب الخمر وتعرَّى وانكشفت سوءته أمام أولاده في آخر أيامه. أما نبيُّ اللـه داود عليه السلام فعند كبره ورقّة عظمه، تُقدم له فتاه لتكونَ في حضنه فتجلب له الدفء والحنان والراحة. وبالرغم من بشاعة ما نسبوه لداود عليه السلام ، إلاَّ أنه أهون من ابنه سليمان الذي وجَّه له اليهود تهمة صنع التماثيل والأصنام عند كبره ليُرضي بذلك زوجاته. أمّا موسى كليمُ اللـه تعالى، فيموتُ متحسراً، ويمنعه اللـه من دخول الأرض المقدسة، لأنه وهارون قد خانا اللـه تعالى، ولمْ يبلِّغا أمانةَ الوحي. وهذه نماذج وإلا فإنّ الدراسة مليئة بقصص حول سوء خاتمة الأنبياء عليهم السلام، وقد اجتهدت في إبطالها في هـذه الدراسة.

اليهود يقتلون الأنبياء عليهم السلام:

لم يقف اليهود عند الدعوى للأنبياء من خلال التحريف والدسّ عليهم ما لا يليق، وإنما قتلوا العديدَ منهم، وقد وصفهم اللـه بذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع، كما أكدتْ الآيات القرآنية هـذه الجرائم البشعة عند اليهود. وقد جعل عقوبتهم على ذلك ذلةً ومسكنة وغضب من اللـه تعالى، وفي ذلك يقول تعالى: (**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللـهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللـهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {61/2}**) (البقرة: 61).

ولم يبين القرآن الكريم أسماءَ الأنبياء المقتولين أو بعضهم.كما لم تبين الأحاديث ذلك([1]).

وقد ورد في العهد القديم ما يدل على قتل الانبياء، حيث أرسل النبي أليشع احد أبناء الأنبياء ليمسحه ملكاً عوضاً عن (يهورام بن أخاب) الذي ورث عن أبيه عبادة الأوثان كما يظهر في النصِّ الآتي:

([6]فَقَامَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَصَبَّ الدُّهْنَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: قَدْ مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِ الرَّبِّ إِسْرَائِيلَ، [7]فَتَضْرِبُ بَيْتَ أَخْآبَ سَيِّدِكَ. وَأَنْتَقِمُ لِدِمَاءِ عَبِيدِيَ الأَنْبِيَاءِ، وَدِمَاءِ جَمِيعِ عَبِيدِ الرَّبِّ مِنْ يَدِ إِيزَابَلَ.) (ملو: 2: 9 : 6- 7)

أخاب بن عمري. وقد كان هـذا رجلاً وثنياً، وقد لاحق الأنبياء عليهم السلام، وقام هو وزوجته بقتل المئات من الأنبياء كما ورد في سفر الملوك الأول(19: 1)، ولم يبق في زمانه إلا النّبي إيليا الذي هـرب من وجهه، ولم يرجع إليه إلا بعد زمنٍ طويل.([2])

(وَأَخْبَرَ أَخْآبُ إِيزَابَلَ بِكُلِّ مَا عَمِلَ إِيلِيَّا، وَكَيْفَ أَنَّهُ قَتَلَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِالسَّيْفِ)(ملو1: 1:19)

1 . الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، ط1، دار القلم،1998، دمشق، ص 119.

2 . الباش، د.حسن، **القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟** دار قتيبة، دمشق، ج2، ص 418.

وفيما يأتي نماذج من الحالات التي قتل بها الأنبياء عليهم السلام عند بني إسرائيل([1]):

(أَلَمْ يُخْبَرْ سَيِّدِي بِمَا فَعَلْتُ حِينَ قَتَلَتْ إِيزَابَلُ أَنْبِيَاءَ الرَّبِّ، إِذْ خَبَّأْتُ مِنْ أَنْبِيَاءِ الرَّبِّ مِئَةَ رَجُل، خَمْسِينَ خَمْسِينَ رَجُلاً فِي مُغَارَةٍ وَعُلْتُهُمْ بِخُبْزٍ وَمَاءٍ؟ 14وَأَنْتَ الآنَ تَقُولُ: اذْهَبْ قُلْ لِسَيِّدِكَ: هُوَذَا إِيلِيَّا، فَيَقْتُلُنِي») (ملو 1: 18: 13 - 14).

ومن الأنبياء الذين قتلوا (أوريا بن شمعيا) كما يظهر في النصّ الآتي:

(وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ أَيْضًا يَتَنَبَّأُ بِاسْمِ الرَّبِّ، أُورِيَّا بْنُ شِمْعِيَا مِن قَرْيَةِ يَعَارِيمَ، فَتَنَبَّأَ عَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى هذِهِ الأَرْضِ بِكُلِّ كَلاَمِ إِرْمِيَا. 21وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ يَهُويَاقِيمُ وَكُلُّ أَبْطَالِهِ وَكُلُّ الرُّؤَسَاءِ كَلاَمَهُ، طَلَبَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْتُلَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ أُورِيَّا خَافَ وَهَرَبَ وَأَتَى إِلَى مِصْرَ. 22فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ يَهُويَاقِيمُ أُنَاسًا إِلَى مِصْرَ، أَلْنَاثَانَ بْنَ عَكْبُورَ وَرِجَالاً مَعَهُ إِلَى مِصْرَ، 23فَأَخْرَجُوا أُورِيَّا مِنْ مِصْرَ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ يَهُويَاقِيمَ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَطَرَحَ جُثَّتَهُ فِي قُبُورِ بَنِي الشَّعْبِ.) (إرميا: 26 : 20 – 23).

وأيضاً قتلوا النبي (زكريا بن يهوياداع) رجماً كما يتضح في النصّ الآتي:

(وَلَبِسَ رُوحُ اللهِ زَكَرِيَّا بْنَ يَهُويَادَاعَ الْكَاهِنَ فَوَقَفَ فَوْقَ الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا يَقُولُ اللهُ: لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصَايَا الرَّبِّ فَلاَ تُفْلِحُونَ؟ لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمُ الرَّبَّ قَدْ تَرَكَكُمْ». 21فَفَتَنُوا عَلَيْهِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ بِأَمْرِ الْمَلِكِ فِي دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ) (أخ 2: 24: 20- 21).

وبعد هذا البيان عن صفات الأنبياء عليهم السلام عند اليهود، وبعد بيان أنه لا عصمة لهم حسب نصوص اليهود المقدسة، لا بدّ من الوقوف على عصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام وبيانه، وهذا ما يعالجه في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام:

والعصمة اصطلاحاً: حفظُ اللـه ظواهرَ الأنبياء وبواطنهم من فعل المنهي. وعُرفت بأنها خلقٌ مانعٌ من المعصية، مع بقاء الاختيار([2]).

---

1 . **موقف بني إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، رسالة دكتوراه، د. عبد الشكور بن أمان العروسي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1982، ص 432 – 435 بتصرف.

2 . ابن الهمام، كمال الدين محمد بن همام، **المسامرة بشرح المسايرة**، ط 1، المطبعة الكبرى الأميرية،1317 هجرية، بولاق، مصر . ص 195.

رأي علماء الإسلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام :

ذهب المحققون من علماء الإسلام([1]) إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام من الآتي:

1- الكفر قبل النبوة وبعدها عمداً وسهواً.

2- الكذب عمداً أو سهواً فيما يتعلق بالتبليغ.

3- الكبائر عمداً وسهواً بعد النبوة.

4- الصغائر المشعرة بخسة قبل النبوة وبعدها عمداً وسهواً.

أما الصغائر من الذنوب ممّا لا يشعر بخسة أو سقوط في الدين، فقد أجاز بعض العلماء صدورَها عن الأنبياء عليهم السلام، لكنّ الجمهور على أنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر غير المشعرة بخسة عمداً.

وقد صنَّف الرازي مسألة عصمة الأنبياء بحسب تعلقها فجعلها في أربعة مواضع([2]):

- **ما يتعلق بالإعتقادية،** فأجمعت الأمة على عصمتهم من الكفر والبدعة إلا الروافض فإنهم أجازوا إظهار الكفر منهم على سبيل التقية.

- **ما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى:** وأجمعوا أنه لا يجوز عليهم التحريف أوالخيانة في هذا الباب، لا بالعمد ولا بالسهو،وإلا لم يبقَ الإعتماد على شيء من الشرائع.

- **ما يتعلق بالفتوى،** وأجمعوا على أنه لا يجوز الخطأ فيه، وأما سهوا فقد اختلفوا فيه.

- **ما يتعلق بأحوالهم وفعالهم،** وقد اختلفت فيه الأمة على خمسة مذاهب:

الأول: قول الحشوية، وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الثاني: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة أما تعمد الصغيرة فإنه جائزٌ بشرط ألا تكون منفراً، وأما ما كانت منفرة فإنه لا يجوز منهم ذلك كتطفيف حبة. وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنه لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة، لكن يجوز صدور الخطأ على سبيل الخطا في التاويل وهو قول الجبائي المعتزلي.

---

1 . **أنظر مثلاً** : البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **كتاب أصول الدين**، مطبعة الدولة، استانبول، تركيا، 1928 . ص 167 – 169 . و الجويني، عبد الملك بن عبد الله، **كتاب الإرشاد القواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق د. محمد يوسف موسى و على عبد المنعم، مكتب الخانجي، ط 1950، القاهرة، ص 356 .

وانظر : **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي،، ط 1، دار ابن الهيثم، 2006، القاهرة . ص 475 – 480 .وانظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 4، ص5 .

وانظر أيضاً **تفسير الرازي**، ج 3، ص 7 – 8، **وعصمة الأنبياء للرازي**، تحقيق محمد حجازي، ص 39، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1986، القاهرة . **وكتاب المواقف**، للإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة،، ط 1، دار الجيل، 1997 . ج 3، ص415.

2 . الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **عصمة الانبياء**، تحقيق.د. محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية، 1986، ط1، ص 40.

الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا عمداً ولا سهواً ولا خطأً. أما السهو والنسيان فجائز، ثمّ إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أنَّ علومهم أكمل، فواجبٌ عليهم المبالغة في التيقظ. وهو قول إبراهيم بم سيار النظام من المعتزلة.

الخامس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالنسيان، وهذا مذهب الروافض(الشيعة).

وذهب الرازي بعد إيراد هذه المذاهب إلى القول بأنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز([1]).

وأول من تكلم في العصمة في حدود اطلاعي، الإمامُ أبو حنيفة النعمان رحمه اللـه تعالى؛ حيث قال:" والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلّهم منزّهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح، وقد كانت منهم زلات وخطايا"([2]).

ونقل البغدادي إجماع الأشاعرة على عصمة الأنبياء عليهم السلام من كلّ الذنوب بعد النبوة، وأمّا السهو والنسيان فليس بذنب كما قال. وهو الحقّ فإنه لا عصمة للأنبياء منه إلا في جهة التبليغ([3]). وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة. وبعضهم منعها كلها من الميلاد حتى الممات، وهو قول الشيعة([4]) .

أما الذنوبُ المشعرة بخسةٍ كسرقة حبة، أو ما هو منفر كعهر الأمهات. فقد اتفق العلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وبعدها منها.

وأمّا ما جوزه بعض العلماء من الصغائر، فإنهم اتفقوا على أنَّ الأنبياء عليهم السلام يُنبهون لذلك فينتبهون. وأمّا الخطأ في الإجتهاد فإنه ليس داخلاً في شيء من الذنوب التي ثبتت عصمة الأنبياء عليهم السلام منها؛ إذ الاجتهادُ عبادةٌ يثابُ عليها المجتهدُ أصاب أو أخطأ. لكن ثبت أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يقرون على الخطأ في الاجتهاد، بل لا بدّ أنْ يأتيهم الوحيُ بتبيان الأصوب والأكمل في علم اللـه عز وجل، على أنّ التصويب الذي يأتي به الوحي دليل من أقوى الأدلة على نبوة النَّبيّ.

وأما شيخ الإسلام إبن تيمية فقال:" إنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر". وهو قول أكثر أهل الإسلام وأكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الصغائر ولا يقرون عليها."([5])

---

1 . الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **عصمة الأنبياء،** مرجع سابق, ص 42.

2 . أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، تقديم السيد هاشم الندوي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، سنة 1342 هجرية.

3 . ابن العربي، محمد بن عبد اللـه، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج 3، ص 55، ط 3، دار الكتب العلمية 2003، بيروت .

4 . **الشيعة** :هم الذين شايعوا الإمام على بن أبي طالب رضي اللـه عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا ووصية إما جلياً أو خفية، واعتقدوا أنّ الإمامة قضية أصولية، وأنها لا تخرج من أولاد الإمام علي ، ويقولون بعصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر . أنظر : **الملل والنحل**، عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، ج1، ص 144، ط 7، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 .

5 . ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد المعاصمي، دار عالم الكتب، الرياض، 1991، مجلد 4، ص319 – 320..

قلت: وهذا هـو الراجح، بدليل ما صدر عن بعض الأنبياء عليهم السلام من أشياء ليست كبائر ولا صـغائر مشـعرة بخسة، وإنما هـي زلاتٌ وصغائر نبَّههم الـلـه إليها فينتبهون. وقال الإيجي في المواقفك" وأما الصغائر عمـداً فجـوزه الجمهور إلا الجبائي من المعتزلة"[1]

هل العصمة قبل البعثة أم بعدها؟

اختلف علماء أصول الدين في عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثـة، فمنعهـا فريـقٌ وجوزهـا فريـقٌ آخـر، وفي هـذا يقول الرازي:" واختلفوا أيضاً في وقت وجوب هـذه العصمة، فقال بعضهم إنها من أول الولادة إلى آخرالعمـر، وقال الأكثرون إنَّ هـذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة، فأمـا قبلهـا فهـي غـير واجبـة، وهـو قـول أكـثر أصـحابنا رحمهم الـلـه تعالى.ثمَّ قال:" والذي نقول إنَّ الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبـوة عـن الكبـائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز([2]).

فالفريق الأول يرى أنّ العصمة تكون للأنبياء قبل البعثة وبعدها، لأنَّ السلوك الشخصي- ولو قبل النبوة - يؤثر على مستقبل الدعوة للنبي، فلا بدّ وأنْ يكون من ذوي السيرة العطرة، حتـى لا يكـون ثمـة مطعـنٌ في رسـالته ودعوتـه. واستدل أتباع هـذا الفريق بأنَّ الـلـه تعالى قد اختار أنبياءه واصطفاهم من صفوة البشر، ورعاهم منذ الصغر كـما قال لموسى عليه السلام :(**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِـي {39/20}**) (طـه: 39) فـلا بـدّ إذاً أنْ يكونـوا معصـومين قبـل النبـوة وبعدها([3]) .

وأما الفريق الثاني فذهبوا إلى أنَّ عصمة الأنبياء إنما تكون بعد النبوة، وتكون من الصغائر والكبائر معـاً، لأنَّ الـبشر ليسوا مأمورين باتباعهم قبل النبوة، فالإتباع والإقتداء إنما يكون بعد نزول الوحي، وتشريفهم بحمل الرسـالة، وأمـا قبلها فإنما هـم بشرٌ كسائر البشر، ومع ذلك فإنَّ سيرتهم تأبى عليهم الوقوع في المعاصي أو الإنحرافـات، فـإنهم ولـو كانوا قبل النبوة غير معصومين، لكنهم محفوظون بالعناية والفطرة([4]).

وخلاصةُ القول إنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون مـن الكفـر، والكـذب في التبليـغ، والكبـائر، والصـغائر المشـعرة بخسة والمنفرة. وعصمتهم من الأمراض المنفرة، وعصمة زوجاتهم من الفواحش المعيبـة كالزنـا دون عصـمتهنَّ مـن الاتهام الكاذب بذلك، كما رُميت عائشةُ أمّ المؤمنين رضي الـلـه عنها في حادثة الإفك.

ومن اللازم هـنا التنبيه إلى أنّ الأنبياء عليهم السلام غير معصومين من العوارض النفسية، التي تصـيب عامـة الـبشر من غضب أو حزن أو خوف، فقد يفعلون خلاف الأولى في أثناء هـذه الانفعالات النفسية، لكنّ الـلـه يعصمهم مما هـو خلاف التبليغ أو من فعل كبيرة، أو مما هـو مشعرٌ بخسة عند هـذه الانفعالات. والـلـه أعلم.

1 . الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف**، ج3، ص 415

2 . الرازي، محمد بن عمر، **عصمة الأنبياء**، ص 40.

3 . الصابوني، **النبوة والانبياء**، مرجع سابق، ص 53.

4 . الصابوني، **النبوة والانبياء**، مرجع سابق، ص 53.

أدلة العصمة:

وردت في القرآن الكريم أدلةٌ كثيرة على عصمة الأنبياء علـيهم السـلام، يمكـن تقسـيمها إلى قسـمين: 1- أدلـة عـلى العصمة بشكل عام، ويمكن تسميتها بالأدلة العامة.

2- أدلةٌ على العصمة من بعض الذنوب، ويمكن تسميتها بالأدلة الخاصة.

والبداية مع الأدلة العامة التي ذكرها بعض العلماء([1]) على عصمة الأنبياء عليهم السلام :

- لو أذنبوا لحرم اتباعهم، لكنّ اتباعهم واجب بالإجماع، لقوله تعالى: (**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) (آل عمران: 31)

- لو أذنبوا لَرُدَّت شهادتُهم؛ إذ لا شهادةَ لفاسقٍ لقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**) (الحجرات: 6).

لكنَّ هـذا ممتنع لأنّ منْ لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا فكيف تُسمع شهادته في أمر الـدين القـائم إلى يوم الدين؟

- لو صَدر عنهم الذنبُ وُجَب زجرُهم، لعموم وجوب النهي عن المنكر، ولا شك أنّ زجرَهم إيـذاءٌ لهـم، وإيـذاؤهم حرامٌ إجماعاً لقوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللـهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {57/33}**) (الأحزاب: 57).

- لو أذنبوا لاستحقوا اللومَ والعذاب لقوله تعالى: (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {44/2}**) (البقرة: 44) ولقوله: (**أَلاَ لَعْنَةُ اللـهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {18/11}**) (هود: 18).

- لو أذنبوا ما كانوا أنبياء لقوله تعالى: (**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ {124/2}**) (البقرة: 124).

- لـو أذنبـوا لكـانوا غـير مخلَصـين لأنّ المـذنب قـد أغـواهُ الشـيطانُ، والشـيطانُ لا يغـوي المخلَصـين لقولـه تعـالى: (**وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39/15} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40/15}**) (الحجر: 39- 40) واللازم باطل، لقولـه تعـالى في حـقّ إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب علـيهم الصـلاة والسـلام:(**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {46/38}**) (ص: 46).

- لو صَدرَ عنهم الذنبُ لكانَ حالهم في استحقاق الذمِّ عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطـلٌ، فصدور الذنب باطل أيضاً، ذلك أنه كلما كان صدور الـذنب ممـن كانـت نعـم اللـه عليـه أعظـم فيكـون صـدور الذنب منه أفحش، ولا نعمة أعظم من النبوة والرسالة، فلو أذنبَ الأنبياء عليهم السلام لكـانوا أكـثر النـاس فحشـاً، لكن صدور الذنب منهم باطل([2]).

---

1 . أنظر: **كتاب المواقف**،ج 3، ص416–417، **وشرح المقاصد**، ج3، 310- 311 بتصرف يسير .

2 . الرازي، محمد بن عمر، **عصمة الأنبياء**، ص 41.

أما الأدلة الخاصة من عصمتهم من بعض الذنوب فهي:

1- قوله تعالى: (**وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**) (يس:52) وهذه التزكية دليل عصمتهم من الكذب.

2- قوله تعالى: (**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) (آل عمران: 161). وهذه الآية دليلُ عصمتهم من الغلول([1]).

3- قوله تعالى: (**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللـهُ**) (الأنفال: 62) وهذه الآية تفيد بعصمة اللـه لأنبيائه من الخداع كما أنها متضمِّنة لصفة الفطانة.

وقد وَرَدت في القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تزكِّي الأنبياء عليهم السلام وتثني عليهم جملةً وآحاداً، وَوَردتْ آياتٌ تمنعُ قيام أيِّ نبيٍّ بمعصية معينة. وقد استدل العلماء بهذه الآيات على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

الحكمة من عصمة الأنبياء عليهم السلام:

يقول السيّد رشيد رضا: " إذا كان إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى البشر لأجل هـدايتهم، وتزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هـذه الحياة الدنيا، فلا يتمّ هـذا الغـرض ولا تتحقـق هـذه الحكمة، إلا إذا كان هـؤلاء الأنبياء عليهم السلام أهلاً لأنْ يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم"([2]).

ويمكن القول إنَّ الحكمةَ من عصمة الأنبياء عليهم السـلام، تـرتبط ارتباطـاً وثيقـا بحكمـةِ إرسـالهم أصـلاً. ولـو لم يتصف الأنبياء عليهم السلام بالعصمة لما كانوا قدوة لغيرهم، ذلك أنّ فاقدَ الشيء لا يعطيه، ومـمّا لا يقبلـه العقـل أنْ يدعوَ إنسانٌ لبرٍ وخلقٍ ولا يفعله، أو ينهى عن قبح وشر ثمّ يفعله، فإنّ هـذا أدعى ما يكون لأنْ يتركـه النـاس و لايتأثروا به. ومن هـنا كانت عصمة الأنبياء عليهم السلام لغاية إحداث التأثير في قلوب المدعوين وسلوكهم. واللـه تعالى أعلم وأحكم.

وقد ترتب على عصمة اللـه تعالى لظواهر الأنبياء عليهم السلام وبواطنهم أنْ جعلهم قدوةً للخلق بما جعل فيهم من صفات كريمة وأخلاق عظيمة، كما يتضح فيما يأتي.

صفات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم:

يؤكد القرآنُ الكريمُ أنّ الأنبياء عليهم السلام هـم المثل والقدوة الحسنة للبشر، في الخُلُق والسلوك القويم، ويدعو المسلم للإقتداء بهم؛ حيث يقول تعالى بعد أنْ ذَكَرَ جملةً من الأنبياء عليهم السلام:

(**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ {89/6} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) (الأنعام: 89-90).

---

1. الغلول هـو الخيانة بالسرقة من الغنيمة ، وقد ورد في بعض الروايات أنّ المسلمين فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض النـاس لعلّ رسول اللـه أخذها فأكثروا في ذلك فأنزل اللـه قوله :(وما كان لنبي أنْ يغلّ) الآية. أنظر: **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ج 1، ص 430 . ط 1، دار المعرفة، بيروت، 1986 .

2 . رشيد رضا، **الوحي المحمدي**، مرجع سابق، ص 85.

وفيما يأتي ذكر لمجمل صفاتهم: تقسم صفاتُ الأنبياء عليهم السلام إلى ثلاثة أقسام: صفات واجبة في النَّبيّ، و صفات جائزة، وصفات مستحيلة. وتفصيلها كما يأتي:

أولاً: الصفات الواجبة للأنبياء عليهم السلام: نصّ أهل العلم على صفات يجب توافرها في النَّبيّ هي([1]):

1- الصدق: لقوله تعالى: (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {3/53} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى {4/53}**) (النجم: 3- 4).

وقوله تعالى: (**وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ {52/36}**) (يس: 52).

2- الأمانة في التبليغ: وقد قالَ كثيرٌ من الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم: (**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**) (الشعراء : 105، و125، و143، و162).

3- الفطانة: ودليله أنهم أرسلوا لهداية البشر وإقامة الحجة عليهم والرد على حججهم وشبههم، ولو لم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن فعل ذلك([2]).

وتعرف الفطانة بأنها: التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة ([3]).وقيل هي ذكاء العقل وحدته([4]) .

وقد تركزّ كلام العلماء في الفطانة على مجادلة الخصم وإلزامه الحجة. وإذا كان هذا الجانبُ ضروريٌ تقتضيه النبوة بلا شك، إلَّا أنّ الفطانة أعمّ من ذلك، فهي تدخل في باب الأفعال والتصرفات أيضاً فتمنع وقوعَ النَّبيّ في خداعٍ. وقد تكفل اللـه لنبيّه من أنْ يَخدعه أعداؤه، فقال تعالى: (**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللـهُ**) (الأنفال: 62).

وصفة الفطانة تمنعُ عن الأنبياء عليهم السلام بعض ما نُسب إليهم في العهد القديم، كقصة مخادعة يعقوب لأبيه لإسحاق في قضية أخذ البركة. وقصة دخول يعقوب على أخت زوجته.

وقد استدل العلماء على الفطانة بقوله تعالى: (**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83/6}**) (الأنعام :83). وبقوله تعالى في قصة نوح مع قومه: (**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**) (هود: 32). وقوله تعالى: (**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (النحل: 125).

---

1 . أنظر مثلاً: **كبرى اليقينيات الكونية**، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 202 – 205، مرجع سابق . **والعقيدة الإسلامية ومذاهبها**، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، ص 342 – 356. مرجع سابق .

2 . عفيفي، طه عبداللـه، **الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم السلام**، بتصرف، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994. ص 145.

3 . البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، تحقيق عبداللـه الخليلي، ، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 . ص 136 – 137.

4 . الشيخ محمود أبو دقيقة، **القول السديد في علم التوحيد**،،ج 2، ص 174 .

قال البيجوري رحمه اللـه: "وما ثبت لبعض الأنبياء عليهم السلام من الكمال ثبت لغيرهم، فتثبت الفطانةُ لهم جميعاً. واللائق بمنصبِ النبوة أنْ يكونَ عندهم من الفطانة ما يردّون بـه عـلى الخصـم عـلى تقـدير وقـوع جـدال منهم"([1]).

ويمكن القول إنّ صفة الفطانة ملازمة للأنبياء في كل أحوالهم حتى عند تقدمهم في العمر وشيخوختهم؛ إذ لا يُعقل أنْ يُصاب النَّبيّ بالهرم المفنّد، أو بالذهول، أو بنقصِ العقل. حاش لله تعالى الذي أكرمهم بالنبوة، وإلا لـنقضَ النَّبـيّ بهذه الأعراضِ نبوتَه.

والأنبياء معصومون من خوارم المروءة بفعل أو سكوت. فلا يفعلُ النَّبيّ شيئاً يَخرُم المـروءةَ، بـل هــم أكـرم الخلـق وأكثرهم نبلاً، كما لا يسكتون عن شيءٍ من خوارم المروءة، كأن يسكتوا عن فحش أو أمر مناف للحياء .

4- الذكورة: لقولة تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ**) (الأنبياء: 7).

فلا يجوز شرعاً أنْ يكون من النساء رسلاً. وقد تقدم الكلام في هـذه القضية.

5- السلامة من الأعراض البشرية المنفرة :

وهذه الصفة ضروريةٌ حتى لا ينفر المدعوون منهم. فالأنبياءُ معصومون مـن زوال عقـولهم لسـكرٍ مـنهم أو مـن غيرهم أو لكبر وهرم، أو مرضٍ منفر. والعصمةُ من الأمراض المنفرةِ نصّ عليهـا العلـماء([2]). وهـو مـا يؤكـده العقـل السليم والفطرة السليمة.

وقد شَرحَ د.عبد الرحمن حبنكه([3]) هـذا المسألة فقال:" لمّا كانت مهمَّةُ الرسل تقـتضي مخالطـة النـاس لـدعوتهم وإرشادهم، وسياستهم وقيادتهم، ولما كانت طبائع الناس تنفرُ من بعض الأمراض المشـينة، كـانَ مـنْ حكمـة اللــه العالية أنْ يحميَ رسلَه من مثل هـذه الأعراضِ والأمراض المنفرة، لذلك لا تتعرض أبدانُ الرسل بعدَ الرسالة لما ينفـر منه الناس، ولو وُجدتْ تلك الأعراض المنفرة لَمَا جُلبت أهل الكفر إلى الحقّ والطاعة بأفضل الطرق وأحكمهـا، ومـا أُلفت قلوبُ المسلمين للإقبال على رسولهم، ومحبته، ومجالسته، والشوق إليه"([4]).

1 . البيجوري، إبراهيم بن محمد بن احمد، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، تحقيق عبداللـه الخليلي، ص 136 – 137، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 .

2 . أنظر مثلاً : التفتازاني، **شرح المقاصد**، مرجع سابق، ج3، ص317، والبيجوري، **تحفة المريد**، مرجع سابق، ص 139.

3 . هـو عالم سوري معاصر له مؤلفات عدة.

4. الميداني، عبد الرحمن حبنكه، **العقيدة الاسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، بيروت، ط2، 1979،ص391.

ومن الآيات القرآنية التي أثنى اللـه فيها على الأنبياء عليهم السلام جملة قوله تعالى: (**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83/6} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {84/6} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {85/6} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86/6} وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {87/6} ذَلِكَ هُدَى اللـهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {88/6} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ {89/6} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) (الأنعام: 83 - 90).

وقوله تعالى يُثني على أيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ويونس، وزكريا، ويحيي، عليهم الصلاة والسلام: (**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ {84/21} وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ {85/21} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ {86/21} وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {87/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ {88/21} وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ {89/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ {90/21}**) (الأنبياء: 83 - 90).

وقوله تعالى: (**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {45/38} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {46/38} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ {47/38} وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ {48/38} هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ {49/38}**) (ص 45-49).

وقد وردت العديدُ من الآياتِ القرآنية التي حملت الثناء الإلهي على الأنبياء عليهم السلام، والتزكية لأخلاقهم، سيأتي ذكرها مفصلة عند الحديث عن كل نبيّ من الأنبياء عليهم السلام. وفيما يأتي ذكر نماذجَ من هذه الآيات الكريمة: يقول اللـه تعالى عن خاتم أنبيائه سيِّدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم : (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ {4/68}**) (القلم: 4).

ويقول جل شأنه: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللـهَ كَثِيراً**) (الأحزاب:21) وعن نوح عليه السلام قوله تعالى: (**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا {3/17}**) (الإسراء:3)

وقوله تعالى عن داود عليه السلام : (**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** {25/38}) (ص: 25).

وقوله تعالى يمدح سليمان عليه السلام : (**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** {30/38}) (ص: 30).

وهكذا يجد قاريء القرآن نفسم أما سيلٍ من الآيات ترفع شأنَ الأنبياء عليهم السلام، وتصف أخلاقهم وتذكر الخلق بعباداتهم ومجاهداتهم، وتبين قدرهمُ الجليلِ عند ربهم وثوابهم العظيم وحسن مآبهم في الآخرة، حتى أنّ القارئ والسامع للقرآن الكريم يجد أنه أمام مثل أعلى لأقوم الصفات، وأنبل الأخلاق. كما ويشعر أنه أمامَ نموذجٍ لرجالٍ بلغوا المنتهى في النصح لأقوامهم والصبر على أذاهم، وجعل اللهُ تعالى فيهم جميعَ الأخلاقِ الفاضلة والصفاتِ الفاضلة ظاهراً وباطناً.

وبناءً على ما تقدّمْ يؤمنُ المسلمون بأنّ النَّبيّ معصومٌ عن المعاصي، فلا يَخدع، ولا يَسرق، ولا يَحسد، ولا يزني، ولا يصنع الأصنامَ، ولا يشربُ الخمرَ، ولا يتكلمَ الكلام البذيء، وليست خاتمته سيئة، بخلاف أهل الكتاب الذين ثبت عندهم خلاف الصفات السابقة الذكر.

ولعلّ الحكمة من اتصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بصفات أعظم من صفات سائر البشر ترجع إلى:

1- تهيئةٍ إلهيةٍ للأنبياء عليهم السلام لتحمّل أعباءِ النبوة، في كل ما يمكن أنْ يواجههم من مصاعب.

2- ليكونوا قدوةً ومثالاً يُحتذى، على أنّ هذه القدوة تعدُّ أنموذجاً ومثالاً للأنبياء بين بعضهم أولاً، لقوله تعالى : (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**) (الأحقاف:35). وللمدعوين ثانياً لقوله تعالى: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**) (الممتحنة: 4).

وأما ما يستحيل على الأنبياء عليهم السلام: فأضداد هذه الصفات، فيستحيل أنْ يتصفوا بأي نقصٍ بشري يُخِلُّ بمقصود رسالتهم أو يؤدي إلى نفرةِ الناس عنهم([1]).

وقد جَمع البيجوري([2]) صاحب الجوهرة ذلك شعراً فقال:

وواجب في حقهم الأمانة	وصدقهم وضفْ له الفطانُة
ومثل ذا تبليغهم لما أتوا	ويستحيلُ ضدها كما رووا([3])

وجائزٌ في حقهم كل وصف بشري لا يؤدي إلى نقص مراتبهم العليا.([4])

1 . طه عفيفي،**الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم السلام،** ص 146،مرجع سابق .

2 . **البيجوري** هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد، شيخ الجامع الأزهر،من فقهاء الشافعية نسبة إلى بيجور من قرى المنوفية بمصر ، ولد ونشأ فيها وتعلم بالأزهر، وكتب حواشي كثيرة . تقلد مشيخة الأزهر واستمر إلى أنْ توفي في القاهرة سنة 1860 م ، أنظر: **الأعلام** للزركلي، ج1، ص 71 . مرجع سابق .

3 . البيجوري، إبراهيم بن محمد، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد،** ص 134، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 .

4 . **الصفات الواجبة والجائزة والمستحيلة في حق الرسل عليهم السلام،** ص 146 .مرجع سابق .

وأرى أنَّ الأوصافَ والطبائع البشريـة التـي جُبـل عليهـا الـبشرُ، جـائزةٌ في حـق الأنبيـاء علـيهم السـلام كالغضـب والخوف والحبِّ والحنان وغير ذلك. ويتضح للقارئ الكريم من هـذه الدراسة أنّ أكثر زلّات الأنبيـاء علـيهم السـلام من هـذا الباب، والـلـه أعلم.

والآن، وبعدما وَرَدَ في القرآن الكريم، من ثناءٍ وتزكية إلهية لأخلاق الأنبيـاء علـيهم السـلام، وبعـد مـا قـرّرَهُ علـماءُ الإسلام حول عصمة الأنبياء عليهم السلام، وبما تقرّرَ عند أهل الكتاب مـن صـفات الأنبيـاء علـيهم السـلام، وأنـه لا عصمةَ لهم من الذنوب على اختلافها، صغيرةً أم كبيرةً، سلوكيةً أمْ اعتقاديةً، نأتي على ما تضمنه العهـد القـديم مـن إساءات بحق الأنبياء عليهم السلام، عرضاً وتحليلاً ونقداً، حسب أسبقية زمان كل نبي مـن الأنبيـاء علـيهم السـلام. وهذا موضوع الكلام في الباب الثاني.

الباب الثاني

الأنبياء قبل يعقوب عليهم السَّلام

الفصل الأول: آدم عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل الثاني: نوح عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل الثالث: إبراهيم عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل الرابع: الذبيح عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل الخامس: لوط عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل السادس: أيوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

الفصل الأول: آدم عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- تمهيد

- مبحث: دعوى أنّ آدم عليه السلام لم يتُبْ من معصية الأكل من الشجرة.

تمهيد:

تُعَدُّ قضية أكل آدم عليه السلام وحواء من الشجرة وما ترتب عليها، من أخطر القضايا في الشرائع السماوية([1]). وتتمثل خطورة هذه القصة بما ترتب عليها في الفكر الديني المسيحي بالدرجة الأولى، حيث أنّ عقيدة المسيحيين مرتبطة بشكل وثيق بهذه القضية. ولذلك كان من الأهمية القصوى التحقيق في هذه المسألة والمقارنة بين حيثياتها ونتائجها في القرآن الكريم والعهد القديم.

مبحث: دعوى أنّ آدم عليه السلام لم يتب من معصية الأكل من الشجرة.

- المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

- المطلب الثاني: نقض الدعوى.

- المطلب الثالث: توبة آدم عليه السلام في القرآن الكريم.

المطلب الأول: دعوى أنّ آدم عليه السلام **لم يتب من معصية الأكل من الشجرة.**

يتفق أهل الكتاب على أنّ آدم لم يتب من معصيته؛ حيث أكل من الشجرة مخالفاً أمر الله تعالى. بل ويظهر أنّ الله أخرجه من الجنة، لئلا يتمادى في معصية أخرى، فيأكل من شجرة الحياة إلى الأبد! وفيما يأتي النص الذي حوى القصة كاملة:

([1]وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» [2]فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». [4]فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! [5]بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». [6]فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. [7]فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.8وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. [9]فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». [10]فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». [11]فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي

1 . د. محمد الخطيب، **الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية والإسلام**، بحث في جامعة قطر، ص 245 بتصرف.

أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» [12]فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». [13]فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». [14]فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. [15]وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». [16]وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». [17]وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. [18]وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. [19]بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» [20]وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. [21]وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.22وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». [23]فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. [24]فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.)(تك: 3 كاملاً).

التحليل:

يرى أحبار اليهود في التلمود أنّ اللـه تعالى لعن آدم بعد أكله من الشجرة. ويزعمون أنّ آدم رفض بعد ذلك أنْ يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلاً تعيساً، فأحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين. وورد أيضاً أنه كان يجامع شيطانة إسمها(ليليت)لمدة (130) سنة، وولدت له شياطين([1]).

ويزعمون أنّ حواء كانت لا تلد في المدة التي أعقبت لعن اللـه آدم إلا شياطين، وذلك بسبب نكاحها من ذكور الشياطين([2]).

أما علماء النصارى فيقولون إنه لا تعرف لآدم توبة. وقد نقل الشيخُ رحمت اللـه الهندي عن القسيس وليم اسمث في كتابه المسمى(طريق الأولياء) قوله:" يا أسفى على أنه لم تثبت توبته، وعلى أنه ما استغفر اللـه لذنبه مرة واحدة أيضاً.([3]) ويؤكد علماء أهل الكتاب أنَّ آدم عليه السلام أنكر مسؤوليته بالأكل من الشجرة، وألقى اللومَ على غيره([4]).

---

1 . **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص 41، مرجع سابق.

2 . **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص 41، مرجع سابق.

3 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1215. مرجع سابق.

4 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 15 .

العقوبة على الأكل من الشجرة:

تمثلت العقوبةُ الإلهية على معصية آدم وحواء بالأكل من الشجرة بعقوبات خاصة وعقوبات عامة. أمّا العقوبات الخاصة فوقعت على أطراف المعصية وهم الحية وحواء وآدم، وأمّا العقوبة العامّة فوقعت على النسل البشري كلّه . وقد تمثلت عقوبة الحية بأنْ صارت تأكل التراب وتسعى على بطنها، بعد أنْ كان لها قوائم. وعقوبة المرأة الولادة والحمل المترافق مع الأوجاع واشتياقها إلى زوجها. وأما الرجل فقد لُعنتْ الأرضُ بسببه وأنَّ حياته ستكون صعبةً، ويحصل على خبزه بتعبه وعرق جبينه. وأنه يعود إلى التراب.

أمّا العقوبةُ العامة فهي على النسل البشري، حيث يرون أنَّ خطيئةَ آدم وحواء قد بقيت في رقابهما، وتحملها معهما الجنس البشري آلاف السنين، حتى جاء المسيح فخلَّص البشرية من آثار هذه الخطيئة،عندما حمل اللعنة والقصاص، وصالح البشرية مع اللـه بعد أنْ كانوا أبناء الغضب([1]).

ويُجمع اللاهوتيون على أنّ آدم عليه السلام وزوجه حواء بأكلهما من الشجرة، ومخالفة الوصية الإلهية قد ارتكبا خطيئة مركبةً من عدة خطايا، حتى أوصلها البابا شنودة في كتابه (آدم وحواء) إلى اثنتين وعشرين خطيئة، يعلم من يقرؤها أنها كفر وليس مجرد خطيئات. وهذه الخطيئات هي:

1- خطية عصيان ومخالفة.
2- خطية شك وعدم محبة،أي الشك في صدق كلام اللـه والشك أيضاً في المحبة.
3- خطية انقياد، انقياد للشر ضد كلام اللـه.
4- خطية استهانة وعدم خوف من اللـه.
5- خطية ضعف إيمان، حواء قبلت كلام الحية أكثر من كلام اللـه.
6- خطية كبرياء، أرادا أنْ يصيرا مثل اللـه، وهي نفس سقطة الشيطان.
7- خطية طلب المعرفة من غير اللـه([2]).

وإلى هذا الرأي يذهب القس د. صموئيل يوسف ويقول: إنَّ بشاعة الخطية وكبرياء آدم ظهرتا لما أراد آدم أنْ يكون مثل اللـه.([3])

المطلب الثالث: نقض الدعوى:

ستكون بداية النقد بمناقشة شُرَّاح العهد القديم في موت آدم عليه السلام ؛ حيث يُلاحظ التناقض في عدم تحقُق الوعيد الإلهي لآدم وزوجه، بالموت عند الأكل من الشجرة. وقد جاء التحذير الإلهي لآدمَ عليه السلام قبل أنْ تُخلق حواءُ، وهذا نصُّه:

---

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص112.
2. القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**،ص 56، مرجع سابق .
3 . القس د. صموئيل يوسف، **المدخل الى العهد القديم**، مرجع سابق، ص 86 .

(وَأَوْصَى الرَّبُّ الإله آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، [17]وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»(تك:1: 16-17)

يقول القس نجيب جرجس: إنّ الإنسان بمجرد أكله من الشجرة قد مات موتاً روحياً من خلال:

1- انفصاله عن الـلـه.

2- وموتا أدبياً بفقدانه مركزه.

3- أنّ طبيعته أصبحت تحت حُكم الموت الجسدي.

4- أنه أصبح قابلاً للتعبِ والألم والأمراض.

الردُّ على شبهة الموت الروحي لآدم عليه السلام :

يمكن الرد على هـذا الشبهة بوجهين، **الأول:** عدم التسليم بالموت الروحي. وقد ذكر الشيخ رشيد رضا هــنا أنـه لا يصح أنْ يكون الموت هـنا مجازياً لتأكيده بالمصـدر مـع انتفـاء القرينـة([1]). وهـذه العبـارة التـي أكـد فيهـا المـوت بالمصدر موتاً:(لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ).

الثاني: ومع صحة وقوة كلام الشيخ رشيد رضا إلا أنه ينبغي مجاراة القوم، والرد عليهم مـن الواقـع بعـدم التسـليم بالموت الروحي لآدم،وذلك لما يأتي :

1- إذا كان المراد بالموت الروحي الإنفصال عن الـلـه تعالى وعن نعمه على آدم عليه السلام خاصـة، والـبشر عامـة فهذا غير صحيح وذلك لما يأتي:

1- أنّ الـلـه تعالى لم يترك آدم عليه السلام بعد معصيته، ومع أنّ الـلـه تعالى عاقبه أنزله مـن الجنـة، إلا أنَّ رحمـة الـلـه وألطافه به عليه السلام قد تتابعت من خلال قبوله تعالى لتوبته لقوله تعالى : (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّـهِ كَلِـمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) (البقرة: 37) .

2- كما أنّ الـلـه تعالى أكرمه بالنبوة بعد توبته-كما هـو الراجح عند جماهير العلماء– وأي مركز أعظم من النبوة ؟

3- أما الموت الجسدي فلم يكن آنياً كما زعم كاتب النص؛ حيث ثبت عكس مـا ادعـاه الكاتـب، فقـد كـان الإنـذار بموتهما يوم أكلهما من الشجرة، لكنهما أكلا ولم يموتا في ذلك اليوم، فظهر بطلان ذلك. ويؤكد بطـلان تلـك الـدعوى أنَّ الـلـه تعالى لم يرتب في القرآن الموت على الأكل من الشجرة.

مع التسليم للقس بصحة الموت الجسدي بمعنى التعب والشقاء، لكنْ مع تخطئة التعبير بالموت، فالأصـح أنْ يُقـال الشقاء، وهو ما ورد في القرآن الكريم : (**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِـنَ الْجَنَّـةِ فَتَشْـقَى {117/20} إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى {118/20} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {119/20}**) (طه:117-119) .

1 . محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج 8، 347. مرجع سابق.

هذا بالنسبة للشقاء، أما التعب والمرض والألم، فإنّ الـلـه تعالى قد كتب الأجر لمن تصيبه هــذه العـوارض ويصـبر، كما أنها سبب لمحو الذنوب عن الإنسان.

التكاليف الإلهية ليست كفارة عن خطيئة آدم عليه السلام :

يعلم المسلم من القرآن الكريم بأنّ أكل آدم وحواء من الشجرة، كان له أثرٌ في ترتيب التكليف على بني البشر. فلو لم يأكلا من الشجرة لبقوا وبقيت ذريتهم في الجنة، تتنعم وتأكل رغداً دونما عناءٍ أو شقاءٍ. ومع ذلك فإنّ مـا ترتـب على أكلهما من الشجرة من نزول إلى الأرض وحدوث التكليف له حِكَمٌ مقصـودةٌ ولـيس كتكفـيرٍ عـن خطيـة آدم . فالتكاليف الإلهية لبني البشر سبيلُ فلاحٍ لا كفارةَ نجاةٍ. فالمسلمُ يعمل ويطيع أمر ربّه ويـترك نهيـه لا ليُكفِّـرَ عـن خطيئةٍ قديمةٍ ملتصقة به بسبب خطية آدم - فمقرر في الإسلام أنّه لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى - وإنما ليُرضي ربه ويفوزَ بجنةٍ عرضُها السماوات والأرض.

ويعتقدُ المسلمُ اعتقاداً جازماً بأنّ الـلـه تعالى قد غفر لآدم عليه السلام وتـاب عليـه. ثـمّ الأمـر الجليـل أنّ الـلــه تعالى سيعيدُ آدمَ عليه السلام إلى الجنة التي يترجح عند المسـلمين أنهـا الجنـة التـي في السـماء، التـي وعـد الـلــه المؤمنين([1])، وعندها تكونُ الحياةُ الأبديةُ خالدين فيها أبداً. وهذه الجنةُ أفضل من الجنة التي أُهبط منهـا بحسـب شُرَّاح العهد القديم.

وهكذا يظهر أنّ آدم عليه السلام لم يمت موتاً روحيا بسبب أكله من الشجرة. فبطلت دعوى الموت الروحـي لآدم عليه السلام التي قال بها علماء أهل الكتاب، كما بَطل الوعيد بموته الجسـدي الفـوري يـوم أكلـه. وإذا كـان الـلــه تعالى لا يخلف الميعاد، ولم يتحقق الوعيد الإلهي بموت آدم عليه السلام وزوجه فقد ثبت أنّ ذلك ليس كلام الـلـه تعالى، وإنما هـو كلام البشر الذين حرفوا الكلم عن مواضعه. والـلـه تعالى أعلم.

ولعلَّ من غرائب شُرَّاح العهد القديم إدعاؤهم أنّ الـلـه تعالى قام وذبح ذبيحة، وألْبَسَ الإنسانَ جلـدَها، ليفهمـه أنه من خلال الذبيحة يتمُّ خلاصه؛ وأنَّ أقمصةَ الجلد كانت من عدة ذبائح وليس ذبيحة واحدة، مع ملاحظة ذكيـةٍ لاحتْ لأحدهم وهي أنّ الـلـه وآدم تقاسما الذبيحة، فالـلـه حصل على اللحـم كذبيحـة محرقـة، وآدم حصـل عـلى الجلد يلبسه"([2]).

---

1 . أنظر مثلاً: **تفسير الرازي**،ج 3، ص 4 .**و البحر المحيط**، ج 1، ص 308 . **والتحرير والتنوير** ج1، ص 334 .

2 .القس أنطونيوس فكري،**تفسير سفر التكوين**، ص 66-67، نسخة الكترونية، من موقع
http://www.smcfag.org/public/HTML/FrAntoniousBooks/PDF/OT/Genesis.pdf

ولا شك أنّ هـذا كلام ساقطٌ، وهو أقل من أنْ يُردَّ عليه لكن نترك للعقلاء أنْ يحكموا عليه!!

ولا يوجد ردَّ أكثر من أنّ هـذا الكلام تفسير وتأكيـد للصـورة السـيئة التـي لا يـقصر اليهـود والنصـارى في إلصـاقها بالأنبياء عليهم السلام.

ومن الفساد الذي عند كتبة العهد القديم دعوى أنّ آدمَ عليه السلام لمْ يعترفْ بخطيئته، وأنَّـه ألقـى اللـومَ عـلى حواء، وأنه لم يتب إلى آخر حياته. وقد نَقل الشيخُ رحمت الـلـه الهندي عن القسيس وليم اسمث قولَه: "يا أسـفى على أنه لم تثبت توبته، وعلى أنّه ما استغفر الـلـهَ لذنبه مرةً واحـدةً أيضـاً.([1]) ويؤكـد علـماء أهـل الكتـاب أنّ آدم عليه السلام أنكر مسؤوليته بالأكل من الشجرة وألقى اللوم على غيره([2]).

ويرى علماءُ أهل الكتابِ أنَّ الخطيئات التي عملها آدمُ وزوجه حواء، قد بقيتْ في رقابهما وتحملها معهم الجـنس البشري آلاف السنين، حتى جاء المسيحُ فخلَّص البشريةَ من آثـار هــذه الخطيئـة، عنـدما حمـل اللعنـة والقصـاص، وصالح البشرية مع الـلـه بعد أن كانوا أبناء الغضب([3]).

أثر الدعوى على النصارى:

لعلَّ أخطر ما في قضية الأكل من الشجرة، هـو ما ترتّبَ عليها من عقيدةٍ فاسدة عند أهل الكتاب؛ حيـث يقولـون إنّ آدم الأول كان نائباً عن البشرية، وقد سقطت البشرية بسقوطه، وبيسوع نهضت البشرية وقامت([4]).

ويزعمون أنه لم يكن من طريق لتخليص البشرية مما علق بهم من خطيئة أبيهم آدم إلاَّ أنْ ُينزل الـلـهُ ابنه الوحيد – تعالى الـلـه عما يقولون علواً كبيراً - ليموت على الصليب، وبهذا تتخلص البشرية مـن الخطيئـة عـلى يـدِ المسـيح الذي افتداها بنفسه. وهذا هـو جوهر العقيدة النصرانية.

ومن هـنا تظهر خطورة قضية الأكل من الشجرة أي بناءً على ما ترتب عليها من عقائد فاسدة عند أهل الكتـاب. ولذلك ركّز القرآنُ الكريم على هـذه القضية، ولم يتركْها لمزاعم الكاذبين، بل أظهر الحقّ كالشمس واضحاً لكل مريدٍ وباحث بإنصاف عنه، والـلـه الهادي إلى سواء السبيل.

الرَّد:

لعلّ دعوى عدم توبة آدم عليه السلام عند أهل الكتاب جاءت لتتوافق مـع الـدعاوى التـي نسـبت للعديـد مـن الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم والتي يظهر فيها سوء خاتمتهم. وهي دعوة مردودةٌ عقلاً ونقلاً.

فأمّا عقلاً فإنّ النصارى يرون أنّ المسيح عليه السلام افتدى البشريةَ من خطيئة أبـيهم آدم عليـه السـلام ومـمّا جنته أيديهم. فهل يُعقل أنَّ المسيح المخلِّص يخلـصُ البشريـة كلهـا مـن خطيئـة آدم، ولا يخلـص آدمَ نفسـه مـن

---

1 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1215. مرجع سابق.

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 15 .

3 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص112.

4 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 113 .

الخطية ؟ أمْ يتبِ اللـه على آدمَ عليه السلام بعد الخلاص؟ فإنّ آدمَ عليه السلام أولى بذلك الخلاص وتلك الرحمة من كلِّ البشر، لأنه أوَّل مخطئ !! وبحسب عقيدة النصارى يجب عليهم أنْ يسلِّموا بهذا.

فإذا أصروا على رأيهم في حق آدم عليه السلام ، فإنهم يقعون في شرك آخر أعظم هو اتهام ضمنيٌ شنيعٌ بحق المسيح عليه السلام ؛ حيث العقوق لأبيه الأقدم من جهة الأم، وأبو البشرية من جهة الأم والأب. فهذه خطية عظيمة في حق المسيح لازمة للنصارى ما دام أنهم يقولون أنّ اللـه لم يتب على آدم عليه السلام .

ويَحِقُّ هنا التساؤل أنه إذا كانت البشريةُ قد ورِثت الخطيئة من آدم عليه السلام فلماذا لم يكن الإنسان يتعرى وتنكشف عورته لمّا كان يقع في خطيئة قبل تخليص المسيح للبشرية من الخطيئة؟

وهذه العقيدة الفاسدة عند النصارى إنما تأسست على القصة المحرفة التي طرأت على التوراة التي أوحاها اللـه تعالى لموسى عليه السلام ،والتي لا تشير إلى توبة اللـه تعالى على آدم عليه السلام وحواء بعد أكلهما من الشجرة.

وأما نقلاً فإنَّ آيات القرآن الكريم قد نصت مراراً على توبة آدم وزوجه، واعترافهما أنهما ظلما نفسيهما، وأظهرت الآياتُ أنّ اللـه تعالى قد تاب على آدم عليه السلام لقوله جل شأنه: (**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** {23/7}) (الأعراف: 23) وقوله تعالى: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) (البقرة: 37).

ومن آثار هذه الدعوى أيضا استمرارُ التحسر والدعوى إلى آدمَ عليه السلام وحواءَ. والناظرُ في كتب أهل الكتاب يلاحظ ذلك. ويتحسَّرُ القس إلياس مقَّار على موقف حوّاءَ خاصة فيقول:" ألا ليتها مَدّتْ بصرَها حينئذٍ عبرَ القرون ورأتِ الأجيالَ الغارقة في الدّم والعار والتعاسة والشقاء. ألَا ليتها فعلتْ هذا إذنْ لارتدتْ مصعوقةً عن قطف الثمر، لكنها لم تفعل فأكلتْ وسقطت وعوقبت، وكان عقابها أشدّ من عقاب آدم عليه السلام لا لأنها أسبق في التعدي فحسب، بل لأنها قادته إليه.([1])

الردّ: يمكن الردُّ على هذه المزاعم من العهد القديم ذاته، حيث يظهر أنَّ حواء إنما أكلت من الشجرة بعد أنْ رأت جمالها وحسن منظرها، لا طلباً للمعرفة الإلهية. وهذا النصّ يشهدُ لذلك: ([6]فَرَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ.)(تكوين: 3: 6).

وأمّا دعوى أنَّ آدمَ عليه السلام أرادَ أنْ يكون مثل اللـه، وأنْ يخلد فلا يموت، فهي دعوى مردودةٌ من العهد القديم ذاته؛ حيث سبق أنّ اللـه أبلغ آدمَ أنه سيموتُ ويرجع إلى الأرض التي أُخذ منها، **فكيف يمكن لآدم عليه السلام بعد معرفته بأنه سيموت أنْ يرغب في يكون كالإله تعالى من حيث عدم الموت!!**

1 . مقار، الياس مقار، **نساء الكتاب المقدس**، ص19، دار الثقافة ، ط 2، القاهرة .

علماً بأنّ الذي قاله علماء الكتاب المقدس هـو أحد أسباب كفرهم؛ حيث اتهام نبي اللـه آدم عليه السلام برغبتـه في أنْ يكون مثل اللـه تعالى. وهذه تهمٌ باطلةٌ فكبُرتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلاّ كذبا، والعياذ باللـه مما نسبوا لنبي اللـه آدم عليه وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام أكملُ الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: توبة آدم عليه السلام في القرآن الكريم

يؤكد القرآنُ الكريم توبةَ آدم عليه السلام وحواء من معصيتهما المتمثلة في الأكل من الشـجرة، في تخطئـةٍ جليـة للعهد القديم. وقد ذُكرتْ توبة آدم عليه السلام وحواء وندمهما في مواضع عديدة في القرآن الكريم، يقـول تعـالى: (**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (الأعراف: 23).

وقد ورد في القرآن الكريم قبول اللـه تعالى لتوبة آدمَ عليه السلام ،بل ويظهرُ تكريم اللـه إياه بعد توبته بالنبوة. يقول جل شأنه مثبتاً توبة آدم عليه السلام :

(**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَـا مِـنَ الْظَّـالِمِينَ** {35/2} **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَـدُوٌّ وَلَكُـمْ فِي الأَرْضِ مُسْـتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** {36/2} **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّـوَّابُ الـرَّحِيمُ** {37/2} **قُلْنَـا اهْبِطُـواْ مِنْهَـا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** {38/2}) (البقرة: 35-38).

ويقول جلَّ شأنه: (**فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّـةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّـهُ فَغَـوَى** {121/20} **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** {122/20} **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَـأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**)(طه: 116 – 123).

وأكله من الشجرة: عليه السلام التوفيق بين عصمة آدم

لا بدّ بداية من تبيان أنّ آدم عليه السلام وحده هـو المقصود في هـذا المسألة، فلم يناقش العلماء مسألة أكل حواء من الشجرة بالرغم من أنها وقعت في المعصية وعوتبت وعوقبت، لكنها ليست نبية فهي ليست محل بحث، وإنمـا البحث في صدور الذنب من آدم عليه السلام – بناءً على القول بعصمة الأنبياء عليهم السلام - وآدم عليـه السـلام أولهم.

كما أنه مقررٌ في القرآن الكريم في عدة مواضع صدور الذنب من آدم عليه السلام بدليل العتاب الإلهي لـه بعـد المعصية بقوله تعالى: (**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ**) (الأعـراف: 22) وقولـه: (**وَعَصَى آدَمُ رَبَّـهُ فَغَـوَى**) (طـه 121) وبدليل الاعتراف (**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**) (الأعراف:23) ودليل طلبهما التوبة وتوبة اللـه تعالى المتحققة له فتـاب عليه. وقد أجاب العلماء بأجوبة عن هـذا الذنب أشهرها :

1- أنّ آدم عليه السلام إنما أكل ناسياً مستدلين بقوله تعالى: (**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا {115/20}**) (طه: 115) وهو قول طائفة من المتكلمين([1]) .

2- أنه أكل بعد أنْ كان عقلُه غائباً بسبب السُكْر([2]).

3- أنه أكل من جنس الشجرة لا من الشجرة عينها.

4- أنّ أكله كان قبل النبوة. والعصمة إنما هـي بعد النبوة([3]).

والقولُ الأخير هـو الراجح، والـلـه أعلم، لأنه المتوافق مع الآيـات القرآنيـة، ومـع القواعـد المعتـبرة في بـاب عصـمة الأنبياء عليهم السلام؛ حيث إنَّ أكل آدم عليه السلام من الشجرة هـو من الذنوب غير المشعرة بخسة وغير المنفرة. وقد أجاز جمهور العلماء صدور مثل هـذا من الأنبياء عليهم السلام، وقد صدرت من آدم عليه السلام قبل النبوة.

ودليل الرجحان قوله تعالى: (**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَـوَى {121/20} ثُـمَّ اجْتَبَـاهُ رَبُّـهُ فَتَـابَ عَلَيْـهِ وَهَـدَى {122/20}**) (طه:121- 122). والاجتباء هـنا النّبوة.

فواضح أنّ الأكل كان قبل النبوة، حتى أنّ بعض العلماء نقل الإجماع عـلى هــذا([4])، وهـو الأولى بالصـواب، والـلــه تعالى أعلم وأحكم .

قال الإمام الرازي رحمه الـلـه: فدلّ هـذا على أنّ الاجتباء إنما حصل بعد واقعة الذنب، ولما دلـت الـدلائل عـلى أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يصدر عنهم الذنب حال كونهم أنبياء لم يبـق هــهنا وجـه في التوفيـق إلا أنْ تحمـل هــذه الواقعة على ما قبل النبوة([5]).

قلت: ولو أكل آدم ناسياً ما عاتبه ربه وعاقبه وما أخرجه من الجنة بسبب النسـيان، فالـلــه تعـالى أكـرم مـن أنْ يؤاخذ بالنسيان، ولكنّ معصيته أمر ربه سميت نسياناً. فلم يكن له عزم ولا قوة على حفظ ما عهد الـلـه إليه. وقد فسر العزم بالصبر أو بحفظ العهد([6]).

وقد ذهب ابن العربي إلى أنّ آدم عليه السلام أكل من الشجرة متعمداً ناسياً في آن معاً، للخروج من نسبة الذنوب للأنبياء عمداً([7]). إذ كيف يرضى الـلـه لأول أنبيائه أنْ يقع بحبال أم الخبائث، وهذا على فرض وجود الخمر.

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج3، ص 11 . مرجع سابق .

2 . الطبري، **تفسير الطبري**، ج1، ص 566، مرجع سابق.

3. الإيجي، **كتاب المواقف**، ص 419.مرجع سابق .وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني، ج3، ص 313.

4 . ابن خمير، **علي بن أحمد، تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، 2003، تحقيق د. أحمد بن عبد الجليل الزبيبي، دار ابـن حزم، ط1، بيروت، ص 100،

5. الرازي، **الأربعين في أصول الدين**، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ج 2، ص 130،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .

6 . الطبري، تفسير الطبري، ج 16، ص 184. مرجع سابق.

7 . ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج 3، ص 259.مرجع سابق.

تعليق:

تقدم إيراد القول بأنّ آدم عليه السلام أكل من الشجرة تحت تأثير الخمر. وأرى أنّ هذه الدعوى في غاية الفساد، كما أنها قد تكونُ أشنع من الأكل من الشجرة التي نهي عنها بكثير؛ مع أنّ الحقّ خلاف ذلكح فالنبيُ لا يشرب الخمر، واللـه تعالى قال له ولزوجه: (**وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً**)(البقرة : 35). ومعلوم أنّ الخمر ليس رغداً، وإنما هو خُبْثٌ وشرٌّ. هذا على رأي الجمهور القائل بأنها الجنة التي وعد اللـه المؤمنين في السماء. وحتى لو كانت جنة أرضية فإنَّه من المستبعد أنْ يشتغل آدم عليه السلام وحواء بصنع طعام أو شرابٍ فربما يلحقهما تعبٌ من ذلك، واللـه تعالى إنما أمرهم بالأكل من الجنة رغداً، فبَطُل بذلك القول السابق، واللـه تعالى أعلم بالصواب.

كما أنّ هذه الدعوى أفسد وأقبح من دعاوى أهل الكتاب، في نسبة شرب الخمر والتعري لنوح عليه السلام ، لأنّ نِعم اللـه على آدم عليه السلام أعظم من نعمه على نوح عليه السلام . وحيثما كانت النعمة أعظم فإنّ المعصية من المنعَم عليه أفحش.

وقد ذكر ابن العربي هنا أنّ دعوى شرب آدم الخمر عليه السلام فاسدة نقلاً وعقلاً، فأما النقل فلأنّ هذا لم يصحّ بحال واللـه وصف الجنة فقال: (لا غول فيها). وأما العقل فلأنّ الأنبياء عليهم السلام بعد النبوة مُنزّهون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم([1]). ولعلّ ابن العربي رحمه اللـه قد وهم، فمن المعلوم أنّ أكل آدم إنما كان قبل النبوة.

وجملة القول إنّ آدمَ عليه السلام لمْ يكن ناسياً أو متأولاً أو مخموراً، بل قد أكل عن علم، إلا أنها زلة وقع فيها هو وزوجه، ثم اعترفا وتابا إلى اللـه تعالى،فتاب اللـه على آدم عليه السلام وأكرمه بعد ذلك بالنبوة لقوله تعالى: (**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {121/20} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {122/20}**) (طه:121-122) أي فاجتباه نبياً.
وبالمقارنة بما عند أهل الكتاب فإنهم يرون أنّ آدم عليه السلام وقع في الخطيئة ومات ولا يُعلم له توبة([2]) .

---

1 . ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج 1، ص 31 .مرجع سابق.
2 . الهندي، رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1215، مرجع سابق.

الفصل الثاني: نوح عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد: الطوفان ودعوى الأسطورة عند بعض النقاد
- مبحث: دعوى أنّ نوحاً عليه السلام شرب الخمر حتى سكِر وتعرّى في العهد القديم
- المطلب الاول: عرض الدعوى وتحليلها
- المطلب الثاني: نقض الدعوى
- المطلب الثالث: نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

تمهيد: الطوفان ودعوى الأسطورة عند بعض النقاد:

تُعدُّ حادثة الطْوفان من أبرز الأحداث التي حدثت في عهد نبي اللـه نوح عليه السلام ، ، وقـد وردت في القـرآن الكريم والعهد القديم معاً. إلا أنّ الملاحظ أنّ الطوفان يُعدّ مادة خصبة للعديد من النقـاد، الـذين أرجعـوا حادثـة الطوفان إلى الأساطير، وذلك لوجود آثار لكتابـات قديمـة تُظهـر وجـودَ هــذه الحادثـة عنـد البـابليين أو الفـرس أو الهنود. وقد اشتهر ذلك عن صاحب كتاب قصة الحضارة المؤرخ ول ديورانت؛ حيث ذكر أنه لا يكاد يوجد في الأمـم القديمة أمّة لم تعرفْ قصة الطوفان، وقلّما وُجِد جبلٌ في آسيا لم يرسُ عليه راكب السفينة الذي قُدِّرَ له أنْ ينجوَ من الطوفان. وقد زعم ديورانت أنّ ذلك الانتشار يرجع إلى أنّ قصة الطوفان تعـدّ وسـيلةً شـعبيةً للتعبـير عـن الحيـاة البشرية التي تعرضت لأخطار الفيضانات من حين لآخر أي لطغيان الأنهار العظيمة،التي كان ماؤهـا سـبباً في قيـام تلك الحضارات العظيمة([1]).

وأرى أنّ بعض النقاد انجرفوا وراء الملحدين الذين يكـذّبون بالعهـد القـديم وبكثـير مـن قصـص القـرآن الكـريم. والباحث لا يشك في أنَّ بعض قصص العهد القديم اختلط فيها الوحي الإلهي ببعض الأساطير، إلا أنّ هـذا لا يعطـي مبرراً لإنكار الطوفان من أصله، أو إنكار سببه أو نهايته، وأنّ السفينة رستْ على أحدِ الجبال، كما يشـكّك ديورانـت وغيرُه. فإنَّ إنكار ذلك من الكفر. ومن اللازم القول أنَّ كتبَ الأساطير تحدثت باستهزاء عن أنَّ الغضب الإلهـي هــو سبب الطوفان.

ومن الممكن إرجاعُ انتشار قصة الطوفان عند كثيرٍ من الأمم إلى أنّ نوحاً عليه السـلام ومـن نجـا في السـفينة معـه حدّثوا أبناءهم بها، وأبناؤهم حدثوا من بعدهم، وهكذا انتقلت من جيلٍ إلى جيل، وأمةٍ لأخرى حتى استقرت بعد قرون عند مختلف الأمم. ومن الممكن أنَّ اللـه تعـالى أوحـى بهـا إلى الأنبيـاء علـيهم السـلام السـابقين في مشـارق الأرض ومغاربها، فقصّها الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم، وهكذا تناقلتها الأمم جيلاً بعد جيل. ولعلَّ هـذا دليـلٌ على صدق الكتب السماوية والأنبياء عليهم السلام الذين حدثوا بهذه القصة. لكنْ مع ضـياع الكتـب الإلهيـة التـي نزلت على الأنبياء عليهم السلام قبل سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم ، وما طـرأ عـلى الأمـم مـن كفـر وعبـادة أوثان، فقد أدى ذلك لحصول زيادة ونقصان على القصة الصحيحة، واللـه أعلم.

---

1 . **ديورانت**، ول وايريل، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، جامعة الـدول العربيـة، تـونس، ط 1988، ج 2، ص 369 بتصرف يسير .وانظر: **أساطير التوراة الكبرى**، د كارم محمود عزيز، دار النافذة ط1، 2006، الجيزة، ص 227.

- مبحث: دعوى أنّ نوحاً عليه السلام شرب الخمر حتى سكِر وتعرّى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

فيما يأتي نصُّ الدعوى:

(20 وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْماً. [21]وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. [22]فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجاً. [23]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. [24]فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، [25]فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ».[26]وَقَالَ:«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ.وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُمْ. [27]لِيَفْتَحِ اللـهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ،وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ)(تك:9: 20 -27).

تحليل الدعوى:

من الواضح أنّ النصَّ السابق قد حوى إساءاتٍ لنبيّ اللـه نوح عليه السلام ، كشرب الخمر والتعري. وقبل التحليل والنقد لا بدّ من معرفة رأي علماء أهل الكتاب في هـذه الدعوى.

والبداية مع الكتاب الذي يعدّ مرجعاً لأهل الكتاب في تفسير العهد القديم وشرحه، وهو (السَنن القويم) حيث يرجّح مؤلفه أنّ كنعان([1]) هـو ابن حام الأصغر، والعبرانيون يطلقون اسم الابن على الحفيد، وقيل رأى كنعان عورةَ جده فأخبر أباه حاماً. ويضيف إنّ هـذه اللعنة جعلت نسلَ حامٍ منحطِّين عن كلِّ الأنْسال، ولا دليلَ على أنّ هـذه اللعنة أبدية([2]).

ويرى أنّ الحثيين من نسل كنعان قد انحطوا في الوثنيات، فكانت لعنتهم الشرك كما كانت بركة سام التوحيد([3])

ويُعلِّق القسُّ جرجس على الحادثة بقوله:" إنه لمن المؤسف أنّ رجلا قديساً مثل نوح، شهدَ اللـهُ ببرّه وسبق وأعلن له مقاصده، ونجّاه من الطُوفان الذي أغرق العالم، يقعُ تحت سلطان الخمر، فيفقد وعيَهُ ويتعرّى من ملابسه حتى يصبح هـزءاً لأقرب الناس إليه".ويضيف هـذا القسّ:" ولكنْ هـذا حال الخطية، تُجرّب حتى الصدّيقين ومن خضعوا لها وسقطوا فيها، أفقدتهم حسّهم الرّوحي،وجرّدتهم من ثياب البرِّ، وأظهرتْهُم أمام الملأ عرايا مجردين من الوقارِ وغير أهل للاحترام، وجعلتهم هـزءاً وعارًا أمام القريبين والبعيدين، وهكـذا حالُ الخمر أيضاً يَترنَّح بها الجُهّال ويجلبون على أنفسهم البلايا والويلات".([4])

---

1 . **كَنْعَانَ**: ابن حام الرابع وحفيد نوح، وهو جد القبائل التي قطنت أراضي غربي الأردن المسماة كنعان.

أَرْضِ كَنْعَانَ: هـي الأرض التي سكنتها ذرية كنعان وقد استولى عليها العبرانيون فيما بعد (وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب.. والأرض المقدسة وأرض الموعد وأرض العبرانيين نسبة الى عابر أحد أجداد إبراهيم. أما اسم فلسطين فقد كان يطلق في الأصل على الساحل الذي كان يقطنه الفلسطينيون، إلا أنه يقصد به الآن ما كان يقصد بأرض كنعان. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 789- 790 .

2 . **السنن القويم**، ج 1، ص 91 .مرجع سابق.

3 . **السنن القويم**، ج 1، ص 91.مرجع سابق.

4 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 163 – 164. وقد قصدتُ إيراد كلام هـذا الواعظ المسيحي بتمامه لغاية التمحيص والنقد.

وبالمقابل تجدُ مفسراً آخر يقر بخطيئة نوح عليه السلام في شرب الخمر والتعري، لكنه يعتذر لنوح عليه السلام بأنه لم يكن على علم بأنّ الخمر تُسكر حتى شربها وصار أول السِّكِّيرين في العار([1]).

ويقول:" بالرغم من أنّ نوحاً عليه السلام كان باراً وكاملا في أجياله، إلا أنه كمال نسبي، فلنوح عليه السلام سقطات، وأنّ الخمر قد عرّت هذا القديس الذي لم تَظُلْه مياهُ الطوفان، وظل مستترا أكثر من ستمائة عام([2]). وقد كان لأولاد نوحٍ عليه السلام الثلاثة موقفين: الأول تمثل في حام الذي رأى عورة أبيه في أثناء سكره، فخرج وأخبر أخويه. وسام ويافث اللذان بادرا لسترِ عورة أبيهما من دون أنْ يَرَياها، وهذا هو الموقف الثاني.

ويرى بعض المفسرين أنّ حاماً عند رؤيته أبيه نوح عليه السلام عارياً متأثراً بسكره، خرج وأخبر أخويه، وبدل أنْ يغطي أباه ويستر عورته، مضى إلى أخويه وأخبرهما بما رأى تهكما بأبيه. بينما تصرف سام ويافث تصرفاً لائقاً، لأنهما أكرما أباهما، ولم يشهِّرا به كما فعل حام([3]). وبعد أنْ استفاق نوح عليه السلام من سكره وعلم بما حصل، لعن كنعان ودعا عليه بأنْ يكون عبد العبيد لإخوته. ويرى بعض شُرَّاح أهل الكتاب أنَّ كنعان كان مع أبيه حام ورأى عورة جده، ويبدو أنه كان أكثر الجمع تهكما وتشهيرًا به([4]).

ويؤمن أهل الكتاب بأنّ البركةَ قد تسلسلت من نوح عليه السلام لسام ثم لعابر، وغالباً كان عابر هو الرجل الصالح البارُّ في عصره ونقل بره لأولاده، كما تسلسلت اللعنة من كنعان لأسرته([5]).

كما يرون أنّ منْ سام خرج القديسون أي الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وظهر منه الشعب الذي اختاره الله قديماً وموسى نفسه وباقي الأنبياء عليهم السلام كما ولد منه المسيح([6]) .فتكون البركة جزاء بالإحسان لسام على ستره أبيه وكذلك يافث، أما اللعنة فكانت لحام وابنه كنعان والذرية جميعاً.

ويرى القس أنطونيوس فكري أنّ نبوءة نوحٍ قد تحققت في أنّ الكنعانيين كانوا في حالة من النجاسة والانحراف، في مزجهم سفك الدماء بالفجور إكراماً لآلهتهم، إضافةً إلى أنهم لم يَسَدْ بينهم شيءٌ من الفضائل، فهم نزلوا إلى أدنى صور العبيد، وصاروا ملعونين بوثنيتهم([7]).

وبالرغم من الإساءة الواردة بحق نوحٍ عليه السلام إلا أنَّ العهد القديم يمتدح نوحاً واستقامته، فيقول: (وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ)(تك: 6 : 8)، وكذلك هذه العبارة: (كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ)(تك:6:9).

1 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، مرجع سابق، ج1، 90 .
2 . القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 102 .
3 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 163 .
4 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 165 .
5. باتريشيام، **التدبير الإلهي ومفهوم الأرض المقدسة في العهد القديم والجديد**.ص25 من موقع: .www Coptic-apologetics. com
6 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 164.
7 . القس أنطونيوس فكري ،**تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 103

والمراد أنّ نوحاً عليه السلام طوال عمره وبين معاصريه، وبالرغم من أنه عاشر أجيالاً معظمها من الأشرار، إلا أنّه حافظ على برّه وكماله. وسبب هـذه المحافظة حسب الواعظ جرجس" أنَّ أولاد الـلـه يحفظون أنفسَهم مـن شرور العالم، ويتباعدون عن أدناسه ليكونوا شهوداً صادقين في أيٍّ وسط يعيشون فيه([1])

وأمّا سبب إيراد هـذه الخطيئة وغيرها من خطيئات الأنبياء عليهم السلام في الكتاب المقـدس، فهـي لبيـان نزاهـة الكتاب المقدس، حيث يذكر جميع الأحداث التاريخية كما وقعتْ، ويروي ما تعرَّض له حتـى الأبـرار مـن الأخطـاء، ليبيّن كيف يتعرّضُ الناس للسقوط ليكونوا عبرةً للأجيال([2]). كما أنّ التأثير السـيئ لأخطـاء الرجـال الأتقيـاء الأنبيـاء عليهم السلام يمتد إلى عائلاتهم([3]). فخطايا الأنبياء عليهم السلام تُعدُّ عبرةً وعظةً للنـاس حتـى لا يخطئـوا ويكـرروا الخطيئة، طبقاً لعلماء أهل الكتاب.

المطلب الثالث: نقض الدعوى:

يلاحظ ورود المدح الإلهي لنوح في كل من القرآن الكريم والعهد القديم. وهذا هـو الحقّ الذي يتناسـب مـع مقـام الأنبياء عليهم السلام الذين اصطفاهم الـلـه تعالى لحمل الأمانة، فصفاتهم لا بد أنْ تكون أعظم الصـفات وأكرمهـا، ليحصل بها التأثير في النفوس وتقام بها الحجة على الخلق.

ونوحٌ عليه السلام هـو أحد خمسة من أولي العزم من الرسل الأكثر مجاهدة والأعظم صبراً. وبناءً عـلى ذلـك فإنـه من البدهي أنْ تكون هـذه الحادثة مقطوعاً بكذبها في اعتقاد كل مسلم يُوقنُ بعصمة الأنبياء علـيهم السـلام مـن الكبائر، وخاصة إذا تعلقت بأمور مشينة في عرف البشر كزوال العقل أو التعري. ومـن البـدهي أنْ يقـال إنَّ هــذه القصة لم ترد في القرآن الكريم.

هذا وتحمل الدعوى لنبي الـلـه نوح تناقضاً ومخالفة للعقل والخلق القويم، سيتضح للقـارئ الكـريم خـلال النقـد الآتي:

أولا: التناقض الواضح في العهد القديم ذاته، وفي أقوال شُرَّاحه:

ظهر هـذا التناقض في هـذه القصة في أمرين اثنين:

التناقض الأول: في صفات نوح عليه السلام ، حيث التحول الكبـير والمفـاجئ مـن رجـل كـان بـارّاً وكـاملاً سـبقت الإشادة بهذا البرّ والكمال وكان كاملاً، وأنه سار مع الـلـه تعالى، إلى رجل سكّيرٍ لدرجة الثمالة والعري. فهـل يصـدِّق عاقلٌ أنْ يحدث هـذا مع هـذا النَّبيّ البارِّ الكامل؟

ولا بدّ هـنا من التساؤل هـل الرجل البارُّ المستقيم على الطريق الإلهي يشرب الخمر؟

لا شك أنّ الإجابة تكون بالنفي في حق آحاد المؤمنين. أمّا الأنبياء عليهم السلام الذين هـم أرفع درجة ومعصـومون بعصمة الـلـه تعالى لهم فمحالٌ أنْ يفعلوا مثل هـذه الأفعال؟

1 .جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 138 .

2 . القس نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 163 .

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، مرجع سابق، ص 29 .

وكما ظهر هـذا التناقض العجيب في العهد القديم، فقد ظهر أيضـاً في أقـوال علـماء وشُرَّاحُ العهـد القـديم الـذين ذهبوا إلى أنّ الشبه بين اللـه تعالى والإنسان يكون في أحـد أشـكاله بقـدرة الإنسـان عـلى ملازمـة القداسـة . فـأين ملازمة نوح لهذه القداسة إذا كان قد شرب الخمر فسكر وتعرى؟ بل أين ملازمة جميع الأنبياء عليهم السلام لهـذه القداسة بحسب العهد القديم؟

لقد حدث تباعدٌ كبيرٌ وخصام قوي بين هـذه القداسة وبين الأنبياء عليهم السلام، خاصة في ختـام حيـاتهم بحسـب العهد القديم، وخاصة عظيمهم موسى عليه السلام الذي جعلوه خائناً أمانة الوحي.

تساؤل:

قد يسأل سائلٌ هـل يوجد ما يمنع أنْ تكون الخمر جائزة في شريعة نوح عليه السلام ، وأنّ نوحاً عليه السـلام قـد شربها بناءً على ذلك الجواز؟ فالجواب بما يأتي:

أولاً: أنه لو كان الخمرُ جائزاً في شريعة نوح عليه السلام ، فإنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يفعلونـه، لأنـه مـن الأمـور الدنيئة التي لا تتناسب مع المقام الرفيع للنبوة([1]).

ثانيا: على فرضِ أنّ شربَ الخمر كان جائزاً، فإنّ النَّبيّ لا يشرب إلاَّ شيئاً يسيراً لا يوصل إلى السُكر وفقدان العقل ثم التعري؛ الأمر الذي يتنافى مع كريم خلق النَّبيّ وستره نفسه.

ثالثاً: لا يمكن أنْ تكون جائزة لأنَّ العقل يذهب بها، وهذا يعني تعطيل العقل عن التلقي.

إحصائية لكلمة الخمر:

ذكر د. محمد موسى باباعمي([2]) أنّ كلمة الخمر ذُكرت سبع مرات في القرآن الكـريم، بيـنما ذُكـرت مائـة وتسـعة وستين مرة في العهد القديم، ولم ترد كلمة عريان في القرآن الكريم، ووردت تسعة عشر مـرة في العهـد القـديم، ولم ترد كلمة سكران في القرآن الكريم، بينما وردت كلمة سكران ثماني مرات في العهد القديم.

ويعلّق المؤلف على هـذه الأرقام فيقول:"يظهر الفارق جلياً في حـرص القـرآن الكـريم عـلى حفـظ العقـل، وعـلى حمايته ممَّا يُشينه ويضرُّ به من خمرٍ وسكرٍ وعريٍّ، بل إنَّ لفظ الخمر في القرآن جاء للنهي عنـه أو لتمنـي الـنفس به يوم القيامة وليس لوصف من شربه. بل قد جاء وصف الربّ في مـزامير داود بأنـه بشـارب الخمـر:([65]فَاسْـتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ)(مزمور: 78:65).

كما يقال إنّ هـذه القصةَ نسبتْ التعري وانكشاف العورة لنبي اللـه تعالى نوح عليه السلام. وانكشافُ العورة أمرٌ قبيحٌ فطرةً وشرعاً، فلا تصحُّ نسبته للنّبيِّ المعصوم([3]).

---

1 . د. عبد الشكور العروسي، **بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء**،سابق، ص 450.

2 . باباعمي د. محمد موسى، **مطارحة معرفية مع بابـا الفاتيكـان بنـديكيت السـادس عشر**، معهـد المنـاهج وثريـا للـنشر والتوزيـع، الجزائر، بدون. ص 27 – 28.

3 . العروسي، د.عبد الشكور العروسي، **بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء**، ص 450، مرجع سابق .

ولا شك أنَّ دعوى تعري نوح عليه السلام وانكشاف عورته بالحالة المزرية التي وردت في العهد القديم مرفـوض، إذ لا يصح شرعاً أنْ تنكشف العورة المغلظة لنبي من الأنبياء عليهم السلام. وبناءً عـلى هــذه العصـمة فقـد أُغشِيَ على خاتم النَّبيّين سيدنا محمَّد عليه الصلاة والسلام، لمّا كادت عورتـه أنْ تنكشـف قبـل النبـوة عنـدما كـان يحمـل الحجارة في قصة بناء الكعبة المشرفة.

التناقض الثاني: لعنة نوح عليه السلام تناقض البركة الإلهية (برهان وضع الحادثة)

هـذا هـو التناقض الثاني مع نصوص العهد القديم الذي حملته هـذه القصة، والـذي لم يَعْـرِض لـه دارسـو العهـد القديم من الناقدين والشارحين. حيث ورد أنّ اللـه تعالى بارك نوحاً عليه السلام وبنيه، وهذا هـو الـنصُّ:(وَبَـارَكَ اللـهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَال لَهُمْ:«أَثْمِرُوا وأكثروا وَامْلأُوا الأرض) (تك:9:1).

أقول: وهذه البركة صحيحة لورودها في القرآن الكريم لقوله تعالى: (**قِيلَ يَا نُوحُ اهْـبِطْ بِسَـلاَمٍ مِّنَّـا وَبَرَكَـاتٍ عَلَيْـكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ**) (هود: 48) .

وإذا صحَّت البركةُ الإلهية في القرآن الكريم والعهـد القـديم بتوافـق زمـان حصـولها الـذي هـو بعـد الهبـوط مـن السفينة، فإنه لا يصحّ مخالفة نوح عليه السلام لهذه البركة بلعن أحد أبنائه. ومعلومٌ أنَّ اللعنـةَ ضـد البركـةِ تمامـاً، فكيف يصحُّ أنْ يلعنَ نوحٌ ما باركه اللـهُ ؟ وهذا التناقض هـو برهان وضع هـذه الحادثة.

على أنّ أهل الكتاب أنفسهم لم ينتبهوا أنهم وقعوا في هـذا التناقض الجليّ. ولو عرفوا ذلك وانتبهوا إليه لنسبوا إلى نوح عليه السلام خطيئة جديدةً تُضاف إلى الخطيئات الكثيرة التي افتروها على الأنبيـاء علـيهم السـلام، ومـا تلكـأ علماؤهم في القدح في نبيِّ اللـه نوح عليه السلام أولُ رسل اللـه إلى أهل الأرض. وبناءً عـلى عـدم اتهـامهم نوحـاً عليه السلام بمخالفته المشيئة الإلهية بالبركة لأولاده، فقد ثبت أنّ نوحاً عليه السلام لم يلعـنْ كنعـان، وأنّ الحادثـة كلها مفتراة لغاية في نفس اليهود سيأتي ذكرها لاحقاً.

ثالثا: يتمثل التناقض الثالث في هـذه القصة مع العهد القديم لأنها تتضمن الظلم الـذي هــو خـلاف العـدل مـن خلال النص الآتي:

معلومٌ أنَّ أخذَ الابن بذنب الأبِ خلافُ العدل. ولعنُ نوح حفيده كنعان تحمل تناقضاً جلياً لهذا النص الـذي ورد في العهد القديم: ([20]النَّفْسُ التِي تُخْطِئُ هـيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْـنِ. بِـرُّ البَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ.)(حز:18:20).

وقد تساءلَ الشيخُ العلاَّمةُ رحمتُ اللـه الهندي: لـو فرضـنا أنَّ حمـل إثـم الأب عـلى الإبـن، فـما وجْـهُ تخصـيص كنعان؟ في حين أنَّ أبناءَ حام أربعة هـم: كوش ومصرايم وفوط وكنعان([1]).

1. رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**،مرجع سابق، ج1، ص 1216.

ويتجلى ظلمُ نوح عليه السلام وبعده عن العدل بلعنه كنعانَ، علماً بأنّ الذي رأى عورته بحسب القصة إنما هــو حام أبو كنعان. فما ذنب الإبن حتى استحق اللعنة؟ ولذلك فإنَّ تساؤل العلماء قـد ثـارَ قـديماً وحـديثاً حـول لعـن النَّبيّ نوح لإنسانٍ بريءٍ، وذلك غير مقبول شرعاً وعقلاً وخلقاً([1]).

ويفسر مارتن لوثر الأمرَ فيقول:" من شدة ما عاني اليهودُ من سخطِ الـلـه وغضبه، انتهـى بهـم الأمـر إلى الكـذب على الـلـه، وادعاء أنّه أمرهمْ بلعنِ الشعوب البشريَّة بلا استثناء"([2]).

ويصورُ لنا القرآنُ الكريم أنّ أخذ البريء بالذنب، لا على أنه مضادٌ للشريعة، فحسب، بل هـو كذلك غـير متوافـق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية أيضاً([3]). كما قال الـلـه تعالى على لسـان يوسـف عليـه السـلام : (**قَـالَ مَعَـاذَ الـلـهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ**) (يوسف: 79) .

وبناءً عليه فإنّ دعوى لعن نوح عليه السلام حفيده كنعان في هـذه القصة هـو ظلم وخلاف العـدل. وإنّ صـدوره من إنسان بوأه الـلـه منصب النبوة والرسالة هـو من المحال.

علما بأنّ هـذا الفعل مخالفة خلقية وجبلية فضلاً عن كونه مخالفة شرعية قد حرمها الـلـه تعالى على نفسـه وبـين خلقه، فمحال أنْ يقدم نبيٌّ على كل هـذه المخالفات المناقضة للعصمة التي يضاف إليها أنها وقعت على ذي رحم.

ثالثا: وقوع خلاف ما تنبأ به نوح عليه السلام :

سيمرّ القارئ الكريم في هـذه الدراسة بالعديدِ من نبوءات الأنبياء عليهم السلام التي تخلَّفت. ولا شك أنَّ تخلُـفَ النبوءة وعدم تحققِها أو تحقق بعضها دون بعض هـو علامة على الكذب والوضع؛ إذ إنه لا خلاف بين أهل الأديان على صدق نبوءة النَّبيّ وتحققها كاملة كما أخبر.

وإذا كان نوحٌ عليه السلام قد دعا أنْ يكون كنعان عبداً لإخوته فإنّ التاريخ يكذب هـذا. فقد ذكر ابن حزم رحمه الـلـه أنَّ أبناءَ كنعان قد ملكوا وصار لهم ملكٌ عظيمٌ، وملَكوا طوائفَ من بني سام، كما ملك أبناءُ سامٍ طوائفَ من السودان الذين هـم من بني حام([4]).

وبناءً على هـذا التاريخ يُعلم أنَّه لم يقع ما تنبأ به نوحٌ من عبودية حام وأبنائه لأخويه سام ويافث.

1 . أنظر مثلاً: الباجي، **كتاب الرد على التوراة**، مرجع سابق، ص 76. وانظر: **قراءة سياسية للتوراة**، شفيق مقار، ص 36، رياض الـريس للنشر والتوزيع، لندن، بريطانيا، بدون طبعة وتاريخ .

2 . لوثر، **اليهود وأكاذيبهم**، ص 83، مرجع سابق .

3 . دراز، د. محمد عبدالـلـه دراز، **دستور الأخلاق في الإسلام**، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين،ص 151، مؤسسـة الرسالة ودار البحوث العلمية. بدون تفاصيل.

4 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مرجع سابق، ج1 ،ص 212.

وأما ما احتج به أحد مفسري سفر التكوين من تحقق نبوءة نوح عليه السلام ، بنزول الكنعانيين لأدنى صور العبيد وأنهم صاروا ملعونين بسبب وثنيتهم، فيُردُ عليه بأنَّ الأمم والحضارات قد شهدت تحولات متفاوتة بين الكفر والإيمان. وليس أدل على ذلك من حال اليهود أنفسهم الذين فضَّلهم الله على العالمين أيام إيمانهم وكفر أعدائهم. ثمَّ - بشهادة العهد القديم وكلام نبي الله موسى عليه السلام - تحولوا للوثنية وحرّفوا التوراة وقتلوا الأنبياء عليهم السلام، فتحققتْ نبوءةُ موسى عليه السلام فيهم، وهكذا تحولوا إلى الكفر بعد الإيمان. وهذا يؤكد أنّ أبناء سامٍ قد وقعوا في الكفر وعبادة الأوثان أيضاً. وهو ما أكَّده القرآنُ الكريم غَيرَ مرَّةٍ، وشهد بكفرهم فقال الله عنهم: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {61/2}**) (البقرة :61).

وعليه فقد بطَل استدلالهم بكفر الكنعانيين، كدليل على تحقق نبوءة نوح عليه السلام .

ثم إنّه في جميع الأحوال لا يجوز أنْ يقصِد النَّبيّ في لعنه ابنه أو حفيده طردهم من الإيمان وتحولهم للكفر، ذلك أنَّ الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا هداةً للناس لا لاعنين لهم، على أنَّ أولاد النَّبيّ وأحفاده أولى الناس بهذه الهداية والدعاء بالبعد عن الشرك. وقد طلبَ بعضُ الصحابة من خاتم النَّبيّين سيدّنا محمَّد أنْ يلعنَ أناساً من المشركين، فأبَى أنْ يدعو عليهم، وقال:" إني لم أبعث لعاناً"([1]). ولم يدعُ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا على أفرادٍ تجاوزوا الحدَّ في الأذى والصدِّ عن الدِّين، لا بمجرد سيئة من السيئات ولا انتقاماً لشخصه الكريم، إنما لغاية شرعية.

وبناءً على ما تقدم فقد بَطُل الكذبُ الذي نسبوه إلى نبي نوح عليه السلام ، وهو بريء من هذا الافتراء. والحمد لله على توفيقه.

وهكذا ترى أنّ هذه الدعوى مكذوبة على نبيِّ الله نوح عليه السلام وأبنائه، وأنّها تقطعُ بوصول اليد البشرية للتوراة وثبوت التحريف بإضافة هذه القصة.

كما أنّ هذا التحريف الخطير الذي أساء لصورة أول رسل الله إلى أهل الأرض يقود إلى التساؤل عن الدافع لاختلاق هذه القصة المكذوبة؟

1 . أنظر: **صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدابة وغيرها، ج8، ص24، رقم 6778. **والأدب المفرد** للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط 3، 1409، 1989، بيروت.

أثرُ العداء بين الإسرائيليين والكنعانيين:

يرى الناقدون أنّ الصراعَ الشديد الذي كان بين اليهود وبين سكان فلسطين من العرب الكنعانيين([1]) هــو الـدافع لخلق هـذه القصة. فاسم كنعان مرتبطٌ بأرض فلسطين، ولما كانت التوراةُ قد دُونتْ بعد موتِ موسى عليه السـلام بمئات السنين، وكان الصراعُ على أشدِّه بين اليهود والفلسطينيين فقد دفعهم هــذا لاخـتلاق هــذه القصـة، وبـذلك وجدوا مبرراً للحرب والإبادة، ومعلومٌ أنهم حددوا اللعنة بكنعان من بين أولاد حـام لأنّ أبنـاء كنعـان هــم العـرب الذين سكنوا أرض فلسطين، وقد جاء لعـنهم عـلى لسـان نـوح عليـه السـلام ، فوجـب طـردهم وقـتلهم كـما تـرى التوراة([2]). وصار هـذا الأمر عقيدة مستحكمة عند اليهود، وعند السواد الأعظم من أهل الكتاب.

ومن هـنا يتضح أثرالدافعُ السياسي في صياغة كتب العهـد القـديم، وبالـذات سـفر التكـوين، وذلـك لحمـل أولاد الإسرائيليين على عداء الكنعانيين، وطردهم من الأرض بحجّة أنّهم ملعونون.

ويرى أحدُ النقّاد النصارى أنّ هـذه أول بذرة عنصرية بـين التسـمية السّـامّية وغيرالسـامية باعتبـار أنّ السّـامية في المقصود التوراتي هــي اليهودية كما شوهتها اليهودية([3]).

وهكذا اتخذ اليهود من هـذه القصة مبرراً للقول بنقاء أصلهم وطهره ببركة دعاء نوح عليه السلام لابنـه سـام، في حين لحقت اللعنة بحام أبي الكنعانيين وذريته.

والمؤرخون يردّون هـذه الدعوى اليهودية، وقد نصّ ديورانت عـلى "أنّ اليهـود خلـيطٌ مـن سـلالاتٍ كثـيرة، ونفـى وجود جنس نقي نظراً لوجود آلاف التيارات الجنسية المتلاطمة على الرغم من طبيعة اليهود المحافظة"([4]) وهذا ما يؤكده المؤرخ د. أحمد سوسة أيضاً.([5])

وبعد تبيان حال نوح عليه السلام في العهد القديم وعند شُراحه، نأتي إلى ذكره في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نوح عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد رفع القرآن الكريم من شأن نوح عليه السلام ، كما رفع شأنَ جميع الأنبياء عليهم السلام، وأثنى اللــه عليـه كما أثنى على جميع الأنبياء والمرسلين. وقد ركّز القرآن الكريم على دعوة نوح عليـه السـلام لقومـه وفّصـلها مبينـاً جهود هـذا النَّبيّ الكريم، وهو يدعوهم لعبادة اللـه تعالى بشتّى الأساليب طمعاً في إيمانهم .

---

1 . **الكَنْعَانِيُّونَ:** سكان أرض كنعان. وقد تخصص الكنعانيون في التجارة حتى أصبح اسم كنعاني مرادفا للتاجر وكانت لغة كنعان قريبة من اللغات العبرية والمؤآبية والفينيقية التي هــي الكنعانية المتأخرة. وكان الكنعانيون يعبدون آلهة كثـيرة ومـن بينهـا أيـل وبعـل وعشيرة وعشتا روث وغيرها. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**،ص 790.

2 . الباش، د. حسن الباش، **التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان**، سابق، ج1، ص 108.

3 . حنّا حنّا، هـ**فوات التوراة**، ص 215، مرجع سابق .

4 . ديورانت، **قصة الحضارة**، مرجع سابق، ج2، ص 328.

5 . د. أحمد سوسة، العرب **واليهود في التاريخ**، ص 356- 369-.مرجع سابق.

وقد سمَّى اللـهُ تعالى سورةً كاملة في القرآن باسم هـذا النَّبيّ الكريم،الذي هـو أول أوليْ العزم من الرُّسل. و قـد اقتصرت هـذه السورةُ على جهود نوح عليه السلام وهو يدعو قومه، ولنقتبس منها هــذه الآيـات الكريمـة؛ حيـث يقول جلَّ شأنه:

(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا {5/71} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا {6/71} وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا {7/71} ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا {8/71} ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا {9/71} فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {10/71} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {11/71} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا {12/71} مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا {13/71} وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا {14/71} أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللـهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا {15/71} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا {16/71} وَاللـهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا {17/71} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا {18/71} وَاللـهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا {19/71} لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا {20/71} قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا {21/71} وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا {22/71}**) (نوح: 5-22).

وهكذا دعاهم نوحٌ عليه السلام مخاطباً قلوبَهم وعقولهم، منوِّعا لهم الخطـاب بـين التبشـير والإنـذار، والجـدال الكثير حتى ألزمهم الحجةَ، ولكنَّ كِبْرَهم منعهم من إتباع الحقّ، فآثروا طلب الوعيد على الإيمان.

نوح عليه السلام **يستخدم الأدلة العقلية والكونية في الدعوة إلى اللـه تعالى:**

لعلّ نوحاً عليه السلام هــو أولّ مـن اسـتخدم الأدلـة العقليـة في الـدعوة إلى اللــه تعـالى، بالاستشـهاد بالآيـات الكونية، كخلق السموات السبعِ وما فيها من شمس وقمر، وأطوار خلق الإنسان لإثبات وجود اللـه تعالى، ولإقامـة الحجّة على المدعوين، كما يظهر من الآيات الكريمة. وهكذا يظهر أنّ نوحاً عليه السلام أسبقُ من علـماء الكـلام في هـذا العلم بأزمانٍ غابرة، وهذا ممّا علمه اللـه تعالى وهداه إليه، وهو مـما تقتضـيه صـفة الفطانـة والـذكاء عنـد النَّبيّ.

وقد لبث نوحٌ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً صابراً عليهم، حتى أوحى اللـه إليه أنه لنْ يـؤمنَ أحـد مـنهم، مع ما سبق من عنادهم واستعجالهم العذاب تكذيباً وكفرًا لقوله تعالى: (**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {32/11}**)(هود :32). بعد ذلك كانت دعـوة نـوح عليـه السـلام عـلى قومـه الكفرة: (**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا {26/71} إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا {27/71} رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا {28/71}**)(نوح: 26-28).

فاستجاب اللـه دعوة نوح عليه السلام ، فأرسل اللـه عليهم الطوفان، فأغرقهم وأنجى نوحـاً عليـه السـلام ومـن آمن معه، وجعل السفينة آيةً للعالَمين.

وترسمُ آياتُ القرآن الكريم صورةً كريمة لنبيّ اللـه نوح عليه السلام ، فقد كان صبره طويلاً؛ حيثُ جعله اللـه مع صبر إخوانه أولي العزم من الرسل، مثالاً وقدوة في الإتباع فقال جلّ شأنه : (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَـزْمِ مِـنَ الرُّسُـلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**) (الأحقاف: 35).

وبمقارنة سريعة بين آراء شُرَّاح العهد القديم وبين رأى مفسري القرآن الكريم حول صفات نوح عليه السلام ، نجد البونَ الشاسع في نظرة المسلمين وأهل الكتاب إلى الأنبياء عليهم السلام . فالمفسر الإسلاميّ ابن عاشور مثلاً تحدث عن صفات نوح عليه السلام في القرآن الكريم وعدد فضائله فقال: "من فضائل نوح عليه السلام أنّ اللـه تعالى سمّى باسمه سورة في القرآن ، والفرق بين سورة نوح والسور التي حملت أسماء الأنبياء عليهم السلام كسور إبراهيم ويونس وهود ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أنّ سورة نوح كاملة قد تناولت دعوة نوح عليه السلام لقومه من أول الدعوة إلى نهايتها ولم تتطرّقْ إلى مواضيعَ أخرى" .

ويضيف رحمه اللـه " إنّ اللـه تعالى قد أثنى على نوح، وأنعم عليه باثنتي عشرة نعمة هي: إنجاء اللـه تعالى إياه، وإنجاءُ أهله، وإهلاك ظالميه، وجعل عمران الأرض بذريته نعمةً دائمة، وترك نعمه عليه في الأمم التي بعده، وثناء العالمين عليه،وأنه أثبت له الإحسان،وأنّ أجور المحسنين في صحيفته، ووصفة بالعبودية والإيمان، وأنه جعل إبراهيم الخليل من شيعته، وأنه جاء ربه بقلب سليم، وأنّ إبراهيم كذلك لأنه من شيعة نوح عليهما السلام"([1]).

نوح عليه السلام عبد شَكور:

أثنى اللـه تعالى على نوحٍ عليه السلام بأنه كان عبداً شكوراً. وقد ذكر أهل التفسير أنّ نوحاً عليه السلام كان يشكر اللـه تعالى على لباسه وطعامه وشرابه وسائر أحواله([2]).وقيل: مبالغاً في الشكر([3]) وقال جلَّ شأنه مذكراً بني إسرائيل بشكره وكيف أنهم كفروا باللـه تعالى وجحدوا نعمه: (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا {3/17}**) (الإسراء: 3).

وقال الراغب في مفرداته:" إنَّ الشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم. وإنّ توفية شكر اللـه صعب ولذلك لمْ يُثنِ اللـه تعالى إلاَّ على اثنين من أوليائه وهما إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: (**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**) (النحل: 121)،ونوح عليه السلام بقوله:(**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**) (الإسراء : 3).

أقول: بل هم ثلاثة من أنبيائه وأوليائه الكرام: إبراهيم ونوح إضافةً إلى لوط عليهم السلام، فقد كان لوطٌ شاكراً، فأنعم اللـه تعالى عليه لشكره هذا بانجائه وإهلاك قومه، وفي هذا يقول جلَّ شأنه: (**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ {34/54} نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**) (القمر:34 - 35). وهكذا حملت آيات القرآن الثناء والتزكية لصفات نوح الكريمة.

---

1 . أنظر مثلا **تفسير الطبري**، ج 14، ص 452، و **تفسير التحرير والتنوير**، ج 23،ص131 -137 .

2 . أنظر مثلا : **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، ج13، ص 18 .**وتفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ج3، ص 27

3 . البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.ج 11، ص 302.

شبهة ورد:

ورد في القرآن الكريم آياتٌ اشتبه على البعض أنها تدل على وقوع نوح في معصيتين هـما: الكذب، والدعاء لابنه الذي مات على الكفر. فأمّا شبهةُ كذب نوح عليه السلام فهي مبنية على قوله كما ذكر اللـه عنه: (**فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي**) وأنّ اللـه قال له: (**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**) فدلَّ على أنه ليس ابنه، فصار الظاهرُ أنّ قول نوح عليه السلام كذب. وأما الشبهة الثانية فهي أنه عصى ربَّه بشفاعته في ابنه لقوله تعالى: (**فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) .(هـود: 46).

وأنّه طلب المغفرة على طلبه: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**) (هود:47).

الرد على الشبهة الأولى:

الحقّ أنّ نوحاً عليه السلام لم يكذبْ وحاش لله أنْ يكذب في دعائه ربّه وهو من أولي العزم من الرسل، فعصمة اللـه إياه تحفظه من الكذب مع الناس فكيف مع ربّه الذي أرسله ونصره؟

وأما ابن نوح عليه السلام فقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال([1]):

الأول: وهو أرجحها: أنه ابنه على الحقّيقة من صلبه، لأنّ القرآن نصَّ على ذلك([2]) قبل نداء نوح عليه السلام ، فقال جلَّ شأنه: (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ**) (هود: 42).

الثاني: أنه ابن امرأته لا من صلبه، لكن بحكم تربيته ومخالطته أهل بيته أُطلق عليه لفظ الابن. ويدل عليه قوله إنه من أهلي ولم يقل مني.

الثالث: أنه ولد على فراشه لغير رشدة. أي ابن فاحشة. وهذا القول مشهور عن بعض السلف([3])، ودليله لمن قال به قوله تعالى: (فخانتاهما)(التحريم:10).

والقول الثاني ضعيف مع إمكانه. والقول الثالثُ رفضه الجمهور لمخالفته عصمة الأنبياء عليهم السلام، ولما اشتهر عن ابن عباس أنه ما بغت امرأة نبي قط([4]).وقال الرازي عن هذا الرأي: إنه قول خبيث، يجب صون منصب الأنبياء عليهم السلام عن تلك الفضيحة، لا سيما أنه مخالف لنصِّ القرآن. واستدل رحمه اللـهُ بدليل قاطع على ذلك([5]) وهو قوله تعالى: (**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**) (النور: 26).

---

1 . الرازي، **عصمة الأنبياء** ، ص 58 . بتصرف . مرجع سابق.

2 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 17، ص 240. مرجع سابق.

3 . أنظر مثلاً: **تفسير الطبري**، ج 12، ص 427 – 428، **وتفسير ابن كثير**،ج 2، ص 464 .

4 . أنظر مثلا :**تفسير الطبري** ج 12، ص 428، و **تفسير الرازي** ، ج 17، ص 240، **وتفسير زاد المسير** ج 4، ص 113، **وتفسير ابن كثير**، ج2، ص 464، **وتفسير البحر المحيط**،ج 5، ص226 .

5 . **تفسير الرازي** ، ج 17، ص 240. مرجع سابق .

وهكذا يظهر أنّ جمهور المفسرين والعلماء، قد نصوا على أنّ هـذا ابـن نـوح عليـه السـلام عـلى الحقيقـة. وهـو الصواب لنصِّ القرآن عليه. وبناءً عليه يثبت صدق نوح عليه السلام وتسقط الشبهة القائلة بكذبه.

أما الشبهة الثانية: وهي دعاؤُهُ لابنه الكافر مع علمه بذلك، وقد سبق ونهاه ربـه عـن مراجعتـه بشـأن الكـافرين، فجوابها أنّ نوحاً لم يكن يعلم بكفر ابنه، لأنّ ابنه كان منافقاً قد أخفى نيته وعمله عن أبيه، ولو كان يعلم كفرَه لما دعا ذلك([1]).

ولعل برهان نفاق ابن نوح عليه السلام ، أنه بقي في مَعزِلٍ حتى بعد جريان السفينة في الأمواج تخليطاً عـلى أبيـه الذي كان لآخر لحظة مشفقاً عليه ناصحاً له، وهو يقول له: (**قَـالَ لاَ عَاصِـمَ الْيَـوْمَ مِـنْ أَمْـرِ الـلـهِ إِلاَّ مَـن رَّحِـمَ**) (هـود: 43).

مع ملاحظة إصرار ابنه على الكفر حتى عند رؤية الأمواج العاتية. وهذا ما نصّتْ عليه الآية الكريمة: (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُـن مَّـعَ الْكَـافِرِينَ {42/11}**) (هـود: 42) فكان في معزل من الطرفين المؤمنين والكافرين، ولعله كان في معزل مكاني أيضاً، والـلـه أعلم.

واختلف العلماء في توجيه سؤال نوح ربّه تعالى عن ابنه بعد أنْ تيقن أنه مع المغرقين. فقـد ذكـر أنّ نوحـا اشـتبه عليه ما لا يجب ألا يشـتبه، وأنّ ذلـك كـان مـن نـوح مـن بـاب تـرك الأفضـل والأكمـل، وحسـنات الأبـرار سـيئات المقربين([2]).

وقد ذهب ابن عاشور إلى أنّ نداء نوح عليه السلام ربه من أجـل ابنـه، كـان بعـد اسـتواء السـفينة عـلى الجـودي بداعي الشفقة، فأراد نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا.

ترجيح وتعليل:

أرجح رأي ابن عاشور، وأرى أنّ الذي دفع نبيَّ الـلـه نوحٌ عليه السلام لهذا هــو **الانفعـال الـنفسي** الـذي تملّكـه عندما رأى الموج يداهم ابنه، الذي كان كل ظنه أنه مؤمن، ولم يعرف نوح عليـه السـلام الحقيقـة إلاَّ في اللحظـات الأخيرة، إلا أنه قُبيل الغرق كان مؤمِّلاً في إيمان ابنه، فألحّ عليه في الصعود، لكنه رفض ذلك فأخذه الموجُ فكـان مـن المغرقين.

وإنَّ المـتأملَ في تلك الساعة العصيبة والمؤلمة الوقع،على نفس نوح عليه السلام بما حوته من هـول فجأته بكفـر ابنه، وموته على ذلك مع الحزن العميق، في ظل هـذه الأجواء المفاجئة والحزينة، لم يملك نوح التغلُّب على عاطفـة الأبوة الجيَّاشة، الأمر الذي دفعه لمخالفة الأولى والأكمل، فطلب الشفاعة من ربه لابنه الكافر. على أنّ هـذا الطلب لم يكن مباشراً وصريحاً، وإنما كان بالإشارة، ومع ذلك عاتبه ربه لخلاف الأولى ونظراً لمقامه الرفيع، فهـو أول الرسـل إلى أهل الأرض وأوّل أولي العزم.

---

1 . أنظر مثلاً : **تفسير الطبري**،ج12، ص 435، **وروح المعاني**، ج12، ص71 .

2 . أنظر: **روح المعاني**،ج 12، ص 71، مرجع سابق، **وتفسير الرازي**، ج 18، ص 5 . مرجع سابق .

وخلاصة القول إنَّ نوحاً عليه السلام وقع في خلاف الأولى بسبب الداعي الجبلي والانفعال النفسي الذي أحاط به. وبناءً بطُلت الشبهة الثانية أنْ تكون معصيةً لنوحٍ عليه السلام .

وقد ذهب الباحث إبراهيم مصطفى إلى أنّ الانفعالات النفسية وما نتج عنها من تصرفات لا تنافي عصمة الأنبياء عليهم السلام وتبقى في دائرة خلاف الأولى([1]).

وهذا حقٌ فقد بكى سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم لوفاة ولده ولما زار قبر أمه، ولم يقدح ذلك في عصمته صلى اللـه عليه وسلم ، وأما نوح عليه السلام فعند حزنه الشديد على إبنه الذي غرق أمامه سأل اللـه له على الرغم من كفره، ولذلك عُدَّ هذا السؤال خلاف الأولى نظراً لانفعاله القوي لذلك الموقف، واللـه أعلم.

العهد القديم يُغفل ذكر ابن نوح عليه السلام :

لا ذكر في العهد لقديم لابن نوح هذا. وإنما فيه أنّ بيت نوح عليه السلام جميعه بما في ذلك امرأته وأبناءه ونساءه قد نجُوا من الطُوفان، وهذا يدل على إيمانهم جميعاً عند أهل الكتاب كما في هذا النص:(وَكَلَّمَ اللـهُ نُوحًا قَائِلاً: «اخْرُجْ مِنَ الفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ)(تك :8 :15). بينما أكّدَ القرآن الكريم كفرَ امرأة نوح وابنه، بدليل خيانة امرأته في الدين وغرق ابنه.

وأما ما ذكر في العهد القديم، من شرب نوح عليه السلام الخمر وسكره وتعريه، فلا يوجد في القرآن شيء من ذلك أبداً. وهي قصة مختلَقة من وضع اليهود الذين كذبوا على اللـه تعالى لإظهار تميز أصلهم، وإلصاق العيب والمنقصة بأعدائهم الذين نسبوهم إلى كنعان وأبيه حام، الذي لعنه أبوه نوح عليه السلام حسب افترائهم.

ومن المعلوم عند أهل الإسلام أنّ هناك أنبياء بعثهم اللـه تعالى بعد نوح عليه السلام وقبل إبراهيم عليه السلام ،كصالح وهود عليهما السلام إلا أنّ العهد القديم قد خلا من ذِكْرِ شيء عنهم. ولا يستبعد أنَّ كتبة العهد القديم تعمَّدوا حذف ما تعلق بهذين النَّبيّين الكريمين لأنهما ليسا من بني إسرائيل ولا من آبائهم ولا عاشوا في بلاد الشام. وبما أنه لا ذكر لهما في العهد القديم فإنّني سأضرب عنهما الذكر صفحاً لأنَّ هذه الدراسةُ تعتمد بالأساس المقارنة بين العهد القديم والقرآن الكريم في شأنِ الأنبياء عليهم السلام.

1 . أنظر **رسالة : الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم**، ص 32، رسالة ماجستير للباحث : إبراهيم عبد الرحيم مصطفى، من جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين .

الفصل الثالث: إبراهيم عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد: قوله تعالى: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا**).

- المبحث الأول: دعوى أخذ فرعون سارة زوجة له في العهد القديم

- المبحث الثاني: دعوى أنّ إبراهيم عليه السلام أعطى ماله لابنه إسحاق عليه السلام دون بقية إخوانه

- المبحث الثالث: إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

تمهيد:

قوله تعالى: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)(آل عمران: 67).

يعُدُّ اليهود أنفسهم ورثة إبراهيم عليه السلام ، وأنه كان على دينهم وهذه دعوى باطلة؛ حيث مخالفتهم لأعمال إبراهيم عليه السلام ، وقد أكد المسيح عليه السلام مخالفة اليهود في أفعالهم لأعمال إبراهيم عليه السلام ، ولذلك نهاهم عن دعوى أنهم أبناءُ إبراهيم كما يظهر في هذا النص: (أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ:«أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!)(متى: 39).

ثمَّ إنَّ إبراهيم عليه السلام عاش قبل اليهودية والنصرانية ، فكيف يجوز نسبة السابق للاحق؟

يقول الرازي رحمه اللـه:"يخبر القرآن الكريم أنّ إبراهيم كان حنيفاً مسلماً، وليس في التوراة والإنجيل أنَّ إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً فظهر الفرقُ. ثمّ يقال إنّ النصارى ليسوا على ملّة إبراهيم، لأنَّ المسيح لم يكن موجوداً زمن إبراهيم لا محالة، فلا شك أنّ عبادةَ المسيح وجَعْلِهِ إلهاً، مخالفةٌ لملةِ إبراهيم لا محالة.

وأمّا أنّ اليهود ليسوا على ملّة إبراهيم عليه السلام فذلك أنه كان لله تعالى تكاليف على الخلق، قبل مجيء موسى عليه السلام ، ولا شك أنّ التكاليف كانت عن طريق واحد من البشر مؤيَّدٍ بالمعجزات، فإذن كان قبل موسى عليه السلام أنبياء. فإذا جاء موسى عليه السلام فإما أنْ يكون قد جاء بتقرير ذلك الشرع أو بغيرها، فإنْ جاء بتقرير تلك الشريعة، لم يكن موسى إلا مقرراً لما قبله. واليهود لا يرضيهم ذلك. وإما أنْ يكون قد جاء بشرع آخر، سوى شرع من تقدمه، فقد قال بالنسخ. فثبت أنه لا بدّ أنْ يكون دين كلّ الأنبياء عليهم السلام جواز النسخ، واليهود ينكرون ذلك، فثبت أنّ اليهود ليسوا على ملة إبراهيم عليه السلام . فبطل قول اليهود والنصارى بأنّ إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، فهذا هو المراد من الآية واللـه أعلم([1]) .

وأما العقّاد فيقول:" لا يقال عن إبراهيم إسرائيليٌّ، لأنّ يعقوب هو أول من تسمَّى بإسرائيل، ويعقوب هو حفيد إبراهيم. كما لا يقال عنه يهوديٌّ، لأنّ اليهودية نسبت إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب. ولا يقال عبريٌّ، إذا كان المقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية، تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف، فإنّ إبراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان، في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن اللغة العبرية انفصلت عن سائر اللغات في تلك الأيام". وانتهى العقاد إلى أنّ أصدق نسبة لإبراهيم هي النسبة العربية([2]).

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 8، ص، 96 -97.

2 . العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام**، ص 176- 177 .بتصرف يسير.

ويؤكد د. أحمد سوسة هـذا الأمر، وقد اجتهد في إثبات ذلك فقال: "مدونو التوراة هـدفوا إلى ربط بقايا الجماعـة التي خرجت مع موسى من مصر إلى إبراهيم الخليـل بغيـة إرجـاع أصـلها المجهـول لأقـدس العـروق مـن الأجنـاس البشرية، ثمّ تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم وموسى"([1]).

ويتابع د. سوسة :" ولتحقيق هـذا الهدف، ربط مدونو التوراة صلةَ جماعـة مـوسى عليـه السـلام رأسـاً بـإبراهيم وحفيده يعقوبعليهما السلام، من غير أنْ تتطرق إلى الفاصل الزمني الكبير، بين جماعة مـوسى في القـرن الثـاني عشر قبل الميلاد، وبين جماعة إبراهيم ويعقـوب علـيهما السـلام في القـرن التاسـع عشر والسـابع عشر قبـل المـيلاد عـلى التوالي، وهو الفاصل الذي يمتد سبعمائة عام بين عهد إبراهيم وعهد جماعة موسى عليه السلام ".([2])

أما إبراهيم عليه السلام فقد نسب إليه كتبة العهد القديم وشُرَّاحُه، العديدَ مـن الـدعاوى التـي تتعلـق بشخصـه وعرضه وأبرزها:

المبحث الأول: دعوى أخذ فرعون سارة زوجةً له في العهد القديم

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

حتى تتضح الصورة التي أرادها كتبة هـذه الحادثة، لا بدَّ من إيراد النصّ، ثمَّ آراء علماء أهل الكتـاب فيهـا، مـاذا قالوا ؟ وما هـو اعتقادهم في إبراهيم عليه السلام بعد هـذه الحادثة ؟ وهذا هـو النصُّ كما ورد في العهد القديم: ([10]وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هـنَاكَ، لأَنَّ الْجُـوعَ فِي الأَرْضِ كَـانَ شَـدِيدًا. [11]وَحَـدَثَ لَـمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. [12]فَيَكُـونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّـونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هـذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. [13]قُـولِي إِنَّـكِ أُخْتِـي، لِيَكُـونَ لِي خَـيْرٌ بِسَـبَبِكِ وَتَحْيَـا نَـفْسِي مِـنْ أَجْلِكِ».

---

1 . د. أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، ص 232.

2 . د. أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، ص 232. بتصرف يسير.

14فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. [15]وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، [16]فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. [17]فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. [18]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ [19]لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!». [20]فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ.)(تك : 12 : 10– 20).

على أنَّ حادثة مشابهة حدثت مع إبراهيم وزوجته مرة ثانية على ذمة كتبة العهد القديم، وقد وردت في الإصحاح العشرين من سفر التكوين كما يأتي:

(1وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ. [2]وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ. [3]فَجَاءَ اللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْل». [4]وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، أَأُمَّةً بَارَّةً تَقْتُلُ؟ [5]أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي: إِنَّهَا أُخْتِي، وَهِيَ أَيْضاً نَفْسُهَا قَالَتْ: هُوَ أَخِي؟ بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا». [6]فَقَالَ لَهُ اللهُ فِي الْحُلْمِ: «أَنَا أَيْضاً عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا. [7]فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتاً تَمُوتُ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ».

فَبَكَّرَ أَبِيمَالِكُ فِي الْغَدِ وَدَعَا جَمِيعَ عَبِيدِهِ، وَتَكَلَّمَ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ فِي مَسَامِعِهِمْ، فَخَافَ الرِّجَالُ جِدًّا. [9]ثُمَّ دَعَا أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ وَبِمَاذَا أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟ أَعْمَالاً لاَ تُعْمَلُ عَمِلْتَ بِي». [10]وَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِبْرَاهِيمَ: «مَاذَا رَأَيْتَ حَتَّى عَمِلْتَ هذَا الشَّيْءَ؟» [11]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِنِّي قُلْتُ: لَيْسَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ خَوْفُ اللهِ الْبَتَّةَ، فَيَقْتُلُونَنِي لأَجْلِ امْرَأَتِي. [12]وَبِالْحَقِيقَةِ أَيْضاً هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَةَ أُمِّي، فَصَارَتْ لِي زَوْجَةً. [13]وَحَدَثَ لَمَّا أَتَاهَنِي اللهُ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَنِّي قُلْتُ لَهَا: هذَا مَعْرُوفُكِ الَّذِي تَصْنَعِينَ إِلَيَّ: فِي كُلِّ مَكَانٍ نَأْتِي إِلَيْهِ قُولِي عَنِّي: هُوَ أَخِي»

14فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَماً وَبَقَراً وَعَبِيداً وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لإِبْرَاهِيمَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ امْرَأَتَهُ. 15وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «هُوَذَا أَرْضِي قُدَّامَكَ. اسْكُنْ فِي مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ». 16وَقَالَ لِسَارَةَ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَخَاكِ أَلْفاً مِنَ الْفِضَّةِ. هَا هُوَ لَكِ غِطَاءُ عَيْنٍ مِنْ جِهَةِ كُلِّ مَا عِنْدَكِ وَعِنْدَ كُلّ وَاحِدٍ، فَأُنْصِفْتِ». 17فَصَلَّى إِبْرَاهِيمُ إِلَى اللهِ، فَشَفَى اللهُ أَبِيمَالِكَ وَامْرَأَتَهُ وَجَوَارِيَهُ فَوَلَدْنَ. 18لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لِبَيْتِ أَبِيمَالِكَ بِسَبَبِ سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ)(تك: 20 كاملا).

تحليل:

تظهرُ الدعوى بوضوح في الحادثة الأولى؛ حيث تشير روايتها إلى أنّ فرعون أخذ سارة زوجةً له. ويتضح ذلك من خلال عبارة فرعون لإبراهيم عليه السلام معاتباً:

([18]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هـذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ [19]لِمَاذَا قُلْتَ: هِـيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هـوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!».[20]فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ.) (تك: 12 :18-20).

وأرى أنَّ عبارة:(حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي) يدلُّ على أنـه بالفعـل اتخـذها زوجـة لـه. وأنَّ فرعـون لم يسـأل إبراهيم عن سارة إلاَّ بعد أنْ ضرب الـلـه بيتَه تلك الضربات؛ حيـث كـان قبـل ذلـك قـد أغـدق عليـه مـن الأمـوال والأنعام، وإنْ كان أهل الكتاب لا يقولون بذلك، إلا أنّ ظاهر الرواية يشعر بذلك بوضوح ويدلُّ عليه.

وقف الباحثُ على رأي لم يعرض من قبل، وهذا الرأي يقول فيه القس د. منـيس عبـد النـور:" فاسـتدعى فرعـون إبراهيم وسأله:(لمَاذَا قُلْتَ: هـيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟) (تك:12:19). ثـم قـال: واضـح مـن هــذا الكلام أنّ فرعون لم يكن قد تزوج من سارة، فقد كانت عادة الملوك أنْ يختـاروا الفتـاة، ثـم يتركوهـا للتجهيـز قبـل الزواج فترة طويلة، لكن الضربات التي جاءت على فرعون جعلته يبحث عن سبب البلوى التي حلّـت بـه، وعنـدما عرف أنها بسبب سارة قال لإبراهيم: (وَالآنَ هـوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!)((تك:12:19)([1]).

رأي شُرَّاح أهل الكتاب:

وقعَ علماءُ أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام عند تناولهم هـذه الحادثة، وطعنوا فيه وكالوا له التهم وأفحشوا له القول. ولعلَّ إيراد بعض عبارات هـؤلاء المفسرين([2]) يبيّنُ مقدار استخفافهم بالأنبياء عليهم السلام، وسوء الظـنِّ بهم، والافتراء عليهم:

والبداية مع صاحب السنن القويم، إذ يقـول:" لا نـرى لإبـراهيم في كذبـه عـذراً، ومـا كانـت علتـه إلاّ قلـة إيمانـه وجبنه"([3]).

أمَّا القس د. منيس عبد النور فيرى أنّ إبراهيم نسي عهد الـلـه، فخاف أنْ يُقتل وتبقى زوجته، فنسي عهـد الـلــه بأنّه باركه ووعَدَه بأنه سيجعل منه ومن ذريته أمّةً عظيمة.

ويُبدي هـذا القس دهشته من إبراهيم فيقول:" ونحن نندهش من إبراهيم كيف يُضحي بزوجته من أجل سلامته الشخصية" ؟ ثم يجيب نفسه ويتساءل:" هـذا أمر مخجلٌ!! ولكنْ ألا نرى الأنانية داخل نفوس أكبر المؤمنين؟([4])

أما النتيجة التي خلُص إليها هـذا القس فهي الخجل الكبـير الـذي أصـاب إبـراهيم عليـه السـلام بسـبب تـوبيخ فرعون له على كذبه، فقال متحسراً: " وكم هـو مؤلمٌ أنّ أهلَ العالم يوبِّخـون أولاد الـلــه، وكـان الواجـبُ أنْ يـتعلم فرعونُ الاستقامة من إبراهيمَ، لكنْ حدث العكسُ."([5])

---

1 . القس منيس عبد النور، **إبراهيم خليل الـلـه**، ص 13، مرجع سابق،

2 . أجدد الإعتذار من القارئ الكريم نظرًا للكلمات المؤلمة بحق أبي الأنبياء عليهم السلام ، إلا أنّ هـذا يحقق هــدف الدراسـة بـإبراز حقيقة موقف علماء أهل الكتاب من الأنبياء عليهم السلام.

3 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج 1، ص 149.مرجع سابق.

4 . عبد النور، القس د. منيس عبد النور، 1988، **إبراهيم خليل الـلـه**، ص 12، إصدار call of hope، شتوتجارت، ألمانيا.

5 . عبد النور، القس د. منيس عبد النور، **إبراهيم خليل الـلـه**، مرجع سابق، ص 13 .

ويقول آخر: "هذه سقطة إبراهيم الكبرى، فإخفاء جزء من الحقّيقة يعتبر كذباً حتى لو كانت شقيقته من أبيه وليس من أمه . فهذا يعتبر خداعاً وكذباً وضعف إيمان. فالخطية تأتي ورائها بخطايا أخرى، والنتيجة أنه حرم من زوجته"([1]).

وهكذا تتضح صورة إبراهيم عليه السلام كما رسمها كتبة العهد القديم، وكما فسَّرها واتفق عليها شُرَّاح العهد القديم حيث أظهروه بالاتي:

أنه ضحَّى بزوجته سارة مقابل مكاسب دنيوية، وأنه لا يغار على زوجته، وأنه كاذبٌ، وأنه مخادعٌ، وأنه أنانيٌّ، وأنه ضعيفُ إيمان، وأنه نسي عهد اللـه تعالى.

بهذه الأوصاف الشنيعة والمواقف السلبية تحدَّث العهد القديم وعلماء أهل الكتاب، عن نبيِّ اللـه إبراهيم عليه السلام ، طعناً في عصمة اللـه تعالى لأنبيائه، واستخفافاً بمقام خليل اللـه تعالى وأبي الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

الحقّ أنّ ظاهر كلام فرعون يقتضي أنه قد تزوج سارة حقيقة، لا أنه بقي منتظراً فترة طويلة لتجهّز، حيث يدلُّ الكلام على أنها فترة قصيرة، بدليل أنّ اللـه ضرب بيت فرعون ضربات عظيمة([2]). وهذه الضربات هي بمثابة العقوبة، لأنه أخذ سارة زوجة له. ولو لم يكن فرعون تزوجها لقال مثلاً: أنه أراد أنْ يتزوجها، أو أوشك، أو إنه يرتب الأمر أو غير ذلك، وإنما النصّ الذي حمل عتاباً لإبراهيم يدل كما تقدم على أنه اتخذها بالفعل زوجة له.

وعلى فرض أنَّها بقيتْ عنده فترة طويلة لكنه لم يدخل بها كما قال القس منيس، فإنه من المحال أنْ يرضى إبراهيم عليه السلام بقاء زوجته في بيت أو قصر إنسان آخر هذه المدة الطويلة ويسكت. ولو كان فعل شيئا لذكرته الرواية، لكنّ ظاهرها يدل على سكوت إبراهيم ورضاه بأنْ تبقى زوجته سارة كل هذه المدة عند فرعون. وهذا محالٌ لا يرتضيه إلا أهل الدياثة والمنحرفون، فكيف يقبل أهل الكتاب نسبة مثل هذا الخُلُق لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ؟

واللـه تعالى عصم زوجات الأنبياء عليهم السلام من ارتكاب الفاحشة سواء بطريق الإكراه أو الرضى. نعم ربما يتعرَّضْنَ للاتهام بالفاحشة لكنَّ اللـه تعالى دفاعاً عن عرض أنبيائه يتولى صرف ذلك السوء عنهنّ، كما برأ اللـه جلّ شأنه عائشة أم المؤمنين رضي اللـه عنها، لمّا رماها أهل الإفك بالفاحشة، فأنزل براءتها في القرآن الكريم([3])،

---

1 . فكري، القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 133 .

2 . يتوقف المسلم في قبول هذه التفاصيل لعدم ورودها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة بخلاف أصل القصة ؛ حيث إنه صحيح لوروده في الأحاديث الصحيحة كما ذكرتُ ذلك في الصفحة بعد الآتية.

3 . أنظر الحادثة بتمامها في **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب تعديل النساء بعضهنّ بعضاً،ج 3، ص227، رقم 2661،**وصحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف،ج8، ص 112، رقم 7196 .

فقال جلّ شأنه: (**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ {15/24} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {16/24} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {17/24} وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {18/24}**) (النور: 15-18)

وأما قوله تعالى: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**) (التحريم: 10) فإنَّ خيانة المرأتين لا يراد منهما الخيانة الزوجية بمعنى الزنا، فهذا قول باطلٌ بل خبيثٌ كما قال الرازي رحمه الله:" إنه قولٌ خبيثٌ يجب صون منصب الأنبياء عن تلك الفضيحة، لا سيما أنه مخالفٌ لنصّ القرآن الكريم بدليل قوله تعالى: (**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**) (النور: 26)([1])

واشتهر عن ابن عباس قوله: ما بغت إمرأة نبي قط"([2]). وإنما المراد الخيانة في الدين والإيمان.

وقد ذهب كثيرٌ من الناقدين([3]) قديماً وحديثاً إلى الطعن في الروايتين المذكورتين لأنهما تظهران إبراهيم عليه السلام بصورة شنيعة، وهي صورة الديوث- حاشاه عليه السلام - الذي ضحَّى مرتين بامرأته مقابل الحصول على مكاسب دنيوية.

حقيقة القصة في السنة النبوية:

الحقّ في حادثة فرعون مع سارة ما ورد في السنّة النبوية؛ حيث قال سيدُّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم :(لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ - عليه السلام - إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذَا وَقَالَ بَيْنَا هوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ مَنْ هذِهِ قَالَ أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ وَإِنَّ هذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلاَ تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ ادْعِي اللهَ لِي ، وَلاَ أَضُرُّكِ فَدَعَتِ اللهَ فَأُطْلِقَ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا ، أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ ادْعِي

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج17، ص 240 . مرجع سابق.

2 . أنظرمثلاً: تفسير الطبري، ج12، ص 428، وابن الجوزي، **زاد المسير ، ج4، ص 113**، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص464، **والبحرالمحيط**، ج5، ص226.

3 .أنظر مثلاً : **الرد على التوراة**، للباجي مرجع سابق، ص 85، **وإظهار الحقّ** لرحمت الله الهندي، مرجع سابق، ج2، ص 1217، **و موقف بني إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، مرجع سابق، ص 478، **والله والأنبياء في العهد القديم** ص73 . أنظر مثلاً: تفسير الطبري، ج12، ص 428، وابن الجوزي، **زاد المسير ، ج4، ص 113، وابن كثير، تفسير القرظن العظيم، ج2، ص464، وابحرالمحيط، ج5، ص226.**

اللـهَ لِي ، وَلاَ أَضُرُّكِ فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخْدَمَهَا هـاجَرَ فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا قَالَتْ رَدَّ اللـهُ كَيْدَ الْكَافِرِ، أَوِ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هـاجَرَ)([1]).

ويتضح من الحديث النبوي أنّ اللـهَ تعالى منعَ الظالمَ من الفاحشة، بأنْ قبض يده عن الحركة ثلاث مـرات، حتـى دعت سارةُ اللـهَ تعالى أنْ يفك يده، ففكّ اللـه يده في المرة الثالثة. وهذا ما جعل الخبيـث يتوقـف عـن الاقـتراب منها، بعد رؤية الآية بعينه، فأمر بإخراج سارة ثم أمر بإعطائها هـاجر خادمة.

آراء العلماء في المسألة:

تكلَّمَ العلماء في هـذا الحديث، ففريق قبله وأوّلَ الكـذب بأنـه لمصلحة شرعيـة، فهـو مـن بـاب التوريـة ولـيس الكذب على إطلاقه. وفريقٌ من العلماء توقف في قَبول هـذا الحديث لقدحه في عصمة الأنبياء عليهم السلام، لذلك ردَّهُ. واحتجَّ هـذا الفريق بأنَّ نسبة الكذب إلى الرواة أهون من نسبة الكذب والمعاصي إلى النَّبـيّ. وقـالوا حتـى لـو صحَّ الحديث فهو محمول على المعاريض، لأنّ في المعاريض مندوحة عن الكذب([2]).

وعدّ بعض المعاصرين هـذا القصة من الإسرائيليات، وأنها مرفوضة دراية من حيث المتن والموضـوع لأنـه لا يصـحُّ نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام، وإلا لأدّى ذلك إلى فقدان الثقة فـيما ينقلـون مـن وحـيِ اللــه تعـالى. وأنّ نسبة الكذب لإبراهيم عليه السلام مخالفٌ للقرآن الكريم الذي امتدح اللــهُ تعـالى فيـه إبـراهيم عليـه السـلام ، وأكّد على صفة الصدق عنده([3]) فقال جلَّ شأنه: (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**) (مريم: 41).

وحَمَلَ بعضُ العلماء الحديثَ على التورية، وأنَّه مـن بـاب المعـاريض، ولـيس كـذباً عـلى الحقّيقـة، وخاصـة أنهـا كذبات مشروعة في ذات اللـه تعالى كما نصَّ الحديث النبوي على ذلك، وهذا هـو الراجح، بدليل أنَّ سيدًنا محمَّداً صلى اللـه عليه وسلم قد ذكرهذه القصة من باب مدحه لإبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال: لم يكـذب إبـراهيمُ إلا ثلاث كذبات([4]). واللـه أعلم.

وقد وقفت على تفسيرٍ طيّبٍ للشيخ رشيد رضا؛ حيث يقول:" إنّ إبراهيم فعل ذلـك لـلضرورةِ ولـلتخلُّص مـن شرٍ وظلمٍ أكبر من كذبةٍ في الظاهر لها تأويلٌ في نفس قائلها إبراهيم وهي أنها أخته في الدين. ومـن القواعـد المعقولـة والمشروعة أنه إذا تعارض ضرران وجب ارتكابُ أخفِّهما، فإذا حاول ظالم أنْ يسترق امرأتك أو يغتصـبها وقـدرت أنْ تنجيها بكذبة وجب عليك ذلك، وتكون الكذبة معصية في الصورة، طاعة واجبة في الحقّيقة"([5]).

---

1 . أنظر القصة مفصلة في **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، ج4، ص171، رقـم 3358. **وصـحيح مسـلم**، كتـاب الفضـائل، بـاب مـن فضائل إبراهيم عليه السلام ، ج7، ص 98.رقم 6294 .**ومسند أحمد بن حنبل**، تعليق شعيب الأرناؤوط، مؤسسـة قرطبـة، القـاهرة، ج2، ص 403، رقم 9230.

2 . أنظر مثلاً: **تفسير الرازي**، ج 22، ص 185 -186، و**المواقف** للإيجي، ج 3، 418، مرجع سابق .

3 . الخياط، د. عبد العزيز عزت، **اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس**، ط 4، دار المتقدمة للنشر والتوزيع، 2004، عـمان، الأردن. ج1، ص 36.

4 . نفس المراجع السابقة.

5 . محمد رشيد رضا، **شبهات النصارى وحجج الإسلام**، ص 47 . ط 2، دار المنار، 1367ه .

ويمكن التوفيق بين من توقّف في قَبول الرواية وبين من أخذ بها، بأنْ يقال إنّ كِلا الفـريقين أراد تنزيـه إبـراهيم وتبرئة ساحته من الكذب، فالفريقان استبعدا نسبة الكذب المـذموم إلى إبـراهيم عليـه السـلام . وقـد بَـيَّنَ سـيدُنا محمَّد عليه الصلاة والسلام طبيعةَ هـذا الكـذب، وقـال: اثنتـين في ذات اللــه أي خالصـتين وهـو يـدعو لله تعـالى، وواحدة في شأن سارة ولم تكن لدنيا حاش لله تعالى، وإنما لمّا غلبَ على ظنـه بـأنّ الفـاجر سـيحاول فعـل سـوء مـع سارة. فقد طلب منها أنْ تقول إنها أخته أي في الدين كونهما وحيدين في الإيمان في تلك الأرض فاستخدم المعاريض، ووَرَّى ولم يتعمد الكذب. وبهذا يُعلم أنه لا خلاف جوهرياً بين الفريقين في أنّ إبراهيم لم يكذب. ففريق ردَّ الروايـة لأنه من المحال أنَ يكذب النَّبيّ، وفريق أول الرواية على الكذب المحمود لغايةٍ شرعيةٍ.

مقارنة بين روايات العهد القديم والسنة النبوية:

بمقارنة الروايات التي وردت في السنّة النبوية، بما ورد في العهد القديم ، يظهر أنَّ تخالف بشكل كبير القصة التي وردت مع فرعون ملك مصر حيث نسبت الرواية فعل فرعون الفاحشـة مـع سـارة، وأنـه اتخـذها زوجـةً، وعاتـب إبراهيم على أنه السبب في ذلك. فهذه مردودة عندنا نحن المسلمين وباطلة، لا شك في ذلك. بينما قصة ملك جـرار أبيمالك تقترب من القصة الواردة في السنة النبوية بعض الشيء. وتوافق مع الرواية التـي وردت في السـنة المطهـرة، فواضح من خلال الرواية أنّ إبراهيم عليه السلام طلب من سارة أنْ تقول إنها أخته لكـن مـن بـاب التوريـة. كـما تتفق الروايتان بأنّ الملك لم يستطع فعل سوء مع سارة؛ إذ منعه اللـه تعالى من ذلك.

وتتفق رواية العهد القديم مع الحديث النبوي أيضاً في أنّ إبراهيم عليه السلام إنما أراد من خـلال التوريـة المنـع من القتل والحفاظ على زوجته سارة.مع اختلاف في فهم شُرَّاح روايـة العهـد القـديم. والـذي دفـع إبـراهيم عليـه السلام لكل ذلك علمه بأنّ هـذه الأرض ليس فيها خوف من اللـه، وذلك لعدم إيمـانهم وهـذا أيضاً يوافـق السـنة المطهرة.

على أنّ هـذه الحادثة كانت مرة واحدة ولم تتكـرر مـرتين حيـث إنّ إحـدى الحـادثتين مكـرّرة في صـفحات العهـد القديم، لكنَّها لم تحدث على الأرض. ولعلّ الأقرب للصواب الحادثـة التـي مَنـعَ اللــهُ تعـالى فيهـا (أبيمالـك) مـن الاقتراب من سارة.

علامة الوضع والتحريف:

ومما يدلّ على تخبِّط كاتب القصة وكذبه هـذه العبارة:(فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، أَأُمَّةً بَارَّةً تَقْتُلُ؟)

(تك:20: 4) حيث يُلاحظ أنّ أبيمالك الذي أتـاه اللــه في الحلـم وصـف أمتـه بـالبرِّ، بـالرَّغم مـن كفـرهم، بـدليل الحديث النبوي الذي أفادَ عدم وجود مؤمن على تلك الأرض غـير إبـراهيم وزوجتـه. فالعبـارة المشـار إليهـا علامـةٌ ظاهرة على وضع القصة.

وأنبِّهُ إلى أنَّ قول إبراهيم في الحديث إنه ليس على وجه الأرض مؤمنٌ إلاّ هـو وسارة، لا يدلّ على كفـر أهـل الأرض كلّهم، وإنما كفر سكان أرض مصر في ذلك الوقت.

تناقضٌ جلي:

لعلّ أبرز التناقضات في هـذه الرواية مـا ورد في بدايـة القصـة وفي نهايتهـا. فقـد صرّح في البدايـة بـأنّ ابيمالـك لم يقترب من سارة لأنّ اللـه جاءه في المنام وحذره، إلا أنه قد جاء في الروايـة مـا يـلي: ([17]فَصَلَّى إِبْرَاهِيمُ إِلَى اللـهِ، فَشَفَى اللـهُ أَبِيمَالِكَ وَامْرَأَتَهُ وَجَوَارِيَهُ فَوَلَدْنَ. [18]لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لِبَيْتِ أَبِيمَالِكَ بِسَبَبِ سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ) (تك : 20 : 17- 18).

وقول: إنّ الربَّ كان قد أغلق كلَّ رحم لبيت ابيمالك، يـدلُّ عـلى مـدةٍ لا تقـل عـن سـنة. إذ لـيس مـن الممكـن أنْ توصف امرأة بأنها أمسكت عن الولادة أو أصيبت بالعقم، إلا بعد فترة طويلة تُعدُّ بالسنين لا بالشهور([1]). وهـذا لا شك من التناقض في هـذه الرواية.

والصواب الذي يظهر من خلال الرواية أنها كانت في بيت أبيمالك لأقل من يوم، بل ساعات معدودة، بـدليل أنّ اللـه جاء إلى أبيمالك مباشرة في الحلم، وأنه لم يقترب منها، ثم أنه في الصباح بكر وجمـع عبيـده وحـدثهم بـالحلم وحذرهم، وأنه استدعى إبراهيم في اليوم نفسه، فدلَّ على أنها مكثت أقل من يوم بخلاف آخر الروايـة الـذي ظهـر منه العقم الذي لم ينته إلا بدعاء إبراهيم عليه السلام .وقد سبق تفنيد طول مدة إقامة سارة في بيت ابيمالك مـن سياق الكلام وظاهره، وكذلك بأخلاق إبراهيم الذي يأبى أنْ تبقي سارة في بيت إنسان آخر هـذه المدة الطويلة.

أثر الدعوى:

لقد شجع الكتاب المقدس على الزنا وحثّ عليه، من القصص التي يرويهـا عـن الأنبيـاء علـيهم السـلام، إضـافة إلى القصص الغرامية، فهي خير شاهد على ما في الحياة اليهودية من عنصر شـهواني دنيـوي. وكـان لهـذا أثـره في العـالم الغربي الذي لا يفرق بين حلال وحرام([2]). بالرغم مما تقدم إلا أنّ أغلب اليهـود والنصـارى يعتمـدون رأي أحبـارهم وقساوستهم فيما يتعلق بنصوص الكتاب المقدس عندهم، ولذلك فانّ الواحد مـنهم لمّـا يقـرأ ويسـمع مثـلَ هــذه الـدعوى المتضـمنة متـاجرة إبـراهيم بعرضـه، وأنـه رمـى زوجتـه الجميلـة وضحّى بهـا مـن أجـل كـثرة مكاسـبه الشخصية([3])، فإنّ هـذا بلا شك ينعكس أثره السلبي عليه، فيكون لظرف ما مستعداً للتضحية بزوجتـه، بـل وربمـا أقنعها بمثل ذلك بحجة أنّ أبا الأنبياء عليهم السلام وصاحب العهد قد فعله في وقت ضعف إيمانه وجبنه،فلا حـرج بعد ذلك على من فعله من عامة الناس.

---

1 . **رسالة موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، ص 482 ، مرجع سابق،

2 . العاملي، الشيخ محمد علي برو، **الكتاب المقدس في الميزان**، 1993، الدار الإسلامية، بيروت، ص 176.

3 . القس.د. منيس عبد النور، **إبراهيم خليل اللـه**، ص 12، مرجع سابق .

وهكذا أثّرت الدعاوى المنسوبة زوراً وبهتاناً للأنبياء عليهم السلام على الأخلاق، وعلى الغيرة التي لا تكاد تجد لها أيّة أهمية في المجتمع اليهودي والنصراني، بل إنّ الاختلاط الفاحش والحرية الزائدة عن حدها، قد أدى بالمجتمع الغربي إلى الفوضى الجنسية وعدم المبالاة، بل والإباحية كأثر متقدم لنصوص الكتاب المقدس وخاصة في عهده القديم؛ حيث صارت آثاره المدمرة ظاهرةً دينياً وأخلاقياً واجتماعياً وصحياً.

المبحث الثاني: دعوى أنّ إبراهيم عليه السلام أعطى ماله لابنه إسحاق عليه السلام دون بقية إخوانه في العهد القديم

المطلب الأول: عرض الدعوى.

المطلب الثاني: تحليل الدعوى ونقضها.

المطلب الأول: عرض الدعوى:

ورد في العهد القديم أنّ إبراهيمَ عليه السلام ورَّثَ إسحاق عليه السلام كلَّ ماله، وأعطى بقية أبنائه عطايا، وأبعدهم عن إسحاق إلى جهة الشرق. كما في هذا النصّ:

(وأعْطَى إبراهيم إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ. [6]وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإبراهيم فَأَعْطَاهُمْ إبراهيم عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إلى أرض المَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ) (تك: 25 : 5- 6).

يرى علماءُ أهل الكتاب أنّ إبراهيم عليه السلام ، أعطى إسحاق أمواله بصفته الوارث الوحيد له، وفي الوقت نفسه أعطى أبناءه الآخرين من هاجر وقطوره،عطايا كافيةً من المال والماشية حتى لا يضايقوا إسحاق عليه السلام ، وحتى لا تقع بينهم منازعات ولا تضيق بهم أرض كنعان. ووصلوا إلى أرض المشرق وهي أراضٍ جنوب دجلة والفرات([1]).

المطلب الثاني: تحليل الدعوى ونقضها:

تحملُ الدعوى السابقة، اتهاماتٍ باطلة بحق إبراهيم عليه السلام ،وهي:

1- أنّ إبراهيم خالف البكورية التي من أصولها أنّ البكر له النصيب المضاعف من الميراث، فيكون إسماعيل بكر إبراهيم أولى لو حصل التفضيل أصلاً.

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 66، مرجع سابق .

2- أنه ورَّثَ كلَّ ماله لابنه إسحاق عليه السلام ، مع إعطاء بقية أولاده قليلاً من ماله. وهذا يحمل التمييز الصريح بين الأبناء وعدم العدل بينهم.

3- أنه أبعدَ بقية أولاده عن إسحاق عليه السلام .

لا شكَّ أنّ هـذه دعوى باطلة، وذلك لأنها تطعن في عصمة إبراهيم عليه السلام ، وتتهمه بالظلم وعدم العدل بـين الأبناء، فالتمييز بين الأبناء واضحٌ في الدعوى لا يحتاج إلى برهان.

ويُرَدُّ على هـذه الدعوى بأنّ الأنبياء عليهم السلام أبعد ما يكونون عن التمييز بين الأبناء، لأنه ظلم والظلم حـرام في جميع الشرائع ومع كل الخلق، فكيف إذا صدر عن أب بحق أبنائه ؟ وكيف إذا كان هـذا الأب نبياً وأبٌ للأنبياء عليهم السلام ؟

فهذا يحتم القول باستحالة وقوع هـذه الظلم من إبراهيم عليه السلام ، خصوصاً بهـذه الصـورة البشـعة المنافيـة للنبوة والأخلاق.

يُضاف إلى ذلك ما ذكره القرافي رحمه اللـه تعالى، بأنّ إبراهيم عليه السلام في حال قدومه آخر عمره على اللــه تعالى يكون في غاية الأدب مع ربّه وحسن التصرف مع أهله. فكيف يجعلُ خليل الرحمن هـذا المأثم خاتمـة عملـه عند حضور أجله؟([1]).

وأمّا الحجة التي يستند إليها أهل الكتاب في هـذه المفاضلة – أو في هـذا الظلم الذي يزعمونـه- فمبنيـة عـلى أنّ إسحاق عليه السلام هـو الذي يرث إبراهيم بكلام سارة الذي أمره اللـه أنْ يأخذ به كما يظهر في هـذا النصّ:

(وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هـاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، [10]فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هــذِهِ الْجَارِيَـةَ وَابْنَهَـا، لأَنَّ ابْنَ هـذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِـي إِسْحَاقَ». [11]فَقَـبُحَ الْكَـلاَمُ جِـدًّا فِي عَيْنَـيْ إِبْـرَاهِيمَ لِسَـبَبِ ابْنِـهِ. [12]فَقَـالَ اللــهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْـلِ جَارِيَتِـكَ. فِي كُـلِّ مَـا تَقُـولُ لَـكَ سَـارَةُ اسْـمَعْ لِقَوْلِهَـا، لأَنَّـهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. [13]وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضاً سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ». (تك : 21 : 9– 12).

فالحجَّة عندهم تقوم على أساس ديني، وهو الوعد المقدس لإبراهيم عليه السلام بإكثار نسله الذي سيكون مـن ذرية إسحاق وليس من ذرية إسماعيل عليه السلام . وبنـاءً عـلى هــذا الأسـاس اسـتحق إسـحاق عليـه السـلام أنْ يعطيه إبراهيم عليه السلام كلَّ ماله.

وهذا مردود بالآتي:

أولا: لو كان صحيحاً أنّ ذرية إبراهيم عليه السلام الموعودة، تكون من إسحاق عليـه السـلام كـما في الـنصِّ (لأَنَّـهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ)(تك:21 : 9– 12) أقول: لو كان كذلك لكفاه – أي إسحاق- عليه السلام هـذا فخراً وشرفـاً، ولم يحتجْ إلى تفضيله على إخوته بالمال، فإنّ شرف الموعد المقدس أعظم من المال!!

1 .القرافي، أحمد بن إدريس، 2005، **الأجوبة الفاخرة على الأسـئلة الفـاجرة**، تحقيـق مجـدي الشـهاوي، ص 164، ط 1، عـالم الكتـب، بيروت .

ثانيا: أنّ قدْر الإنسان وقيمته عند اللـه تعالى ليس بماله وإنما بإيمانه. إلا أنَّ كتبة هـذه الفرية أرادوا تفضيل إسحاق على إسماعيل عليهما السلام في الأمور المعنوية الإيمانية كمسألة الذبيح ومسألة ابن الموعد، إضافةً إلى الأمور المادية القريبة لقلوبهم.

ثالثا: أنّ العاقل يحكم على تصرف إبراهيم عليه السلام وتمييزه بين أبنائه بأنه غير حكيم، لأنّ هـذا التمييز بين الأبناء سبب لخلق الخصومة بين الإخوان، ولزيادتها إنْ كانت قائمة، وما كان لوالد عاقلٍ أنْ يُقدم على هـذا العمل فيزرع الحقّد بين أبنائه، فكيف يتصور إقدام نبي اللـه إبراهيم عليه السلام الذي آتاه اللـه الحكمة على مثله ! فهذا مرفوض عقلاً.

رابعا: أنّ هـذا السلوك والتمييز بين الأبناء مرفوض من ناحية الأخلاق، فليس من العدل في شيء، والأنبياء إنما بُعثوا بتزكية الأنفس وزرع الأخلاق وإشاعتها بين الناس.

خامساً: أنّ اللـه بارك نسل إبراهيم من ولديه إسماعيل وإسحاق معاً، وأنّ إسماعيل كان ابن عهد الختان كما كان إسحاق بلا فرق كما ذكر ذلك في تفسير السنن القويم([1]).

يؤخذ من هـذا تناقض اليهود في مسألة تفضيل إسحاق على إسماعيل عليهما السلام. وبالتالي إبطال الأساس الذي قامت عليه دعوى تفضيل إبراهيم ابنه إسحاق عليهما السلام على إخوته بإعطائه كل ماله.

كما أنّ عهد اللـه تعالى توجه إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام – دون إسحاق عليه السلام - في أعظم قضية إيمانية وأجلّ عهد رباني وهو بناء البيت الحرام. ولا شك أنّ حادثة بناء البيت، أعظم المسائل في حياة إبراهيم عليه السلام وأبنائه. فإذا كان إسماعيل هو مَن عهد اللـه إليه مع أبيه إبراهيم الخليل في بناء البيت، فهذا يدلُّ على أنّ إسماعيل أعظم عند اللـه تعالى، إضافة إلى حادثة الذبح التي يترجح أنّ الذبيح هـو إسماعيل. فدلّ كل هـذا على أنّ إسماعيل أفضل عند اللـه تعالى وعند أبيه إبراهيم عليه السلام من إسحاق عليه السلام ، وبالتالي لو كان إبراهيم عليه السلام مفضلاً أحدهما في العطيَّة لفضل إسماعيل عليه السلام ، لكنّ مسألة تفضيل الأنبياء عليهم السلام بعض أبنائهم على بعض بالأشياء الظاهرية التي يملكون كالعطية مثلاً منتفيةٌ شرعاً وخلقاً وعقلاً، بخلاف العواطف والأمور القلبية التي لا يملكها الإنسان، واللـه أعلم.

وبهذا كله يتضح بطلان هـذه الدعوى، وإنما هـي إحدى افتراءات كتبة العهد القديم على إبراهيم عليه السلام .

هدف الدعوى:

أما عن هـدف هـذه الفرية فما هـو إلَّا جزءٌ من مجموعة فرىً كتبها اليهود - ابتداء من حادثة لعن نوح المزعومة لحفيده كنعان، ومروراً بالفاحشة المنسوبة زوراً إلى لوط عليه السلام مع ابنتيه،وليس انتهاء بالظلم الذي اقترفه إبراهيم عليه السلام مع أبنائه وهو يقسم ماله في آخر حياته- دافعها وهدفها التعصُّب العرقيُّ الذي يهدف إلى تفضيل اليهود على سائر شعوب الأرض.

---

1 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج1، ص 135. مرجع سابق.

ومن المعروف أنَّ اليهود يحتقرون كل ما عداهم من الشعوب ويسمونهم(جوييم)، كم أنهم أضافوا ايضا كلمة (جوى) فيطلقونها على غير اليهودي ويعنون بها أنه إنسانٌ هـمجيٌ بربري يجمع القذارة والنجاسة والحقارة.([1])

أثر الدعوى:

لقد كان لهذه الدعوى وغيرها من الدعاوى، التي تحمل تفضيلاً لإسحاق عليه السلام على إسماعيل عليه السلام أثرٌ كبيرٌ في تفضيل اليهود بعضهم على غيرهم؛ حيث أجازوا الخداع التجاري ما لم يتسبب في إثارة العداوة نحو اليهودية([2]).

ومن أوضح ما يدل على العنصرية اليهودية وتفضيل جنسهم على باقي الاجناس ما ذكره د. حسن ظاظا؛ حيث يقول: " إنه لو أراد إنسانٌ الدخول في اليهودية فإنَّ الحاخام يبدأ بامتحانه وسؤاله والتشديد عليه لعله يفلح في صرفه عن الدخول في شعب الله المختار. لكن إذا نجح هذا الغريب في الإمتحان تمَّ تهويده دون أنْ ينال حق المساواة حتى مع الزنادقة من بني إسرائيل. ويميز باسم خاص هو (جير) أي جار أو مستجير، فيحرم عليه وعلى سلالته أنْ يصاهروا أية أسرة يهودية تحمل لقب (لاوي) وحالياً: (ليفي) أو (كوهين). كذلك يحرم على هذا المتهود أنْ يتولى الإمامة أو القضاء أو القيادة السياسية أو العسكرية. وله في الصلاة صيغٌ معدَّلة بحسب المنزلة السفلى التي وضع فيها. كما أنه إذا مات ولم يكن له أقارب من المتهودين مثله لم يرثه أحد، وتؤول تركته إلى الخزانة العامة. ويجوز لهذا المتهود الزواج من اللقيطة وبنت الزنا، بينما يحرم التلمود هذا على اليهودي الأصيل([3]).

المبحث الثالث : إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم:

لمْ يرد في العهد القديم ما يدلُّ على أنَّ إبراهيم عليه السلام صنع شيئاً لدعوته. وكل ما ورد أنه أقام مذبحاً في كل منزل من منازل طريقه([4]). وهذه إساءةٌ كبيرة بحق إبراهيم عليه السلام . وهذه فعلة قبيحة اتبعها كتبة العهد القديم مع جميع الأنبياء عليهم السلام حيث أسقطوا كلَّ ما يتحدث عن جهودهم في الدعوة إلى الله تعالى. بل لا تكادُ تجدُ أيةَ مواقفَ إيمانيةً في حياة أكثر الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم إلا نادراً. وهذا الأمرُ يُعدُّ أبلغ إساءة؛ حيث تغييبُ الغاية الشريفة لبعثة الأنبياء عليهم السلام.

بالمقابل قصَّ الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من شأن إبراهيم عليه السلام ، منذ كان فتىً يافعاً؛ حيث استخدم الفتوة والقوة وما يرافقها عادة من جرأة وإقدام في ذاتِ الله تعالى، فأقدم على تحطيم الأصنام، الأمر الذي أغضب أباه وقومه حتى اشتدت نقمتهم عليه. فلم تكن النار التي أشعلوها بأقل من النار المضطرمة في قلوبهم

1 . ظاظا، د. حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص 109 بتصرف يسير . مرجع سابق.

2 . إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة.** 1999، ترجمة صالح سوداح، دار بيسان، ط1، ص 138.

3 . ظاظا، د. حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص 109- 110. مرجع سابق.

4 . العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، ص 186. مرجع سابق.

حنقاً وغيظاً على من حطّم آلهتهم. لكنّ الـلـه تعالى كفى إبراهيم عليه السلام كيدَهم ونارَهم، وجعلها سلاماً عليه لِـما رأى من عظيم توكله عليه وثقته به.

وإذا كان من المسّلم به أنّ الـلـه تعالى قد امتدح الأنبياء عليهم السلام وزكّاهم في كتابه الكريم، فمن الواضح أنه تعالى قد وصف إبراهيم عليه السلام بمزيدِ مدحٍ ومزيد تزكيةٍ، يظهر ذلـك مـن الآيـات الكريمـة التـي بثّهـا الـلـه في مواضـع عديدة في القرآن المجيد؛ حيث يمكن تلخيصها في الصفات الآتية:

1- **الحنيفية :**

وصف الـلـه تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بأنه حنيف في أكثر من موضع، وهو أعظـم مـا اشـتهر بـه، واشـتهرت بـه ملَّته. ومن ذلك قوله تعالى : (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَـانَ حَنِيفًـا مُّسْـلِمًا وَمَـا كَـانَ مِـنَ الْمُشْرِكِـينَ {67/3}**) (إلى عمران : 67). والحنيفية من الحنف، والحنف هـو الميل عن الضلال إلى الاستقامة([1]) .

وقال ابن عاشور في تفسيره: الحنف هـو الميل في المذهب، إلا أنها صارت مدحا للملَّة الإسـلامية، لأنَّ النـاس يـوم ظهـور ملّة إبراهيم عليه السلام كانوا في ضلالة عمياء، فجاء دين إبراهيم عليه السلام مائلاً عنهم، فلقب بـالحنيف، ثـم صـار الحنيفُ لقب مدح بالغلبة([2]).

وقيل إنَّ الحنيف هـو الحاجُّ. وقيل المتبع لأنّ إبراهيم عليه السلام أول إمام سنّ لأتباعـه الحـج اليـوم القيامـة. وقيـل الإختتان، وقيل المخلِص لله وحده. وقيل الإسلام. وقال الامام الطبري بعد أنْ ذكر المعاني السابقة: "والحنيف عنـدي هــو الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملَّته وليس الحج وحده أو الختان وحده".(3)

2- **الخُلّة الإلهية:** فهو خليل الـلـه لقوله تعالى: (**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ الـلـهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**) (النساء : 125).

وهو النَّبيّ الوحيد الذي نُسبت له هـذه الصفة الشريفة في القرآن الكريم.

هذا وانّ وصف إبراهيم عليه السلام بخليل الـلـه تعالى مما اتفق عليه المسلمون وأهل الكتـاب. والمـراد بهـا الغايـة في المحبة.([3])

ولكن ما الذي امتاز به إبراهيم حتى أكرمه الـلـه تعالى فاتخذه خليلاً ؟

أرجعَ الرازي رحمه الـلـه تلك الامتيازات والاختصاصات لأنّ الـلـه تعالى أطلعه على الملكوت الأعلى والأسفل، ودعا القوم مرة بعد مرة إلى توحيد الـلـه، ومنعهم من عبادة الكواكب والأوثان، وسلَّم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان. وجعله الـلـه إماماً للخلق ورسولاً إليهم، وبشّره بأنَّ الملك والنُّبوة في ذريته، فلهذه الاختصاصات سمَّاه خـليلاً لأنّ محبَّـة الـلـه لعبده عبارة عن إرادته لإيصال الخيرات والمنافع إليه([4]).

---

1 . الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، مرجع سابق، مادة حنف، ص 149 .

2 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج1، ص 737.

3. **تفسير الطبري**، ج2، ص 594 – 595.

3 . الرازي،، **تفسير الرازي**، ج11، ص 59. مرجع سابق

4 . الرازي، **تفسير الرازي**،، ج11، ص 59.

3- أبو الأنبياء: وقد اشتهر إبراهيم عليه السلام بهذا الاسم، لأنَّ اللـه تعالى جعل النبوة في ذريته، كما قال جل شأنه: (**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**) (العنكبوت: 27).

وقد ولد لصلبه ولدان عظيمان إسماعيل ثم اسحق عليهما السلام، ووُلد له يعقوب عليه السلام الذي هو إسرائيل الذي ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النُّبوة حتى خُتموا بعيسى بن مريم، وأمَّا إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء عليهم السلام سوى خاتمهم وسيدهم محمَّد صلوات اللـه وسلامه عليه([1]).

4- أبو المسلمين: لقد عدَّ القرآنُ الكريم إبراهيم عليه السلام أباً للمسلمين. ويتضح ذلك من قوله تعالى: (**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**) (الحج: 78).

5- أنه أمّةٌ: لقوله تعالى: (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) (النحل:120) ولم يصف اللـهُ تعالى أحداً من خلقه، بأنه أمَّة إلا إبراهيم عليه السلام . وقيل إنه سمي أمَّةً لأنه كان في الفضل والفتوة والكمال بمنزلة أمّةٍ كاملة، ولأنه لم يكن وقت بعثته موحد للهِ غيره([2]).

6- أنّ اللـه تعالى آتاه الحجة:

إذا كان اللـه تعالى قد آتى الأنبياء عليهم السلام الفهم والذكاء والحجة ليتمكنوا من تبليغ الدعوة للمؤمنين وللكافرين، فإنه جل شأنه قد ميز الأنبياء عليهم السلام في هذا المقام فكانوا درجات،وتميز إبراهيم على الأنبياء عليهم السلام لكثرة المواقف الواردة في القرآن، وأهمها:

أولاً: مجادلة إبراهيم قومه في عبادتهم للأصنام بعد أنْ حطمها. **ثانياً:** مجادلته أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الكواكب. **ثالثاً:** مجادلته النمرود.

والاتصاف ببلاغة الحجة وقوة المنطق من الصفات الجلية عند إبراهيم الخليل عليه السلام ، وإن كانت الآيات لم تنُص عليها نصّاً، لكنها مستنبطة من خلال سيرة إبراهيم عليه السلام الدعوية.

7- أنّ اللـه تعالى جعله قدوةً حسنة للمسلمين:

بالرغم من دعوة اللـه تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام - وأمته تبعاً له- بالإقتداء بجميع الأنبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى: (**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) (الأنعام: 90). إلا أنه تعالى أكّد على الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه في موضعين في سورة واحدة، هي سورة الممتحنة بقوله الكريم: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**) وقوله أيضاً: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**) (الممتحنة : 4 – 6).

---

1 . ابن كثير، **قصص الأنبياء**، مرجع سابق، ص 157 بتصرف.

2 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج 14، ص 315.

وقد وصف اللـهُ تعالى إبراهيم بصفات كريمة في كتابه العزيز، وهي صفات صريحة ومنها :8- **أنه أوّاهٌ حليم منيب،** (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ**) (هـود:75). فالحِلم صفة تقتضي الصفح واحتمال الأذى، والأوّاه كناية عـن شدة اهتمامه بهموم الناس، والمنيب هـو المحاسب نفسه على ما يحذر منه([1]).

9- 11- أنَّه **قانت وصديق، كما أنه شاكرٌ وصالحٌ** لقوله تعالى:

(**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْرِكِـينَ {120/16} شَـاكِرًا لِّأَنْعُمِـهِ اجْتَبَـاهُ وَهَـدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ {121/16} وَآتَيْنَـاهُ فِي الْـدُّنْيَا حَسَـنَةً وَإِنَّـهُ فِي الآخِـرَةِ لَمِـنَ الصَّـالِحِينَ {122/16}**) (النحـل: 120-122).

والقانت هـو الخاشع المطيع([2])، والصدِّيق من المبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصدق([3]).

وقد ركَّزت بعض المقاطع القرآنية على بناء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام الذي جعله اللـه تعالى محجاً وقبلةً للمؤمنين، كما نصَّت الآيات الكريمة، على دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل البلد الحرام ببعثة رسول منهم. وقد استجاب اللـه دعائه فبعث من مكة المكرمة خاتم أنبيائه وخيرتهم سيدنا محمَّداً صلى اللـه عليه وسلم .

وقد سمَّى اللـه تعالى سورة من القرآن باسم نبيه إبراهيم عليه السلام ، كما ذكره في مواضع عديدة في القرآن الكريم. وقد وصفه النَّبيّ عليه السلام بأنه خير البرية، عندما ناداه رجلٌ قائلاُ: يا خير البرية، فقال: ذاك إبراهيم([4]). ومع كل هـذه الصفات الكريمة والجهود العظيمة، إلا أنه يبقى هـناك ما هـو أعظم وأجل وهو عهد اللـه تعالى لإبراهيم عليه السلام ، والمتمثل في تطهير البيت، ورفع قواعد الكعبة المشرفة.

العهد الإلهي لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع قواعد البيت الحرام:

أكَّد اللـه تعالى في القرآن الكريم على ما عهد به لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، من أجل بناء البيت وتطهيره. وقد ذكرت هـذه الحادثة في مواضع عديدة في القرآن الكريم. على أنه سبقها هـجرة إبراهيم عليه السلام إلى مكة نظراً لوجود زوجه هـاجر وابنها إسماعيل عليه السلام ، يتفقد أحوالهم ويطمئنُّ عليهم، حتى كَبُرَ الغلامُ، فكان ما كان من الأمر بذبحه، فصدَقا مع اللـه تعالى، لكنَّ اللـه تعالى فدى إسماعيل عليه السلام بذبحٍ عظيم. ثمَّ لمَّا أراد اللـه ما أراد من الكرامة، بإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وذريته المؤمنة وخاتم النَّبيّين سيدنا محمّد عليه الصلاة والسلام، فقد كان العهد الإلهي العظيم، لإبراهيم وإسماعيل ببناء البيت الحرام وهـي الكعبة المشرفة.

---

1 . ابن عاشور، ، **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج12، ص 123.

2 . ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص 612،

3 . الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، ج 21، ص224.

4 **. أنظر: صحيح مسلم**، كتاب فضائل الأنبياء عليهم السلام، باب فضائل إبراهيم الخليل، رقم 6287، ج 7، ص 97.

ووما يجدر ذكره أنَّ اليهود أغفلوا هـذا العهد العظيم وطمسوه مـن أسـفارهم المقدسـة زوراً وبهتانـاً، بتـزيين مـن الشيطان، ونظراً لحسدهم وتفضيلهم أنفسهم على كل الأمم والشعوب.

وقال تعالى في شأن عهده الكريم لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، برفع قواعد البيت ودعـائهما لأهـل مكـة، بـأنْ يبعث اللـهُ رسولاً منهم يطهّرهم ويعلّمهم ويزكّيهم: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْـتَ مَثَابَـةً لِّلنَّـاسِ وَأَمْنـاً وَاتَّخِـذُواْ مِـن مَّقَـامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {125/2} وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَـنَ مِـنْهُم بِاللـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ قَـالَ وَمَـن كَفَـرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {126/2} وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْـتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {127/2} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَـا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ وَمِـن ذُرِّيَّتِنَـا أُمَّـةً مُّسْـلِمَةً لَّـكَ وَأَرِنَـا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {128/2} رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ {129/2}**) (البقرة: 125-129).

ويرتبطُ البيت الحرام بركنٍ من أركان الإسلام، وهذا الركن لا يوجد في غير الإسلام، وعدم ذكره في العهد القديم دليلٌ أضافيّ على تحريف الوحي الإلهي. وأكثر الظنّ أنّ يد التحريف وصـلت لهـذه القضـية الجليلـة حسـداً مـن اليهـود لإسماعيل وأمه هـاجرعليهما السلام، وهو ذات السبب الذي لأجله حرَّفوا قصة الذبيح كما سيتضح في الفصل الآتي.

الشبه الواردة في شأن إبراهيم عليه السلام :

ورد في القرآن الكريم آيات يوهم ظاهرها وقوع إبراهيم عليه السلام في المعاصي وخلاف العصمة. وفيما يأتي نورد الآيات والشبه ثم الإجابة عنها بما يزيل ذلك الوهم إن شاء اللـه.

الشبهة الأولى: قوله تعالى: (**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَـالَ لا أُحِـبُّ الآفِلِينَ**) (الأنعـام: 76). والشبهة تكمن في قوله:(**هَذَا رَبِّي**) فإنْ كان ذلك عن أعتقاد كان شركاً، وإلا كان كذباً.([1]).

والجواب على ذلك أنَّ قول إبراهيم عليه السلام كان على سبيل الفرض والإستدلال في معرض إقامتـه الحجـة عـلى بطلان زعم قومه بربوبية الكواكب، وهذا ليس فيـه معصـية، بـل هــو طاعـة لأنَّ فيـه إرشـادٌ لقومـه ليرجعـوا إلى الصواب. وقيل إنَّ ذلك كان من إبراهيم عليه السلام في مقام النظر والإستدلال قبل البعثة، ثم إنه عقبـه بمـا يـدل على فساده فقال: (**لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**) ([2])

---

1 . الرازي، عمر بن الحسين، **عصمة الأنبياء**، ص 61، والإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف**،ج3، ص 435.

2 . أنظر مثلاً: الرازي، **عصمة الأنبياء** ص 61 – 62، **والمواقف** للإيجي، ج3، ص 435.**وشرح المقاصد**، ج3، ص 312، وبخيـت، د. محمـد مهدي، **عقيدة المؤمن في النبوات والسمعيات**، المطبعة العربية الحديثة، ط1، 2003، ص 163.

أقول: إنَّ من أقوى الردود على هـذه الشبهة قوله تعالى: (**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**) (الأنعام: 83).

حيث يظهربجلاء أنَّ كلام إبراهيم عليه السلام في مادلة قومه إنما هـو وحيٌ من اللـه تعالى، لذلك ختم اللـه القصة ببيان أنَّ ذلك بأمره لا من فكر إبراهيم عليه السلام ونظره، واللـه أعلم.

والشبهة الثانية: إجابة ابراهيم عليه السلام عندما سأله قومه عن الذي حطّم الأصنام بقوله: (**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {63/21}**) (الأنبياء: 63).

وإنما عنى بالكبير الصنم، وهذا كذب لأنَّ إبراهيم عليه السلام هـو الذي كسّر الأصنام.

والإجابة كما يقول د. محمد حسن مهدي:" أنَّ أبراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله هـذا الإخبار بأنَّ كبير الأصنام هـو الذي حطمها، وإنما الذي يقصده هـو الإستهزاء بهم والتعريض بغباوة قومه؛ حيث إنهم يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر([1]).

الشبهة الثالثة: في قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**) (البقرة: 260).

قالوا إنّ ذلك يدل على أنّ ابراهيم عليه السلام لم يكن موقناً بقدرة اللـه على إحياء الموتى، وهـو شك والشك في قدرة اللـه تعالى كفر.([2])

ويرد على هـذه الشبهة: بأنه ليس القصد من سؤال إبراهيم عليه السلام شكّه في قدرة اللـه تعالى، وإنما سأل ليصل إلى عين اليقين الذي يكون عن عيان ومشاهدة، وفيه من الطمأنينة ما ليس في علم اليقين([3]).

وقد ورد في الحديث الصحيح قول سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم :" نحن أحقُّ بالشك مـن إبـراهيم" إذ قال: (**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**) ([4])

الشبهة الرابعة: أنّ أبراهيم عليه السلام كذب لما دعاه قومه للخروج لمهرجانهم كما في هـذه الآيات: (**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ {88/37} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ {89/37} فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ {90/37}**) (الصافات: 88- 90) والجواب أنَّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى النجوم ليقيم عذره عندهم على زعمهم لكونهم يقولون بالقضاء في النجوم فقال:(**فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**) فاعتقدوا أنه رأى في النجوم أسباب المرض فرضوا بذلك وتركوه([5]).

---

1 . بخيت، د. محمد مهدي، **عقيدة المؤمن في النبوات والسمعيات،** ص 165، مرجع سابق.

2 . الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف،** ج3، ص 435. مرجع سابق.

3 . الرازي، **عصمة الأنبياء،** ص 76، **والمواقف،** الإيجي، ج3، ص 435.

4 . أنظر: **صحيح البخاري،** كتاب الأنبياء، باب قوله عزّ وجل: (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) رقم 3192.

5 . ابن خمير، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء،** ص 130. مرجع سابق.

يقول ابن خمير في توجيه لطيف لمعنى الحديث :" نبَّه ضعفاء العامة أنَّ أنبياء اللـه تعالى في العصمة والنزاهة على سواء، فما جاز على أحدهم جاز على الكلّ. فكأنه يقول: إياكم أنْ تجوزوا الشكَّ على إبراهيم عليه السلام فيما يوحى إليه به، فإنَّ جوزتموه عليه فأنا أحقُّ أنْ تجوزوه عليَّ، وأنتم لا تجوزونه عليّ فلا تجوزوه عليه. ثمَّ تأدب صلى اللـه عليه وسلم مع الأب بقوله:" نحن أحق"([1]).

وهكذا يظهر أنْ لا معاصي لإبراهيم عليه السلام في الحقيقة، وأنَّ ما تقدم من شبهٍ تزول بالتدبر في الآيات القرآنية، وبتزكية اللـه تعالى خليله إبراهيم عليه السلام ، فما كان لهذا الخليل أنْ يشرك او يكذب أو يشك في قدرة خليله جلّ شأنه.

1 . ابن خمير، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، ص135- 136. مرجع سابق.

الفصل الرابع: الذبيح عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- تمهيد.

- المطلب الأول: الذبيح عليه السلام في العهد القديم.

- المطلب الثاني: نقض الدعوى.

- المطلب الثالث: الذبيح عليه السلام في القرآن الكريم.

تمهيد:-

هـل استخدم الجمل كوسيلة نقل في زمان إبراهيم عليه السلام ؟

أحاول في هـذا التمهيد إبطال دعوى أخذ إبراهيم عليه السلام حماراً من بيته إلى مكـان الـذبح مسـتدلاً بنصـوص من العهد القديم والقرآن الكريم، ومن ومن كلام المؤرخين والنّقّاد،لإثبـات اسـتخدام الجمـل وسـيلة نقـل في زمـان إبراهيم عليه السلام .

يرى د.أحمد سوسة أنّ الجمال استخدمت منذ زمنٍ بعيد كواسطة نقلٍ صحراوي، وكان لها دور مهـم في النقـل نظـراً لصفات الجمل التي تؤهله لذلك. ويستدل رحمه اللـه على ذلك بتصوير(صورة) جملٍ عـثر عليـه المنقّبـون في جبـل عند الحدود الجنوبية الشرقية للأردن، ويعود تاريخه إلى العصـور الحجريـة. ومـن العهـد القـديم يتضـح أنّ إبـراهيم اقتنى الجمال، كما في هـذا النصّ:(وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَال)(تك:16:12).

ويضيف "إلا أنّ أكثر الإسرائيليين ما كانوا يستخدمون الحمير، لأنّ الجمل كان نجساً بحسب الشريعة اليهودية."([1])

وأرى استخدام الجمال في التنقل في عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبرهان ذلك من القـرآن الكـريم؛ حيـث يقول ربُّنا تبارك وتعالى عن أمره خليله إبراهيم عليه السلام : (**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَـالًا وَعَـلَى كُـلِّ ضَـامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**) (الحج: 27). والضامر صفة للإبـل أو النـوق كـما في كتـب التفسـير واللغـة([2]). وهـذا يـدل دلالةً قاطعةً على استخدام الإبل وسيلة للتنقل في ذلك الزمان. وقيل إنّ الضامر صفة للفرس([3]). ولا مانع من اسـتخدام الفرس وسيلة للتنقل أيضاً، إلا أنّ أهل الجزيرة العربية نظراً لطبيعة حياتهم وهم أهل بادية، يجعـل الإنسـان يـرجح أنّ المراد الإبل، واللـه أعلم.

وقد ورد في سفر التكوين أنّ كبير بيت إبراهيم وعبده لمّا ذهب إلى العراق أخذ معه عشر جمال وهـذا هــو الـنصّ: (ثُمَّ أَخَذَ الْعَبْدُ عَشَرَةَ جِمَال مِنْ جِمَالِ مَوْلاَهُ، وَمَضَى وَجَمِيعُ خَيْرَاتِ مَوْلاَهُ فِي يَدِهِ. فَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورَ. [11]وَأَنَاخَ الْجِمَالَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ)(تك:24 : 10 -11). وأيضا أنه ركبهـا ثـم حـلّ عنهـا: كـما يظهـر في الـنص الآتي: ([32]فَدَخَلَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَيْتِ وَحَلَّ عَنِ الْجِمَالِ، فَأَعْطَى تِبْناً وَعَلَفاً لِلْجِمَالِ)(تك: 24: 32).

وممّا يجعل الإنسان يقطع باستخدام الجمل في تلك الأيام هـذا الـنصّ:([61]فَقَامَـتْ رِفْقَـةُ وَفَتَيَاتُهَـا وَرَكِبْنَ عَـلَى الْجِـمَالِ وَتَبِعْنَ الرَّجُلَ)(تك: 24: 61) وأيضاً هـذا النصّ:([64]وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ عَيْنَيْهَا فَرَأَتْ إِسْحَاقَ فَنَزَلَتْ عَنِ الْجَمَلِ)(تك: 24: 64)

وإذا ثبت استخدام الجمال في عهد إبراهيم عليه السلام - وهو الصواب- وعلى فرض صحة أنّ إبراهيم عليـه السـلام خرج من بئر السبع إلى القدس لذبح وحيده كما في العهد القديم- فإنه من غير المعقول أنْ يسير هـذا النَّبيّ الكريم مـع

1 . د. أحمد سوسه، **العرب واليهود في التاريخ**، ص 124 -126 بتصرف، ط2، العربي للإعلان والنشر، دمشق.

2 . أنظر مثلا: **تفسير الطبري**، ج16، ص 514، **وتفسير الرازي**، ج23، ص 29، **ولسان العرب**، مادة ضمر.

3 . أنظر مثلاَ: **الأصفهاني، المعجم المفهرس**، ص 335، **والرازي، مختار الصحاح**، ص 337.

ابنه وغلاميه مدة أسبوع، ولا يصطحب معه ولو راحلة واحدة على الأقل، وهو ذاهب لأداء الأمر الإلهي بذبح وحيده فهي رحلة إيمانية عظيمة.

ويدلُّ هذا أيضاً على أنّ إبراهيم عليه السلام ليس على اليهودية كما يزعم اليهود، لانّ الشريعة اليهودية كانت تحرِّمُ أكل الجمل وركوبه كما في هذا النص: (إلا هـذِهِ فَلاَ تَأْكُلُوهَا مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ: الجَمَلَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ)(لا:4:11).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنّ اقتناء الجمل كان يُعدُّ من الغنى والثروة.([1])

ويترجح لديَّ أحد احتمالين، **الأول:** أنّ الكاتب اليهودي أراد أنْ يُظهر إبراهيم كأنه متبع للشريعة اليهودية، فحذفَ الجمل من القصة لأنه محرَّم في الشريعة، وأثبت مكانه الحمار، فيكون التحريفُ قد طرأ أيضاً على وسيلة الركوب في هذه القصة. فهذا احتمال لو ثبت لثبت معه التحريف.

والاحتمال الثاني: صحةُ استخدام حمار واحد في هذه الحادثة وليس الجمل، إلا أنّه في حال ثبوته، يدلُّ دلالةً قاطعةً على قربِ المسافة من بيت إبراهيم عليه السلام إلى مكان الذبح .وعندها يكون إبراهيم عليه السلام معذوراً في استخدام الحمار دون الجمل، نظراً لقرب المسافة من مكة إلى المروة أو منى. وهذا يؤكِّد أنّ الذبيح إنما هو إسماعيل عليه السلام ،حيث أخذه إبراهيم قريباً من البيت الحرام، إلى المروة أو منى، مراعاةً لمشاعر زوجه هاجر أمّ الغلام الذبيح. وبهذا الاحتمال يكون التحريف قد طرأ على مكان سُكنى إبراهيم، ومكان الذبح، وشخص الذبيح. والله أعلم.

وفي ختام هذه المسألة، فإنّ على علماء أهل الكتاب اختيار أحد الاحتمالين السابقين. وكلاهما يؤكِّد وقوع التحريف في رواية العهد القديم.

وفي هذا الفصل نتناول هذه الحادثة من خلال العهد القديم، ثم نعرض لها في القرآن الكريم، ثم نحلل النصوص للخروج بنتيجة علمية موافقة للشرع والعقل. والبداية مع العهد القديم.

المبحث الأول: الذبيح عليه السلام في العهد القديم:

ينُصُّ العهدُ القديم على أنَّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام . حيث أمر الله تعالى خليله إبراهيم أنْ يأخذ وحيده إسحاق ليذبحه على المحرقة. وهذا هو النصُّ الذي حوى تفاصيل الحادثة:

(وحَدَثَ بَعْدَ هـذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [2]فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». [3]فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَباً لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. [4]وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، [5]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: «اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجعُ إِلَيْكُمَا».

---

1 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 273. مرجع سابق.

[6]فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. [7]وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!». فَقَالَ: «هأنذا يَا ابْنِي». فَقَالَ: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» [8]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي». فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا.

[9]فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. [10]ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. [11]فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» [12]فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». [13]فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضاً عَنِ ابْنِهِ. [14]فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى».

[15]وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ [16]وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، [17]أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، [18]وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي». [19]ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلاَمَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعاً إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ.)(تك:22: 1-19)

المطلب الأول: تحليل الدعوى ونقضها:

اولاً: تحليل الدعوى: تكمن عقيدة أهل الكتاب في هذه القضية، استناداً إلى: النصّ السابق، وتفسير علمائهم الآتي:

- الإجماع على أنَّ قصة الذبح هي أهم حادث في حياة إبراهيم عليه السلام ، وأنها تشكل عظمة إيمانه وتوكله على الله.([1])

- أنَّ إسحاق عليه السلام هو وحيد إبراهيم عليه السلام عند تلك الحادثة، كما صرَّح النصُّ بذلك. وقد دُعي وحيداً ولسببين، الأول: لأنه ابن الموعد. والثاني: لأنّ إبراهيم عليه السلام كان قد صرف إسماعيل عليه السلام عنه([2]).

- أنّ إبراهيم عليه السلام كان يسكن في بئر السبع لما أمره الله بذبح وحيده.([3])

- أنّ عُمْر إسماعيل عليه السلام كان خمساً وعشرين عاماً عند حادثة الذبح.([4])

1 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 187 .

2 . جرجس، د نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 261.

3. أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 188 .

4 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 262 .

- أنّ أرض المريا([1]) هــي أحد الجبال شرقي القدس أو شمالها. ويدَّعي السامريون أنَّ المذبح كان على جبل جرزيم.([2])

- أنَّ المسافة بين سكنى إبراهيم عليه السلام (بئر السبع) وبين مكان الذبح (جبل المُرِيا) مسيرة ثلاثة أيام حوالي ثمانين أو تسعين كيلو متراً. ([3])

- أنَّ إسحاق عليه السلام لم يعلم بأنه الذبيح، إلا بعد أنْ ربطه أبوه بالحبال على خشب المحرقة([4])

- يُلاحظ أنه لم يرد ذكرٌ لإسحاق عليه السلام بعد الفداء.

وخلاصة القصة في العهد القديم أنّ اللــه تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أنْ يذبح ابنه، الوحيد إسحاق في مكان يسمى المريا، ولم يكن إبراهيم عليه السلام يعلمه، لكن اللــه تعالى سيعرفه به بعد ثلاثة أيام من الأمر الإلهي؛ حيث بكّر إبراهيم عليه السلام بالاستعداد لتنفيذ الأمر الإلهي، فجهّز غلاميه وحماراً لـه، وأخذ حطباً، ثم ذهب هو وإسحاق عليهما السلام، إلى المكان الذي أمره اللــه مشياً لمدة ثلاثة أيام.

وفي اليوم الثالث أرى اللــهُ تعالى إبراهيم عليه السلام مكان الذبح، فطلب من غلاميه البقاء ثم وضع الحطب على إسحاق ليحمله وقد ناهز خمسةً وعشرين عاماً، وحيث افتقد إسحاق الخروف فسأل أباه عنه فأخبره أنّ اللــه تعالى سيدبر الأمر. ثم سارا ولما وصلا إلى المكان، قام إبراهيم عليه السلام ببناء المذبح ووضع الحطب عليه، وربط إسحاق عليه السلام ووضعه فوق الحطب، ثم مدّ يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الربّ بأنْ يتوقف ولا يفعل شيئاً، لأنّه نجح في هذا الاختبار الإلهي. وعندها نظر إبراهيم عليه السلام فرأى الكبش، فذهب وأخذه ووضعه على المحرقة، عوضاً وفداء عن إسحاق عليه السلام ثم ناداه الملاك مرة ثانية، وأخبره بأنّ اللــه تعالى أقسم بذاته أنه سيباركُ إسحاق ويكثر نسله، ويتبارك بنسله جميع أمم الأرض لأنه سمع كلام اللــه. ثم رجع إبراهيم عليه السلام لغلاميه، فأخذهما وتوجه لبئر السبع وسكن فيها. وهذه خلاصة القصة كما وردت في العهد القديم.

ثانياً: نقض الدعوى:

إنَّ المتأمل في قصة الذبيح في العهد القديم، يلاحظ أنَّ التحريف قد شمِل عدة جوانب، إلاَّ أنّ أهمها الأركان الأساسية الثلاثة في القصة وهي:

---

1 . **المرِيا :** ربما معناه رؤيا، وهو اسم :

1- أرض أوصي إبراهيم أن يصعد إليها ويقدم إسحاق ابنه على أكمة منها وهي منطقة في أورشليم.

2- الجبل الذي بنى سليمان عليه الهيكل في أورشليم ويظن الأكثرون أنَّ موضع الهيكل هو نفس الموضع الذي فيه أمر إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحاق ذبيحة غير أنَّ التقليد السامري يقول إنَّ موضع مذبح إبراهيم كان على جبل جرزيم. أنظر : بطرس عبد الملك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**،ص 840 . وانظر: **مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب**،ص 82، أسعد منصور،1905، بدون دار طباعة ولا مكان طبع .

2 . **السنن القويم**، ج1، ص 157.مرجع سابق.

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 58 .

4 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 263 .

1- هـوية الذبيح . 2- مكان الذبيح. 3- وسيلة النقل التي استخدمها إبراهيم للسفر مـن مكـان سـكناه إلى مكـان الذبح. ويتضح بطلان هـذه الأركان بالنقد الآتي:

أولا: النقد الأول الذي يمكن توجيهه في هـذه القصة موجه إلى شُرَّاح العهد القديم الذين وقعـوا في تنـاقض رهيـب في موقفهم من إبراهيم، حيث سبق أنْ نالوا منه بشدةٍ، وكالوا له التُهم وعبـارات الاسـتخفاف مـما لا يليـق بآحـاد المؤمنين فضلا عن الأنبياء عليهم السلام المطهرين. فقد وصفوا فعل إبراهيم عليه السلام بأنه خِداع وكَذب وضعفُ إيمان، ووصفوا ذلك بأنه سقطة إبراهيم الكبرى . ثم عاد نفس الكاتب نفسه وهو القس انطونيـوس فكـري فـأثنى على إبراهيم في حادثة الذبح فقال:" إنّ هـذه القصة تشير إلى عظمة إيمان إبراهيم الـذي يـرى أنّ اللــه هــو كـل كفايته"([1]).

وهكذا تناقض علماء أهل الكتاب مع أنفسهم، ففي الوقت الذي كالوا لخليل اللـه تعالى التهم والنقد والطعـن، وقالوا إنّ إيمانه قد اهتز بسبب المجاعة، وأنه تاجر بعرضه، وأنه كان مستحقا للوم من الملك الوثني، عـادوا وقـالوا إنه عظيم الإيمان وإنه أعظم قديس على مر العصور لموقفه من ذبح ابنه الوحيد . فهذا تعارض واضح جمعـوا فيـه بين صفات الإيمان والعظمة في شخص إبراهيم، وصفات الجبن والضعف وعدم الغيرة. وهذا حالهم مع أكثر الأنبيـاء عليهم السلام.

ثانيا: إنّ وصف إسحاق عليه السلام بأنه ابن إبراهيم الوحي، هـو من التناقض البيّن الذي ظهـر مـن خلالـه كـذب كتبة العهد القديم. وفيما يلي بيان لمعنى الوحيد ثم نقض لرأيهم.

معنى الوحيد: بالرجوع إلى تفسير علماء أهل الكتاب لمعنى الوحيد يلاحظ أنّ معناه عائد الأمـرين: الأول أنـه ابـن الموعد، والثاني لأنّ إسماعيل لم يكن موجوداً مع أبيه إبراهيم عليه السلام بل كان أبوه قد صرفه وأمَه هــاجر عـن سارة وابنها([2]).

ويرد على المعنى الأول أنّ إسحاق عليه السلام ليس الوحيد في الموعد، بل إنّ اللـه تعالى قد أعطـى الوعـد لهـاجر أنْ يكثر إسماعيل عليه السلام وذريته وأنْ يباركهم، ويجعل نسله لا يُعدُّون من الكثرة. كما أعطى الوعد مـن قَبْـلُ لإبراهيم عليه السلام ، أنْ يكثر نسله ويباركَهم، وأنْ يجعلهـم كـتراب الأرض في العـدد، وتحقـق وعـد اللـــه تعـالى لإبراهيم فوهب له إسماعيل عليه السلام على الكبر، وهو ابن ست وثمانين سنة، أمـا إسـحاق فوهبـه اللـــه تعـالى لإبراهيم عندما بلغ مائة سنة.

وهكذا يظهر أنّ الوعد الإلهي لإسحاق بإكثار نسله ومباركته ليس منفرداً، وإنما شاركه إسـماعيل في هــذا الموعـد. بل إنّ إسماعيل سابق على ذلك. وعليه فلم يكن إسحاق وحيداً بهذا المعنى، فبطُل الذي قصدوه.

---

1 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 188 .

2 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 261

أما المعنى الثاني من أنّ إسحاق عليه السلام بقيَ مع إبراهيم عليه السلام بعد أنْ صرف إبراهيمُ عليه السلام هاجر وابنها إسماعيل، فلا يصح أنْ يقال إنّ إسحاق عليه السلام صار وحيداً بهذا المعنى، لأنّ إبراهيم عليه السلام كان يتردد على هاجر وإسماعيل عليه السلام . وقال ابن كثير هنا: إنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له ولد غيره([1]).

أقول: لو صحّ جدلاً إطلاق وصف الوحيد على إسحاق عليه السلام من هذا الباب، لصحّ أيضاً إطلاقُه على إسماعيل عليه السلام لاشتراكهما في المعنى ذاته، وذلك لِما سبق من تردُّدِ إبراهيم عليه السلام بين زوجتيه عائلته الأولى عند سارة، وعائلته الثانية عند هاجر في مكة المكرمة (فاران)، **فإسماعيل عليه السلام كان وحيد أبيه عندما كان أبوه عنده، وإسحاق عليه السلام كان وحيد أبيه عندما كان أبوه عنده.** كما لا يصحّ أنْ يقال إنّ إبراهيم عليه السلام هجر زوجه وابنه بعد صرفهما إلى بئر السبع، لأنّ ذلك ليس من أخلاق الكرماء والنبلاء فضلاً عن إبراهيم خليل اللـه تعالى عليه السلام . وإنما كان إبراهيم عليه السلام يسير وفق أمر اللـه ووحيه لا عن هوى نفسه.

ويُقالُ في جميع الحالات إنّ محبة إسماعيل عليه السلام كانت في قلب أبيه إبراهيم عليه السلام ، خصوصاً أنه البكر. وربما لأسباب فطرية لا إرادية كان قدْر محبة إسماعيل أكثر من محبة إسحاق. مع عدم جواز ظهور آثار هذه المحبة في التعامل أو النفقة أو بين الأبناء، والا كان ذلك من باب التمييز المحرم، والأنبياء منزهون عنه بلا شك. واللـه أعلم .

وهكذا بَطَل أنْ يكون إسحاق وحيد إبراهيم بالمعنى الحسيِّ والمعنويِّ.

بل الذي يَصحُّ أنَّ إسماعيل عليه السلام هو وحيد إبراهيم عليه السلام ، وهذا ظاهر في العهد القديم ذاته؛ حيث يوضح أنّ إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام وعمره ستةٌ وثمانون عاماً، بينما رُزق بإسحاق عليه السلام عند المائة فدلَّ على أنّ إسماعيل عليه السلام بقي وحيد إبراهيم عليه السلام طيلة أربعة عشرة سنة. وقد قال الشيخ عبد الوهاب النجار في قصصه: "إنّ إسحاق لم يكن وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام، لأنه ولد ولإسماعيل أربع عشرة سنة، كما هو صريح التوراة، وبقي إسماعيل إلى أنْ توفي إبراهيم وحضر إسماعيل وفاته ودفنه. كما أنَّ ذبح إسحاق يُناقضُ الوعدَ الإلهي الذي وعد به إبراهيم أن إسحاق سيكون له نسل"([2]).

وأرى بحسب العهد القديم، أنّ الأمر الإلهي بالذبح سواء كان لإسماعيل أو لإسحاق، فإنه يناقض الوعد الإلهي بإكثار نسلهما. لكن ربما يُجاب عن هذا بأنه يُعدّ قمة التسليم ومنتهى الإيمان والثقة باللـه تعالى من إبراهيم بربه تبارك وتعالى، حيث وعده بإكثار ذريته، ثم أمره بذبحه ابتلاءً واختباراً، واللـه أعلم .

---

1 . **تفسير ابن كثير**، ج 4، ص 16.مرجع سابق.

2 . عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، ص 103 .

أمَّا عن سبب تحريف اليهود لشخص الذبيح فيرجع إلى حقدِهم وحسدهم، لذلك أقحموا إسحاق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب([1]).

ويمكن القول إنّ كراهية اليهود لهاجر بسبب العنصرية المقيتة، هو الذي دفعهم للتحريف بإضافة كلمة إسحاق وحذف إسماعيل، لأنه ابن هاجر، فكيف يحظى بهذا الشرف الكبير فتكون مِزيةً لهاجر على سارة ؟ لذلك رأوا من المناسب تغيير إسماعيل بإسحاق.

ثالثاً: قولهم إنّ إبراهيم عليه السلام كان يسكن في بئر السبع، لما أمره اللـه تعالى بذبح ابنه، دليل على أنّ الذبيح إنما هو إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام، لأنّ هاجرَ قد سكنت وابنها - بعد صرف إبراهيم لها عن هاجر- في بئر السبع بحسب العهد القديم.

رابعاً: حقيقة المريا هي المروة أو مِنى؟

اختلف أهل الكتاب في تحديد موضع الذبح وهو المريا، هل هي جبل من جبال القدس أم شكيم نابلس([2]) أم جرزيم كما يدَّعي السامريون.

أقول: هذا الاختلاف بينهم إنما هو بسبب التحريف الذي طرأ على القصة.

والحقّ أنه لا يصح أنْ تكون الأرض التي أمر اللـه إبراهيم عليه السلام أنْ يذبح ابنه فيها هي المريا، سواءً أكانت القدس أم نابلس، فإنّ هذا من التحريف. ولعلّ الصوابُ أنها المروة أو منى التي بجانب مكة المكرمة لكنها حرفت إلى المريا، أو أنّ المريا كانت تعني منى .

ومن هذا نعلم أنّ كلمة (الغابة) مقحمة في النص بقصد تغيير ملامح المكان، وأنها محاولة مكشوفة لإبعاد الشبهة عن الكذب والتحريف، إلا أنّ الشمس لا يمكن تغطيتها بغربالٍ. واللـه أعلم بالصواب.

والذي يدعم هذا ما جاء في إحدى الدراسات، أنّ الذبح لا يَزالُ في ذرية إسماعيل حتى في أيام الشرك واستمر حتى الإسلام. بينما لا يَنسبُ اليهود ذبائحهم وقرابينهم إلى الذبح الإبراهيمي. وكذلك أنّ الإسلام جعل قبلة الذبيحة إلى الكعبة حيث مسكن إسماعيل.([3])

ولو كان الذبيح هو إسحاق لاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم من الفداء سنّة لهم، ولذكروها في مناسبات مختلفة، لكننا نجد أنّ الفداء عند بني إسرائيل يرتبط بالخروج من مصر، ولا يوجد إشارة من قريب أو بعيد لذكر فداء إسحاق([4]).

---

1 . **تفسير ابن كثير**، ج 4، ص 16 .

2 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج 1، ص 158. مرجع سابق.

3 ردمان، فاطمة بنت خالد،**إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد**، ص 289 بتصرف،مرجع سابق .

4 . محمد قاسم محمد، **التناقض في تواريخ وأحداث التوراة**، ص 58، مطابع ستار برس، الهرم، 1992 .

خامساً: لا يصحُّ عقلاً أنْ يكون مكان الذبح بعيداً عن مسكن إبراهيم مسافة ثلاثة أيام. كما لا يصحُّ من إبراهيم خلقاً وعقلاً اكتفائه بحمارٍ واحدٍ لهذه الرحلة، وذلك للأسباب الآتية:

1- أنَّ اللائق بهذه الرحلة المقدسة أنْ يهتم بها إبراهيم عليه السلام ويعظمها، لأنها من شعائر اللـه ووحيه، فليست حدثاً عادياً. وليس من اهتمام وتعظيم النَّبيّ إبراهيم عليه السلام لأمر اللـه تعالى أنْ يكتفي بسَوقِ حمارٍ واحد فقط لهذه الغاية الجليلة والمقدسة، ويوضِّح هـذا الأمر ويؤكده:

2- أنَّ الوضع الطبيعي لإبراهيم عليه السلام - وهو المعروف بالغنى وكثرة الأنعام من الإبل وغيرها التي كان يملكها - كان يقتضي أنْ يسوق معه لرحلة مدتها أسبوع على الأقل(ثلاثة أيام ذهاباً ومثلها إياباً ويوم الذبح) راحلتين على الأقل أو ثلاثة - واحدة لنفسه، وثانية لابنه الذي بلغ من العمر خمسة وعشرين عاما كما يقول شُرَّاح العهد القديم([1])، وثالثة لغلاميه. إضافةً إلى متاعه ومؤنتهم هـذه المدة – أو أنْ يركب على الخيل، لا أنْ يسوق معه حماراً واحداً كما زعمت الرواية.

3- لا يصحُّ عقلاً أنْ يحمل إبراهيم عليه السلام الحطب الكثير - الذي يكفي لحرق إنسان - لمدة ثلاثة أيام، ومن غير اللائق بل من غير الممكن أنْ يكلف إبراهيم غلاميه هـذا الحمل الثقيل جداً الذي لا يطيقه حمارٌ واحد.

ثمّ إنّ الشجر والحطب كثيرٌ في جبال القدس، بينما هـو قليل ونـادر في بـئر السـبع بطبيعتها الصحراوية الجافة، ومقارنة مع أرض القدس ذات الأشجار والخصب الذي يدر سمناً وعسلاً. فلماذا يلجأ إبراهيم عليه السلام إلى أخذ الحطب معه كل هـذه المسافة ؟ ولماذا يكلِّف نفسَـه هــذه المشـقة ؟ هــذا إنْ وَجَـد حطباً كافياً في تلك البرية الصحراوية أصلاً. وهو أمرٌ مستبعدٌ بالنظر لتوقيت الرؤيا حيث كانت ليلاً، وأنه بكَّرَ في الصباح لتنفيذ الأمر الإلهي فليس ثَمَّة وقت كافٍ لتجهيز الحطب.

وأعتقد أنّ ما تقدم من الحجج والبراهين كافٍ لكل ذي لُبّ، أنْ يعلم أنّ الذبح لم يكنْ على مذبحة، ولمْ يحتجْ لحطب أو حبال، بل كان مجرداً لا يحتاج إلاَّ لسكين. كما أنَّ المسافة ليست مسيرة ثلاثة أيام كما تزعم الرواية، بل كان إبراهيم في مكّة لما رأى في المنام أنه يذبح ابنه، ثم خرج إلى خارج مكةَ بقليل أو لعلَّه خارج مسكنه بعيداً عن هـاجر أمّ الغلام حتى لا تعيقه عن الذبح أو لا تتأثر نظراً لعاطفة الأم الجياشة. واللـه تعالى أعلم.

تعقيب:

خلصت دراسة أجراها د. خضر شايب([2]) إلى خُلوِّ كتب الصِّحاح والسُّنن، من أيِّ حديث يشير إلى مكان الذبح. وخلُص الباحث إلى خطأ الاعتماد على قرني الكبش الذي فدى اللـه تعالى به الذبيح عليه السلام ، كدليلٍ على أنّ الذبح كان بمكةَ، نظراً للمدة الطويلة بين حادثة الذبح وبين فتح مكة، فبينهما ستة وعشرون قرناً من الزمان، وهذه مدة كافية كما يرى د. خضر لإذابة الحديد وليس فقط لإتلاف العظم.

---

1 . جرجس، د نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 262 .

2 . شايب، د. خضر شايب، **قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية**، ص 114، ط 1، مؤسسة الرسالة 2001، بيروت .

ردِّي:

يمكن الردُّ والإجابة على هـذه النتيجة التي خَلُص إليها د. خضر بأمرين:

الأول: أنّ القرنين لهما خصوصية وقيمة عند الـلـه تعالى، فهما من آيات الـلـه تعالى ومما ترك آلُ إبـراهيم علـيهم السلام، فحفظهما الـلـه تعالى بعنايةٍ منه وفضلٍ. وقد جرتْ سنةُ الـلــه تعـالى في حفـظ بعـض آياتـه، لتكـون دلـيلاً وعبرةً وهدايةً للخَلْق، مثلما جعل بقاء جثة فرعون آية، وبقاء بعض أجزاء سفينة نوح آيـة، ومقـام إبـراهيم عليـه السلام آية، فكذلك كان القرنان آية، للفتِ أنظارِ الخَلْق إلى نعمة الفداء الإلهي ليحفظوا شكر الـلـه تعالى. وإذا كان الأمر كذلك فلا أثرَ لطول المدَّة في جانب العناية الإلهية.

وفيه أيضاً إظهارٌ من الـلـه جلَّ شأنه لكرامة إبراهيم وابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام عـلى تسـليم أمـرهما لله تعالى. والـلـه أعلم.

الثاني: لا مانعَ من أنَّ العرب تعظيماً منهم لإبراهيم عليه السلام ، كانوا يجدِّدون القرنين كلما تلفـا أو أوشـكا عـلى التلف، فيضعون مكانهما قرنين آخرين،وحافظوا على هـذه العادة إلى أنْ جاء الإسلام. والآن عودٌ إلى متابعة النقد:

سادساً: لا بدَّ من التساؤل عن سبب عدم ورود موقف لإسـحاق، عنـدما ربطـه أبـوه ووضـعه عـلى الحطـب فـوق المذبح؛ حيث سكت العهد القديم عن ذكر شيء من ذلك. ولا يُعقل أنَّ إسحاق عليه السلام الذي لم يعلم من قبـل أنّه هـو الذبيح، ثمّ كانت هـذه المفاجأة الكبيرة ليكتشف أنه هـو الذبيح، ثم لا يصدر منه أي موقف !!

سابعاً: إنّ عدم معرفة الذبيح بأنه هـو الذي سيذبح، أمرٌ يحمل تقليلاً من أهمية الحادثة بشكل عـام، كـما يحمـل تقليلاً من شأن الذبيح نفسه بشكل خاص، حيث لا أثر للتسليم والصبر والرضا. فالمحرفون كـلام الـلــه تعـالى أرادوا تكريم إسحاق عليه السلام وبني إسرائيل بهذه الحادثة، وهذا التزوير، إلاَّ أنّ ذلك انقلب علـيهم، فقلـلّ مـن شـأن الذبيح إذ نسبوا إليه عدم علمه المسبق بالذبح.

أقول: ومن هـنا تظهر إحدى الفروقات الجليلة في قصة الذبح، حيث نصُّ القرآن الكريم وتأكيده على علـم الـذبيح المسبق بأنه سيذبح، فصبر ورضي، فظهر مقامه، وتجلى إيمانه واستسلامه لله ربّ العـالمين في أرقـى صـوره وأجملهـا. بخلاف العهد القديم الذي أغفل كتبته هـذا الأمر الجليل.

ثامناً: أنّ رواية العهد القديم لم تتعرض لذكر إسحاق مطلقاً، بعد أنْ نجا من الذبح. وليس مـن المعقـول أنّ الروايـة تذكر غلامي إبراهيم وتنسى هـدف القصة وابن الموعد إسحاق !!

وهذا النص يخلو من ذكر إسحاق:([19]ثُمَّ رَجَعَ إبراهيم إلى غُلاَمَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إلى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَـكَنَ إبـراهيم فِي بِئْرِ سَبْعٍ.)(تك : 22 1-19)

تاسعاً: أنَّ التاريخ والواقع يكذبان مسألة مباركة نسل إسحاق عليه السلام ، التي عقّب بها العهد القديم على نجاة إسحاق عليه السلام من الذبح، وكان الوعد بتكثير ذرية إبراهيم عليه السـلام ؛ حيـث ورد: (وَأُكَـثِّرُ نَسْـلَكَ تَكْثِـيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ)(تك: 22: 17)

ذلك أنه على الرغم من مضي أربعة آلاف سنة على هــذا الوعـد، فـإنّ نسـل إبـراهيم عليـه السـلام مـن حفيـده إسرائيل لا يزيدون عن خمسة عشر مليوناً([1])، من ضمنهم الأمم التي تهوَّدت كعرب اليمن وبعض الأحباش ويهـود أوروبا. فالعهد قد استقر ونفذ في إسماعيل عليه السلام ، ثم تحقَّـقَ واسـتعلن في محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وأمته، ويأبى الواقع في التاريخ الماضي والحاضر ما ادعاه الأحبار في توراتهم([2]).

وبعد هـذا النقد التفصيلي لرواية الذبيح في العهد القديم، نأتي على القصة كما في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الذبيح عليه السلام في القرآن الكريم:

لا بدَّ بداية من التنبيه إلى أنه لم يرد في القرآن الكريم نصٌّ باسم الذبيح. إلا أنّ المتدبر في الآيات الكريمـة المتعلقـة بهذه المسألة لا يملك إلا أنْ يقطع أنّ إسماعيل عليه السلام هـو الذبيح وليس إسحاق عليـه السـلام ، بـالرغم مـن اختلاف العلماء في شخص الذبيح. وهذه هـي الآيات التي فصَّـلت قصـة الـذبح والفـداء؛ إذ يقـول جـلَّ شـأنه عـن إبراهيم عليه السلام :

(**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** {99/37} **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** {100/37} **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُـلَامٍ حَلِـيمٍ** {101/37} **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِن شَاء اللـهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** {102/37} **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** {103/37} **وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَـا إِبْـرَاهِيمُ** {104/37} **قَـدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** {105/37} **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْـبَلَاء الْمُبِـينُ** {106/37} **وَفَـدَيْنَاهُ بِـذِبْحٍ عَظِـيمٍ** {107/37} **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** {108/37} **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** {109/37} **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** {110/37} **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** {111/37} **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّـالِحِينَ** {112/37} **وَبَارَكْنَـا عَلَيْـهِ وَعَـلَى إِسْـحَقَ وَمِـن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ**) (الصافات:99-113)

تحليل:

اختلـف علـماءُ الإسـلام في الـذبيح، فـذهب بعضـهم إلى أنـه إسـحاق([3]). وتناقلـه أهـل التفسـير عـن بعـض كبـار الصحابة([4]). وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه إسماعيل عليه السلام ([5]). فيما توقف البعض فقال: اللـه أعلـم أيهـما الذبيح ([6]).

---

1 . هـذا العدد ذكره الناقد عبد الوهاب طويلة، وحتى لو كان اليهود أضعاف هـذا العدد فإنَّ ذلك لا يوافق ما في العهد القـديم مـن جعل نسل إبراهيم كعدد نجوم السماء ورمال البحر.

2 .طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، **مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**،. دار القلم، دمشق، ص 90 -91 بتصرف .

3 . **تفسير الطبري**، ج 19، ص 588- 592،**وزاد المسير في علم التفسير** لابن الجوزي، ج 7 ص 72 .

4 . نُقل هـذا الرأي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبداللــه بـن مسـعود وأبي مـوسى الأشـعري وأبي هـريرة رضي اللـه عنهم، أنظر مثلاً: **تفسير زاد المسير لابن الجـوزي** ج 7، ص 72 . **والمحـرر الـوجيز** لابـن عطيـة ج 4، ص 480 .**وتفسير الرازي**، ج 26، ص 153 .

5 . انظر مثلا : **أحكام القرآن لابن العربي** ج 4، ص 32،**و المحرر الوجيز** ج7، ص481،**وتفسير الرازي**، ج 26، ص 153، **وتفسير ابن كثـير** ج4، ص 16 – 21 .

6 . نقله الرازي عن الزجاج، أنظر: **تفسير الرازي**، ج 26، 153.

والإمام عبد الحميد الفراهي في كتابه(الرأي الصحيح فيمن هـو الذبيح) بعـد أنْ أورد روايـة (أنـا ابـن الـذبيحين) قال:" هـذه الرواية ذكرها ابن جرير، وتعقبه ابن كثير بذكر الضعف في إسنادها، ولو صحَّت لكانـت قاطعـة فإنهـا صريحة"([1]).

وقد رأى ابن كثير رحمه اللـه تعالى أنَّ "ما ورد عن الصحابة، وعن غيرهم من السلف، من أنّ الذبيح هـو إسـحاق هـو أمرٌ لا حجة له من كتاب ولا سنة، وإنما مأخوذ من الإسرائيليات التي كان كعب الأحبار مصدراً لها بعد إسلامه، فكان يحدِّث بها فأخذها الناس وتناقلوا ما عنده غثها وسمينها. وليس لهـذه الأمـة واللــه أعلـم حاجـة إلى حـرفٍ واحد ممَّا عنده".([2]).

وبعد أنْ سبق إبطال قصة الذبيح في العهد القديم، نأتي الى ذكر أدلة أنّ الذبيح هـو إسماعيل عليه السلام :

أولاً: أنَّ ظاهر الآيات السابقة يدلُّ على أنّ الذبيح هـو الابن البكر لإبـراهيم عليـه السـلام ، لأنـه كـان بعـد طلـب إبراهيم مـن ربـه جـل وعـلا الولـد، لقولـه تعـالى: (**وَقَـالَ إِنِّي ذَاهِـبٌ إِلَى رَبِّي سَـيَهْدِينِ {99/37} رَبِّ هَـبْ لِي مِـنَ الصَّالِحِينَ {100/37} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ {101/37}**)(الصافات: 99- 101).

ثانياً: أنه ذَكر بعد قصة الذبح بشارة أخرى هـي البشارة بإسحاق، فدلَّ على أنّ الأول خلاف المبشر به الثاني، لقولـه تعالى : (**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ {112/37} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ**) (الصـافات:112-113). وقـد نبّـه الشيخ عبد الوهاب النجار لهذه القضية، وذكر أنّ الضمير في (عليه) يعود على الذبيح، والإتيـان بـالبُشرى بإسـحاقَ بعد ذِكرِ الذبيحِ دليلٌ على أنّ إسحاق عليه السلام غير الذبيح، وأنه يقتضي التغاير بين إسحاق والذبيح.([3])

ثالثاً: قوله تعالى : (**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ {71/11}**) (هود: 71). يُعلم من الآية السابقة أنّ اللـه تعالى لا يطلب من إبراهيم ذبح إسحاق وهو صغير، لأنه تعالى قد بشَّر سارة بأنّ إسحاق سيكون له ولد اسمه يعقوب فيكون من ذرية إسحاق عقب ونسل([4]) . **فكيف تقع البشارة بإسـحاق وأنـه سـيولد له يعقوب، ثم يُؤمر إبراهيم بذبح إسحاق وهو صغير قبل أنْ يولد له؟**

رابعا: أنّ إسماعيل هـو وحيد إبراهيم وقت الأمر بالذبح، ولا يصح أنه إسحاق بحال، ومما يؤكد ذلـك أنّ إسـماعيل بقي وحيد إبراهيم مدة أربع عشرة سنة([5]).

خامسا: أنّ مكة مسكن إسماعيل هـي قبلة للذابحين، وما زال المسلمون يتعاهدون سنة الذبح حتى اليوم([6]).

سادساً: أنّ القرنين اللذين بقي العرب يتعاهدونهما بمكة جيلاً بعد جيل، دليلٌ عـلى أنّ الـذبيح إنمـا هــو إسـماعيل لأنه كان هـو المقيمُ بمكة وليس إسحاقَ عليهما السلام.

1 . الفراهي، عبد الحميد عبد الكريم، **الرأي الصحيح في من هـو الذبيح**، ط1، دار القلم، دمشق،1999، ص 119.
2 . **تفسير ابن كثير** ج 4، ص 16 و 19 بتصرف يسير.
3 . النجار، عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء** ، ص 102.
4 . ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج 4، ص 16.
5 . عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، ص 103 .
6 . فاطمة بنت ردمان، **رسالة إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، عرض ونقد**، مرجع سابق، ص 289.

وممَّا سبق يظهر أنّ الذبيح هـو إسماعيل. ويظهر كذلك بطلان القول بأنّ إسحاق عليه السـلام هــو الـذبيح مـن العهد القديم نفسه، والبرهان العقلي كما تقدم، كما أنّ دلالـة القـرآن واضـحة عـلى أنـه إسـماعيل عليـه السـلام ، والـلـه تعالى أعلم.

هدف الدعوى ودافعها:

الحقّ يقال إنّه لا إساءةَ في تعيينِ شخصِ الذبيح، سوآء كان إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام. وإنما الزيـادةُ التـي طرأت على القصة في العهد القديم تحملُ مخالفةً عقليـةً لا يمكـن تصـديقُها. وقـد ظهـر لي - بعـد معالجـة هــذه الدعوى وغيرها- أنّ كتبةَ العهد القديم عاشوا أزمةً نفسيةً ودينيةً واجتماعيةً وسياسيةً وأخلاقيةً، مع ما عندهم من فسق، فأرادوا تعويضَ كل هـذه الظروف القاسية بتمجيـد أنبيـائِهم، وتخصيصـهم بالبركـةِ والعهـد الأبـدي، ووراثـة الأرض المقدسة، وحذفُ ما يتعلق بفضل لهاجرَ وابنها إسماعيل عليه السلام ،ومنها قصة الـذبح- حسـداً مـن عنـد أنفسهم- حتى لا يُنسبَ الخيرُ والرفعةُ لابن هـاجر التي كانت خادمة عنـد سـيدتها سـارة، وهكـذا سـيطرتْ فكـرةُ سيادة اليهود على كلِّ من سواهم، وانعكس ذلك على تحريفِ الوحي الإلهيِّ.

الفصل الخامس: لوط عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- مبحث: دعوى فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنتيه في العهد القديم

- المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

- المطلب الثاني: نقض الدعوى

- المطلب الثالث: لوط عليه السلام في القرآن الكريم.

تمهيد:

إنَّ ما تضمنه العهد القديم من إساءةٍ بالغة، وفحش بحق نبي الـلـه لوط عليه السلام لـيس لـه مثيـلٌ مـع بقيـة الأنبياء عليهم السلام نظراً لتعلقه بالزنا مع المحارم وهما ابنتاه. هـذا ويعدّ فعلُ لوط الفاحشـةَ بابنتيـه مـن أقـوى الأدلة على التحريف الذي طال العهدَ القديم، وإنْ كان أهل الكتاب لا يعدونه نبياً وإنما قديساً([1]). ويجدر الوقوف على نظرة علماء أهل الكتاب ورأيهم في نبي الـلـه لوط عليه السلام . ومن الملفت للنظر مـا ألصـقه شُرَّاح الكتـاب المقدس بهذا النَّبيّ من اتهامات شنيعة، ومـا لا يليـق مـن كلـمات قاسـيةٍ ومعيبـة وقادحـةٍ لا تليـق بآحـاد الـبشر العاديين، فضلاً عن قديسيهم وفضلائهم فكيف بنبي كريم من أنبياء الـلـه تعالى؟!

مبحث: دعوى فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنتيه في العهد القديم:

تعدُّ هذه الدعوى من أخطر وأبشع الدعاوى والاتهامات التي وجَّهَهَا كتبةُ العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السـلام. وفيما يأتي عرض وتحليل لهذه الدعوى:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت هـذه الطامةُ التي افتراها كتبةُ العهد القديم على لوط عليه السلام وعلى ابنتيه، جليةً في نهاية قصـة لـوط عليه السلام . وأهل الكتاب لا ينكرونها بل يقرونها، ويدافعون عنها بمبرراتٍ فاسـدةٍ واهيـة، كـما سيتضـح فسـادُها وبطلانُها، بتوفيق المولى عزَّ وجل. وهذا هـو النصُّ الذي حمل تلك الدعوى الشنيعة:

(30 وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَر([2]) وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هـوَ وَابْنَتَاهُ. [31]وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ.[32]هَلُـمَّ نَسْـقِي أَبَانَا خَمْراً وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فنحيي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». [33]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَـتِ الْبِكْـرُ وَاضْـطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. [34]وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْـطَجَعْتُ الْبَارِحَـةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْراً اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». [35]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، [36]فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. [37]فَوَلَدَتِ

---

1 . أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ، ص 950. ذكرتُ في مقدمة الدراسة أنني سأتناول دراسـة الأنبيـاء علـيهم السـلام الـذين ذكـروا في القرآن الكريم وجاء ذكرهم في العهد القديم أيضاً، ولا شك أنّ لوطاً عليه السلام أحدهم وإن كان أهل الكتاب لا يعدونه نبياً.

2 . **صُوغَر**: اسم معناه صغر، وهي إحدى مدن الدائرة ويبدو أنها كانت أصغرها وكانت الدائرة ترى مـن جبـل نبـو حتـى صـوغر ولم تخرب هـذه المدينة عند سقوط سدوم وأخواتها مدن الدائرة لأن لوطا صلى من أجلها ولجـأ إليهـا (تـك19: 20-30) وكـان وراءهـا جبل ومغارة سكن فيها لوط وابنتاه ردحا من الزمن (عدد 30). وبقيت صوغر في أيام إشعياء وإرميا، وقـد ذكراهـا مـع مـوآب مـما يجعلنا نظن أنها كانت إلى الضفة الموآبية أي الشرقية من البحر الميت وفي زمن المكابيين كانت تقع في حدود مملكة عربية عاصمتها البتراء. وكانت إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت فتكون إذاً إلى الجنوب الشرقي من البحـر الميـت. وهكـذا ذهـب أكـثر المـدققين. ولعلها كانت قريبة من خرائب القرية. وأما المدينة الأصلية فلا شك أنها اليوم تحت مياه البحر. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 562 . مرجع سابق.

الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. [38]وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْناً وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ)(تك : 19: 30- 38).

موقف شُرَّاح العهد القديم من لوط عليه السلام :

اتفق شُرَّاح العهد القديم([1])على الإساءة إلى لوطٍ عليه السلام ،إلا ما كان من أفرام السريانيّ؛ حيث لم أجد في التفسير المنسوب إليه طعناً في لوط أو إبراهيم عليهما السلام. أمَّا بقية الشراح فاتفقوا على أنّ لوطاً عليه السلام قد فرَّط في بناته بعرضهن على قومه، واتهموه بأنه تلكأً في الخروج من سدوم لأنه لم يشأْ أنْ يتخلّى عن الثروةِ والرفاهية.

ويلوم شُرَّاح الكتاب المقدس لوطاً عليه السلام لوماً عنيفاً على أنه رفض ابتداءً أنْ يسكن في صوغر بسبب الخوف، فاضطر بعد ذلك للسَكَن في مغارةٍ في جبل صوغر ولكنْ كعبدٍ، في حين رفض أولاً أنْ يسكن كابن الله في محبةٍ وطاعة، فكان سكناه في الجبل عقوبةً على سوء اختياره، وعلى نظرته المادية".([2])

أمَّا مكانة نبي الله لوط عليه السلام عند شُرَّاح العهد القديم، فلا حرمةَ له ولا كرامةَ، بل الطعن الشديد. ولنستمع لما قاله صاحب السنن القويم في شأن لوط المطهر: "يرون أنه خالطَ الأشرارَ، وكان يجلسُ في مجالِسهم الشرِّيرة. كما أنَّه زوَّج بناته منهم، فكان شديد الانفصال عن إبراهيم، خارجاً عن عهد الختان، لا نصيب له فيه. كما أنّ برّ لوطٍ كان نسبياً، أي أنه كان باراً بالنسبة إلى سائر سكان سدوم، وأنّ نفسه التي كانت تتعذب بينهم لم تحمله على ترك مخالطة أولئك الفجَّار، ولا شك أنه أخطأ لأنه حُرِمَ العهدَ وعيشَ الطهارة وسكن بين أراذلِ الأرضِ بُغية الربح الدنيويّ"([3]).

ثمَّ قال: "والخلاصة أنّ تاريخَ لوط وأهلَ بيته تاريخ محزن جداً، وزاد كل الشرِّ والفظاعة هذه الحادثةُ التي لم يكن شرُّ كل حوادث حياته مثلها في العارِ والنَّجاسة"([4]).

وهكذا وصل حال علماء أهل الكتاب إلى الدَّرْكِ الأسفل من الجهل والفحش، والكلام البذيء بحقِّ الأنبياء عليهم السلام الأطهار.

تحميل لوط عليه السلام مسؤولية الفاحشة:

يحمِّل علماءُ العهد القديم لوطاً عليه السلام مسؤوليةَ الفاحشة، حيث اعتبروا أنَّ ابنتيه قد اضطرتا للحفاظ على وجود نسلٍ للأسرة، لأنهما خشيتا ألا تتزوجا أبداً. فباستعدادِ لوط للتساهلِ ورفضُه للتصرف السليم وصلتا إلى الذَّروة، فكان يجبُ عليه أنْ يجدَ زوجين لابنتيه قبل ذلك بزمنٍ، فلمْ تكن عائلة إبراهيم بعيدة جداً. وها هما

---

1 . أنظر مثلاً: **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج1 ص 142، **والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 52، **وتفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس ص 249، **وإبراهيم خليل الله**: القس د. منيس عبد النور، ص 17 .

2 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 249 .

3 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج 1، ص 142.

4 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج 1، ص 146.

البنتان تنزلقان إلى ارتكاب الفاحشة مع أبيهما "([1]). وهكذا يتهم علماءُ أهل الكتاب نبيَّ اللـه لوط بأنُّه تسـبب في إقدام ابنتيه على فعل الفاحشة معه.

موقفهم من ابنتي لوط عليه السلام :

ذهب بعض شُرَّاح العهد القديم إلى أنّ ابنتيْ لوط قد أُشربتا شرَّ أهل سدوم وعمورة، أي أنهما أقـدمتا عـلى فعـل الفاحشة مع أبيهما بدافع الشهوة والشر([2]). وأنهما انزلقتا إلى ارتكاب الفحشاء مع أبيهما مظهرتين مـوافقتهما عـلى الأخلاقيات التي تعلمتاها في سدوم([3]).

على أنّ بعض شُرَّاح العهد القديم يلتمسون أعذاراً واهية لابنتي لوط، على فعلتهما المشينة كما يأتي:

1- أنَّ محبة النساء الشديدة للنسل في ذلك الزمان هـو عذر هـاتين البنتين.([4])

2- أنهما ظنتا أنّ العالَم كله قد هـلك كما وقع في حادث الطوفان، ولم يبقَ سوى أسرتهـما الصـغيرة المكونـة مـنهما ومن أبيهما.

3- أنهما عملتا هـذ العمل الشَّاذَّ رغبة في إحياء النسل وحفظ اسم أبيهما. وليس بدافع الشهوة الجنسية.

3- أنهما كانتا تتوقعان مجيء المَسِيَّا([5]) الذي يسحقُ رأسَ الحيَّة، ولذلك فعلتا هـذا ليجيء من نسلهما.([6])

4- وذهب بعض الباحثين إلى أنه لم يكن في ذلك الوقت وصية تحرم زواج المحارم، بل كان هـذا هـو المتبع([7]).

قلت: هـذه نظرة أعظم شُرَّاح العهد القديم لنبيِّ اللــه لـوط عليـه السـلام وأسرتـه،وهي صـورة نَمَطِيَّـةٌ لجميـع مفسري وشُرَّاحُ العهد القديم منذ أكثر من قرنٍ من الزمان حتى اليومَ.

وخلاصةُ الأمر أنَّ التوراة صوّرتْ هـذا الكهف الذي لجـأ إليـه لـوطٌ وابنتـاه إلى رحِـمِ التـاريخ، وصِـلاتهم الجنسـية المخمورة، تعادل اتحاداً مقدساً يَهَبُ العالَم؛ حيث اعتبره كتبة العهد القديم المنقذ الأخير([8]) للنسل البشري.

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

أستهلُّ النقد بتعليق د. بسام العموش على نصِّ الدعوى حيث يقول:" هـل يصدق عاقلٌ أو إنسان يؤمن برسـالات اللـه أنَّ هـذه الكلمات من عند اللـه؟ إنَّ النتيجة الحتمية التي نصل إليها أنَّ هـذا الكلام لا يمكن أنْ يكـون كـلام اللـه، بل هـو كلام حاقد على الأنبياء والرسالات راغبٌ بتشويهها أمام الناس"([9]).

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** . ص 52 .

2 . فكري أنطونيوس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 175 .

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 52 .

4 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج1، ص 146.

5 . **مَسِيَّا:** هـي الصيغة العربية للكلمة اليونانية (مسياس) المأخوذة من الكلمة الأرامية (مشيحا) التي تعني مسيح.
أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 890 .

6 . القس نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق ص 249.

6. م. بارتيتشا، ناجي، ص 3، مقال ضمن الموقع الالكتروني: comwww.coptic-apologetcs.

8 . كيرتش، جوناثان كيرتش، **حكايا محرمة في التوراة**،2005، ترجمة نذير جزماتي، ص 73 بتصرف، ط 1، نينوى للدراسات، دمشق . سوريا.

9 . العموش، د. بسام علي، **قراءة عقائدية في العهد القديم**، مرجع سابق ،ص 748.

أقول: وهذا مما لا شك فيه؛ حيث إنَّ دعوى فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنتيه، قصة تقشعر منها الأبدان، وتشيب منها الولدان،وحاش لله العظيم أنْ يُقدم نبيٌّ من أنبيائه الأطهار على مثل هـذه الفعلة المشينة، أو أنْ يُكْرَهَ عليها أو يُخْدَعَ بمثلِها؛ الأمر الذي لا يرتضيه الفُسَّاقُ، ولا الفاسقات لأنفسهنَّ ولا لآبائهنَّ فكيف بأبيهنَّ النَّبيّ.

كما لا يشك إنسان فيه مِسحَةٌ من عقل وإيمان بأنَّ ما نُسب إلى لوط عليه السلام كذبٌ وافتراء. بل هـو كما قـال ابن حزم رحمه الـلـه: "من فضائح الأبد، ومن توليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالـلــه تعـالى وبرسـله علـيهم السّلام"([1]). وسيتضح - إن شاء الـلـه تعالى- من السطور التالية هـذا الكذب والافتراء. ولتبيان فحش هـذه التهمـة، يُستحسن تقسيمُها إلى أجزاء، حيث أنها تتكون من تهم عديدة، كما يأتي:

أولاً: اتهام ابنتي لوط عليه السلام بالاتفاق على سقاية أبيهما خمراً ليفعل بهما الفاحشة.

ثانيا: فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنته البكر في الليلة الأولى.

ثالثا: فعل لوط عليه السلام الفاحشة مع ابنته الصغيرة في الليلة التالية.

رابعا: ما ترتب على فعل لوط عليه السلام الفاحشة بابنتيه من حملهما وإنجابهما ولدين من الزنا.

خامسا: نهاية القصة من دون تبيان الموقف الإلهي أو موقف لوط عليه السلام ممّا حدث.

فالظاهر أنها تُهَمٌ متداخلة تؤكد أنَّ القصة من أولها إلى آخرها، مفتراة ومكذوبة عـلى لـوط عليـه السـلام وابنتيـه، وذلك يتضح من خلال أشكال النقد والطعون النصية والعقلية.

أقول:

النقد الأول: عدم صحة السبب الذي دعا ابنتي لوط عليـه السـلام لفعـل الفاحشـة؛ حيـث تنسـب روايـة العهـد القديم السبب إلى ما قالته ابنتا لوط من عدم وجود رجال يدخلون عليهما، ظناً مـنهما أنّ العـذاب قـد شَـمِل كـلَّ الأرض. وهذا الظنُّ مردود بالآتي:

أولاً: أنه ورد في العهد القديم ذاته، عبارات تؤكد أنّ الـلـهَ أخذ العهدَ على نفسه، أنْ لا يعود يُهلكَ الأرضَ كلها كـما فعل أيام الطوفان. ولا شك أنَّ ابنتي لوط عليه السلام - وهما من بيـت لـوط القـديس الـذي رافـق خليـل الـلــه إبراهيم- على علمٍ بهذا العهد الجليل، الذي جُعل ظهورُ قوس قزح علامة عليه.

وقد ورد في العهد القديم بعد انتهاء الطوفان: ([21]فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. **وَقَال الرَّبُّ فِي قَلْبِـهِ:**) «**لاَ أَعُـودُ أَلعَـنُ الأرض أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإنسان، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإنسان شِرِّيـرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِـهِ. وَلاَ <u>أَعُـودُ أَيْضـاً أُمِيـتُ كُـلَّ حَـيٍّ كَـمَا فَعَلْتُ</u>**)(تك :8 :21).

فهذا إنما يدل على أنَّ الـلـه لنْ يُهلك كلَّ الأحياء فأين ابنتا لوط عليه السلام من هـذا العهد؟

وكيف ظنتا أنه لم يبقَ رجالٌ وأنّ النَّسلَ البشري سينقطع حيث أقدمتا على تلك الفعلة؟

فهذا من التناقض الذي لا مفرَّ منه لمن يؤمن بالتوراة التي بين أيدي الناس اليوم.

---

1 .حزم، على بن احمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ص 224 .مرجع سابق .

ثانياً: يظهر أنّ هـناك فترةً زمنيةً طويلةً بين وقوع العذاب وبين الفاحشة، بـدليل هــذه العبـارة: ([31]**وَقَالـتِ الْبِكْـرُ لِلصَّغِيرَةِ:** «**أَبُونَا قَدْ شَاخَ**)(تك:31:19) وكونُ لوط عليه السلام في مرحلة الشيخوخة يدلُّ على وجـود مـدة طويلـة بعد العذاب، وهذه المدةُ كانت كفيلةً بمعرفة، بلْ وتحقق بناتِ لوط عليه السلام من وجود بشر أحياء، وأنّ اللــه لم يهلك أهل الأرض كلهم.

ثالثاً: قرب تلك المغارة التي فيها لوط عليه السلام وابنتيه مـن القريـة التـي سـكن فيهـا إبـراهيم عليـه السـلام ، فالمسافة لا تزيدُ على ثلاثة أميال([1]). لكنَّ ابن حزم لم يذكر شواهدَ على ذلك.

وقد أورد الباحث جهاد حمّاد الأدلة والشواهد من العهد القديم على قرب المغارة من الأرض التي سـكنها إبـراهيم عليه السلام . وهذه الأدلة هـي:

1- مشاهدة إبراهيم عليه السلام للدخان المتصاعد من قرى قوم لوط،عندما خسفها اللـه تعالى، مما يدل على أنّ إبراهيم وقومه كانوا يسكنون بمكان قريب من قرى قوم لوط عليه السلام .([28]**وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُـورَةَ، وَنَحْـوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذا دُخَانُ الأرض يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ**)(تك :19 : 28).

2- مرور الملائكة - لما أرسلت التدمير قوم لوط - على إبراهيم عليه السلام ، حيث كان يسكن بالجوار.

3- سرعة وصول خبر أسر لوط إلى إبراهيم عليه السلام ،حيث هـبَّ إبراهيمُ وجنوده فاسترجعوا لوطاً عليه السلام وفكوه من الأسر([2]). كما ورد في(تك: 14 - 8- 16)([3])

ثالثاً: اعتراف شُرَّاح العهد القديم بقرب مسكن إبراهيم عليه السلام وعائلته من لوط عليه السلام وأسرتـه، حيـث حملوا لوطاً عليه السلام مسؤولية وقوع الفاحشة كما تقدم في المطلب الأول من هـذا المبحـث حيـث قـالوا: كـان يجب عليه أنْ يجد زوجين لابنتيه قبل ذلك بزمن، فلم تكن عائلةُ إبراهيم بعيدة جداً. وها هـما البنتان تنزلقان إلى ارتكاب الفاحشة مع أبيهما.([4])

وأرى أنّ **هـ**ذا اعتراف ضمنيٌّ بل صريحٌ من علمائهم بقرب منزل إبراهيم عليه السلام من ابنتي لوط عليه السلام.

فبهذه الأدلة يظهر قرب المغارة التي سكنها لوط عليه السلام وابنتاه من إبـراهيم عليـه السـلام ، فكـان بإمكـان ابنتي لوط عليه السلام خلال ساعات قليلة - عـلى الأكـثر- الوصـول إلى مكـان إبـراهيم عليـه السـلام ، لـتعلما أنّ الأرض فيها رجالٌ ونساءٌ، ولم ينقطع النسل الإنساني كما ظنتا، ثم تتزوجان إنْ أرادتا ذلك بوجه شرعي.

---

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مرجع سابق، ص 224 بتصرف.

2 . **قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة**، رسـالة ماجسـتير للباحـث جهـاد محمـد حـماد، ص 86 بـتصرف، جامعـة النجـاح، نـابلس، فلسطين، سنة 2007.

3 . وقع لوطٌ عليه السلام في الأسر حسب العهد القديم مع الأسرى الذين أخذوا من أهل سدوم وعمورة ؛ حيث أخذهم الملك(كدر لعومر) ملك (عيلام) فارس الذي كانت سدوم تابعةً له.وكان أهلها يدفعون له الجزية، ثم إنهم عصـوه وثـاروا فشـنَّ علـيهم حملـة عسكرية، وأخذ منهم أسرى كان من بينهم لوط عليه السلام ، ثم توجه أبراهيم عليه السلام ومعه(318)
من غلمانه المتمرّنين، وأغاروا على عدوهم فكسروهم وأعادوا لوطاً عليه السلام والنساء والأملاك. أنظر: (تك: 14: 8 – 16).

4 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** . ص 52 . مرجع سابق .

فبهذا بَطُلت الحجةُ التي استندت عليها ابنتا لوط لفعل الفاحشـة مـع أبـيهما - وهـي دعـوى عـدم وجـود رجـال يدخلون عليهما وخوفهما من انقطاع النسل البشري- وإذا بُطل الأساسُ فقد بَطُل كلُّ ما ترتب عليه فبطلت دعوى حصول الفاحشة من أساسها.

وهنا يمكن التوقف في نقد هـذه المسألة نظراً لتحقـق نقـض الـدعوى عقليـاً، إلا إننـي زيـادةً في اطمئنـان قلـب القارئ الكريم ومن يؤمن بهذه الدعوى وأمثالها مما أسيء به للأنبيـاء علـيهم السـلام بأنهـا افتراء،ومخالفـة للعقـل السليم والشرع القويم، وللأمانة العلمية أتابع بيان هـذه الطعون والبراهين الساطعة.

النقد الثاني: امتناع إمكان اتفاق ابنتي لوط عليه السلام على فعل الفاحشة مع أبيهما:

يجبُ القول بأنه يمتنعُ أنْ تتفق ابنتا لوط عليه السلام ، على فعل الفاحشة معا أو بانفراد مع أي إنسان، خصوصـاً مع أبيهما النَّبيّ فهذا مخالف للشرع والعقل.

ودليلُ المنع أنّ اللـه تعالى زكَّاهما في القرآن الكريم وأثنى عليهما، فقـد ورد في القـرآن الثنـاء عـلى آل لـوط عليـه السلام إلا امرأته لقوله تعـالى: (**قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ {58/15} إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59/15} إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {60/15}**) (الحجر:58 - 60)

وقوله تعالى : (**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {35/51} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ {36/51}**) (الذاريات: 35-36).

فالثناء الإلهي لآل لوط عليه السلام ، يدلُّ عـلى الإيمـان، والأخـلاق الفاضـلة الراكـزة، في ابنتـي لـوط، الأمـرُ الـذي يمنعهما من الإقدام على الفاحشة. وإذا كان اللـه تعالى قد زكاهُنَّ، فذلك دليل على عدم صحة ما نُسب إليهنَّ مـن فاحشة وسوء بأبيهنّ العجوز.

كما أنه لا يُتصورُ إقدام فتاتين من آحاد المؤمنات على هـذا الفعل الشنيع مع أبيهما، فكيـف يتصـور إقـدام فتـاتين من بيت النبوة على مثله ؟ فلا شك أنّ هـذا ممتنعٌ، اللـهمَّ إلا في عقول خبثاء اليهود الذين حرَّفوا وبـدَّلوا وخَلَقـوا هـذا الإفك المُبين.

النقد الثالث: أنه يمتنع إقدام نبي من أنبيـاء اللـه تعـالى عـلى شرب الخمـر، والزنـا بابنتيـه، فهـذا مـما يسـتحيل وقوعه. حتى لو افترضنا أنّ ابنتي لوط قد اختلفت أحوالهما بعد نجاتهما من العذاب([1])، وسقتا أباهما الخمـر فـإنّ اللـه تعالى يعصم نبيَّه من السُكر الموصل إلى فقدان العقل. كما يعصمه من الوقوع في الزنا.

النقد الرابع: عدمُ صحة ما ذهب إليه بعض الباحثين، من أهل الكتاب من جواز الزواج مـن المحـارم في زمـن لـوط عليه السلام إذ إنه مردودٌ بما يأتي:

أولا: أنّ هـذا ليس زواجاً، بل هـو مخادعةٌ من خلال سقي ابنتي لوط أباهما خمـراً فوقـع علـيهما مـن غـير وعـي. فبَطُل كونُه زواجاً أصلاً.

---

1 . هـذا الافتراض مني جدلي، لأنّ اللـه تعالى زكى أهل لوط عليه السلام وأثنى عليهم مع استثناء امرأته فقط كما تقدم .

ثانيا: إذا كان الزواج من الأخت في ذلك الزمان مُحرَّماً، بدليل إبراهيم عليه السلام الذي قال عن زوجته إنها أختـه، لِعلْمِهِ بأنَّ ذلك سببُ نجاته، فإنّ تحريم الزواج من البنت أولى، حيث إنَّ هـذا لا يجوز من زمن آدم عليه السلام . وبناءً على التوراة فإنّ الولدين المنسوبين إلى لوط عليه السلام ممزريم ضرورة، لأنهما من الوالد وابنتيه كـما تثبـت ذلك توراتهم([1]).

النقد الخامس: مصدر الخمرة وأثرُها في لوط عليه السلام :

إنّ العاقل الذي يقرأ هـذه القصة يتساءل عن مصدر الخمرة التي سقتها الإبنتـان أبـاهما، ومـن الـذي صـنعها([2]) وكيف بقيت في أيديهما والمدينة قُلبت رأساً على عقب؟([3]).

وأيضاً فإنّ العاقل يتساءلُ: ألم يشعر لوطٌ عليه السلام بشرب الخمر ؟ ألم يتذوقه الم َيدُرْ مفعوله برأسِه؟ ألم يشعر بممارسة الجنس مع ابنتيه؟([4])

النقد السادس:عدم قدرة الشيخ الكبير على الجماع ليلتين متتاليتين، وخاصة مع السُكر وفقدان الوعي:

يقول السموأل رحمه اللـه تعالى: إنه من المُحال أنّ شيخاً كبيراً قد قارب المائة سنة، قد سُـقي الخمـرُ حتـى أنْسَـاه سُكرُه ابنته، حتى ضاجعها وأنزلَ وهو لا يَشعر. ومن المُحال أيضـاً أنْ تُعلّـق المـرأةُ مـن شـيخ طـاعنٍ قـد أفـرطَ في السُكر، ثمَّ تُعلِّقُ منه امرأة أخرى في الليلة الثانية بعد أنْ شَرِبَ حتى سكر. ويضيف رحمه اللـه: إنّ هــذا حـديث من لا يعرف الحبل.([5])

النقد السابع: غاية ابنتي لوط عليه السلام من الفاحشة مع أبيهما وهو مجيء المسيح عليه السلام :

زعم شُرَّاح العهد القديم أنَّ ابنتي لوط عليه السلام فعلتا الفاحشة مع أبيهما، لأنهما كانتا تتوقعان مجيء المَسِـيَّا الذي يَسْحَقُ رأسَ الحيَّة من نسلهما. وهذا كلام ساقط لا يستقيم . فهل المَسِيّا المخَلِّص يأتي من فاحشة الزنـا، فإنـه بذلك يكونُ بحاجةٍ إلى منْ يُخَلصُهُ من هـذه الخطيئة أيضاً؟

ومن البدهي أنّ الأنبياء عليهم السلام قد أتُوا من زواجٍ لا من سفاحٍ، لكنّ شُرَّاح الكتاب المقـدس الـذين يـفسرون النصوص المحرفة حسب أهوائهم ليسوا بأكثر فضيلةً ممن وضعوا هـذا الإفك العظيم على نبـي اللـــه لـوط عليـه السلام وعلى ابنتيه الطاهرتين.

---

1 . السموأل، يحي بن العباس، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، مرجع سابق، ص 169 – 171 بتصرف.

2 . أرى أنّ هـناك إمكان للحصول على الخمر، نظراً لوجود مدة زمنيـة طويلـة كـما تقـدم بـين وقـوع العـذاب وبـين دعـوى حصـول الفاحشة. إلا أنّ استخدامهما الخمرة لتلك الغاية وذلك السبب محال كما تقدم.

3 . طعيمه، د. صابر عبد الرحمن، 1979،**التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه**، ص 478 بتصرف، دار الجيـل، بيروت .

4 . حسن الباش، **التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يختلفان**، ص 168، مرجع سابق .

5 . السموأل، يحي بن العباس، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، مرجع سابق، ص 172 بتصرف .

النقد الثامن : نقد ما بعد الفاحشة أو تساؤلات ليس لها إجابة :

لم يَرِد في العهد القديم أيُّ تعقيب على هـذه الدعوى ولو بكلمات يسـيرة. ولـذلك ثـارتْ عنـد النقـاد عـدة طعـون وتساؤلات، لا تزال موضع حيرة عند النقاد قديماً وحديثاً، ولم يذكر أهل الكتاب لها جواباً. وهذه التساؤلات هـي :

1- ما هـو موقفُ لوط عليه السلام لما رأى ابنتيه حاملتين من غير زواج شرعي ؟

2- ما هـو موقفُ لوط عليه السلام بعد أنْ ولَدتْ ابنتاهُ ؟

3- ما هـو موقف لوط عليه السلام لما رأى ابنتيه تربيان أولاد الزنا؟([1]).

وتساءل صاحبُ كتاب السيف الصقيل مفترضاً وقوع هـذه الفاحشة وهو محال فيقول:" لمَ لمْ تُخْسَـف بهـم الأرض كما خُسفت بقومهم ؟ بل كان يجبُ أنْ يعَّذبوا بأشد أنواع العذاب، حيث رأوا القصـاصَ عـلى فعـل الفاحشـة بـأمِّ أعينهم، وقد أنجاهما الـلـه منه، ثم لمْ يخشيا ولم يتعظا؟([2])

وليسَ لهذه التساؤلات أيّةُ أجوبة عند أهل الكتاب. كما أنّ الرواية تنتهي فجأة من دون أنْ تحـوي تعقيبـاً إلهيـاً على الحادثة ولو بجملةٍ واحدة، كما لا ترى أيَّ موقف يصدر عن نبيٍّ الـلـه لوط عليه السلام . فيا لَلْعجب !!

وبهذا يظهرُ بطلانُ هـذه القصة من أساسها لمخالفتها بدهيات الشرع والعقل. فهـي مخالِفـةٌ لعصـمة الـلــه لـوطٍ عليه السلام وتزكيته إياه، وكذلك ثناؤه على أهل بيته ومنهم ابنتاه اللتان أنجاهما الـلـه تعالى من العذاب.

النقد التاسع: القصة فيها لمز وغمز بالذات الإلهية:

يظهر الغمز والقدح بالذات الإلهية، من تناقض هـذه الدعوى تماماً مع حكمة إرسال لوط عليه السلام لقومه.

(مصادمةٌ لا مصادفة !!)

من الغريب أنَّ كتبةَ هـذه القصة المتهافتة شرعاً وعقلاً، قد اختاروا لوطاً عليه السلام دون غيره من الأنبياء عليهم السلام ليُلْصِقوا به هـذه الإفك المبين، ولوطٌ هـو الذي أرسله الـلـه تعالى لمحاربة الرذيلة والفساد الـذي تعامـل بـه قومه. فكأنهم يتهمون القدرة الإلهية بالجهل وعدم العلم؛ حيث أنّ من أرسله الـلـه تعالى لمحاربة الفساد قد وقـع في مثله بمخالطته الأشرار وجلوسه بينهم، وتزويجه بناته منهم وكذلك زناه بابنتيه.وهذا من أعظم الرذيلـة، وحـاش لله تعالى أنْ يرسل أحدَ أنبيائه ليُصلح ويهدي ثم إذا هـو يَفسُد ويُفْسِد. فلا شكَّ أنّ أصحابَ هـذا القول لم يصـدروا عنه، إلا بعد فساد قلوبهم وعقولهم، لدرجة أنهم لم يميّزوا بين الأنبياء عليهم السلام الطهرة، وبـين الكفـرة الفجـرة. فقلبوا – بتحريفهم وحي الـلـه تعالى- الطُهرَ مفسدةً، والنّبوة رجساً، فلا غرو أنْ قلَّب الــلـه أفئـدتهم عـن الإيمـان كما قلب آباءهم وأجدادهم قردةً وخنازيرَ.

---

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مرجع سابق، ص 224 بتصرف.

2 . **الداري، بكر بن السيد أحمد التميمي، 2004،السيف الصقيل في الرد على اليهـود والنصـارى** تحقيـق، نـادي فـرج العطـار، مركـز العطّار للتراث، القاهرة، ط 2004، ص 45 بتصرف .

النقد العاشر:لو فرضنا صدقَ هـذه الحكاية - المحال وقوعها- وأنها صادرة عن قلم موسى عليه السلام ، فما الحاملُ على ذكرها؟ وما الغرضُ وما الفائدة من بثِّها مع أنه لم يُلحقها بوعيدِ عذاب ولا شديد عقاب؟ حاشا جنابه الشريف أنْ يتعرضَ لهتكِ أعراض الأنبياء عليهم السلام المنزَّهة أعراضهم. وما هي إلا دسيسة دسّها من لا يخشى اللـه تعالى([1]).

وعليه فإنه يجب القول بأنّ هـذه القصة المفتراة تحمل القدح في الذات الإلهية، كما تحمل القدح في لوط عليه السلام وأهله المؤمنين. وبعد هـذا التفنيد لهذه القصة المتهاوية شرعاً وعقلاً، يثبت بطلانها، كما يثبت وصول يد التحريف للتوراة التي أنزلها اللـه تعالى على موسى عليه السلام .

هـدف الدعوى:

يمكن القولُ إنّ الدافع السياسيَّ لوضع هـذه الدعوى المفتراة، هـو تشويهُ صورة العمونيين والمـؤابيين. والسموأل رحمه اللـه هـو أولُ منْ نَصَّ عليه؛ حيثُ قال بعد أنْ استدل على استحالة الدعوى:" إلا أنّ العداوة التي ما زالت بين بني عمون ومؤاب وبين بني إسرائيل، بَعثت واضع هـذا الفصل إلى تلفيق هـذا الحال، ليكون أعظم الأحبار فحشاً في حق بني عمون ومؤاب"([2]).

وأرى أنّ هـذا شبيه من حيث الدافع، بما نسبوه لنوح عليه السلام من السُكر والتعري، لغاية تشويه أصل الكنعانيين.

وانتبه إلى هـذا الدافع بعضُ النُّقاد النصارى أيضاً فأعلنوه وصرحوا به، كما فعل حنّا حنّا، في كتابه (هفوات التوراة) حيثُ أرجع وضع القصة إلى أنّ العموميين والمؤابيين كانا العدوين التقليديين لبني إسرائيل.([3])

مصدر الدعوى:

يرى د. منقذ السقار أنّ أصل القصة مستمدٌ من أسطورةٍ مصرية تتحدث عن آلهة الموت أفروديت، التي كانت تتمنى أنْ تُنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس، فأسكرته وضاجعته، فولدت منه الإلهَ أنوبيس.([4])

ويمكن تفسير هـذا الرأي بناءً على تأثر بني إسرائيل أيام سكناهم مصر بالفكر المصري، الأمر الذي جعل الأجيال اليهودية تتناقل هـذه الأساطير وترويها دون إيمان بها، خصوصاً في وقت إيمانهم، لكنْ لمّا حدث فيهم الكفرُ والارتداد عن الدِّين، أدخلَ المتلاعبون بالتوراة مثلَ هـذه الحكايات ونسبوها للأنبياء بقصد الدعوى إليهم وتشويه صورة أعدائهم.

---

1 . **السيف الصقيل في الرد على شبهات اليهود والنصارى** ، الشيخ التميم الداري، ص 43- 44، مرجع سابق.

2 . السموأل المغربي، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، ص 172 -173، مرجع سابق .

3 . حنا حنا، هـ**فوات التوراة**، ص 216 بتصرف، مرجع سابق .

4 . د. منقذ السقار،**هل العهد القديم كلمة اللـه**؟ ، ص 49، مرجع سابق.

أثر الدعوى: قِسٌّ نصراني يزني بابنته استناداً إلى هـذه الدعوى:

يلاحظ أنَّ التوراة الحالية نفسها كما يقول د. بسام العموش" ترسخ عنـد القـراء أنَّ فعـل الزنـا وشرب الخمـر أمـرٌ عاديٌّ، رغم أنه منهيٌّ عنه، لأنَّ الأنبياء وبناتهم قد فعلوا ذلك! ولهذا فقد انتشر زنا المحارم في العديد من الشـعوب التي قرأت مثل هـذه النصوص".([1])

أقول: وقد انتشر الزنا بين رجال الدين اليهود والنصارى معاً، والأدهى أنّ يستدل رجال الدين على أفعالهم المشـينة بفعل الأنبياء الذين افترى عليهم كتبة العهد القديم إفكاً عظيماً، كما نسبوا لنبـيِّ اللـــه لـوط عليـه السـلام فعـل الفاحشة بابنتيه.

ومن أخطر ما ترتب على التصديق بما في العهد القديم مـن دعـاوى تتعلـق بـالفواحش التـي نسـبت زوراً وبهتانـاً للأنبياء وأسرهم انتشار زنا المحارم في الأوساط التـي تـؤمن بهـذه الـدعاوى. وهـذه الحقيقـة ذكرهـا الشـيخ أحمـد ديدات رحمه اللـه تعالى في مناظرته الشهيرة[2] للقس (سواجارت) حيث كان هـذا القس قد كتب عدة كتـب منهـا: (زنا المحارم) و(الإباحية في الأدب والفن) و(اللواط والمسكرات) و(سدوم وعمورة).

وقال القس سواجارت في زنا المحارم:" الوصمة السوداء على جبين مجتمعنا المجتمع الامريكي، الوصمة الخفية عـلى المجتمع الامريكي."

ويعترف القس سواجارت فيقول:" لقد انتشر بمعدلات وبائية زنا المحارم في بلدي. البيض في جنوب أفريقيـا- طبقـاً للإحصائيات- ثمانية في المائة يقترفون الزنا مع المحارم، واحد من كل إثني عشر شخصاً يقترف الزنا مع المحارم"

ويعلق الشيخ ديدات فيقول:" ليس غريباً إذن أنْ يبلغ هـذا الشذوذ معدلات وبائية"([3])

أقول: وقد انعكس أثر الدعوى بحق لوط عليه السلام على بعض القساوسة، حيث قام قسٌ معـاصرٌ بإقنـاع ابنتـه أنّ علاقته الجنسية معها أمرٌ طبيعيٌ ومشروع، مستشهداً لصحة مزاعمه بقصة زنا لوط بابنتيه في الكتاب المقـدس. وقد استمرَّ هـذا القسُ يعتدي على ابنته جنسياً لمدة ثماني سنوات حتى اكتشفت زوجتُه الأمر، مما اضطره إلى قتـل زوجته ووضع جُثتها في الثلاجة لمدة أربع سنوات، حتى قامت ابنته المغتصَبة بإبلاغ الشرطة التي اكتشـفت جـرائم هـذا القسِّ. وبعد التحقيقات، ثبت أنه استشهد لابنته بقصة لوط مع ابنتيه، الواردة في الكتاب المقدس.([4])

---

1 . العموش، د. بسام علي، **قراءة عقائدية في العهد القديم: الأسفار الخمسة**، مجلة دراسات، علوم الشريعـة والقـانون، المجلـد 26،(ملحق) 1999، ص 748 بتصرف يسير.

2 . السقا، د. أحمد حجازي، **المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديـدات والقـس سُـواجارت**، تعليـق. أحمـد حجـازي السقا، مكتبة زهران، القاهرة، ص 140 – 141.

3 . السقا، د. أحمد حجازي، **المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سُواجارت**، ص 141.

4 السلفي، أبو معاذ السلفي، **التحرش الديني**، ص 155 بتصرف .

وهكذا دفعت هـذه الدعوى لنبي الـلـه لوط في العهد القديم وشجَّعت من يؤمن بهـا، وأعطـتهم مـبرراً لأفعـالهم الشنيعة، لأجل أنْ يقولوا إذا كان الأنبياء عليهم السلام فعلوا مثل هـذا الأفاعيـل، فـلا ضـير عـلى بقيـة الشـعب أو القساوسة إنْ أخطأ أحدهم وفعل مثلها.

المطلب الثالث: لوط عليه السلام في القرآن الكريم.

ذكَرَ الـلـه تعالى لوطاً عليه السلام في القرآن سبعاً وعشرين مرة([1])، جميعها تحـوي التزكيـةَ والثنـاءَ عليـه، سـواء كانت تزكية لمجموع الأنبياء عليهم السلام أم منفرداً، ومن ذلك:

أولا: لقد كانت بداية ذكر لوط عليه السلام في القرآن، أنه هـاجر مع إبراهيم عليـه السـلام مـن العـراق إلى الأرض المباركة، فهو الوحيد الذي آمن معه لقوله تعالى: (**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّـهُ هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ {26/29}**) (العنكبوت: 26).

ثانيا: الأمر الإلهي لخاتم رسله وأفضلهم سيِّدنا محمَّد صلى الـلـه عليه وسلم ، باتباع هـدي الأنبياء علـيهم السـلام ومن جملتهم لوط عليه السلام . وهذا صريح في هـذه الآيات التي ذكر فيها ثمانية عشر نبياً امتدحهم الـلـه تعـالى : (**وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86/6}**) (الأنعـام: 86). ثـم قـال جـلَّ شـأنه لخـاتم رسله سيدنا محمّد صلى الـلـه عليه وسلم : (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الـلـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) (الأنعام: 90)

ثانيا: ثناء الـلـه عليه بأنه من الصالحين في قوله تعالى: (**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَـةِ الَّتِـي كَانَـت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ {74/21} وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّـهُ مِـنَ الصَّـالِحِينَ {75/21}**) (الأنبيـاء: 74- 75).

فهذه شهادةٌ إلهيةٌ لنبيه لوط عليه السلام بالصَّلاح، تدلُّ على أنه لم يُحرَمَ الطُّهر، ولمْ يكنْ هـدفُه الربح الماديّ، كما زعم شُرَّاح العهد القديم. بل إنه دعاهم إلى الـلـه مذكراً لهم وناصحاً أميناً.

وقال الراغب في مفرداته:" إنَّ الشكر هـو الامتلاء من ذكر المنعم. وإنّ توفيـة شـكر الـلـه صـعب ولـذلك لمْ يُـثنِ الـلـه تعالى إلاَّ على اثنين من أوليائه وهما إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: (**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**) (النحل: 121) ونـوح عليه السلام بقوله:(**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**) (الإسراء: 3).

أقول: بل هـم ثلاثة من أنبيائه وأوليائه الكرام: إبراهيم ونوح إضافةً إلى لوط عليهم السلام، فقد كـان لـوطٌ شـاكراً، فأنعم الـلـه تعالى عليه لشكره هـذا بانجائه وإهلاك قومه ، وفي هـذا يقول جلَّ شأنه: (**كَـذَّبَتْ قَـوْمُ لُـوطٍ بِالنُّـذُرِ {33/54} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ {34/54} نِعْمَةً مِّنْ عِنـدِنَا كَـذَلِكَ نَجْـزِي مَـن شَـكَرَ {35/54}**) (القمر: 33- 35).

1 . **قصة لوط بين القرآن الكريم والتوراة**، رسالة ماجستير للباحث جهاد محمد حماد، مرجع سابق،ص 19..

وهكذا حملت آيات القرآن الثناء والتزكية لصفات لوط عليه السلام الكريمة. ومنْ يقرأ قصة لـوط عليـه السـلام في القرآن الكريم، فإنه لا يملك إلاَّ أنْ يُعظِّم هـذا النَّبيّ ويثني عليه خيراً، ويكـون متبعـاً ومقتـدياً بأخلاقـه الكريمـة التي تُوافق أخلاقَ إخوانه الأنبياء عليهم السلام؛ حيث نبعت كلها مـن مشـكاة واحـدة هــي مشـكاة النبـوة التـي أضاءَها الـلـه تعالى بنورِه العظيم.

الفصل السادس: أيوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد: تعيين زمن أيوب عليه السلام

- المبحث الأول: دعوى أنَّ مرض أيوب عليه السلام كان منفراً في العهد القديم

- المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

- المطلب الثاني: نقض الدعوى

- المبحث الثاني: دعوى سخط أيوب عليه السلام وعدم صبره على المرض

- المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

- المطلب الثاني: نقض الدعوى

- المبحث الثالث: أيوب عليه السلام في القرآن الكريم

تمهيد:

تعيين زمن أيوب عليه السلام :

اختلف اليهود والنصارى والمسلمون في الزمن الذي عاش فيه أيوبُ عليه السلام على أقوالٍ، فاليهود اختلفوا في زمانه أنه زمان الآباء، أو أيام موسى، أو أيام داود. بل نقل ابن ميمون عن بعضهم أنه لم يكن ولم يُخلق، وأنه كان مثلاً. ويظهر ميلُ ابن ميمون إلى هذا الرأي([1]).

ووقع الاختلاف عند علماء النصارى، حيث قالوا بتفاوت زمانه بين المعاصرة لإبراهيم عليه السلام أو بينه وبين نوح عليهما السلام. ورجح مؤلفو كتاب مرشد الطالبين أنّ أيوبَ عليه السلام كان من جيل البطاركة أسلاف إبراهيم.([2])

ووقع الاختلافُ في زمان أيوب عند أهل الإسلام فقال الماوردي رحمه الله:" كان أبوه ممّن آمن بإبراهيم يوم أُلقيَ في النار، وكان في زمن يعقوب حيث زوَّجَه ابنته ليا، وهي التي ضربها بالضغث([3])".([4]) ورجَّح الشيخُ عبد الوهّاب النجار أنَّه قبل إبراهيم بمائة سنة([5]). أما ابن كثير فرجّح أنه من ذرية العيص بن إسحاق وأنّ يعقوبَ عليه السلام والدُ زوجة أيوب عليه السلام ([6]).

ومما يجدر ذكره طول سِفر أيوب عليه السلام ، وأنه يحتاج إلى دراسة عميقة ومستفيضة، ولكن ما لا يُدركُ كلُّه لا يُتركُ جُلُّه.ولذلك جاء الكلام مختصراً. والآن إلى المبحث الأول:

المبحث الأول: دعوى أنَّ مرض أيوب عليه السلام كان منفراً في العهد القديم:

في العهد القديم سفرٌ خاص بالنَّبيّ أيوب عليه السلام ، مكونٌ من اثنين وأربعين إصحاحاً يتحدث عن قصة أيوبَ بإسهاب كبير وأسلوب أقرب إلى القصيدة الشعرية منه إلى الوحي الإلهي، وهذا السفر طويلٌ يحوي العديد من المسائل التي يجدر التوقف عندها حتى أنها تحتاج إلى دراسةٍ مستقلة. لكن سيكون التركيز في هذه الصفحات على أبرز الدعاوى التي تعلقت بأيوب عليه السلام وهي طبيعة مرض أيوب كما وردت في العهد القديم، ثم موقف أيوب من هذا المرض ثم نقد هاتين الإساءتين من خلال القرآن الكريم والعقل والعهد القديم ذاته.

---

1 . ابن ميمون، **دلالة الحائرين**، ج3، ص 444-445.

2 . **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين**، ص119 – 120 .

3 . قبضة ريحان أو حشيش أو قضبان مختلفة، أنظر: الأصفهاني: **معجم مفردات الفاظ القرآن**، ص 333.

4 . الماوردي،**أعلام النبوة**، ص 44. مرجع سابق .

5 . عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، ص 349 .

6 . ابن كثير، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، ص 241 .

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

ورد في العهد القديم ما يُفيد أنّ مرض أيوب عليه السلام كان مستقذراً، وأنّ أهل بيته عافوه واستقذروه حتى امرأته، ويؤكد شُرَّاح العهد القديم أنّ مرضه كان جلدياً، وأنه حتى غزاه الدُّود،حتى صارَ الناسُ يبصقون في وجهه. ويتضمن النصان التاليان طبيعة مرضه أيوب:

([13]قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي إِخْوَتِي، وَمَعَارِفِي زَاغُوا عَنِّي. [14]أَقَارِبِي قَدْ خَذَلُونِي، وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي. [15]نُزَلاَءُ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا. صِرْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ غَرِيباً. [16]عَبْدِي دَعَوْتُ فَلَمْ يُجِبْ. بِفَمِي تَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ. [17]نَكْهَتِي مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ امْرَأَتِي، وَخَمَمْتُ عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْشَائِي. [18]اَلأَوْلاَدُ أَيْضًا قَدْ رَذَلُونِي. إِذَا قُمْتُ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ. [19]كَرِهَنِي كُلُّ رِجَالِي، وَالَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمُ انْقَلَبُوا عَلَيَّ. [20]عَظْمِي قَدْ لَصِقَ بِجِلْدِي وَلَحْمِي، وَنَجَوْتُ بِجِلْدِ أَسْنَانِي. [21]تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ اللهِ قَدْ مَسَّتْنِي. [22]لِمَاذَا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللهُ، وَلاَ تَشْبَعُونَ مِنْ لَحْمِي؟)(أيو:19: 7-22).

1- (أَوْقَفَنِي مَثَلاً لِلشُّعُوبِ، وَصِرْتُ لِلْبَصْقِ فِي الوَجْهِ. [7]كَلَّتْ عَيْنِي مِنَ الحُزْنِ). (أيو: 17: 6-7).

وهكذا يتضح أنّ مرض أيوب عليه السلام حسب العهد القديم كان مستقذراً حتى أمرأته وأولاده رذلوه واحتقروه. ويرى علماءُ أهل الكتاب أنّ مرض أيوب كان عبارةً عن دماملَ أو تقرحاتٍ، أو أحد الأمراض الجلدية، وما نتج عنه من استمرار تقيُّح الجلد واسوداده وسقوطه مع فقدان الشهيَّة للطعام، والهُزال والحمَّى، والاكتئاب والبكاء والأحلام المزعجة بالليلِ والكوابيس، وتلَف الأسنانِ والشحوب([1])، وتغيّر هيئة وجهه ولحمهِ، ودوَّد"([2]).

ونتيجة لهذه الأمراض الجسدية والنفسية التي حلَّت بأيوبَ فقد أُلقيَ وسط الرماد، وهنا الإشارة ربما لكومة القاذورات خارج المدينة،([3]) ويقولون إنّ جلد أيوبَ اكتسى بالقذارة فتغطَّى بالجرب مع الدماملِ والقروح([4]). وقد وصل الحال ببعض القساوسة المعاصرين إلى زعم أنَّ القروح قد غيّرتْ شكلَ أيوب فلم يعرفه أصحابه([5]).وحسب كاتب سفر أيوب فإنّ الناسَ صاروا يبصقون في وجه أيوب عليه السلام .

هذه هي الصورة المزريةُ والمقززة والمنفرة التي رسمها علماء أهل الكتاب لأيوبَ عليه السلام بعد مرضه، وهذا أمرٌ مرفوضٌ شرعاً كما سيتضح من النقد الآتي:

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

ظهر مما تقدم أنَّ أيوب عليه السلام بلغ حالةً مزرية من المرض المسقذر في جسده، فظهرت الدمامل، وصارت رائحته كريهة حتى احتقره الأولاد، ثم أصيب بأمراض نفسية تتمثل في الاكتئاب والكوابيس المزعجة في الليل، وأنّ الناس صاروا يبصقون في وجهه !!

---

1 . **سفر أيوب**، مرجع سابق، ص 96.

2 . **تفسير سفر أيوب**، ص 21.

3 . **سفر أيوب**، أندرسون، فرانسيس أندرسون، 1990، ترجمة ادوارد وديع عبد المسيح، ص 85، ط 1، دار الثقافة،القاهرة .

4 . **سفر أيوب**، مرجع سابق،ص 142 .

5 . **تفسير سفر أيوب**، ص 24 . مرجع سابق.

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الأمراض المنفرة :

لا ريب أنّ مرض أيوب عليه السلام لم يكن منفراً ولا مستقذراً وأنّ كلَّ ما اشتهر في قصة أيوب من أمور منفرة فإنها باطلة([1]). ذلك أنّ عصمةَ اللـه للأنبياء تمنعُ من إصابتهم بمرضٍ منفر ينفِّر الناسَ من حولهم أو يستقذرهم الناسُ لأجله، لأنّ هذا يعد مطعناً في الشخص المكلَّف بالنبوة أو الرسالة، ومناقضٌ لقوله تعالى: (**اللـهُ أَعْلَـمُ حَيْـثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) (الأنعام: 124). وقد تقدم في مبحث العصمة عند المسلمين، أنَّ النَّبيّ لا بدَّ أنّ يكونَ معصوماً من كلّ ما هو مستقذر. ومن المقرر عند علماء التوحيد أنّ اللـه تعالى عصم أنبياءه من الأمراض المنفرة جسديةً كانت أم عصبيةً أم نفسيةً.([2]) وقد عصم اللـه الأنبياء عليهم السلام من هذه الأمراض كالبرص والجذام كي لا تكونَ منفرةَ من الاجتماع بهم واتباعهم.([3])

وقد أورد بعضُ المفسرين المسلمين هذه الإسرائيليات وذكر بعضُهم أموراً غريبةً ومستقذرة عن تفصيل البلاء الذي نزل بأيوب عليه السلام . ([4]).غفر اللـه تعالى لنا ولهم.

والحقّ أنَّ مصدر هذه الأكاذيب، هو الإسرائيليات المستمدة من اليهود الذين نقلوا ما في سفر أيوب، بالإضافة إلى تراثهم الشفوي الذي كانوا يتناقلونه، فأخذها بعضُ المسلمين مأخذ الصّحة دون تمحيص أو تحقيق.

وبالرغم من هذا فإنني أرى أنَّ مرض أيوب لا شكّ كان قاسياً ولا يحتمله إلاّ من كان في مقامه. إلا أنه لم يصحّ في تفصيل مرضه شيء. لكنْ يمكنُ الاستفادة من قوله تعالى : (**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42/38}**) (ص: 42) بأنّ المرضَ كان باطنياً وخارجياً- واللـه أعلم - حتى يحصل لأيوب عليه السلام عظم الجزاء بعظم البلاء، من غير أنْ يكون المرض منفراً أو مستقذراً. ودلّ قوله تعالى: (**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**) (الأنبياء 84) على تهويل ذلك الضرِّ لكثرة أنواعه.([5])

---

1 . البيجوري، **تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد**، مرجع سابق، ص 139 .

2. د.محمد سيد طنطاوي، **القصة في القرآن الكريم**، ج 2، ص 104 بتصرف .

3 . محمود أبو دقيقة، **القول السديد في علم التوحيد**، ج2، ص174 .

4 . أنظر: **تفسير الطبري**، ج 16، ص 334 – 363، **وتفسير القرطبي**، ج 14، ص 257. وذكر ابن الجوزي في تفسيره أنّ ما كان في جسم أيوب من ثآليل كإليات الغنم، ومن رائحة كريهة، وأنتن جسمه فأخرج وألقي على كناسة القرية مدة تزيد على سبع سنين، كما ذكر أنه كان يُرى أمعاءه وعروقه وعظمه، أنظر مثلاً: **زاد المسير في علم التفسير**،ج 5، ص 376. أما ابن كثير فذكر في تفسيره :" أنّ أيوب ابتلي في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر اللـه عز وجل حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وأخرج من البلد والقى على مزبلة ولم يبق الا زوجته تخدمه"، ونقل ابن كثير مثل هذا عن علماء التفسير والتاريخ دون إنكار، بل قد ساق بعد كلامهم حديثاً عن النَّبيّ عليه الصلاة والسلام كمؤيد لما قالوه وهو حديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل) انظر: **تفسير ابن كثير**، ج 3، ص 197. **وقصص الأنبياء**، لابن كثير ص 242 – 243.

5 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 17، ص 127.

المبحث الثاني: دعوى سخط أيوب عليه السلام **وعدم صبره على المرض:**

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

يظهر سخطُ أيوب وعدم صبره على المرض والبلاء الذي نزل به، وذلك في عدة مواقف، نـذكر أبـرز ثلاثـة منهـا ثـم يكون النقد:

الأول: موقفه عند الصدمة الأولى، كما يظهر في النص الآتي:

(فَقَامَ أيوب وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى الأرض وَسَجَدَ، [21]وَقَال: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًـا أَعُودُ إِلَى هـنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». [22]فِي كُلِّ هـذَا لَمْ يُخْطِئْ أيـوب وَلَـمْ يَنْسِـبْ للهِ جِهَالَةً.)(أيو: 1 :20-22).

ثانيا: موقفه بعد مجيء أصحابه:

يظهر سخطُ أيوبُ وعدم رضاه عن هـذا الابتلاء، بل وتذمُره الشديد في ثلاثة نصوص كما يأتي:

2- (لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ البَطْنِ، لِمَ لَمْ أُسْلِمِ الرُّوحَ؟ [12]لِمَاذا أَعَانَتْنِي الرُّكَبُ، وَلِمَ الثُّدِيُّ حَتَّى أَرْضَعَ؟ (أيو: 3 : 11 – 12)

3- «لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ، وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟) (أيو: 3 : 20).

3- أيوبُ يسبُّ يومه ويتمنى الموت ويعترض على قضاء الـلـه تعالى وقدره!

بعد صمتٍ طويلٍ من أيوب وأصحابه، فتحَ أيوبُ فمَه وتكلم، فإذا هـو يسبُّ يومه ويوم ولادته، ويتمنـى أنـه لم يخرج إلى الحياة. كما في النص الآتي:

(بعْدَ هـذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ، [2]وَأَخَذَ أَيُّوبُ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: لَيْتَهُ هـلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيـهِ، وَاللَّيْـلُ الَّـذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُل. [4]لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا. لاَ يَعْتَنِ بِهِ الـلـهُ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ يُشْرِقْ عَلَيْهِ نَهَارٌ. [5]لِيَمْلِكْهُ الظَّـلاَمُ وَظِـلُّ الْمَوْتِ. لِيَحُلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِتَرْعَبْهُ كَاسِفَاتُ ظُلُمَاتُ النَّهَارِ. [6]أَمَّا ذلِكَ اللَّيْـلُ فَلْيُمْسِـكْهُ الـدُّجَى، وَلاَ يَفْـرَحْ بَـيْنَ أَيَّـامِ السَّنَةِ، وَلاَ يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ. [7]هُوَذَا ذلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِراً، لاَ يُسْمَعْ فِيهِ هـتَافٌ. [8]لِيَلْعَنْهُ لاَعِنُو الْيَوْمِ)(أيو: 3 : 1 – 8).

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

إنَّ ما ورد في العهد القديم حول موقف أيوب الساخط لا يصحُّ، بل أنه متناقض أصلاً مع بعضه. كما أنه لا يليق بالنَّبيّ مثل هذا الخلق السيئ، بل إنّه لو صحّ هذا الموقف فإنه عندها لا فرق بين أيوب عليه السلام وبين سائر الناس لما ظهر من اعتراض وسخط على البلاء، وسبٍّ ولعنٍ ليومِه وتمنيه الموت. ويمكن تفصيل النقض كما يأتي:

- تناقض العهد القديم في ذكر موقف أيوب عليه السلام :

يظهر هذا التناقض جلياً عندما يبدأ كاتب السفر بالقول إنّ أيوب شقّ ثوبه وجزّ شعر رأسه ، ثم بعدها سجدَ وتكلّم بكلام يَرُدُّ فيه الأخذ والعطاء والأمرَ كله لله تعالى. وهنا يَحِقُّ التساؤل: لماذا إذنْ مزَّق جبته ولماذا جزَّ شعرَ رأسه؟ إنه برهانُ السَخط وعدم الصبر.

والحقُّ أنّ الصَّبْرَ على المصائب إنما يتجلى عند الصدمة الأولى، كما قال خاتم النَّبيّين سيّدُنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم فقال:" إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى".([1])

والحقّ أنّ الذي يليق بأخلاق النَّبيّ أيوب عليه السلام ، أنه لما سمع خبر المصائب التي حلَّت بماله وأهله، سجد لله تعالى، وتكلم بحمد وثناء عليه تعالى دون أنْ يمزّق جبته أو يجزّ شعره، لأنّ هذه على الأغلب تقاليد جاهليه وثنية لا يليق بالنَّبيّ الصابر فعلها، حتى لو كان هذا جائزاً في شريعة ذلك الزمان، فإنّ النَّبيّ مترفع عن مثلها لصبره وأدبه الجمّ مع ربه تبارك وتعالى. وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ النصّ السابق خليط من الحقّ والباطل.

التناقض الثاني:

أنَّ أيوب عليه السلام أخْلفَ وعدَه الذي قطع على نفسه في بداية السفر، حيث وعد بأنه لنْ يتكلم إلاّ بما يرضى اللـه تعالى كما في النص الآتي:

(إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ، وَنَفْخَةُ اللـهِ فِي أَنْفِي، [4]لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا، وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ) (أيوب : 27 : 2).
فهذه العبارة واللـه أعلم من بقايا الحقّ الذي قاله أيوب، وهي برهان صبره وتحمله. كما أنها تنقض ما نُسب له من أقوال تنُمُّ عن السَخط والشكوى وتمني الموت. وبالمقابل يجد القارئ موقفاً مناقضاً؛ حيث يظهر أنّ أيوب عليه السلام يعترض على قضاء اللـه وقدره ومن ذلك قوله: (لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ، وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟) (أيوب: 3: 20). وهذه العبارة أيضاً:([1]«قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي)(أيو:10: 1).

والحقُّ أنّ القارئ أمام النصوص المتناقضة السابقة، لا يدري أيهما يصدّق: دعوى السخط والضجر من أيوب عليه السلام ، أم الصبر والرضا ؟!

---

1 . أنظر: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب زيارة القبور، رقم 1283، ج2، ص 100 .، **وصحيح مسلم**، كتاب الجنائز، باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، رقم 2179، ج3، ص 40 .

إلاّ أنّ الكلمات الأخيرة المنسوبة لأيوب عليه السلام ، لا تصحُّ أبداً لأنها لا تكون إلا نتيجة للسخط وعدم الصبر. وهذا مردودٌ بقوله تعالى: (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** {44/38}) (ص: 44). ومن غير المعقول أنّ إنساناً أكرمه ربُّه بالنبوة، ثمّ بعد ذلك يعترض على مرضٍ ألمَّ به !!

- **نقض دعوى أنّ أيوب عليه السلام سبّ يومه ولعنه:**هذه الدعوى ظاهرةٌ في النص الآتي:

(بَعْدَ هـذَا فَتَحَ أيوب فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ، [2]وَأَخَذَ أيوب يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: لَيْتَهُ هـلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُل. [4]لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا.)(أيو:1:3-2)

يُلاحظ سخطُ أيوب عليه السلام وغضبه على يوم ولادته، فكأنه يعترض على كل حياته من خلال مقته ليوم ولادته. يقول أندرسون شارح سفر أيوب عليه السلام :" من المهمِّ أنّ أيوب لم يَسُبّ الـلـه، ولم يَسُبّ نفسَه، وإنما سبّ يوم ميلاده"([1]). وأتساءل:هل يجوز لنبيٍّ أنْ يفعل هـذا ؟ وما هـو حقيقة موقف الأنبياء عليهم السلام من يوم ميلادهم؟

الحقّ أنّ هـذا ليس فعل نبيٍّ، بل فعل فاسق أو ضعيف إيمانٍ، لأنّ الأنبياء عليهم السلام يقدِّسون أيامهم لأنها مباركة، وأيام ميلادهم أيام مشهودةٌ، حريٌّ أنْ يُحتفل بها تحدُثاً بنعمة الـلـه تعالى عليهم وعلى من آمن بهم واتبعهم. وهكذا فعلّ خاتم النَّبيّين سيّدُنا محمّد صلى الـلـه عليه وسلم ؛ حيث واظبَ على صيام يوم الإثنين يوم مولده شكراً لله تعالى. ولما سُئل عن سبب صيامه قال صلى الـلـه عليه وسلم :" ذاك يوم ولدت فيه"([2]).وكذلك خلق آدم يتذكره المسلمُ فيشكر الـلـه على نعمه وتكريمه، وكذا ميلاد المسيح المجيد عليه السلام لأنه آية عظيمة من آيات الـلـه تعالى.

والأنبياء عليهم السلام هم أعلم الناس بأنّ الأيام والسنين هي من خلق الـلـه تعالى، ولذلك جاء النهي عن سبّ الدهركما ثبت في الحديث القدُسيّ:" يؤذيني ابنُ آدمَ يسُبُّ الدهرَ، وأنا الدهر، أقلِّبُ الليلَ والنهار"([3]). واليوم هو جزء من الدهر فلا يجوز سَبّه، لأنَّ الـلـه تعالى عظَّمه وأقسم به، ولأنّ السبّ يتضمنُ الاعتراض على قضاء الـلـه الجاري في هـذه الأيام، فالأيام هـي الوعاء الذي يحمل قضاءَ الـلـه وقدره، فمن سَبّها فكأنما يعترض على قدر الـلـه تعالى وأحكامه، والـلـه تعالى أعلم.

تساؤل: قد يسأل سائلٌ ويقول: إنَّ سبَّ الدهر محرمٌ في شريعتنا، فما المانع أنْ يكون غير محرم في الشريعة أيام أيوب عليه السلام . أجيب عن هـذا التساؤل فأقول: إنَّني أرجح أنَّ سبَّ الدهر محرم في كل الشرائع ووذلك لما يأتي:

---

1 .أندرسون، **سفر أيوب**، ص 104 .

2 . **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم 2804، ج3،ص 167.**ومسند أحمد ابن حنبل**، حديث أبي قتادة صري الـلـه عنه، رقم22590، ج5، ص 296 .

3. **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب وما يهلكنا الا الدهر، رقم 4826،ج6،ص166، **وصحيح مسلم**، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الدهر، رقم 6000، ج7، ص45.

1- أنَّ اللـه تعالى هـو ربَّ الدهر في كل زمان لا في زمان سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم .

2- أنّ السبَّ واللعن منهيٌّ عنه. وكلما كان الإنسان أقرب إلى اللـه كان غلطه أكبر، لأنَّ حسنات الإبرار سيئات المقربين؟ والسبُّ واللعن لا يصدرعن الصديق، فكيف بالنبي؟

وكيف يصح أنْ يقال إنَّ أيوب عليه السلام سبّ يوم ميلاده، ويوم ميلادة رحمة من اللـه له ولقومه؟

3- وهو الأهم أنَّ اللعن يناقض الصبر الذي وصفه اللـه تعالى به كما قال جلَّ شأنه: (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44/38}**) (ص:44).

ولهذا كله فإنني أرى بطلان سبِّ أيوب عليه السلام ولعنه الدهر، وهذا الحكم ينسحب على جميع الأنبياء عليهم السلام لما تقدم، واللـه أعلم وأحكم.

رأي مؤلفي التفسير التطبيقي المتناقض:

يرى مؤلفو التفسير التطبيقي([1]) أنّ أيوب عليه السلام :

1- تاب ولم يطلب الغفران عن خطايا سريّة، بل لأنه شكَّ في سيادةِ اللـهِ المطلقة وعدله.

2- تابَ أيوب عن موقفه وأقرّ بقدرة اللـه العظيمة وعدالته الكاملة.

3- أعلن اللـهُ بكلِّ جلاءٍ أنّ أصحاب أيوب كانوا مخطئين.

وحقيقة فإنّ اللـه لم يذكر خطايا معينة لأيوب، فاللـه يؤكد تقوى حياة أيوب.

وهذا الكلام قريب من هـدف مرض أيوب وهو حسب علماء النصارى تطهير القلب من الكبرياء خطية أيوب وسرّ شقائه.([2])

- دلائل الكذب والتناقض في سفر أيوب عليه السلام :

فيما يلي أبرز الأدلة والشواهد، على التناقض الجلي، والكذب الواضح في هـذا السفر:

ورد من مدح اللـه تعالى وثنائه على أيوب عليه السلام ، قبـل الابـتلاء بأنـه كامـل الاسـتقامة، ومتمسـك بكمالـه. وهذا هـو النصّ:

(لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأرض. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللـهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هـوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ)(أيو: 2 : 3). فهذه تزكية وشهادة إلهية أولى لأيوب عليه السلام قبل البلاء. فهي موافقة لتزكيته في القرآن الكريم أيضاً.

وأمّا الدليل على استمرار استقامته أثناء الابتلاء، فهو ثناء اللـه عليه بعد الابتلاء، وعنـدما شـافاه إذ وجَّـهَ اللــه تعالى اللومَ لأصحاب أيوبَ الثلاثة، وأمرهم بتقديم ذبائحَ ولمْ يأمر أيـوبَ بشيءٍ، بـل أثنـى عليـه قـائلا: (لأَنَّكُـمْ لَـمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أيوب)(أيو: 42 :7) فأيوبُ كان مصيباً في كلامه أثناء حواره مـع أصـحابه بشـهادة اللــه تعالى أيضاً وهي الثانية.

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1126 .

2 . **المدخل إلى العهد القديم**، مرجع سابق، ص 213 .

وقد ثبت أنَّ أيوب عليه السلام لم يعترض على ما أصابه حيث تؤكد العبارتـان عـلى تقـوى أيـوب عليـه السـلام واستقامته قبل البلاء وفي أثنائه، فإنّ هـذا الأمـر يُعـدُّ أوضـحَ دليـلٍ وأنصـعَ برهـانٍ عـلى كـذب مـا بـين الشـهادتين الإلهيتين من عباراتٍ تُفيدُ اللعنَ والسَّبَّ وعدمَ الرضى من أيوب عمّا أصابه من بلاءٍ واعتراضه على قدر اللـه تعالى. وهذه كلها ذنوبٌ عظيمة في حقِّ النَّبيّ، فكيف يَصفُ اللـهُ أيوبَ بعد كل ما صـدر منـه بأنـه مصـيبٌ في أقوالـه ؟ وهذا هـو عين التناقض.

وبما أنّ اللـه تعالى لا يخطئ ولا يتناقض كلامُه جلَّ وعلا، فقد ثبـت أنّ أيـوبَ عليـه السـلام لم يـتكلمَ بسَـخط ولا اعتراض على قدَرِ اللـه تعالى، والحمد لله ربِّ العالمين.

ومن دلائل الكذب أيضاً قوله: (**أَوْقَفَنِي مَثَلاً لِلشُّعُوبِ**)(أيو: 18 : 6) فهذه العبارة تقطع بأنّ أيوب عليه السلام لم يقلها ولم يكتبها، لأنه لا يجوز نسبة هـذه العبارة إلاَّ لإنسانٍ عاشَ بعد أيوبَ بقرون عديدة، وهي المـدة الكافيـة في ذلك الزمان، من أجل تناقل مَثَل وحكمة ما بين الأمم والشعوب. ولا شك انه كـان هــناك شـعوبٌ لكـن طبيعـة ذلك الزمان يحتاج إلى سنوات عديدة حتى يصبح الخبر المتناقل مثلا وحكمة بين هـذه الشعوب، فدلّ ذلك على أنّ هـذه العبارة من تأليفِ إنسانٍ آخر. واللـه أعلم.

رأي علماء العهد القديم:

ذهب شُرَّاح العهد القديم إلى أنّ أيوب له خطيئتان عظيمتان:

الأولى: شكّه في قدرة اللـه تعالى وسيادته وعدله. وهذا رأي أصحاب التفسير التطبيقي([1]).

الثانية: كبرياء أيوب في قرارة نفسه بأنه لا يخطئ. وهذا رأي بعض علماء النصارى([2]).

الرّدُّ:

لا يشك مسلمٌ بأنّ هـاتين خطيئتان باطلتان، بل إنهما كفر، واللـه تعالى عصم أنبياءه من الكفر. ومعلومٌ أنّ النَّبيّ أرسخُ الناس إيماناً باللـه تعالى وصـفاته المطلقـة الكـمال، فكيـف يشـك بإحـدى صـفاته؟ وإذا كـان فاقـد الشيء لا يعطيه فكيف يكون نبياً هـادياً وداعياً إلى ربه جلّ شأنه، وهو شاكٌّ ببعض صفاته؟! حاش لله تعالى أنْ يرتضي لأحـد أنبيائه الكرام أنْ يشك فيه، وهو تعالى الذي اصطفاه وأرسله من بين ألوف البشر لتبليغ رسالته.

أما دعوى كبرياء نفس أيوب عليه السلام بأنـه لا يخطـئ فهـو مـردود وباطـل، وإنْ كانـت أخـفّ بـلاءً مـن الأُولى لتعلُّقِها بالذات الإلهية.

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1126 .

2 . انظر مثلا : **المدخل الالعهد القديم**، القس د. صموئيل يوسف، ص 213 . **وتفسير سفر أيوب** : القس أنطونيوس فكري، ص 11

والأنبياء عليهم السلام لعلو إيمانهم وعِظَم مرتبتهم، هـم أعظم الناس أدباً مع خالقهم جلَّ وعـلا، وأكـثرُ النـاس تواضعاً وخشيةٍ لله تعالى، لأنهم أعرفُ الخلق به جل شأنه. ومن كان كذلك فإنه يكـون بعيـداً عـن كبريـاء الـنفس. وهذا خاتم النَّبيّين سيِّدُنا محمَّد عليه الصلاة والسلام كان يتوبُ إلى اللـه تعالى ويستغفره في اليوم أكـثر مـن مائـة مرة. لا من ذنب بل من تعليم للأمة وأدبٍ مع اللـه تعالى. بل قد نصَّ القرآنُ الكريمُ على التوبةِ المستمرة لأيـوبَ عليه السلام ، وأنه كان دائم الأوبة إليه تعالى في كل أحواله فقال جلَّ شأنه: (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44/38}**) (ص:44).

المبحث الثالث: أيوب عليه السلام في القرآن الكريم:

أثنى اللـه تعالى على أيوب مع جملة من الأنبياء عليهم السلام في سورة الأنعام. وقد ورد الحديث عن قصته عليه السلام في موضعين اثنين في القرآن الكريم في سورة الأنبياء عليهم السلام وسورة ص. كما ذُكر اسمُه مـرتين في جملـة الأنبياء عليهم السلام الذين اثنى اللـه عليهم في سورة النساء الآية (163) وفي سورة الأنعام الآية (84).

أما تفاصيل القصة فقد كانت مختصرة لكنها احتوت الحدث وهو مرض أيوب عليه السلام ، والعلاج والعبرة والثناء الإلهي عليه. وهذا هـي الآيات المباركة في شأن أيوب عليه السلام :(**وَأَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّـهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الضُّرُّ وَأَنـتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنـدِنَا وَذِكْـرَى لِلْعَابِدِينَ**) (الأنبياء:83-84).

وقوله تعالى:(**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الشَّـيْطَانُ بِنُصْـبٍ وَعَـذَابٍ {41/38} ارْكُـضْ بِرِجْلِـكَ هَـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42/38} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ {43/38} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44/38}**) (ص: 41-44).

موقف أيوب عليه السلام من البلاء:

ابتلى اللـه تعالى نبيه أيـوب عليـه السـلام بـلاء عظـيماً، ولـو كـان مرضـاً عاديـاً مـا سـطره اللــه تعـالى في كتابـه العزيز، فالأنبياء عليهم السلام يمرضون وقد مرض سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم ولم يسجل القرآن ذلك. لكـنَّ الحال في أيوب مختلف بعظم البلاء . ومع هـذا البلاء العظـيم فقـد بلـغ مـن صـبره عليـه السـلام ، أنّـه لم يـتكلمُ بكلمةٍ واحدة، ولم يسْخط ،بل كان صابراً وراضياً حتى استحقَّ بذلك تزكيةً اللــه وثنائـه؛ حيـث يقـول تعـالى: (**إِنَّـا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**)(ص: 44) وبعد هـذا الصبر منَّ اللــه عليـه بالشـفاء، وإعـادة النعمـة ومثلَهـا معها.

الوصفة الإلهية لعلاج عبده أيوب عليه السلام :

قال تعالى: (**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42/38}**) (ص: 42).

الركض هـو تحريك الرِجل([1]) فقد أمر الـلـه تعالى عبده أيوب، أنْ يحرِّك رجله فقط، ليَخرُج من الأرض ماءٌ فيغتسل منه لتذهب أمراضُه وعللُه الظاهرية، ويشرب منه فتذهب أمراضُه وعلله الباطنية. وقد فعل أيـوبُ عليـه السـلام ذلك فكشف الـلـه ضره برحمة منه وهو أرحم الراحمين. ولا يوجد ذكر لهذه القضية في العهد القديم.

وكما ابتدأت الآيات الكريمة الحديثَ عن أيوب بالثنـاء، والأمـر بالتحـدث وإشـاعة قصـته بـين المسـلمين، وبوصـف العبودية لله تعالى، فقد اختُتْمتْ بتزكية إلهية له:

(**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**) (ص: 44) وفي هـذه التزكية تكذيبٌ جليٌّ لِما عند أهل الكتـاب مـن كـذب وافتراء بحقِّ أيوب عليه السلام ؛ حيثُ يظهر نبي الـلـه أيوب عليه السلام في هـذين النصين بصورة الصـابر الـذي سلم أمره إلى الـلـه تعالى فلا تجد تذمراً أو شكايةً أو سخطاً، وإنما خلق الصبر الذي نال به المدحَ الإلهي، وأنه دائـم الأوبة إلى الـلـه جلَّ وعلا: (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**) (ص: 44).

وأتساءل: لو صحّ ما نُسِبَ لأيوبُ عليه السلام من السَّبِّ والسَخَط واللعن ومعاتبة ربّه- كما في العهد القديم- فما هـو الفارق عندها بين موقف نبي الـلـه على البلاء وموقف إنسان آخر من آحاد الناس فيما لـو ابـتلي بمثـل هــذا البلاء؟ وما دام أنّ أيوب عليه السلام قد سَخِط ولم يصبر، فلا فضيلةَ له ولا تميّز عن غيره.

والحقُّ كما في القرآن الكريم أنه صبر ولم يسخط بشهادة الـلـه تعالى، ولذلك حكى القرآن الكريمُ قصة بلائه وصـبرِه، حتى صارَ صَبرُهُ مثلاً ايجابياً وكريماً بين الأمم والشعوب،لذلك مدحه الـلـهُ تعالى وأثنى عليه.

---

1 . **مختار الصحاح الرازي**، مادة ركض، ص 223 .

الباب الثالث

الأنبياء بعد يعقوب عليهم السلام

تمهيد.

الفصل الأول: يعقوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم، وفيه تمهيد وتسعة مباحث كما يأتي: تمهيد.

المبحث الأول: دعوى احتيال يعقوب عليه السلام على أبيه إسحاق عليه السلام للحصول على بركة البكورية.

المبحث الثاني: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام دخل بأخت زوجه.

المبحث الثالث: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام احتال على خاله ليزيد ثروته.

المبحث الرابع: دعوى مصارعة يعقوب عليه السلام لله تعالى.

المبحث الخامس: دعوى اغتصاب دينة ابنة يعقوب عليه السلام ،وارتكاب شمعون ولاوي ابني يعقوب عليه السلام إبادة جماعية انتقاماً لها. (أول بركات المصارعة)

المبحث السادس: دعوى زنا رأوبين ابن يعقوب عليه السلام ببلهة زوجة أبيه يعقوب عليه السلام (البركة الثانية من بركات المصارعة)

المبحث السابع: دعوى زنا يهوذا ابن يعقوب عليه السلام بكنته ثامار(البركة الثالثة).

المبحث الثامن: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام وهَبَ ابنه يوسف عليه السلام سهماً زائداً على إخوته.(البركة الرابعة)

المبحث التاسع: وصيةُ يعقوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث العاشر: يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم.

الفصل الأول: يعقوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

تمهيد:

مجمل تاريخ بنو إسرائيل:

يمكن إجمال تاريخهم في المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: مرحلة البداوة والإنتقال إلى حياة الحضر:

يبدأ تاريخ بني إسرائيل بأبيهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد سمِّي يعقوب فيما بعد (إسرائيل) ورُزِق اثني عشر من الولد، وكل واحد منهم ولَد أمةً تسمى سبطاً يُنسب إليه، فأسباط إسرائيل هم ذرية يعقوب من أبنائه الإثني عشر([1]). وقد عاش يعقوبُ وأبناؤه في فلسطين حياةً بدائية بسيطةً؛ حيث حياة البداوة، بدليل ما قاله يوسُف في معرض حمد اللـه تعالى وإظهار النعمة الإلهية عليه وعلى أهله: (**وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ**) (يوسف: 100). واستقرَّ يعقوب وأبناؤه وأحفاده في مصر(**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ {93/12}**) (يوسف: 93). وكان ذلك عند حكم الهكسوس([2]) عليها، فعاشوا فيها حياةً كريمةً، خلال فتره الهكسوس من 1730- 1580ق. م([3])،

المرحلة الثانية: قيادة موسى لبني إسرائيل، حيث نقلهم من العبودية والذلة تحت حكم الفراعنة في مصر إلى الحرية..

ولما طُرِدَ الهكسوس من مصر، أذلّ المصريون بني إسرائيل وعذَّبوهم واستخدموهم في البناء وخدمة الأرض وذلك لتواطئهم مع الهكسوس عند حكمهم، ولمحاولتهم قلب نظام الحكم، ولاستلابهم الأموال بطرق خبيثة.([4]) وهكذا عاش بنو إسرائيل سنوات من الذلةِ. وقد أكَّدَ القرآنُ الكريم حياة الذلة التي عاشها الإسرائيليون في مصر قبل وأثناء حياة موسى عليه السلام يقول تعالى: (**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ {49/2} وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {50/2}**) (البقرة: 49-50).

ثمَّ بعث اللـه فيهم موسى عليه السلام فاستنقذهم من أسرِ فرعون وقهره، وأهلك اللـه فرعون وأنجى بني إسرائيل، وقادهم موسى باتجاه الأرض المقدسة، فجبُنوا عن دخولها، وبقوا في التِيهِ في سيناء أربعين سنة، توفي فيها موسى وهارون.([5]) وقد تميزت هذه الفترة بحياة البداوة والتنقل وعدم الاستقرار، عبد بنو إسرائيل فيها العجل مدةً يسيرة.

---

1 . السقار، **هل العهد القديم كلمة اللـه؟** ص 10 .

2 . **الهكسوس :** هم الذين غزوا مصر ،وهم من بدو آسية وقيل من بدو الجزيرة العربية، وقد اخضعوا وادي النيل لحكمهم لمدة قرنين من الزمان . أنظر : **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ج 1، الشرق الأدنى، مرجع سابق، ص 76 بتصرف . وانظر: **اليهودية**، أحمد شلبي، ص 51 – 60 . مرجع سابق.

3 . شلبي، **اليهودية.** ص 54. مرجع سابق.

4 .د. طنطاوي، د. محمَّد سيد ، 1997، **بنو اسرائيل في القرآن والسنة.** ط1، دار الشروق، ص 20 بتصرف.

5 . د. منقذ السقار، **هل العهد القديم كلمة اللـه**؟ ص 10 بتصرف.

المرحلة الثالثة: عهد القضاة:

بعد موت موسى عليه السلام ، قاد يشوع بني إسرائيل، فأدخلهم الأرض المقدسة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وبعد وفاته كان عهد القضاة، حيث تولَّى حكمَ اليهود قضاةٌ من الكهنة ينتخبهم كبار الشعب، ولم تكن طاعتهم واجبة، وقد أدّى ذلك إلى تقسيم الأرض المفتوحة على أساس الأسباط، وأنه لم تتألف منهم أمَّة واحدة متماسكة. وقد اختُلِفَ في مدةِ حكم القضاة، من مائة سنة إلى أربعمائة سنة([1]). وقد رجّحت الباحثة مي المدهون أنها استمرت مائة وعشرين سنة([2]). وقد حكم فيه خمسة عشر قاضياً بعضهم من النساء. حسب قولهم. ويعدّ عهد القضاة أسوأ عهود بني إسرائيل، حيث عبدوا الأصنام وانتشر الزنا، وقتلوا المصلحين، ولذلك سلّط اللـه عليهم الغارات والغزوات ومن أهانهم في هذه المرحلة.([3])

المرحلة الرابعة: عهد الملوك: وقد ابتدأ بطالوت، ثم داود ثم سليمان عليهما السلام. واستمر حكم الملوك الثلاثة من سنة 1095 ق.م إلى الانقسام في سنة 975 ق.م.

وقد اختار صموئيل النَّبيّ، شاول (طالوت) ملكاً على بني إسرائيل، واستمرّ حكمُه عشر سنين، ثم مَلَكَ بعده نبيُّ اللـه داود، الذي آتاه اللـه الكثيرَ من المعجزات والنعم وأعزّ ملكه وشدّه؛ حيث يقول جلَّ شأنه: (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ {20/38}**) (ص: 20).

وقد شوَّهَ كتبة العهد القديم صورةَ النَّبيّ والملك العادل داود؛ حيث نسبوا له الإبادة الجماعية والزنا. الأمر الذي دفع بعض المؤرخين للحكم على داود بأنه رجل ينطوي على جميع بقايا الهمجية، وكلِّ مقومات الحضارة([4]). وبعد داود آل الحكم إلى نبي اللـه سليمان الذي لا يُعَدُّ نبيا عند أهل الكتاب. وقد دام ملكُه زهاء أربعين سنة تميز بالرخاء والاستقرار([5]). وظلَّ حتى وفاته عام 922 ق. م. وقد بالغَ كتبة العهد القديم في الدعوى إلى سليمان عليه السلام ، فاتهموه بصناعة الأصنام آخر عمره إرضاءً لزوجاته المشركات.

وعلى الرغم من الإفتراءات الكثيرة عند كتبة العهد القديم، إلا أنّ مُلك سليمان بلغ مبلغاً عظيماً، لم يبلغه غيرُه كما ورد في القرآن الكريم، فسخّرَ اللـه تعالى له الريحَ والجنَّ، والنحاسَ المذاب، وأفهمه مَنطقَ الطير. يقول جلَّ شأنه: (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ {35/38} فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ {36/38} وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ {37/38} وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ {38/38} هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ {39/38}**) (ص: 35-39).

---

1 . انظرمثلا (: **سفر الملوك: 1: 6)** ، **واليهودية**، احمد شلبي، ص 72، وانظر: د. عدنان حداد، **الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام**،1997، ، دار البروني، بيروت ، ط1، ص 75.

2 . انظر: **داود وسليمان في الأسفار اليهودية، عرض ونقد**، رسالة ماجستير للباحثة مي حس المدهون، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1421ه، ص 162 .

3 . د. طنطاوي، **بنو اسرائيل في القرآن والسنة**، ص 34.

4 . ديورانت، **قصة الحضارة**، ج2، ص 332.

5 . د. طنطاوي، **بنو اسرائيل في القرآن والسنة**، ص 43.

المرحلة الخامسة: عهد الانقسام وزوال مملكة إسرائيل:

بعد وفاة سليمان عليه السلام تولى الحكم ابنه رحبعام، وبايعه اثنان من الأسباط هـما يهوذا وبنيامين، ولما توجه إلى(شكيم) نابلس، لأخذ البيعة من الأسباط العشرة، حصل بينهم خلاف فرفضوه، واختاروا (بربعام) ملكاً عليهم، وكوّنوا دولة شماليةً سمِّيت: **مملكة إسرائيل**، وعاصمتها شكيم، وعمَّرَتْ زهاء مائتين وخمسين سـنة، أي حتـى عـام 722 ق. م حيث قَضَى عليها الآشوريون، وحكموا تلك البلاد.

أما المملكة الجنوبية (يهوذا) وعاصمتها (أورشليم) فكان رحبعام بن سليمان أول ملوكهـا، وتعاقـب عليهـا عشرة ملوك من ذرية سليمان،حتى سنة 586 ق.م، وقد عمَّرَتْ زهاء أربعة قرون، حيث سقطت بيد بختنصر البابلي الذي قَتَلَ ملكها (صدقيا) وأحرقَ أورشليم، وسَبا سكانَها إلى بابل، فبقوا هـناك حتـى أعـادهم الملـك الفـارسي قـورش في سنة 538 ق. م، وهكذا قُضي على ملكة يهوذا سنة 586 ق.م، كما قضي قبل ذلك على أختها مملكة لإسرائيل سنة 721 ق.م.([1])

ثم بقيَ الإسرائيليون في فلسـطين في ظـلِّ اليونـان، ثـم الرُّومـان الـذين دخلـوا أورشـليم عـام 64 ق. م، واسـتمرَّتْ سيطرتُهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام.

المرحلة السادسة: تاريخهم من خراب أورشليم الأول سنة 586ق.م، إلى خرابها الثاني سنة 70 بعد الميلاد.

توالت دولٌ متعددة على حكم الأرض المقدسة بعد خرابها الأول على النحو التالي:

1- البابليون من سنة 586 – 538 ق.م.

2- الفرس من سنة 538 – 330 ق.م.

3- اليونان من سنة 330 – 323 ق.م.

4- البطالسة من سنة 323 – 200 ق.م.

5- السلوقيون من سنة 200 - 167 ق.م.

6- السلوقيون والمكابيون من سنة 167 – 63ق.م.

7- الرومان من سنة 63 – 614 م.([2])

وتفرَّق اليهود في الأرض،وظلوا تحت حكم المسلمين بعد فتحها في خلافة عمربن الخطاب رضي اللـه عنـه، وقـد ظلَّ اليهود ضعفاء لا كيان لهم في فلسطين، وظلوا ضعفاء تحت حكم المسلمين أو الرومان، حتـى ضـعفت الخلافـة الإسلامية وانهارت في بداية القرن العشرين.

1 . طنطاوي، د. محمد سيد، **بنو اسرائيل في الكتاب والسنة**، ص 54.

2 . طنطاوي، د. محمد سيد، **بنو اسرائيل في الكتاب والسنة**، ص 55- 56 .

المرحلة السابعة: اليهود يقيمون دولةً منيعةً في فلسطين:

كان اليهود يتعاطفون الإنجليز الدولة العظمى في العالم في ذلك الوقت، وكانوا وعدوهم بوطنٍ قومي خاص بهم في فلسطين. واستغلَّ اليهود عدم وجود كيان إسلاميّ قويّ يصدهم عن مرادهم، فأعلنوا قيام دولة إسرائيل سنة **1948م** على أرض فلسطين بدعم من بريطانيا والدول العظمى، ورفعوا العلم الإسرائيلي في القدس وما زال حتى اليوم. وطردوا العرب الفلسطينيين من قراهم ومزارعهم ، وارتكبوا مجازر في بعض القرى، وهاجر بعضُ الفلسطينيين إلى الدول المجاورة. وفي عام **1967م** شنّ الجيش الإسرائيلي حرباً جديدةً، أدّتْ إلى سقوط كامل أرض فلسطين بأيديهم. وحتى تاريخ كتابة هذه السطور ما زال اليهود هم الدولة الأقوى مقارنة بجيرانها العرب والمسلمين. كما أنهم يَحْظَون بدعم من دول العالم الكبرى.

وبالرجوع إلى العهد القديم يلاحظ كثرة الافتراءات المنسوبة إلى نبي اللـه يعقوب عليه السلام ، ولعلّ دعاوى العهد القديم ترتبط إلى حد ما بقدْرِ النَّبيّ، ومنزلته عند اليهود. لذلك يُلاحظ على يعقوب عليه السلام وهو أبٌ للإسرائيليين كثرة الدعاوى وتنوعها، وفي هذا كله معصية منهم لربهم: (وَلاَ تُسِيئُوا إلى أنبيائي)(مزمور: 105: 15). ولأنّ يعقوب عليه السلام الذي سمي إسرائيل هو الذي ينتسب إليه جميع أفراد الشعب الإسرائيلي، فقد بلغت إساءة كتبة العهد القديم له مبلغاً عظيماً، فأوصلوه وأهلَ بيته إلى درجة نازلة من الدناءة والحال الذي يصعب على أفجر وأفسق خلق اللـه أنْ يصلوا إليه بقبيح فعالهم.

وقد اجتهدت مستعيناً باللـه تعالى لإبطال هذه الدعاوى من العهد القديم ذاته ومن القرآن الكريم والعقل والخُلُق. مع ملاحظة ضرورة تدبر القارئ للنقد العقلي، ليظهر له وَجْهُ صحته ورجحانه.

المبحث الأول: دعوى احتيال يعقوب للحصول على بركة([1]) البكورية في العهد القديم

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها. المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

تمثِّل هذه الحادثةُ أغرب ما في العهد القديم من قصص متناقضة، مليئةٍ بالطعن في الأنبياء عليهم السلام،ومن العجب أنّ الباحث عبد الشكور العروسي لم يتطرق لهذه الحادثة، ولم يتعرض لها بشيء من النقد أو البحث([2]). ولا بدَّ من إيراد القصة كاملةً للوقوف عليها تحليلاً ثم نقداً. وهذه هي القصة كما في العهد القديم:

---

1 . **البركة** : أنَّ الربَّ يبارك الناس، أي يمطر عليهم من نعمه، ويزيد غلاتهم ويلطف بعائلاتهم. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 171.

2 . أنظر مثلاً رسالة : **موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، للباحث عبد الشكور العروسي، مرجع سابق، ص 532 – 533.

(1 وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنِي». فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا». [2]فَقَالَ: «إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي. [3]فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا، [4]وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».

[5]وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ. [6]وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلمتْ يَعْقُوبَ ابْنِهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلاً: [7]اِئْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. [8]فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: [9]اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، [10]فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». [11]فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. [12]رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً». [13]فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اِسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي». [14]فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعِمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. [15]وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، [16]وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِهِ جُلُودَ جَدْيَيِ الْمِعْزَى. [17]وَأَعْطَتِ الأَطْعِمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا.

[18]فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» [19]فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». [20]فَقَالَ إِسْحَاقُ لابْنِهِ: «مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي». [21]فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟». [22]فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». [23]وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. [24]وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». [25]فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لآكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. [26]فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي». [27]فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْل قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. [28]فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. [29]لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ».

[30]وَحَدَثَ عِنْدَمَا فَرَغَ إِسْحَاقُ مِنْ بَرَكَةِ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ، أَنَّ عِيسُوَ أَخَاهُ أَتَى مِنْ صَيْدِهِ، [31]فَصَنَعَ هُوَ أَيْضاً أَطْعِمَةً وَدَخَلَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ لأَبِيهِ: «لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». [32]فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». [33]فَارْتَعَدَ إِسْحَاقُ ارْتِعَاداً عَظِيماً جِدّاً وَقَالَ: «فَمَنْ هُوَ الَّذِي اصْطَادَ صَيْداً وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ، وَيَكُونُ مُبَارَكاً». [34]فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدّاً، وَقَالَ لأَبِيهِ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَا أَبِي». [35]فَقَالَ: «قَدْ

جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ». [36]فَقَالَ: «أَلاَ إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهُوَذَا الآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا أَبْقَيْتَ لِي بَرَكَةً؟» [37]فَأَجَابَ إِسْحَاقُ وَقَالَ لِعِيسُو: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّداً لَكَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا، وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. فَمَاذَا أَصْنَعُ إِلَيْكَ يَا ابْنِي؟» [38]فَقَالَ عِيسُو لأَبِيهِ: «أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَا أَبِي». وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى. [39]فَأَجَابَ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «هُوَذَا بِلاَ دَسَمِ الأَرْضِ يَكُونُ مَسْكَنُكَ، وَبِلاَ نَدَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ. [40]وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ، وَلأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ، وَلكِنْ يَكُونُ حِينَمَا تَجْمَحُ أَنَّكَ تُكَسِّرُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ».

[41]فَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ الْبَرَكَةِ الَّتِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ. وَقَالَ عِيسُو فِي قَلْبِهِ: «قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي». [42]فَأُخْبِرَتْ رِفْقَةُ بِكَلاَمِ عِيسُوَ ابْنِهَا الأَكْبَرِ، فَأَرْسَلَتْ وَدَعَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ وَقَالَتْ لَهُ: «هُوَذَا عِيسُو أَخُوكَ مُتَسَلّ مِنْ جِهَتِكَ بِأَنَّهُ يَقْتُلُكَ. [43]فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي، وَقُمِ اهْرُبْ إِلَى أَخِي لاَبَانَ إِلَى حَارَانَ، [44]وَأَقِمْ عِنْدَهُ أَيَّامًا قَلِيلَةً حَتَّى يَرْتَدَّ سُخْطَ أَخِيكَ. [45]حَتَّى يَرْتَدَّ غَضَبُ أَخِيكَ عَنْكَ، وَيَنْسَى مَا صَنَعْتَ بِهِ. ثُمَّ أُرْسِلُ فَآخُذُكَ مِنْ هنَاكَ. لِمَاذَا أُعْدَمُ اثْنَيْكُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟»). (تك : 27 : 1 – 45)

ملّخص القصة:

تذكرُ القصة أنّ إسحاقَ عليه السلام لمَّا تقدَّم به العمر، دعا ابنه عيسو وطلب أنْ يصيد له صيدا يأكله ليباركه. فحبكت رفقة زوج يعقوب عليه السلام خطّة، لتحتال بها على زوجها إسحاق عليه السلام لتحصل المباركة ليعقوب عليه السلام وليس لعيسو. فطلبت من ابنها يعقوب عليه السلام أنْ يأتيها بجديين ليقدمهما لأبيه، وألبست يعقوب عليه السلام لباساً يشبه لباس عيسو. ولمّا قدَّم يعقوبُ عليه السلام الطعام لأبيه شكّ بصوت يعقوب بداية لكنّه انخدع ولم يميز بين ولديه، وبعد الطعام وشرب الخمر بارك إسحاق عليه السلام ابنه يعقوب عليه السلام وهو يظن أنه عيسو، ودعا له بأنْ تستعبد له الشعوب وتسجد له القبائل ويكون سيداً لإخوته. ولمّا رجع عيسو الحقّيقي طلب من أبيه أنْ يأكل ويباركه فأخبره أبوه بالخدعة، فسأل عيسو أباه أن يباركه فاخبره بأنّ البركة قد ذهبت إلى يعقوب. فنقم عيسو على أخيه يعقوب بسبب الخدعة وقرّرَ في نفسه أنْ يقتله، فعلمت أمّه رفقة فطلبت من يعقوب عليه السلام أنْ يرحل عن أخيه حتى يهدأ غضبه وينسى تلك الخدعة.

تحليل النصّ:

يتضمن النصُّ السابق عند علماء أهل الكتاب ومفسريهم أموراً أهمها:

- اتفاقهم على تخطئة إسحاق لاختياره ابنه عيسو للبركة، حيث أنّ عيسو ضد النبوة، وله تصرفات خاطئة فكيف يعطى البكورية لهذا المستهتر،إضافة إلى أنّ إسحاق عليه السلام سَبَقَ وعَرَفَ أنّ الربَّ أعلنَ أنّ الكبير يُستعبد للصغير. كما يُرجَّح بأنه سمع أنّ عيسو باع بكوريته، وأنه تزوج بامرأتين أجنبيتين، لكنه كان في هذا مدفوعاً بالعواطف الأبوية التي جعلته يتناسى كل هذه الاعتبارات([1]).

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 292 .

- أنّ الدافع لإسحاق عليه السلام لإعطاء البكورية لعيسو كان طمعه بأكلة صيدٍ، لأنّ طَعم غزلان البرِّيَّةِ أفضل مـن القطعان التي عندهم. وكان سيخالف النبوة لهذا السبب([1]).

- أنَّ بركة الآباء الأتقياء هـي صلوات صالحة كان اللـه تعالى يلهمهم إياها، وتنبؤُ عما يحدث لأبنائهم([2]).

- على الرغم من معرفة رفقة زوج إسحاق بأنّ البركة ستكون ليعقوب، إلاّ أنها لجأت إلى الكـذب والخـداع. وكانـت هـذه هـي نقطة ضعف حياتها([3]).

- اتفاقهم على أنّ يعقوب قد اشترك مع أمه في الكذب على أبيه وخداعه، فعقوق يعقوب أبيه صريح وبيّن.

- أنّ البركة قد حصلت ليعقوب بالخداع والتدليس، ومع ذلك فقد اعتبرت نافذةً، وأنه لا يمكن ردّها.

- أنّ المباركة تضمّنت تفضيل أصل بني إسرائيل على غيرهم.

- يرون أنّ نبوءة يعقوب عليه السلام قد تحققت في الحروب الكثيرة بين الإسرائيليين والأدوميين([4]).

- علم رفقة بما أضمره عيسو في قلبه من محاولة قتل أخيه يعقوب عليه السلام .

- لا يظهر في النصِّ ندمٌ أو توبةٌ من رفقة أو من يعقوب، اللذين تعاملا بالكذب والخداع في حق نبي اللـه إسـحاق عليه السلام .

- يظهر أنّ اللـه تعالى جازى رفقة ويعقوب عليه السلام على خطيئتهما؛ إذْ حُرِمتْ رفقـةُ مـن رؤيـة ابنهـا يعقـوب لسنواتٍ وكانت حياتها مريرة. وأمّا يعقوبُ فانّ الخداع الذي مارسه خالُه معه كان بمثابـة العقوبـة عـلى مخادعتـه أباه إسحاق([5]).

والعجيبُ أنْ يرى صاحب السنن القويم بعد هـذا كلِّه، أنّ وراثة كل من إسحاق ويعقـوب علـيهما السـلام البركـة والبكورية وحرمان كل من إسماعيل عليه السلام وعيسو إنما كان بقصد اللـه واختياره.([6])

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

لا بدّ من الانتباه لقضية خطيرة، جديرة بتسليط الضوء عليها لم أجدُ منْ عَرَضَ لها، وهذه القضـية والطامَّـة هـي سوءُ خاتمة معظم الأنبياء عليهم السلام. وقصة مباركة إسـحاق ابنـه يعقـوب علـيهما السـلام هـي نمـوذج لخاتمـة العديد غيره من الأنبياء عليهم السلام الأطهار، إلا أنّ كتبـة العهـد القـديم وضـعوا هــذه الـدعاوى في قالـب قصـة لخداع غيرهم. وإنّ آحاد المؤمنين يحرصون على حسنِ الخاتمة، ويلُّحون في دعاء المولى عزَّ وجلَّ أنْ يكرمهم بها، فكيف بالأنبياء الذين اجتباهم اللـه تعالى وهداهم وأكرمهم بالنبوة والرسالة؟

1 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 221 .
2 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 292 .
3 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 292 .
4 . هـم نسل عيسو بن إسحاق . أنظر: نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين** ص 298.
5 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 300 بتصرف .
6 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج1، 183. مرجع سابق.

وهذه الدعوى تشمل عدةَ متناقضات وأموراً باطلةً شرعاً وعقلاً، كما يأتي في النقد:

ميزات البكورية:

للبكورية امتيازات معينة وبركاتٍ مخصوصة بفهم أهل الكتاب وهي:

أنَّ البكر ينوبُ عن أبيه في غيابه، ويأخذ الرياسة بعد موت أبيه. وأنه يقوم بخدمة الكهنوت، وأنه يأخذ نصيباً مضاعفاً من الميراث أو ضعف إخوته([1]).وقد كان للابن البكر الحقّ في بيع حق البكورية أو التخلي عنه إذا أراد([2]).

وأرى أنه على فرض التسليم بصحة هذه الأمور إلا أنه لا يمكن التسليم بانتقالها من ابن لآخر بالخداع والكذب، سيما إذا كان هذا الابن هو نبي من الأنبياء عليهم السلام وأبوه نبي كذلك.

أما النقد الموجه لهذه القصة، فيكمن في الطعن في نبيين كريمين، هما إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام، والقدح في عصمة كل منهما من جوانب عدة كما يلي:

1- أنّ هذه القصة حملت عقوقاً صارخاً من يعقوب لأبيه إسحاق، حيث كذب عليه وخدعه ولبّس عليه. وإذا كان عقوق الوالدين أو أحدهما من الأمور المنفرة قبل النبوة أو بعدها، فإنه لا يليق بالنَّبيّ فعله، ولا يجوز أنْ يصدر عنه ولذلك وجب رده. والله تعالى يقول: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** {23/17}) (الإسراء: 23)

وإنّ الحقّ الذي لا لَبسَ فيه أنّ الأنبياء عليهم السلام أشدُّ الناس براً بوالديهم، حتى لو كان والداهم على غير الإسلام. وإذا كان إبراهيم قد أحسن لأبيه الكافر الذي هدده وأراد قتله وحرقه، وإذا كان نبينا محمد يزور قبر أمه([3]) وقد ماتت قبل الإسلام. فكيف يتصور حال يعقوب مع أبيه إسحاق النَّبيّ الكريم ؟ لا شكّ أنه كان أكثر براً وإحساناً بحكم مقام النبوة والأبوة ؟

ومن هنا وجب ردّ الدعوى السابقة المتضمنة عقوق يعقوب أبيه إسحاق بما تحمله من كذبٍ وخداع وتدليس.

2- أنّ موقف إسحاق عليه السلام في هذه الحادثة مخالفة للفطانة. والفطانة كما تقدم([4]) هي إحدى الصفات الواجب توفرها في النَّبيّ لأنه أكمل أهل زمانه عقلاً([5]). ولو لم يتصف النَّبيّ بالفطانة لاتصف بضدها وهي الغفلة والسذاجة([6]) .

وتقدم أنّ الله عصم عقول الأنبياء عليهم السلام من الغفلة فالفطانة لازمة للنبي حتى عند الشيخوخة.

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،** ص 67 . مرجع سابق .

2 . **قاموس الكتاب المقدس**،ص 178. مرجع سابق،وانظر **التفسير التطبيقي** ص 67 .

3 . أنظر: **صحيح مسلم**، كتاب الجنائز، باب استئذان النَّبيّ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم 2303، ج3، ص 65، **ومسند أحمد بن حنبل**،مسند أبي هريرة رضي الله عنه، لرقم 9686، ج2، ص 441 .

4 . راجع مبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام ص 60 وما بعدها.

5 . **المسايرة بشرح المسامرة**، مرجع سابق، ص 194 .

6 . **القول السديد في علم التوحيد**، محمود أبو دقيقة، ج2، ص 174 بتصرف يسير .

وبناءً عليه لا يصحُّ أنْ يقال بأنّ إسحاق عليه السلام قد خدع وانطلت عليه هـذه الحيلـة، لأنّ هــذا القـول يحمـل الطعن في فطانة النَّبيّ خاصة وعصمته عامة . وقال الباجي رحمه الـلـه تعالى " إنّ من كانت له رتبـة إسـحاق بـأن ظهر له الربّ وكلمه واستجاب دعاءه، كيف يخفى عليه وينطلي عليه هـذا الخداع" ؟([1])

3- أنّ هـذه القصة فيها طعن بعصمة النَّبيّ عند أهل الكتاب؛ حيث مخالفـة إسـحاق الـوحيَ الإلهـي، وهـذا عـلى فرض صحة أنّ نبي الـلـه إسحاق علم بأنّ الكبير سوف يستعبد للصغير من خلال تكليم الـلـه لزوجته رفقـة وهـي حامل. وأنّ عيسو لا يستحقُّ البركةَ لأنه صاحب سوابق وخطيئات لا تؤهله للنبوة، فهـو الـذي بـاع بكوريتـه بأكلـة عدسٍ([2]) كما أنه تزوج بامرأتين أجنبيتين.

فهل يُعقل أنّ نبي الـلـه إسحاق يخالف أمر الـلـه الذي أعلنه لرفقة، ثم يقدم على إعطاء البركة لعيسـو الـذي لا يستحقها ؟ .

4- أنّ موافقة يعقوب على التآمر على أبيه بخداعه والاحتيال عليه، بالاتفاق مع أمـه رفقـه أمـر لا يمكـن تصـديقه فالنبي لا يَخدع والده أبداً.

5- يفسره أنّ الكذب لا يليق بمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار الأعداء، فكيف من نبيّ مع أبيه([3]) ؟ وقد ظهر بوضوح كذب يعقوب على أبيه إسحاق في أكثر من مرة.

6- إخبارهم أنّ بركة يعقوب إنما كانت مسروقة، ومأخوذة بغش وخداع وتخابث، وحاشا للأنبياء مثل هـذا([4]).

7- أنّ النبوة والبركة والدعاء الصالح من الأنبياء عليهم السلام، لا تنال بالغش والخداع والكذب. بل تنال بكرامة من الـلـه تعالى، فكيف يحصل يعقوب على البركة والبكورية والنبوة، بالغش والتدليس والكذب على الـلـه تعالى !؟

ورحم الـلـه الشيخ رحمت الـلـه الهندي الذي تنبَّه إلى ما هـو أكثر من خداع إسـحاق، فقـال:" كـما يظهـر أنّ إسحاق لم يميّز بين الأخوين في الدعاء، فكذا لم يميّز الـلـه بينهما عند إجابـة الـدعاء"([5]) تعـالى الـلــه عـما يزعمـون. وهذا الذي يفهم من الرواية، بل هـو ما أكدته الرواية حيث حصول يعقوب على البركـة والسـيادة.وهـذا بـلا شـك مردود، لأنّ الأعمال بالنية لا بالفرية. ذلك أنّ إسحاق عليه السلام ، إنمـا دعـا لعيسـو لا ليعقـوب لأنـه هــو الـذي اعتقده إسحاق وأراده ونواه حال الدعاء. وسبق أنْ تساءل القـرافي في هــذه الأمـر فقـال: "فكيـف يـدعو إسـحاق لعيسو وينصرف الدعاء ليعقوب من غير قصد إسحاق ؟ فجمعت اليهـود في هــذا النقـل بـين سـوء الأدب في حـق الأنبياء عليهم السلام وبين الجهل بالحقّائق([6]).

---

1 . الباجي، **الرد على التوراة**، ص 105 بتصرف .

2 . ذكرت هـذه القصة في سفر التكوين (25: 29 – 33).

3 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، 228.مرجع سابق .

4 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**،ج 1، 228 . مرجع سابق .

5 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، 1226. مرجع سابق.

6 . القرافي، **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، ص 164. مرجع سابق .

9- أنّ القصة باطلة من أساسها؛ إذ إنّ رفقة زوجة إسحاق هـي التـي دبـرت المـؤامرة وحبكـت الكـذب والخـداع ليعقوب وتكفلت بتحمل اللعنة عنه. وكيف يجوز أنْ يصدر هـذا الكذب وهذه المؤامرة عنهـا وهـي التـي أعلمهـا اللـه كما جاء في الإصحاح الذي قبله بأنّ الكبير سوف يُستعبد للصغير؟ فما الذي يدعوها لهذه المجازفة والمـؤامرة، مع أنّ الأمر متحققٌ لا محالة بوعد اللـه لها من دون حاجة إلى تدبير بشري؟

9- ومن الغريب حقا أنْ لا يظهر في الرواية أيّ موقف لإسحاق من ابنه يعقوب عليهما السلام بعد علمه بما فعلـه بحق أبيه من الكذب والغش والخداع حتى حصل على البركة بغير حق !!

هل تحققت نبوءة إسحاق عليه السلام التي ذكرها العهد القديم:

10- إنّ التاريخَ يكذِّب القصة؛ إذ حدث عكس ما أخبرت به التـوراة مـما تنبـأ بـه إسـحاق، فنبـوءة إسـحاق كانـت تقتضي سيطرة يعقوب وذريته على عيسو وذريته كما تنبأ بقوله:(لِيُسْتَعْبَدْ لَـكَ شُـعُوبٌ، وَتَسْـجُدْ لَـكَ قَبَائِـلُ. كُـنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ.)

(تك: 27: 29) لكن الذي حدث خلاف ذلك . فهل يجوز أنْ تتخلف نبوءة النَّبيّ إسحاق؟

لقد ناقشَ ابنُ حزم تلك الدعوى وكذبّها ونقضها بقوة، من التاريخ والعهد القـديم نفسـه، فيقـول رحمـه اللــه :" كذبٌ، واللـهِ ما خدمت الأممُ قط يعقوب ولا بنيه، ولا خضعت لهم الشعوب ولا كـانوا مـوالي إخـوتهم، ولا سـجد لهم ولا له بنو أبيه، بل بنو إسرائيل خدموا الأممَ في كل بلدة وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديماً وحديثاً"([1]).

قلت: هـذا صحيح في كثيرمن الأزمنة- ومنها زمان ابن حزم- بدليل قوله تعالى: (**وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّـكَ لَيَبْعَـثَنَّ عَلَـيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**) (لأعراف: 167)

ولكنَّ هـذا لا يمنع تفوق اليهود وسيطرتهم من خلال مكرهم وحبائلهم الكثـيرة؛ بحيـث تكـون لهـم منعـة وغلبـة أحياناً، ويؤيد هـذا قوله تعالى : (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَـرَّتَيْنِ وَلَـتَعْلُنَّ عُلُـوًّا كَبِـيراً {4/17}**) (الإسراء: 4).

ويشهد لهذا أنَّ اليهود في زماننا استطاعوا التحكم بالدول الكبرى في العالم كالولايات المتحـدة الأمريكيـة وبريطانيـا وفرنسا وروسيا والصين.

وبالرجوع لابن حزم رحمه اللـه نجده يفند نبوءة: (تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أبيك) فيقول: " لقـد صـحَّ ضد ذلك؛ إذ في توراتهم أنّ يعقوب كان راعي ابن عمه لابان وخادمه عشرين سنة، وأنه بعد ذلك سجد له وجميـع ولده لأخيه عيسو مراراً كثيرة، وما سجد عيسو قط ليعقوب، ولا ملك أحد من بني يعقوب بني عيسو، كما أخذ بنو عيسى ميراث بني إسرائيل وما ملك بنو إسرائيل قط بني عيسو، فما نرى تلك البركـة كانـت إلا معكوسـة ". وينهـي ابن حزم نقده لتلك النبوءة فيرى أنّ حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث أنْ تخرجَ معكوسةً منكوسةً.([2]).

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مرجع سابق، ص 230 .

2 .ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مرجع سابق،ص 230 بتصرف يسير .

فسبحانَ الذي جعل الجزاءَ من جنس العمل، فجازى بحكمته وعدلـه اليهـودَ عـلى تحـريفهم وسـخريتهم بحـال الأنبياء عليهم السلام وتاريخهم، بأنْ جعل الناس وأهل العلم ينقدون كلامَهم ويسخرون منهم. فلا يملكُ النُّقاد أمام هـذه القصة وغيرها إلا السخرية والتهكم، بعد النقد لنصوصها المتعارضـة مـن جهـة، والمخالفـة للعقـل مـن جهـة أخرى.

أمّا دعوى نجيب جرجس بأنَّ الدافع لإسحاق لإعطاء البكورية لعيسو، كـان طمعُـهُ بأكلـةِ صـيدٍ، لأنّ طعـمَ غـزلان البرّيَّة أفضل من القطعان التي عندهم، فهي دعوى ساقطةٌ أقل من أنْ يُرّد عليها، وإنْ كان يظهر منها قدْر الأنبيـاء عليهم السلام في نفوس علماء أهل الكتاب!!

هدف الدعوى:

لا يبعد هـدف هـذه الدعوى عن الهدف الأسمى لليهود، وهو إقامة الشواهد على دعواهم بتفضيل أصـلهم عـلى غيرهم وأنهم شعب مبارك، وأنهم سادة على غيرهم الذين يستعبدون لهم. مع أنّ التـاريخ نقـض هــذه الـدعاوى، وقد ظهر عكسُها، كما ظهر كذبها وخبثها؛ إذ إنَّ البركة الإلهية لا يُتحصل عليها بالخداع والكذب والتـدليس. فحاشـا لله تعالى وحاشا لأنبيائه أنْ يَحصل هـذا الافتراء.

أثر الدعوى:

قياساً على أخذ يعقوب وأمِّه البركةَ والبكورية من عيسو، فقد حذف اليهود النصـوصَ الدّالّـة صراحـةً عـلى نبـوة سيدنا محمّد وخاتمته للرسالات. وكما بدَّلوا وغيروا في جوهر النصرانية إذ حولوها إلى نحلةٍ فاسـدة، بعـد أن كانـت ديناً إلهياً موحى به من عند الـلـه تعالى. يعطي مبرراً للإسرائيليين، ليمارسوا الكذب والخداع ضـد الأمـم والشـعوب للحصول على مكتسبات في الأراضي المقدسة لتلـك الأمـم، بطـرق التحايـل مـرة والكـذب أخـرى، والاحـتلال بـالقوة وادعاء الحقّ التاريخي لهم كما فعلوا في المقدسات الإسلامية في فلسطين عامة، وفي القدس خاصة.

المبحث الثاني: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام دخل بأخت زوجته بخدعة من أبيها.

المطلب الأول:عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

من الدعاوى التي ألصقها كتبة العهد القديم بنبيٍّ الـلـه يعقوب عليه السلام ، الذي نسبت الأمة الإسرائيلية إليه، حادثة دخوله على أخت زوجه بخدعة خاله الذي هـو والد زوجته. وهذا هـو النصّ كما جاء في العهد القديم:

(وَإِذْ هـوَ بَعْدُ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ أَتَتْ رَاحِيلُ مَعَ غَنَمِ أَبِيهَا، لأَنَّهَا كَانَتْ تَرْعَـى. [10]فَكَـانَ لَـمَّا أَبْصَرَ يَعْقُـوبُ رَاحِيـلَ بِنْـتَ لاَبَانَ خَالِهِ، وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ، أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ. [11]وَقَبَّلَ يَعْقُـوبُ رَاحِيلَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَبَكَى. [12]وَأَخْبَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ أَنَّهُ أَخُو أَبِيهَا، وَأَنَّهُ ابْنُ رِفْقَةَ، فَرَكَضَتْ وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا. [13]فَكَانَ حِـينَ سَمِعَ لاَبَانُ خَبَرَ يَعْقُوبَ ابْنِ أُخْتِهِ أَنَّهُ رَكَضَ لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ. فَحَدَّثَ لاَبَانَ بِجَمِيعِ هـذِهِ الأُمُورِ. [14]فَقَالَ لَهُ لاَبَانُ: «إنما أَنْتَ عَظْمِي وَلَحْمِي». فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا منَ الزَّمَـانِ [15]ثُـمَّ قَـالَ لاَبَـانُ لِيَعْقُـوبَ: «أَلأَنَّـكَ أَخِـي تَخْدِمُنِي مَجَّانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ». [16]وَكَانَ لِلاَبَانَ ابْنَتَانِ، اسْمُ الْكُبْرَى لَيْئَةُ وَاسْمُ الصُّغْرَى رَاحِيلُ. [17]وَكَانَتْ عَيْنَا لَيْئَـةَ ضَعِيفَتَيْنِ، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ حَسَنَةَ الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ. [18]وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ، فَقَالَ: «أَخْـدِمُكَ سَـبْعَ سِـنِينٍ بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ الصُّغْرَى». [19]فَقَالَ لاَبَانُ: «أَنْ أُعْطِيَكَ إِيَّاهَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُـل آخَـرَ. أَقِـمْ عِنْـدِي». [20]فَخَـدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا.

[21] ثمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي لأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمُلَتْ، فَأَدْخُلَ عَلَيْهَا». [22]فَجَمَعَ لاَبَـانُ جَمِيـعَ أَهْـلِ الْمَكَـانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً. [23]وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا. [24]وَأَعْطَـى لاَبَـانُ زِلْفَـةَ جَارِيَتَـهُ لِلَيْئَـةَ ابْنَتِهِ جَارِيَةً. [25]وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هـيَ لَيْئَةُ، فَقَالَ لِلاَبَانَ: «مَا هـذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَـيْسَ بِرَاحِيـلَ خَـدَمْتُ. عِنْـدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟». [26]فَقَالَ لاَبَانُ: «لاَ يُفْعَلُ هـكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْـلَ الْبِكْـرِ. [27]أَكْمِـلْ أُسْـبُوعَ هـذِهِ، فَنُعْطِيَكَ تِلْكَ أَيْضًا، بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدِمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ». [28]فَفَعَلَ يَعْقُـوبُ هـكَذَا. فَأَكْمَـلَ أُسْـبُوعَ هـذِهِ، فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ. [29]وَأَعْطَى لاَبَانُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ بِلْهَةَ جَارِيَتَهُ جَارِيَةً لَهَا. [30]فَدَخَلَ عَلَى رَاحِيلَ أَيْضًا، وَأَحَبَّ أَيْضًا رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ. وَعَادَ فَخَدَمَ عِنْدَهُ سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ.)(تك: 29: 9- 30).

التحليل:

يذكرُ العهد القديم أنَّ يعقوبَ عليه السلام هـرب إلى العراق، بطلبٍ من أمه رفقة التي خافت مـن عيسـو الـذي أخذت منه البكورية والبركة بالمخادعة والكـذب، حيـث فكـر في قتـل أخيـه يعقـوب الـذي تحصـل عـلى البكوريـة بالكذب والخداع. وبالفعل سافر يعقوب بعد تلك الفعلة . وفي الطريق يظهر اللــه تعـالى ليعقـوب في المنـام. ثـم يواصل مسيره إلى العراق حتى يصل لأرض خاله لابان حيث يرى راحيل ابنة خالـه الصـغرى فيتقـدم إليهـا ويقبّلهـا ويبكي. ثم يُلاقي خاله ويحدث بينهم مواقف ينقلها العهـد القـديم. وتتضـمن إسـاءات وطعـون بحـق نبـي اللــه يعقوب هـذا تفصيلها وبيانها عند أهل الكتاب:

1- دعوى أنّ يعقوب عليه السلام قبّل راحيل بنت خاله لما لقيها، واخبرها بأنه أخو أبيها، أي قريبها([1]) .

2- دعوى أنّ يعقوب دخل على أخت زوجته بخدعة خاله لابان، وفي الصباح تبين له أنها ليئة، وليست راحيل التـي اتفق مع خاله على الزواج بها مقابل خدمته سبع سنين .

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر لتكوين**، ص 306 .

ويرى شُرَّاح العهد القديم أنه كان من السهل على يعقوب أنْ لا يميز بين الأختين لأسباب ثلاثة هـي: تشابههما في القد وفي الصوت، وأنّ العروس كانت تزف وهي مبرقعة ببرقع([1]).

4- معاتبة يعقوبُ خاله لابان على خداعه إياه وإعطائه غير الفتاة المتفق عليها .

5- تبرير لابان الموقف ليعقوب، بأنّ العرف عندهم لا يجيز تزويج الصغيرة قبل البكر. وطلبه من يعقوب أنْ يكمل أسبوعاً مع ليئة، على أنْ يزوجه راحيل بعد الأسبوع مقابل خدمته سبع سنين أخرى .

6- موافقة يعقوب عليه السلام على عرض خاله حيث أكمل الأسبوع، ثمّ تزوج راحيل بعد الأسبوع . وهكذا جمع يعقوب عليه السلام بين زوجتين أختين ليئة وراحيل، وقد كان هـذا جائزاً، إلى أنْ حرمته الشريعة فيما بعد([2]) .

7- يرى شُرَّاح العهد القديم أنّ خدعة لابان ابن أخته يعقوب عليه السلام ، إنما كان عقوبة على خدعة يعقوب أبيه إسحاق من قبل، بل إنّ خدعة أبناء يعقوب لأبيهم كان أيضاً عقوبة له على خدعته أباه إسحاق([3]).

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

وَجَّهَ النُّقادُ سهامَهم إلى ما ورد في هـذه القصة من إساءاتٍ، بحق نبيِّ الـلـه يعقوب عليـه السـلام . ومـن المفيـد الابتداء بذكر أمرٍ لم يعرض له أحدٌ من قبل، وهو تقبيلُ يعقوب ابنة خاله راحيل، عند لقائها أول مرة، حيث ورد ما يأتي: ([11]وَقَبَّلَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَبَكَى. [12]وَأَخْبَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ أَنَّـهُ أَخُـو أَبِيهَـا، وَأَنَّـهُ ابْـنُ رِفْقَـةَ، فَرَكَضَـتْ وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا.) (تك: 29 – 11- 13).

والتساؤل المشروع هـنا كيف يُقَبِّلُ نبي الـلـه يعقوب ابنة خاله راحيل التي لا تحلّ له، وهو الذي رأى ربه تبارك وتعالى في المنام منذ مدة قصيرة فقط ؟ أمْ أنّ هـذا التقبيل كـان جـائزاً في الشريعـة في ذلـك الزمـان !! وهـذا مـا لم يذكره شُرَّاح العهد القديم.

وأمّا دعوى دخول يعقوب على أخت زوجته بخدعة من خاله لابان، فيجـب القـول ببطلانهـا شرعـاً وعقـلاً . فأمـا شرعاً فذلك عين الزنا. وهذا كما قال ابن حزم " يقوم على إقرارهم أنّ يعقوب تزوج راحيـل، فأدخلـت عليـه غيرهـا ليئة، فكانت عنده بلا نكاح وولد له منها ستة ذكور وابنة، وهذا هـو الزنا بعينـه أخـذ امـرأة لم يتزوجهـا بخديعـة. وقد أعاذ الـلـه نبيه من هـذه السوأة".([4])

وأرى أنّ **هـ**ذه القصة مردودة وباطلة من العهد القديم ذاته، ومن عصـمة الأنبيـاء علـيهم السـلام، ومـن العقـل وتفصيل ذلك كما يأتي:

---

1. **البرقع** : غطاء للوجه كانت تلبسه نساء أورشليم في أيام اشعياء، أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**،ص : 171. وانظر: **السنن القـويم في تفسير أسفار الكليم** ج1، ص 195.

2 . نجيب جرجس **تفسير سفر لتكوين** ص 308.

3 . نجيب جرجس **تفسير سفر لتكوين** ص 307. وانظر **تفسير سفر التكوين** لفكري أنطونيوس ص 232 .

4 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،ج 1 ص 231 .

أولا : بطلان الدعوى من العهد القديم:

إنَّ ما ورد في النشيد الذي أوحاه اللـه لموسى عليه السلام ، ولقّنه موسى بني إسرائيل يتضمن تكذيباً جلياً لكل ما نُسب ليعقوب من إساءات في العهد القديم، فقد تضمَّن النشيدُ عنايةَ اللـه بيعقوب عليه السلام وحفظه إياه من كل سوء، كما يظهر من هـذا النص الذي يناقض جميع دعاويهم:

(إِنَّ قِسْمَ الرَّبِّ هوَ شَعْبُهُ. يَعْقُوبُ حَبْلُ نَصِيبِهِ. [10]وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلاَءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاَحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. [11]كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ، [12]هكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ الهٌ أَجْنَبِيٌّ.)(تثنية : 3 : 9-12) .

أقول: فإذا كان اللـهُ تعالى قد أحاط بيعقوب عليه السلام ، ولاحظَه وصانه كحدقةِ عينه، وكرعاية النّسر فراخه حسب النصّ ، فأين كانت تلك الرعاية عند دخوله على غير زوجته ؟؟

فهذا نقدٌ من نصوصهم لهذه الدعوى الساقطة.

وأتساءل كيف أنّ اللـه ظهر في الحلم ليحذر لابان المشرك من مسّ يعقوب عليه السلام بأذى عندما كان يطارده، بينما لم يظهر لنبيه عليه السلام ليحذره بأنّ المرأة التي ستزف وسيدخل بها لا تحل له ؟ والإجابة تبقى في ذمة أهل الكتاب لا في ذمتي.

ثانيا : إبطال الدعوى عقلًا:

إنَّ دعوى دخول يعقوب عليه السلام على أخت زوجته بداعي عدم تمييزه ليئة عن امرأته راحيل بسبب تشابههما في القدِّ والصوت دعوى ساقطة من ناحية العقل لما يلي:

1- أنّ التشابه في القدّ بين فتاتين، لا يمكن أنْ يشتبه على إنسانٍ عاش وخالط الفتاتين مدة سبع سنوات. أما الشّبه في الصوت فبعيد جداً أنْ يتشابه صوتا شخصين على مقيمٍ معهما سبع سنوات أيضاً. ولذلك كان من السّهل على يعقوب عليه السلام أنْ يميّز بين ليئة وبين راحيل من حيث القد والصوت وأمور أخرى . بخلاف ما زعم نجيب جرجس في تفسيره كما تقدم.

والعجب كما يقول رحمت اللـه الهندي أنّ يعقوبَ كان يقيم في بيت لابان، وكان يرى ابنتيه يعرفهما جيداً باعتبار وجوههما وأجسامهما وأصواتهما، وكان في ليئة علامةٌ بينةٌ وهي استرخاء العينين، فالعجب كل العجب أنْ تكون ليئة في فراشِ يعقوب جميع الليل، ويراها ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها!!([1])

2- **نور الحقّ أسقط دعوى البرقع:**

أمّا دعوى عدم معرفة يعقوب ليئة، لأنّ العادة كانت زفَّ العروس بالبرقع، فهي دعوى مرفوضةٌ، إذ أنّ البرقع يُزال بعد لحظات من انفراد الرجل بعروسه، فمن المحال أنْ تبقى المرأة بالبرقع أثناء أخذ زوجها لها. ولذلك لا بدّ أنْ

1 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1228.

يكونَ يعقوبُ قد رأى وجهَ أو ملامح المرأة التي زُفَّتْ إليه، خصوصاً ما في عيني ليئة من الاسترخاء والضعف كـما في الرواية ذاتها.

3- كما لا يستبعد أنْ يكون يعقوب قد وضع في بيته ناراً أو سراجاً ليضيء ليلته تلك، وهذا من حقه المشروع لتظهر له ملامح العروس التي زفت إليه. وبناءً على هـذا فإنه يحق طرح هـذا التساؤل:

ألم يكن من الأولى بيعقوب إشعالُ السراج ليَرى عروسَه ويتمتع بجمالها وهي حليلته ؟

أم لم يكن في ذلك الزمان سراجٌ، أم لم يكن يعقوب يعرف السراجَ ؟

ولا يمكن لأحدٍ من أهل الكتاب أنْ يقول إنه لم تكن إضاءة، أو طريقه معروفة للإضـاءة بـالسراج في ذلـك الزمـان. لأنْ هـذا قد ثبت بسفر أيوب الذي ورد فيه السراج: ([6]النُّورُ يُظْلِمُ فِي خَيْمَتِهِ، وَسِرَاجُهُ فَوْقَهُ يَنْطَفِئُ.)(أيـوب : 18 : 6). وقد تقدم- في تمهيد الفصل المتعلِّق بأيوب - أنّ الراجح عند أهل الكتاب أنّ أيوب عاش قبـل إبـراهيم عليـه السلام .وعليه فيكون السراج معروفاً ليس في زمان يعقوب فحسـب، وإنمـا قبـل زمانـه بسـنوات طويلـة. وإذا كـان كذلك فإنّ هـذا يحتم على العاقل - غريزة وبداهة - استخدامه في أولِّ ليلة يدخل فيها على عروسـه. وهـذا أمـرٌ لم يفطن له كاتب هـذه القصة.وأنّى له وهو مولَعٌ بالرِّبح([1]) !!

وأضيف: إنه من المؤكّد أنْ يكون يعقوب قد سمع صوتها، إذ لا بدّ أنْ تتكلم عروسه فهي ليست خرساء، فلن تبقى صامتة طوال الليل. وهو الذي عاش معها سبع سنوات فلن يخفى عليه صوتها؛ وعليه تبطل دعوى أنه لم يعرفها إلّا عند الصباح.

وبناءً على ما تقدم يثبت لكل عاقل، بطلان عدم معرفة يعقوب أنّ الفتاة التـي زُفـت إليـه ليسـت راحيـل المتفـق عليها. وإذا تقرّر ذلك فانّ يعقوب عليه السلام ، لن يرضى أنْ يدخل على فتاةٍ لا تحلّ له. وعكس ذلك وهو الثابت عند اليهود والنصارى هـو المخالف للعقل الذي لا يمكن تصديقه إلا من جاهل، والمخالف للشرع فلا يمكن الإيمـان به إلا من مكابر، عياذاً باللـه العظيم من كل ذلك. أما معاتبة يعقوب خاله في الصباح التـالي عـلى خديعتـه إيـاه، وإعطائه خلاف المرأة المتفق عليها، فيلاحظ أنها معاتبة باردة لا تصدر من إنسان مؤمن غيور فضلاً عن نبي كـريم هـو يعقوب عليه السلام ، يرضى بأنْ يخدع في مسألة حساسة كهذه.

وممّا يزيدُ العاقل يقيناً بكذب هـذه الدعوى، مدة إقامة يعقوب عند خاله كما يلي:

- سبع سنوات مفحمات([2]):

ورد في رواية العهد القديم بأنّ لابان خال يعقوب، احتجّ لتبرير خداعه يعقوب بأنّ العُرْف عندهم لا يُجيز تـزويج الصغيرة قبل الكبيرة، ونورد النص ثم ننْسِفه بما يفتحِ اللـه تعالى:

1 . وصفهم بهذا الوصف النبي إرميا أنظر: (إرميا: 8 : 10)

2 . مفحمات بمعنى قاطعات ومخرسات الخصم لسطوع الحجة والغلبة.

(وَفِي الصَّبَاحِ إِذا هِـيَ لَيْئَـةُ، فَقَـالَ لِلاَبَـانَ: «مَـا هـذَا الـذِي صَـنَعْتَ بِي؟ أَلَـيْسَ بِرَاحِيـلَ خَـدَمْتُ. عِنْـدَكَ؟ فلـماذا خَدَعْتَنِي؟». [26]فَقَالَ لاَبَانُ: «لاَ يُفْعَلُ هـكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْلَ الْبِكْرِ.)(تك:29: 25- 27).

يقول اليكوت شارل جون مؤلف كتاب(السَنن القويم): كانت العادة أنْ تُزوّج الكبرى قبل الصغرى، وإلا كان ذلـك عاراً على الكبرى([1]).

الردّ: يجب ردُّ دعوى العُرف والحكم ببطلانها لسببين:

الأول: أنّ سبع سنين مدة إقامة يعقوب عند خاله، ومخالطته له وللناس من حوله، كانت كفيلةً بأنْ يعرفَ يعقوبُ عليه السلام تماماً أعراف الناس وعاداتهم، فلا يُعقل بعد كلِّ هـذه السنوات السـبع أنْ يخفـى عـلى يعقـوب عليـه السلام العرف المزعوم بعدم قبول تزويج الصغيرة قبل البكر. فلو كان هـذا العرف سائداً وصحيحاً لعرفه يعقوب في أثناء تلك المدة الطويلة، وبالتالي سؤال خاله كيف أعطاه وعداً بإعطائه راحيل الصغيرة ؟!

وكون هـذا التساؤل لم يرد في الرواية، فقد دلّ على الاختلاف البيّن والخلل البشري الذي مـا اسـتطاع حبـك هــذه القصة المكذوبة بشكل جيد .

الثاني: أنّ سكوت يعقوب بعد تبرير خاله للأمر غير مناسب أبداً؛ إذ لو كان هـذا الأمر صحيحاً، لكان الـردّ المناسـب من يعقوب أنه لماذا لم يخبره عن هـذه الحقّيقة. فلا يعقل أنْ يرضى يعقوبُ عليه السلام بـأنْ يخدعـه خالـه سـبع سنوات متواصلة، في مسالة تتعلق بالعرض والشرف، ثم تنتهي بالتغرير به في إدخال فتاة بالخديعة، ثم لا تكون له ردّة غضب كبيرة، لا تنتهي بصبر ليس في محله كما ورد في الرواية الهزيلة التي تقدح بغيرته عليه السلام .

كما لا يُعقلُ أنْ يرضى نبي اللـه يعقوب بأنْ يعيش مع تلك المرأة التي غرَّرَ أبوها به، وكذلك هــي نفسُـها سـكتت عن التحايل فهي شريكة في الكذب والخداع بسكوتها على الباطل.

ثمّ كيف يُعقل أنْ يرضى نبي اللـه يعقوب عليه السلام بالزواج من أختهـا البكـر، وبتجديـد المصاهرة مـع رجـل بعيد عن غيرة الرجال؟

ثالثا: ما نقله ابن حزم وهو الناقد الخبير بالتوراة من قول اليهـود إنّ كـل نكـاحٍ عـلى غـير حكـم التـوراةِ هــو زنـا، والمتولد منه ولد زنا، ويقولون إنّ الجمعَ بـين الأختـين زنـا، وأنّ وطء الإمـاء بملـك اليمـين زنـا، والمتولـد مـن هــذه النكاحات زنا، وهم يقرون أنّ جميع ولد يعقوب كان من أختين نكحهما وهما ليئة وراحيل، فولدت لـه ليئـة سـتة ذكور، وولدت له راحيلُ يوسف وبنيامين، وأنّ الأربعة الباقين مـن زلفـة وبلهـة أمتـي راحيـل وليئـة وطـئهما بملـك اليمين لا بزواج أصلاً، فكلهم من أبناء هـذا الولادات. فينتج أنَّ جميعَ بني إسرائيـل وجميـع اليهـود أولاد زنـا. فـإنْ قالوا كان ذلك حلالاً قبل أنْ يُحرم أقروا بالنسخ. وإنْ قالوا إنّ ذلك خاص لبني إسرائيل مـذ أنزلـت التـوراة، لـزمهم ترك قولهم إنّ كل مولود بخلاف حكم التوراة فهو ولد زنا. وعلى كل حال نلـزمهم أنّ أولاد سـليمان كـانوا أولاد زنـا

---

1 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، ج1، ص 195.مرجع سابق. وانظر: **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** ص 77 .مرجع سابق.

بحتٍ لأنه مُقِرُّون أنهم كانوا من أبناء العمونيات والمؤآبيات وسائر الأجناس([1]). وهذا كلام مفحم، لم ولنْ يُرّدَ عليـه فرحم اللـه ابن حزم رحمة واسعة.

رابعاً: بطلان الدعوى بداعي عصمة الأنبياء عليهم السلام وفطانتهم أولاً. ثم بداعي حفظ أعراضهم وسمعتهم ثانيـاً . فاللـه تعالى يعصم أنبياءه مما هـو أدنى من ذلك، فكيف لا يعصمهم من الزنا بالخطأ ؟ فغيرة اللـه تعالى لا شك تأبى أنْ يُخدع أحد أنبيائه بمثل هـذه الخدعة المعيبة التي لا يرضاها رجل من آحاد النـاس لنفسـه أو لأحـد أبنائـه. واللـه تعالى أغير من ذلك كله فلا يرضاها لنبيه يعقوب. فثبت بطلان تلك الدعوى من أساسها.

وذكر الطبريُّ في تفسيره أنّ يعقوب تزوج ليئة ثم ماتت، فخلف عليها أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين ([2])، أي أنه لم يجمع بين الأختين مطلقاً.

وأورد ابن حزم اعتراضاً لليهود ومن وافقهم ثم أجاب عليه فقال: "وإنْ قالوا إنه قد تزوجهـا بعـد أنْ علـم بـالأمر، فجوابه أنه قد دخل عليها بغير نكاح لأنه لم يدر أنها ليئة إلا في الصباح"([3]). وهـذا هــو الحـقّ إذ أنّ يعقـوب علـم صباحاً بالخدعة، ثم لما راجع خاله وأخبره بالأمر أمسكها بعد ذلك عن رضا، فيكون نكاحاً صحيحاً- وإنْ كان الأنبياء عليهم السلام لا يقعون بمثله أصلاً - وإنما الاعتراض على تلك الليلة التـي لم يعلـم فيهـا يعقـوب بأنهـا ليئة،فهـذه لا يمكنهم الإجابة عنها، فثبت أنّ دخوله عليها تلك الليلة ليس دخولاً شرعياً.

والحقّ أنّ الدعوى ساقطة من جميع جوانبها. ودعوى انخداع يعقوب عليه السلام غير مقبولة، فهولنْ يصـل إلى هـذه الدرجة بعصمة اللـه تعالى لأنبيائه وغيرة اللـه تعالى التي تأبى أنْ يقع أنبياؤه في مثل هـذه الأخطـاء المُخلـة بعرضهم وشرفهم بين الناس، سبحانك هـذا بهتان عظيم!

وهكذا ثبت بطلان هـذه الدعوى بحسب العهد القديم ذاته، وبداعي العصمة وبداعي العقل السليم، والحمـد لله ربّ العالمين.

- اعتراف علماء أهل الكتاب أنّ داود والمسيح عليهما السلام من ذرية زنا لا من زواج صحيح!!

5- يرى العلماء أنّ يعقوب عليه السلام قد جمع بين امرأتين أختين، وهذا حرام في التوراة، فيلـزم أنّ أحـد النكـاحين باطل، وإذا كان أحد النكاحين باطلاً فيلزم أنْ يكون أولاد وأولاد أولادها أولاد زنا، فيلـزم عـلى كـلا التقـديرين كـون كثيرٍ من الأنبياء الإسرائيليين كذلك، والعياذ باللـه([4]).

---

1 . ابن حزم، **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، مرجع سابق، ص 67- 68 .

2 . الطبري، **تفسير الطبري**، ج2 2، ص 598 – 599.

3 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1 ص 231.

4 . أنظر : ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، ج 1 ص 231 . والهندي : **إظهار الحقّ**، ج4، 1229 .مرجع سابق .

وشُرَّاحُ العهد القديم لا يمانعون حدوثَ مثل هـذه الفظائع والفـواحش بحـق الأنبيـاء علـيهم السـلام؛ إذ لا عصـمة للأنبياء عندهم، بل هـم مقرون بأنّ الأنبياء عليهم السلام بل المسيح المبارك نفسه، قـد أتي مـن سـبط يهـوذا ومـن ثامار وفارص. وهؤلاء قد ثبت عندهم أنهم من ذرية سفاح لا من نكاح صحيح. وتأكيداً على ذلك فقـد ثبـت عنـد أهل الكتاب، أنّ يهوذا الابن البكر ليعقوب قد زنا بكنته ثامار، فولدت من ذلك الزنا توأمان، أحدهما سمِّيَ فـارص، وقد ولد من نسله داود النَّبيّ، وولد من نسله يسوع المسيح أيضاً.([1])

ولنستمع إلى نجيب جرجس وهو يدافع ويبرر مجيء المسيح من الخطية فيقول: " إنّ انتسابَ الـربِّ بالجسـد إلى البشرية الساقطة، وإلى سبطٍ أخطأ رأسه يدلُّ على محبته للبشرية، وأنـه جـاء ليقـيم السـاقطين ويخلـص الخطـاة". ويرى جرجس أنّ "ظهور المسيح في الخطاة ومن بينهم لم ينقص مـن مقامـه الإلهـي، بـل ذلـك شـبيه حسـب آبـاء الكنيسة "بالشمس التي تشرق على القاذورات، فتطهرّها وتنقيها دون أنْ ينقص ذلك من بهائها. وهكذا الربُّ طهّـر البشرية دون أنْ يكون لهذا مساس بعظمة لاهوته"([2]).

وهكذا تجد العذرَ أقبح من الذنب،عذر النصارى- بدعوى محبة المسيح للبشرية الساقطة وأنه جاء لتطهيرها بعد رضاهم وموافقتهم على أنّ المسيح جاء من سلسلة يهوذا وثامار وفارص أي بطريق فاحشة الزنا - أقـبح مـن ذنـب اليهود الذين حرّفوا كلام الـلـه ونسبوا الفواحش للأنبياء عليهم السلام.

وأما تبرير رجال الكنيسة مجيء المسيح من طريق الفاحشة ليطهرَّ البشر من الخطايا مع المثل الذي ضربوه فهو مثل لا يليق الا بهؤلاء الفسقة الجهلة الذين شبَّهوا إلهَهَم بالشمس التي تشرق على القاذورات، فتعـالى الـلــه عـما يقولون علوَّاً كبيراً.

وهكذا يتضح فساد عقيدة أهل الكتاب في الأنبياء عليهم السلام، حيث أجازوا عليهم الفواحشَ اقترافاً ونسباً علـواً ونزولاً.

أما اعتقاد شُرَّاح العهد القديم بأنّ خدعةَ لابان يعقوب عليه السلام كانت جزاءً وعقوبـة ليعقـوب عـلى خدعتـه أباه إسحاق، بل كذلك خدعة أولاد يعقوب أبيهم إنما كانت جزاءً وعقوبة على خدعته أباه إسحاق، لأنه أخذ البركـة بالمخادعة والكذب. فقد سبق إبطال تلك الدعوى، وما قام على باطل فهو باطل. بل إنّ الدعوى الثانية أشدّ بطلانـاً وأظهر كذباً، شرعاً وعقلاً كما تبين.والحمد لله ربِّ العالمين.

---

1 . أنظر مثلاً : **تفسير سفر التكوين** المنسوب للقديس أفرام السرياني،، ص 212، وانظـر : نجيـب جـرجس، **تفسـير سـفر لتكـوين**، ص 366.

2 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 367 .

المبحث الثالث: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام احتال على خاله ليزيد ثروته:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت هـذه الدعوى في الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التكوين في النص التالي:

(37 فَأَخَذَ يَعْقُوبُ لِنَفْسِهِ قُضْبَاناً خُضْراً مِنْ لُبْنَى وَلَوْزٍ وَدُلْبٍ، وَقَشَّرَ فِيهَا خُطُوطًا بِيضاً، كَاشِطاً عَنِ الْبَيَاضِ الَّذِي عَلَى الْقُضْبَانِ. 38وَأَوْقَفَ الْقُضْبَانَ الَّتِي قَشَّرَهَا فِي الأَجْرَانِ فِي مَسَاقِي الْمَاءِ حَيْثُ كَانَتِ الْغَنَمُ تَجِيءُ لِتَشْرَبَ، تُجَاهَ الْغَنَمِ، لِتَتَوَحَّمَ عِنْدَ مَجِيئِهَا لِتَشْرَبَ. 39فَتَوَحَّمَتِ الْغَنَمُ عِنْدَ الْقُضْبَانِ، وَوَلَدَتِ الْغَنَمُ مُخَطَّطَاتٍ وَرُقْطاً وَبُلْقاً. 40وَأَفْرَزَ يَعْقُوبُ الْخِرْفَانَ وَجَعَلَ وُجُوهَ الْغَنَمِ إِلَى الْمُخَطَّطِ وَكُلِّ أَسْوَدَ بَيْنَ غَنَمِ لاَبَانَ. وَجَعَلَ لَهُ قُطْعَاناً وَحْدَهُ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مَعَ غَنَمِ لاَبَانَ. 41وَحَدَثَ كُلَّمَا تَوَحَّمَتِ الْغَنَمُ الْقَوِيَّةُ أَنَّ يَعْقُوبَ وَضَعَ الْقُضْبَانَ أَمَامَ عُيُونِ الْغَنَمِ فِي الأَجْرَانِ لِتَتَوَحَّمَ بَيْنَ الْقُضْبَانِ. 42وَحِينَ اسْتَضْعَفَتِ الْغَنَمُ لَمْ يَضَعْهَا، فَصَارَتِ الضَّعِيفَةُ لِلاَبَانَ وَالْقَوِيَّةُ لِيَعْقُوبَ. 43فَاتَّسَعَ الرَّجُلُ كَثِيرًا جِدًّا، وَكَانَ لَهُ غَنَمٌ كَثِيرٌ وَجَوَارٍ وَعَبِيدٌ وَجِمَالٌ وَحَمِيرٌ. (تكوين 30 : 37 – 43)

تحليل: جاءت هـذه الخطة التي عمد إليها يعقوب حسب العهد القديم بعد اتفاقه مع خاله لابان على أنْ يأخذ لنفسه كلَّ ما هـو أبلق أو أرقط أو أسود من الضأن، ومن المعز كل ما هـو أبلق أو أرقط . ومن المعروف أنّ هـذه صفات نادرة في الضأن والمعزى، وإنْ وُجد عند يعقوب شيئاً بغير هـذه الصفات فيعد ذلك اختلاساً فعله يعقوب([1]). وتمّ الاتفاق على هـذا.

إلاَّ أنّ يعقوب عليه السلام عمِد بعد هـذا الاتفاق الخدعة، لزيادة نصيبه من الأغنام والماعز دون علم خاله، وهذه الخدعة تتمثل بأخذه قضباناً خضراً من سيقان الأشجار وأغصانها، بحيث قشر يعقوب عليه السلام فيها خطوطاً لتظهر بشكل ملون، وأقامها في المياه التي تشرب منها الأغنام والماعز، لتكون أمامها عند ورودها على الماء، فتراها الإناث وتتوحم عليها فتلد أغناماً ملونة كالتي اتفق عليها أنْ تكون من نصيب يعقوب عليه السلام ([2]).

وقد نجحت خطة يعقوب فولدت الأغنام المخططة والسوداء. فعمل يعقوب حيلة ثانية حيث جعل الأغنام المخططة والسوداء في مقدمة القطعان، حتى تكون وجوه بقية الأغنام متجهة إليها. والمقصود أنّ يعقوب كان

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 314 .

2 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 239 .ونجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**،ص 315 .

يختار الإناث القوية فيضعها أمام القضبان الملونة، أما الضعيفة فلم يضعها أمامها، وبذلك كان النسل القوي له والنسل الضعيف لخاله لابان([1]).

وهذه هي الحيلة والخدعة التي خدع بها يعقوب خاله لابان، حتى أثرى واتسع جداً، وصارت له أنعام وعبيد كثيرون. كما تحوي الرواية عدة مسائل أهمها:

1- الرؤيا التي رآها يعقوب في منامه، حيث رأى ملاك اللـه وأخبره بأنّ الأغنام ستلد المخطط والأرقط والمنمّر كما يظهر من النص الآتي:

([10]وَحَدَثَ فِي وَقْتِ تَوَحُّمِ الْغَنَمِ أَنِّي رَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ فِي حُلْمٍ، وَإِذَا الْفُحُولُ الصَّاعِدَةُ عَلَى الْغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ. [11]وَقَالَ لِي مَلاَكُ اللـهِ فِي الْحُلْمِ: يَا يَعْقُوبُ. فَقُلْتُ: هأَنَذَا. [12]فَقَالَ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ. جَمِيعُ الْفُحُولِ الصَّاعِدَةِ عَلَى الْغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا يَصْنَعُ بِكَ لاَبَانُ.[13]أَنَا إِلهُ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً، حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً. الآنَ قُمِ اخْرُجْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ»)(تك: 31: 10- 13).

2- وورد أنّ لابان رأى اللـهَ في الحلم عند مطاردته يعقوب الفارّ بأهله وماله :

(فَأُخْبِرَ لاَبَانُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بِأَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ هَرَبَ. [23]فَأَخَذَ إِخْوَتَهُ مَعَهُ وَسَعَى وَرَاءَهُ مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَأَدْرَكَهُ فِي جَبَلِ جِلْعَادَ. [24]وَأَتَى اللـهُ إلى لاَبَانَ الأَرَامِيِّ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَال لَهُ: «احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرّ». [25]فَلَحِقَ لاَبَانُ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ ضَرَبَ خَيْمَتَهُ فِي الجَبَلِ. فَضَرَبَ لاَبَانُ مَعَ إِخْوَتِهِ فِي جَبَلِ جِلْعَادَ)(تك: 31 : 22 – 25).

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

يُلاحظ في الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التكوين، أنّ العديد من النصوص التي تحمل إساءات لنبي اللـه يعقوب تحمل تناقضاً جلياً وخفياً. ومن الملاحظ عدم تعرض بعض النقاد لها([2]). وأبرز هذه الدعاوى والتناقضات ما يأتي:

دعوى متناقضة وباطلة:

ينبغي الحكم على هذه التهمة بأنها دعوى متناقضة وباطلة من خلال أربعة أشياء هي: العهد القديم ذاته، وعند أهل الكتاب، ومن العقل، وعصمة النّبيّ كما يأتي:

1 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 241، ونجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**،ص 316 .

2 . لم يتعرض الإمام ابن حزم لهذا الإصحاح مطلقاً. كما أنّ الشيخ عبد الوهاب النجار في قصصه لم يعرض لنقد شيء من ذلك، بل لم يذكر من ذلك إلا قصة خداع خال يعقوب له بإدخاله على أختها دون نقد أيضاً !! وكذلك د. العروسي صاحب رسالة موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء عليهم السلام.

أولاً- إنّ تناقض دعوى الاحتيال مع ما ورد في الإصحاح التالي على لسان يعقوب عليه السلام يكذب هـذه الدعوى، حيث ورد أنّ يعقوب عليه السلام كان يتعامل بالصدق والأمانة والإخلاص في خدمته ورعايتـه لأغنـام خالـه طيلـة عشرين سنة، الأمر الذي أقره لابان بسكوته ولم ينكره. وهذا هـو النصّ:

(اَلآنَ عِشْرِينَ سَنَةً أَنَا مَعَكَ. نِعَاجُكَ وَعِنَازُكَ لَمْ تُسْقِطْ، وَكِبَاشَ غَنَمِكَ لَمْ آكُلْ. [39]فَرِيسَةً لَمْ أُحْضِرْ إِلَيْـكَ. أَنَـا كُنْـتُ أَخْسَرُهَا. مِنْ يَدِي كُنْتَ تَطْلُبُهَا. مَسْرُوقَةَ النَّهَارِ أَوْ مَسْرُوقَةَ اللَّيْلِ. [40]كُنْتُ فِي النَّهَارِ يَـأْكُلُنِي الْحَـرُّ وَفِي اللَّيْـلِ الْجَلِيـدُ، وَطَارَ نَوْمِي مِنْ عَيْنَيَّ. [41]اَلآنَ لِي عِشْرُونَ سَنَةً فِي بَيْتِكَ. خَدَمْتُكَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً بِابْنَتَيْكَ، وَسِتَّ سِـنِينٍ بِغَنَمِـكَ. وَقَـدْ غَيَّرْتَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ. [42]لَوْلاَ أَنَّ إِلهَ أَبِي إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَهَيْبَـةَ إِسْـحَاقَ كَـانَ مَعِـي، لَكُنْـتَ الآنَ قَـدْ صَرَفْتَنِـي فَارِغـاً. مَشَقَّتِي وَتَعَبَ يَدَيَّ قَدْ نَظَرَ اللـهُ، فَوَبَّخَكَ الْبَارِحَةَ »)(تك: 31 :38 - 42).

وهكذا يظهر التناقض جلياً بين دعوى الاحتيال وهذه الصفات التي أقرّها لابان نفسه، وكذلك اليهود ما يدل عـلى صحة هـذه الصفات لتوافقها مع القرآن الذي يصف الأنبياء عليهم السلام بالصدق والأمانة والوفاء بالعهد.

ثانياً: أنّ تناقض الحلم الذي رآه يعقوب عليه السلام مع دعوى الاحتيـال، يكـذب دعـوى الاحتيـال المنسـوب إليـه. وهذا التناقض الذي ظهر من خلال ما احتواه الحلم، إنما يدل على كذب الاحتيال المنسوب ليعقوب عليه السـلام ، فيعقوب رأى في الحلم ملاك اللـه وبشره بكثرة ما سيكون له، وأنّ الأغنام ستولد مخططة ومرقطة ومنمرة، فلـماذا يلجأ يعقوب بعد هـذه البُشرى إلى الخداع مخالفاً الوحيَ ومُشكِّكاً في حصوله؟

(وَحَدَثَ فِي وَقْتِ تَوَحُّمِ الغَنَمِ أَنِّي رَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ فِي حُلْمٍ، وَإِذا الفُحُولُ الصَّاعِدَةُ عَلَى الغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَـاءُ وَمُنَمَّرَةٌ. [11]وَقَال لِي مَلاَكُ اللـهِ فِي الحُلْمِ: يَا يَعْقُـوبُ. فَقـال: هــأَنَذَا. [12]فَقَـال: ارْفَـعْ عَيْنَيْـكَ وَانْظُـرْ. جَمِيـعُ الفُحُـولِ الصَّاعِدَةِ عَلَى الغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ.)

وأرى أنّ عمل يعقوب عليه السلام بخلاف ما بُشر به في الحلم، هـو تكذيب للـوحي الإلهـي وشـكٌ واضـحٌ فيـه، وهذا يخالف عصمة الأنبياء عند أهل الكتاب.

وقد ظهر تناقضٌ في حلم النَّبيّ يعقوب، إذ دلّ أولّ الكلام أنّ الذي ظهر له في الحلم هـو ملاك اللـه، بينما دلّ آخر الكلام أنه اللـه([1]).

ثالثا : مخالفة لعصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام: وقد وصف القرآن الكريم يعقوب مع أبيـه إسـحاق بصـدق الوعد فقال جل شأنه: (**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِـن دُونِ اللــهِ وَهَبْنَـا لَـهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُـوبَ وَكُـلًّا جَعَلْنَـا نَبِيًّـا {49/19} وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا {50/19}**) (مـريم:49-50). فـما كـان نبـي اللــه يعقوب عليه السلام ليقدم على غش خاله وخداعه، حتى لو انتقص خاله حقه، وذلك لأنَّ هـذا الغـش والخـداع لا يصدر عن نبي من أنبياء اللـه تعالى؛ حيث صفات الأمانة والصدق والزهد في الدنيا، فالأنبيـاء محفوظـون بعصـمة اللـه لهم من هـذه السقطات التي يتنزه عن مثلها آحاد المؤمنين، بل كل إنسان عنده ضمير ووفاء وصدق لا يقدم

1 . الباجي، **كتاب الرد على التوراة**، مرجع سابق، ص 108.

على هـذا الغش والخداع. وقد اتفق علماء الإسلام على عصمة الأنبياء عليهم السلام من كل ما يشعر بخسة كسرقة لقمة([1])، فما بالك بسرقة كبيرة وخدعة عظيمة كهذه؟ فهي أدعى للسقوط.

كما أنها مخالفة صريحة من نبي اللـه يعقوب عليه السلام ونقض منه للاتفاق الـذي قطعـه مـع خالـه، وهـذا لا يليق بالأنبياء عليهم السلام. فهم أوفى الخلق وعداً وأصدقهم لساناً.

رابعاً: مخالفة هـذه الدعوى للعقل:

وأتساءل إذا كان من المحتمل أنْ يكشفَ لابان خدعةَ يعقوب عليه السـلام ، فـما الـذي يـدعوه للمخـاطرة بعـدما تيقَّن في الوحي المنامي أنّ ماله سيكون كثيراً جداً؟

إضافةً إلى أنه سيعرِّض نفسه لأنْ يشكّ خالُه في صدقه وأمانته وخدمته طيلة العشرين سـنة الماضـية التـي خدمـه خلالها.وعليه فلا يعقل أنْ يخدم نبي اللـه يعقوب عليه السلام خاله عشرين سنة بأمانة وإخلاص ثم يخـدع خالـه في آخر أيامه.

كما يظهر أنه أخفى على زوجتيه حيلة القضبان المقشرة التي حبكها، في حين أخبرهما بالحلم الذي رآه فقط. فلو كان صدر منه ذلك لذكره أيضاً، فيُفهم من عدم ذكره الحيلة عدم صحتها، واللـه أعلم. وبهذا كله تسـقط الـدعوى المنسوبة إلى يعقوب عليه السلام .

تنبيه: وقع د. محمد البار([2]) في خطأ عندما نسب للعهد القديم اتهام نبيّ اللـه يعقوب بأنـه كـان مشركـاً يحلـف بالآلهة الكثيرة التي كان يعبدها آباء آزر، بهذه العبارة :

([53]إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَآلِهَةُ نَاحُورَ، آلِهَةُ أَبِيهِمَا، يَقْضُونَ بَيْنَنَا»)(تك :31- 35).

فلعلَّ العبارة اختلطت على الباحث الكريم، والعبارة حسب الرواية إنما تعود للابان الوثني خـال يعقـوب، وليسـت ليعقوب عليه السلام .

رابعاً: خلو القصة من دلائل دعوة يعقوب عليه السلام لزوجته الوثنية ولخاله وللناس هـناك :

إنّ أكثر الأمور غرابة واستهجاناً - بالرغم من الخلل والتناقض الذي سبق ذكره – هـو خلو رواية العهد القديم من أيِّ شيء يدل أو يشير إلى أنَّ وظيفة يعقوب كنبي مرسل من اللـه تعـالى هــي دعـوة النـاس وهـدايتهم إلى اللــه تعالى.

وباستثناء الحلم الذي رآه يعقوب في الليل - مع ما فيه من تناقض كما سبق ذكره – فانّ الإنسان لا يجدُ مـا يـدل على أنّ القصة تتحدث عن نبي كريم عاش بين وثنيين عشريـن سـنة، فـلا هــو يـدعوهم إلى اللــه تعـالى خـالقهم وخالق آبائهم وخالق الكون كله، ولا يرشدهم إلى ترك الأصنام التي كانوا يعبـدونها، ولا يعـرفهم بالبعـث والنشـور

1 . أنظر مثلاً :التفتازاني، **شرح المقاصد**،ج3،ص 309، مرجع سابق .

2 . ورد ذلك في كتابه : **اللـه جلّ جلاله والأنبياء في العهد القديم**، ص 143. مرجع سابق.

والحساب. أو بالجنة والنار ولا غيرها. كل هـذا لم يكن، وهذا أكثر حال الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم.وفي سفرالتكوين بشكل خاص. إذ يقرأه الإنسان ولا يشعر بدعوة الأنبياء علـيهم السلام الدين اللــه الحـقّ، ولا يجد صفات الأنبياء عليهم السلام الكريمة ولا اليوم الآخر إلاَّ نادراً. فالعَجب من كتابٍ إلهيٍّ يكاد يخلو من دعوة الأنبياء عليهم السلام وجهادهم ومواقفهم الإيمانية والخلقية!!

وعليه فالتحريف من خلال الحذف واضح وجلي، وإلا فأين التوراة التي وصفها اللـه تعالى بأنّ فيها هـدى ونور؟ فلا يوجد من هـذا الهدى والنور إلا مـا نـدر، وإذا وجدتـه وجدتـه مختلطاً بأكاذيـب وروايـات مليئـةٍ بـالاختلاف والتناقض.

خامساً: لابان يرى اللـه في الحلم([1]) **ويبقى على كفره ووثنيته !**

ورد في الرواية أنّ لابان خال يعقوب عليه السلام رأى اللـه تعالى في المنـام، حيـث حـذره اللــه مـن أنْ يتعـرض ليعقوب عليه السلام . كما يظهر في هـذا النصِّ:

(فَأُخْبِرَ لاَبَانُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بِأَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ هـرَبَ. [23]فَأَخَذَ إِخْوَتَهُ مَعَهُ وَسَعَى وَرَاءَهُ مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَأَدْرَكَـهُ فِي جَبَلِ جِلْعَادَ. [24]وَأَتَى اللـهُ إِلَى لاَبَانَ الأَرَامِيِّ فِي حُلْـمِ اللَّيْـلِ وَقَـالَ لَـهُ: «احْـتَرِزْ مِـنْ أَنْ تُكَلِّـمَ يَعْقُـوبَ بِخَـيْرٍ أَوْ شَرّ». [25]فَلَحِقَ لاَبَانُ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ ضَرَبَ خَيْمَتَهُ فِي الْجَبَلِ. فَضَرَبَ لاَبَانُ مَعَ إِخْوَتِـهِ فِي جَبَـلِ جِلْعَـادَ .)(تـك: 31 : 22- 25)

ويلاحظ بعد هـذا الحلم أنَّ لابان لم يأخذ بـالأمر والتخويـف الإلهـيِّ لـه؛ إذ إنـه تعـرض ليعقـوب عليـه السـلام بالعتاب الشديد، واتهمه بالغباء على هـروبه وتصرفه حيث قال: ([26]وَقَال لاَبَانُ لِيَعْقُوبَ: «ماذا فَعَلْتَ، وَقَدْ خَدَعْتَ قَلْبِي، وَسُقْتَ بَنَاتِي كَسَبَايَا السَّيْفِ؟ [27]لِمَاذا هـرَبْتَ خُفْيَةً وَخَـدَعْتَنِي وَلَـمْ تُخْـبِرْنِي حَتَّـى أُشَـيِّعَكَ بِـالفَرَحِ وَالأَغَـانِيِّ، بِالدُّفِّ وَالعُودِ، [28]وَلَمْ تَدَعْنِي أُقَبِّلُ بَنِيَّ وَبَنَاتِي؟ الآنَ بِغَبَاوَةٍ فَعَلْتَ!)(تكوين :31:26– 28).

ثم إنّ لابان كلّم يعقوب عليه السلام بلهجة تحمل التهديد قـائلاً: (فِي قُـدْرَةِ يَـدِي أَنْ أَصْـنَعَ بِكُـمْ شَرًّا) فهـذا كلـه مخالف للأمر الذي تلقاه لابان من اللـه تعالى في المنام، فكان المناسب أنْ يكرمه ويعتذر له على تقصيره، ويشـكره على خدمته ويعطيه هـدايا وغير ذلك. على أنّ الأهم والأخطر والشيء المفترض بعد رؤية لابـان الإلـه الحقّيقـي، أنْ يترك كفره وعبادة الأصنام، ويؤمن باللـه وحد ويؤمن بيعقوب نبياً. لكنّ شيئاً من هـذا لم يكن !!

ومن الغريب حقاً أنّ لابان بعد رؤية اللـه تعالى في الحلم لم يؤمن، بل استمر على شركـه وتعظيمـه للأصـنام ! ويـا للعجب كيف يأتي إلى يعقوب عليه السلام مغاضباً، ثم يخبره بأنّ إله أبيه قد كلمه البارحة، وكأن إله أبيـه صـديقه أو جاره الذي يكلمه في أمر ما من هـاتف أو على عجل- ثم يسأله بعد ذلك عن آلهته التـي سرقهـا كـما يتضـح في هـذا النصِّ:

---

1 . هذه الرؤية باطل لأنَّ رؤية اللـه في الدنيا أمر محال ولا يمكن لبشر رؤية اللـه تعالى إلا في الآخرة.ولم تقـع دنيـا إلا لنبينـا محمـدٍ صلى اللـه عليه وسلم . أنظر: البيجوري، **تحفة المريد**، ص 128. مرجع سابق.

(وَلكِنْ إِلهُ أَبِيكُمْ كَلَّمَنِيَ الْبَارِحَةَ قَائِلاً: احْـتَرِزْ مِـنْ أَنْ تُكَلِّـمَ يَعْقُـوبَ بِخَـيْرٍ أَوْ شَرّ. [30]وَالآنَ أَنْـتَ ذَهَبْـتَ لأَنَّـكَ قَـدِ اشْتَقْتَ إِلَى بَيْتِ أَبِيكَ، وَلكِنْ لِمَاذَا سَرَقْتَ آلِهَتِي؟»)(تك:29:31 -30).

فهل يعقل أنّ إنساناً يكلمه الـلـه في المنام، ثم في اليوم التالي يسال عن آلهته المسروقـة ؟ ويـتهم نبـي الـلــه بأنـه سرق آلهته ؟!

والأصل أنّ يعلن هـذا المشرك إيمانه بعد أن رأى الـلـه تعالى في المنام، ويقدم على نبي الـلـه تائباً خائفـاً مـما أخطـأ بحقه وفرط، وبعد أنْ خدعه فأدخل عليه ابنته البكر فجعله يزني خطأ ثم أحرجه بزواج الأخرى، ثـم منعـه أجرتـه بعد خدمته عشرين سنة بأمانة وإخلاص، ثم تسبب له برؤية الإله الخالق الحقّ لعله يترك الأصنام. ومع هـذا كلـه فهو يأتي معاتباً مغاضباً يصر على الشرك ويسألُ يعقوبَ عليه السلام عن أصنامه متهماً يعقوب بسرقتها؟

لاشك أنّ أي عاقل لا يمكن أن يصدق هـذه الخرابيط والأكاذيب فهي بداهة ساقطة، وكذلك عقلاً وشرعاً.

تعليق:

يلاحظ أنَّ رؤية الـلـه تعالى مناماً في العهد القديم أمرٌ لا يختص بالأنبياء عليهم السلام، بل إنها قد حصلت لـبعض الكفرة، مثل لابان الوثني خال يعقوب عليه السلام ، وأبيمالك ملك مصر عندما أراد أنْ يتعرض لسارة زوج إبراهيم عليه السلام بسوء(تك: 20 : 3). والغريب أنهما بقيا على كفرهما بعد هذا الحلم ! علماً بأنّ رؤية الـلــه تعـالى في الدنيا مستحيلة، والمنام داخل في الدنيا؛ وعليه فلا تصح دعوى رؤية الـلـه تعالى في الدنيا أبداً.

أثر الدعوى:

إنّ التصديق بدعوى تحايل بعقوب عليه السلام عـلى خالـه ولجوئـه إلى الخدعـة الأمـر الـذي أدى إلى أنـه ثرائـهِ وتوسّع أمواله جعل اليهود يتعاملون بالخداع بمختلف صوره وأساليبه، لغاية تحقيق مآربهم الشخصية.

المبحث الرابع: دعوى مصارعة يعقوب عليه السلام لله تعالى !!

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت هـذه الدعوى في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين، وهي قصة مشتهرة عند العلـماء والعامـة مـن المسلمين.على أنّ العامة يذكرونها بنوع من السخرية، وكشاهد على التحريف والحال المزري الذي وصل إليـه أهـل الكتاب، وكبرهان على استحالة أنْ يكون هـذا الكلام من الوحي الإلهي، وإنما من كلام بشر لم يفرق بين الإله الخالق

العظيم، والعبد المخلوق الضعيف. وقبل أنْ تَحمل هـذه الدعوى إساءة ليعقوب فهي تَحملُ إساءةً للـذات الإلهيـة لما فيها من تشبيه وتجسيد واضحين.

وهذه هـي قصة المصارعة العجيبة، التي وقعت بين يعقوب وبين الـلـه تعالى، حسب العهـد القـديم، تعـالى الـلـهُ عما يقولون علواً كبيراً:

([22]ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْـهِ وَجَارِيَتَيْـهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَـدَ عَشَرَ وَعَـبَرَ مَخَاضَـةَ يبـوقَ[1]. [23]أَخَـذَهُمْ وَأَجَـازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْـرِ. [25]وَلَـمَّا رَأَى أَنَّـهُ لاَ يَقْـدِرُ عَلَيْـهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. [26]وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَـعَ الْفَجْـرُ». فَقَـالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». [27]فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». [28]فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُـوبَ بَـلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ الـلـهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». [29]وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هـنَاكَ.[30]فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ الـلـهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». [31]وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ. [32]لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُـقِّ الْفَخْذِ إِلَى هـذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا.)(تك: 32: 22- 32).

تحليل: جرت هـذه المصارعةُ بعد أنْ عبَر يعقوب عليه السلام بمن كان معه من زوجتيه وأولاده نهـر يبـوق حيـث بقي عند مخاضة النهر، وعندها جرى هـذا الحدث الغريب:

- جرت مصارعة بين يعقوب وبين إنسان مجهول.

- أنّ هـذه المصارعة حدثت فجأة من دون مقدمات أو أسباب.

- وقت المصارعة: طوال الليل حتى طلوع الفجر.

- مكان المصارعة(الحلبة): عند نهر يبوق، ويلاحظ أنّ هـذا المكان مناسب جداً للمصارعة ! (لأسبابٍ ستتضح بعد قليل).

- لم يستطع هـذا الإنسان أنْ يصرع يعقوب عليه السلام فلجأ لضربه على حـقِّ فخـذه، وهـو أعـلى عظـم الفخـذ، الذي يسميه العامة في الأردن بالزِّرِّ .

- يرى شُرَّاح العهد القديم أنّ هـذه الضربة كانت لمسةً خفيفة، لكنها تسبَّبت بكسرٍ وألم لعرق النسا عنـد يعقـوب، لأنّ الذي لمَسهُ ليس إنساناً عادياً.([2])

---

1 . **يبّوق**: تعني متدفق وهو نهر معروف الآن بنهر الزرقاء. ينبع بالقرب من عمَّان ويسيل أولًا شرقا ثم شـمالاً ويمـر بمدينـة الزرقـاء، التي سميت باسمه ثم يسيل غرباً، ويصب في نهر الأردن عند البحر الميت. وعبر يعقوب هـذا النهر، وصارع هـناك ملاكـا . وتقـوم على أحد روافده مدينة جرش الشهيرة. أنظر : **قاموس الكتاب المقدس**، ص 1051 .وانظر **مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب**، أسـعد منصور، طباعة سنة 1905، ص 105 .

2 . أنظر : **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس، ص331 .**وتفسير سفر التكوين** لفكري أنطونيوس ص 253 .

- عندها بدأ يعقوب عليه السلام يدرك أنَّ الذي يصارعه شخص سماوي – إما بإلهام إلهـيٍّ أو للقـوة الخارقـة لمـن يصارعه وليس إنساناً عادياً. وخاصة بعد أنْ خلع حق فخذه بضربة عـلى الغالـب أنهـا ضربـة خفيفـة كـما جـاء في إحدى الترجمات(ولمس حق فخذه)([1]).

- هـدف الضربة: لئلا يصاب يعقوب عليه السلام الغرور والكبرياء، خصوصاً بعد أنْ استمر يعقـوب يصـارع طـوالَ الليل ولم يستسلم.([2])

- الإنسانُ المجهول يطلبُ من يعقوب عليه السلام أنْ يتركه لينصرف بسبب طلوع الفجر.

- يعقوب عليه السلام يطلب البركة من الإنسان ويرفض أنْ يتركه الا بعد أنْ يباركه.

- الإنسان المجهول يخبر يعقوب عليه السـلام بتغيـير اسـمه الـذي سـيدعى بعـد الآن إسرائيـل([3])، وذلـك لسـببين: **الأول:**لأنه جاهد مع الـلـه بالطاعة والإيمان، ولمصارعته مع الملاك بصفته مرسلٌ من الـلـه. **والثاني:** لأنه جاهـد مـع الناس بأخذة البركة والبكورية من عيسو، ولتدابيره مع لابان. إسرائيل لغة:

- الإنسان المجهول يرفض الإفصاح عن اسمه، لكنه يبارك يعقوب عليه السلام ويذهب.

- يعقوب عليه السلام يسمي ذلك المكان فَنِيئِيلَ([4]) أي: وجه الـلـه. وسمِّيَ كـذلك لأنّ يعقـوب عليـه السـلام رأى فيها الـلـه أو ملاكه النائب عنه([5]).

- أشرقت الشمس على يعقوب عليه السلام وهو يعرج متألماً من الضربة على حُقِّ فخذه([6]).

- تعظيم بني إسرائيل لهذه (المصارعة) وإجلالاً منهم ليعقوب عليه السلام وهذا الحادث العجيب، فإنهم ما زالوا محافظين على تقليد عدم الأكل من عـرق النسـا([7])، وهـو العـرق الممتـد مـن الـورك إلى الكعـب، فيخرجونهـا مـن الذبيحة بعناية. وإذا لم يستطيعوا إخراجها فإنهم لا يأكلون الرجل الخلفية من الذبيحة بالكلية.([8])

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

تُعدُّ هـذه الحادثة من أفحش الكذب الموجود في العهد القديم، نظراً لاحتوائها على أمورٍ لا تليقُ بالـذات الإلهيـة. كما أنها تحمل افتراء على نبي الـلـه يعقوب عليه السلام ،وكذلك مصادمتها لنصوص العهد القديم ذاته، ومخالفتها للعقل السليم.

---

1 .جرجس، نجيب جرجس،**تفسير سفر التكوين**، ص331 .

2 . فكري أنطونيوس، **تفسير سفر التكوين**، ص 253 .

3 . **إسرائيل:** إسم ملَك، أنظر: **لسان العرب**، مادة سرأل، وهو إسم أعجمي مركب من (إسر) وهو العبد، و(إيل) وهو الـلـه، وتعني عبدالـلـه، وقيل صفوته من خلقه. أنظر: **تفسير الطبري**، ج1، ص 355، **وتفسير القرطبي**، ج1، ص 241.

4 . **فينئيل:** اسم عبري معناه وجه الـلـه. أنظر **قاموس الكتاب المقدس** .

5 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص331 .

6 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص331 .

7 . **عِرْقَ النَّسَا** : هـو العصب الأكبر على حق الفخذ، وقد حدث أن تصارع يعقوب مع إنسان وضربه على عرق النسا، وصار يعـرج في مشيته، لذلك حرّم اليهود أكل عرق النسا(تك: 32: 32). **قاموس الكتاب المقدس**، ص 619 .

8 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص331 .

وقد اتفق النقاد على بشاعةِ هـذه القصة وفحشها حتى عدَّ ابنُ حزم رحمه الـله أنّ هـذه القصـة "شـنعة عَفَـتْ على كلِّ ما سلف؛ حيث تقشعر منها جلود أهل العقول."([1])

وإنّ الإنسانَ ليتساءل هـل يقدم الإلهُ العظيمُ على مثـل هــذه الأفعـال بحيـث: ينـزل إلى الأرض ويتشـكل بهيئـة إنسان من أجل أن يصارع نبياً من الأنبياء عليهم السلام أرسله لهداية الناس؟ ثمَّ ما الفائدة المرجوة للنبيِّ أو لقومه من هـذا الفعل ؟ وحيث ظهر أنَّ الهدف من القصة مباركة يعقـوب وتغيـير اسـمه فيجـب عـلى مـن يـؤمن بهـذه الحادثة الإجابة على التساؤلات الآتية:

ألم يكنْ بالإمكان مباركة يعقوب من دون هـذه المصارعة، وكذلك تغيير اسمه بوحي إلهـام أو منـام أو عـن طريـق ملك من الملائكة ؟ وعدم تعرّض يعقوب لخلع عظمه؟

أليست أولى ثمار مباركة يعقوب أنّ حق فخذه خُلعت فصار يمشي أعرجاً؟

هذه بعض التساؤلات اللازمة التي لا يمكن أنْ يقرأها ذو عقل إلا أنْ يصطدم بها فلا بدَّ مـن إجابـة. والحـقّ أنـه لا إجابة أو شافية، لأنها قصةٌ باطلةٌ ومفتراة، وإليك براهين ذلك:

1- أنّ القصة تحملُ تجسيداً وتشبيهاً لله تعالى بالإنسان صراحة:

إنّ هـذه القصة جسدت الإله سبحانه وشبهته الـلـه تعالى بصورة إنسان وهيئته. ومعلوم أنّ الـلــه تعـالى لا يشـبه شيئاً من خلقه، كما لا يشبهه أحـدٌ مـن خلقـه لقولـه تعـالى: (**لَـيْسَ كَمِثْلِـهِ شَيْءٌ وَهُـوَ السَّـمِيعُ البَصِـيرُ {11/42}**) (الشورى:11) فبطُلت دعوى أنّ الـلـه تعالى على هـيئة إنسان ذي جوارح كما صوّرت القصةُ المزعومة.

وينكر علماء وشُرَّاحُ العهد القديم، أنْ يكون ما ورد في العهد القديم من خلق آدم عليه السلام عـلى صـورة الـلــه وشبهه بمعنى الصورة والهيئة الظاهرية، وإنما أوّلـوا ذلـك إلى التشـابه في بعـض الصـفات بـين الـلــه تعـالى والـبشر كالحياة والعلم والإرادة . فثبت من خلال هـذه المصارعة شـبه الإنسـان بخالقـه حسـب هــذه الروايـة. فـما هــو موقفهم من ذلك؟ وقد سبق بيانُ هـذه الشبهة والردُّ عليها ([2]).

2- نسبة المصارعة لله تعالى:

لقد بالغ واضعو القصة في الكذب الفاحش، حتى نسبوا لله العليِّ الكبـير أنـه صـارع نبيَّـه يعقـوب. والـلــه تعـالى متعالٍ عن تشبُّهه بخلقه، فكيف عن لَعِبِ الصبيان الذي لا يفعله إلا أهل البطالة.([3])

3- نسبة العجز لله تعالى:

لم يكتفِ واضعو القصة بتشبيه الـلـه تعالى بالإنسان، وزعمهم أنه صارع يعقوب عليه السلام ، حتى زعمـوا مـع ذلك كله أنّ الـلـه عجز أنْ يصرع يعقوب عليه السلام بنص توراتهم([4]) الآتي:

---

1. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 232.
2 انظر ص 28 وما بعدها.
3 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 232.
4 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 232.

(وَصَارَعَهُ إنسان حَتَّى طُلُوعِ الفَجْرِ. [25]وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.)(تك: 33 : 24 – 25).

ومما يؤكد عجزه عن صرع يعقوب أنه لجأ إلى ضربةٍ محرجة على حُقِّ فخذه أدت إلى انخلاعه. فهل يصحُّ أنه لو صارع اللـه[1] أو ملاكه إنساناً أن يعجز عن صرعه ؟ فكيف يُقال إنّ اللـه عجز عن صرع يعقوب، ومعلوم أنّ هـذا الافتراض من الكفر إلا أنْ يكون في مقام المجادلة، أو الردّ على أهل الكتاب كما فعل خليل اللـه إبراهيم عندما حاجَّة قومه. وحسبنا اللـه ونعم الوكيل.

4- مسألة: هـل الذي صارع يعقوب اللـه أم ملاك ؟

اختلف شُرَّاح العهد القديم في الإنسان الذي صارع يعقوب هـل هـو اللـهُ أم مـلاكٌ مرسلٌ مـن اللـهِ ؟ويقـول شُرَّاح العهد القديم إنّ هـنالك رأيين في هـذا الإنسان: الأول أنه أحد ظهـورات المسيح قبـل التجسـد. والثـاني وهـو الأرجح عندهم كما قال ابن ميمون: إذ تبين أخيراً أنه م لك.([2])

قلت: <u>والحقّ الذي لا مِرية فيه أنَّ هـذا الإنسان هـو اللـه</u>- حسب الرواية- والأدلة على ذلك ساطعةٌ سطوع الشمس في رابعة النهار وهي([3]) :

ويُضيف آخر إنه ملاكٌ على شكل إنسان لكنّه يمثل الحضرةَ الإلهية.([4])

1- دلالة النص نفسه، كما في النص الآتي: ([27]فَقَال لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَال: «يَعْقُوبُ». [28]فَقَال: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إسرائيل، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللـهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تكوين : 32 : 27 – 28)

وقد ذكر محمد العاملي أنّ أهل الكتاب حرّفوا هـذا العبارة حيث كانت في الكتب القديمة لفظ (صارعت) كما ذكر أنّ هـذه الحقّيقة موجودة في الكتاب المقدس الكاثوليكي المطبوع في بيروت في السابع من تشرين الثاني سنة 1988م، هـذه هـي العبارة :(...قال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد لأنك صارعت اللـه والناس فغلبت)([5]).

قلت: ولا تزالُ بعض الطبعات الحديثة للكتاب المقدس، تُثبت بأنّ يعقوب هـو الذي صارع اللـه. ومثال ذلك العنوان الذي أثبتته طبعة: <u>(the Bible society – Lebanon) والعنوان هـو: صراع يعقوب مع اللـه.([6])</u>

والنص الثاني: (فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ المَكَانِ «فَنِيئِيلَ»)(تكوين : 32 :30) ومعنى فنيئيل وجه اللـه كما تقدم([7]) وقد سمى يعقوب المكان فنيئيل لأنه قابل فيه إيل، وهو اللـه بلا احتمال عند أهل الكتاب([8]).

---

2 . موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ص 424، مرجع سابق.

3 . أدلة أنّ من صارع يعقوب هـو اللـه ذكرها ابن حزم في **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 233.

4 . أنظر : **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس، ص331 .**وتفسير سفر التكوين** لفكري أنطونيوس ص 253 .

5 .العاملي : محمد علي برو، 1993، **الكتاب المقدس في الميزان**، ص 137- 138، ط 1993، الدار الشامية، بيروت، لبنان .

6 . أنظر ص 23 من الطبعة المشار إليها.

7 . أنظر ص 208.

8 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 233.

والنص الثالث: قول يعقوب: («لأَنِّي نَظَرْتُ اللـهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي)(تكوين: 32 : 7 2– 28). وهذا نـص صريح من يعقوب عليه السلام بأنه رأى وجه اللـه، فلو أنه قال علمت من اللـه، أو فهمت أو سمعت عن اللــه لاحتمل انصراف المعنى إلى غير اللـه، أمَا وقد صَرَّح بوجه اللـه وأطلـق اسـم اللــه عـلى المكـان فنيئيـل أي وجـه اللـه. فلم تبقَ حُجَّة لمن قال إنه ملاكُ اللـه، فثبت أنَّ الذي صارع يعقوب إنما هـو اللـه، وبَطُـل أنْ يكـون مـلاك اللـه أو غيره، بحسب الرواية المثبتة في التوراة العبرية كونها المعتمدة عند غالبية اليهود والنصارى .

وهذه النصوص الثلاثة تؤكد أنَّ يعقوب عليه السلام صارع اللـه لا ملاكه.

وإذا ثبت أنّ الذي صارع يعقوب هـو اللـه فانّ هـذه الدعوى باطلةٌ شرعاً وعقلاً:

2- **أما شرعاً** فلِمَا ورد في القرآن الكريم عند طلـب مـوسى الرؤيـةَ كـما في هــذه الآيـة الكريمـة: (**وَلَـمَّا جَـاء مُـوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي**) (الأعراف: 143)

إذ لا يقبل مؤمنٌ أنْ يكون إلهه بهذا المستوى، بحيث يتمثل بصورة إنسان ليصارع نبياً من الأنبياء عليهم السـلام ! فالإله أسمى وأعظم وأكبر من هـذا الصراع الذي يستحي من فعلـه العقـلاء. كـما أنّ المصـارعة فعـل بشري يتعـالى اللـه جلَّ شأنه عن فعل مثله علواً كبيراً.

3- أمَّا عقلاً فلا يُصدَّق أنْ يصارع اللـهُ أو أحدُ ملائكته إنساناً ثم يعجز عن صرعه.

5- التوراةُ السامرية تُكذب التوراةَ العبرية:

لعلَّ أهم الفروق بين التوراة السامرية والتوراة العبرية في هـذه القضية أنّ التوراة السامرية نصت عـلى أنّ الـذي صارع يعقوب إنما هـو من الملائكة، حيث ورد ما يلي: (إذ رأست مع الملائكة ومع الناس وقدرت) وكذلك: (ودعـا يعقوبُ اسم المكان حضرة القادر إذ نظرت الملائكةَ وجهاً لوجهٍ وخلَّصت نفسي .)([1]).

والناظرُ في الاختلافات بين التوراتين السامرية والعبرية، يجدُ أنّ ما نُسب في العبريـة إلى اللــه تعـالى مـمّا يخـالف الشرعَ والعقلَ قد نسبته التوراةُ السامرية إلى الملائكةِ، ولذلك تجدُ الخطأَ في السامريةِ أقلَّ وأهون من العبرية التـي أساءت وأفْحَشت كثيراً، وإنْ كان الجميع قد اشتركوا في الكفر والتحريف.

وقد سبق تشبيهُ التوراة السامرية صورةَ آدم بصورة الملائكة، وأنَّ الذي ظهر لإبراهيم إنما هــو مـلاك اللــه ولـيس اللـه.

كما أنه لا يبلغ من مسِّ الملاك يعقوب تحريم أكل عروق الفخذ على بني إسرائيل للأبد([2]).

---

1 . السقا، د. أحمد حجازي، **من الفروق بين التوراة السامرية والعبرية في الالفاظ والمعاني**، 1978، ص 23، ط 1، دار الأنصار، القاهرة.
2 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 233.

5- عدم وجود أسباب أو مقدمات للمصارعة:

من النقد الذي يمكن توجيهه لهذه الدعوى عدم وجود مقدمات للمصارعة التي حدثت، ولأنّ المصارعة لا تحدث عادة إلا بعد كلام وخلاف وهذا ما لم يُذكر، فلأي شيء حدثت هذه المصارعة المزعومة؟

- هل مباركة الإله يعقوب تكون بالمصارعة؟

وأما ما زعمه شُرّاح العهد القديم من أنّ الهدف من المصارعة مباركة يعقوب فمردودٌ.لأنَّ مباركة يعقوب وتغير اسمه يمكن أنْ يكون بواسطة الوحي الإلهامي، أو المنامي أو بواسطة أحد الملائكة، أو بما هو أنسب في حق الإله جل شأنه !!.

8- استمرار المصارعة حتى طلوع الفجر:

كما أنه لا يصدَّق أنْ تستمر مدة المصارعة طوال الليل وحتى يطلع الفجر، من دون استراحة ليعقوب علىالأكثرعلماً بأنه مسافر وتَعِب.

9- مكان المصارعة بجانب مخاضة نهر يبوق وهو نهر الزرقاء في الأردن:

يفسِّر مكانُ المصارعة، وهو بجانب مخاضة النهر، سرَّ امتداد المصارعة حتى طلوع الفجر، ذلك لأنّ الإنسان إذا عطش لا بد له من الماء فيكون من السهل على المتصارعين أخذ استراحة يسيرة وشرب الماء، مع أنَّ الروايةا الأمر أنّ القصة لم يرد فيها أنّ يعقوب أو أحد المتصارعين احتاج إلى الماء، وهذا في غاية العجب!!

ثمّ إنَّ اليهود يصرون على ذكر الأماكن مثل نهر الزرقاء من باب التأكيد على أنها هذه المناطق لهم. ولا شك أنهم لو أتيحت لهم الظروف المناسبة لما تأخروا في الإعتداء على أية أرض بحجة انَّ لهم حق فيها.

10- مباركة الإله تتسبب بخلع عظم يعقوب عليه السلام :

من العجيب في هذه الحادثة أنّ غاية المصارعة التي كانت مباركة يعقوب عليه السلام ، تحوَّلت إلى أذىً وضرر محرجٍ ليعقوب، حيث خُلع حق فخذه فصار يمشي أعرجاً. ويتساءل الإنسان: هل أرسل الله الأنبياء عليهم السلام ليباشر إيذاءَهم بنفسه أو عن طريق أحد ملائكته؟!

حاش لله تعالى أنْ يرسل نبياً ثم ينزل من السماء ليباركه، فإذا هو يخلع عظمه ويتسبب له بالعرج. فأي سخرية من كافر ارتضى كتابة هذه القصة الساقطة، لكن صدق فيه قول الله تعالى: (**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ {79/2}**) (البقرة : 79).

على أنّ القارئ سيرى في المباحث الآتية، أنّ بركات هذه المصارعة لم تقتصر على خلع عظم يعقوب عليه السلام ، وإنما تجاوزته إلى تشويه سمعته من خلال دعوى اغتصاب ابنته من أحد الوثنيين إضافةً إلى زنا المحارم في أسرته.

11- تناقض دعوى تغيير اسم يعقوب عليه السلام إلى إسرائيل:

من أهداف هـذه المصارعة تغيير اسم يعقوب عليه السلام إلى إسرائيل؛ حيث ورد:

(فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». [28] فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إسرائيل)(32: 28).

ويتضح هـذا التناقض من النصِّ الآتي ومقارنته بما بعده. فقد وَرَدَ بعد ذلك أنّ اللـه تعالى أوحى لموسى عليه السلام :(أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ)(خر: 3: 6). والنص الثاني:

(15وَقَالَ اللـهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هـذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. [16] اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلاً: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُكُمْ)(تك: 3 : 15 – 16).

فيظهر تناقض وتكذيب ما سبق من تغيير اسم يعقوب إلى اسم إسرائيل، حيث عاد في سفر الخروج وذكر اسم يعقوب عدة مرات. وهذه نسبة الكذب إلى اللـه تعالى. ([1])

والعجيب أنْ تتكرر دعوى تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل، حيث ظهر اللـه ليعقوب لكنْ هـذه المرة بدون مصارعة وأعلمه بتغيير اسمه كما في النص التالي:

(وَظَهَرَ اللـهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ. [10] وَقَالَ لَهُ اللـهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إسرائيل». فَدَعَا اسْمَهُ «إسرائيل»)(تك : 35 : 9- 10).

وما يناقض هـذا أنَّ موسى عليه السلام في نفس الإصحاح، أطلق اسم يعقوب لا إسرائيل، وكرَّرُهُ بعد ذلك أيضاً، ولو كان تغيير اسم يعقوب أمراً إلهياً حقيقة، لكان موسى أوَّل الخلق وأولاهم بأنْ يدعوه إسرائيل، إجلالاً للأمر الإلهي الذي تقدم. لكنَّ هـذا لم يكنْ من موسى، عليه السلام فدلّ على كذب الدعوى، واللـه أعلم.

وفيما يلي أمثلة من كلام اللـه تعالى له ومن كلام موسى عليه السلام على أنّ يعقوب ظل يُدعى باسمه:

1- ([14] فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُوداً فِي الْمَكَانِ الذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ، عَمُودًا مِنْ حَجَرٍ، وَسَكَبَ عَلَيْهِ سَكِيبًا، وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتًا. [15] وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ الذِي فِيهِ تَكَلَّمَ اللـهُ مَعَهُ «بَيْتَ إِيلَ».)(تكوين : 35: 14 – 15).

ويلاحظ أنَّ أول عبارة بعد ظهور اللـه ليعقوب عليه السلام وإعلامه أنّ اسمه صار إسرائيل – بعدها مباشرة- أطلق موسى عليه السلام عليه يعقوب كما في العبارات السابقة.

2- خطاب اللـه ليعقوب عليه السلام في المنام كان بيعقوب مرتين كما في الفقرة الآتية:

(فَكَلَّمَ اللـهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ: «<u>يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ</u>!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [3] فَقَالَ: «أَنَا اللـهُ، إِلهُ أَبِيكَ.لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هـنَاكَ).(تك: 46 : 2 -3).

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 234.

وهذا خطاب من الـلـه ليعقوب عليه السلام .والـلـه جلَّ شأنه لا ينسى ولا يخطئ، مما دلَّ على أنه ليس بكلام الـلـه تعالى ولا وحيه، وإنما كلام البشر الذي يعتريه الخلل والتناقض.

12- بطلان دعوى مجاهدة يعقوب عليه السلام مع الـلـه ومع الناس:

وأما دعوى مباركة يعقوب عليه السلام لأنه جاهد مع الـلـه ومع الناس، فمردودة بنص العهد القديم نفسه. وإنني أتساءل: كيف يقال إنّ يعقوبَ عليه السلام جاهد مع الـلـه وهو الذي حصل على البكورية والبركة بالخداع والكذب والحيلة ؟ وكيف يقال إنه جاهد مع الناس وهو الذي خدع خاله لابان وغشه ليزيد ثروته حسب نصوص العهد القديم؟

إلا أنْ يكون المراد من جهاده مع الناس خداعه أخاه عيسو وأباه إسحاق وخاله لابان. وشُرَّاحُ العهد القديم متفقون على هـذه الخدع والكذب التي صدرت من يعقوب عليه السلام .

13- بطلان دعوى رؤية يعقوب لله وجهاً لوجهٍ:

أما تبرير يعقوب عليه السلام وتفسيره لتسميته مكان المصارعة (فنيئيل)، لأنه رأى الـلـه مواجهة كما قال: «لأَنِّي نَظَرْتُ الـلـهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» فهو باطل بدلالة العهد القديم نفسه، إذ ورد في العهد القديم ما يدل على استحالة رؤية الـلـه تعالى، فقد ورد ما يلي :

(لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإنسان لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ)(خر: 33: 20).

وأيضاً: (وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى)(خر: 33: 21).

وإذا صح هـذا الكلام- وهو صحيح لتوافقه في المعنى مع القرآن الكريم - فقد ثبت التناقض في العهد القديم، وثبت كذب دعوى نظر يعقوب عليه السلام لله وجهاً لوجه. إذ لو رأى يعقوب عليه السلام وجه الـلـه لمات، وما عاش بعد ذلك، نظراً للنص السابق.

ودفعاً لأيِّ تأويل محتمل **أرى** أنه لا يمكن حمل كلام يعقوب عليه السلام على أيِّ معنى إلا الرؤية الحقّيقية بالعين. فلا يمكن- لموسى بن ميمون ولا لغيره - تأويلها بمعنى آخر، وذلك لقرينة النظر التي أضيف إليها وجهاً لوجه. ولو أنه قال نظرت الـلـه لاحتملت معنى غير الرؤية، أما وقد صدق عند أهل الكتاب جملة (نَظَرْتُ الـلـهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ) فثبت التناقض.

- بنو إسرائيل لا يأكلون عرق النسا تعظيماً لله الذي ضرب يعقوب على عظم فخذه:

إذا كان بنو إسرائيل لا يأكلون عِرْقَ النسا، طاعة وشكراً لله وتعظيماً ليعقوب عليه السلام فإنهم فعلوا العظائم وامتنعوا عن المباح من الأكل، حيث كفروا بالـلـه تعالى، وعبدوا الأوثان بعد موسى عليه السلام وفي حياته، ورموا وصاياه خلف ظهورهم، بل وقتلوا الأنبياء عليهم السلام والأبرياء من البشر وما زالوا يرتكبون الجرائم في أرض فلسطين ويعيثون في الأرض فساداً - حتى يأتي الـلـه بأمره - ثم بعد ذلك يمتنعون عن هـذا الطعام الحلال.

هدف الدعوى:

لعلَّ هـدف اليهود الذين اختلقوا هـذا الإفك المبين، هـو طلبُ المجد والعظمـة ليعقـوب عليـه السـلام ولذريتـه، بحيث ينسب له أمر خارقٌ ومتميز لم ينسب لنبي قبله ولا بعده مثله، لأنه من حمل اليهـودُ اسـمه الجديـد. فـإذا سئل إنسان إسرائيلي عن اسمه ومعناه، ذكرت هـذه القصة. ويرى د. محمد حسن خليفـة أنّ القصـة هــدفت إلى الفصل بين نسل إسحاق ونسل إسماعيل عليهما السلام المشتركين في أبُوّة إبراهيم جدّ يعقوب عليهما السـلام ، فهـو هـدف عنصريٌّ بحـت وهـو تخصـيص نسـل يعقـوب تسـميتهم بـالإسرائيليين، والحـطّ مـن شـأنِ نسـل إسـماعيل، وتخصيص نسل يعقوب عليه السلام بالوحي والنبوة([1]).

أثر الدعوى: (الـلـه يطلب مباركة أحد أحبار اليهود):

لعلَّ من آثار هـذه القصة المكذوبة، ما ورد من تكرارها على لسان إسماعيل، أحد أحبار اليهود الـذي بـارك الـلــه بعد أنْ ظل قابضاً على ثيابه مشترطاً ألّا يُطْلقه إلّا بعد أنْ يباركه.

ورحم الـلـه ابن حزم الذي نقل وحفظ لنا هـذه الحادثة الطريفة، عن هـذا الحـبر اليهـودي الـذي قـال: " كنـت أمشى يوماً في خراب بيت المقدس، فإذا أنا بالـلـه تعالى، يبكي ويئنُّ كما تَئنُّ الحمامة، وهو يقـول: يـا ويـلي هــدمت هـيكلي. قامتي منكَّسة حتى أبني بيتي، وأردّ أبنائي وبناتي. ثم قبض الـلـه على ثيابي وقال لي: لا أتركك حتّـى تبـارِكَ عليَّ، فباركتُ عليه وتركني".([2])

تعليق: هـذه القصة مستوحاةٌ من قصة مصارعة ومباركة الإله نبيَّه يعقوب عليه السلام ، والتأثر بها واضـحٌ، إلا أنّ بين الحادثتين فرقٌ يتجلّى في أنَّ الحَبْرَ الملعونُ الكاذب المدعو إسماعيل، هـو الذي بارك الـلـه تعـالى. بيـنما في قصـة المصارعة أنّ الـلـه هـو الذي بارك يعقوب عليه السلام .

ويُعلَم من هـذه القصة، أنَّ في عقيدة أحبار اليهود وعوامّهم، أنّ الذي صارع يعقوب عليه السلام إنما هــو الـلــه تعالى وليس ملاكاً، نظراً لرغبة الحَبر في تعظيم نفسه، بتشبيه نفسه بيعقوب الذي ترسَّخ عنده أنه صارع الـلـه. ولو كان في فهمه أنّ يعقوب عليه السلام صارع ملاكاً، لقال في أكذوبته إنّه لَقِيَ ملاكاً. والـلـه تعالى أعلم.

مصدر القصة:

ذكر الناقد سامي عامري أنّ أصل هـذه القصة التي تتحدث عن مصارعة يعقوب مـع الـربّ تبـارك وتعـالى، هــو الأساطير الخرافية القديمة التي تتحـدث عـن صراع البطـل مـع الـروح الشـيطانية التـي تَحمـي النهـرَ، فتظهـرُ لـيلاً وتختفي قبل إشراقة الصبح([3]). ولعلّ هـذا ما يؤكد نسبة حدوثها عند نهر يبوق.

---

1 .د. محمد خليفة حسن، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للنشر، القاهرة، ط 1، 1998، ص 25 .

2 ابن حزم، **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، مرجع سابق ، ص 74 .

3 . سامي عامري، **هـل القرآن الكـريم مقتـبس مـن كتـب اليهـود والنصـارى**، ص 594، المؤسسـة العلميـة الدعويـة العالميـة، طبعـة الكترونية . موقع : http://arcri.org/index.php?option=com_content&view=article&id=42&Itemid=4

وجملة القول إنّ حدوث مصارعة بين الإله – أو حتى احد الملائكة- وبين يعقوب عليه السلام ، دعوى باطلةٌ، ومستمدةٌ من الأساطير القديمة التي وصلت لليهود، فصاغها كتبتهم صياغة جديدة مع تغيير البطل. فنسبوا البطولة لأبيهم يعقوب. والمكان إلى نهر يبوق في الأردن ليتناسب مع كذبهم. كما أنّ هذه الدعوى لا تليق بالخالق العظيم جل شأنه، فالله سبحانه متعالٍ عن مثل هذه الأفعال. واعتقاد مثلها كفرٌ . كما أنه لا يمكن لبشر أنْ يرى الله ويعيش، فهذه القصة تصطدم مع القرآن الكريم، ومع العهد القديم، ومع العقل السليم الذي لا يملك صاحبه عند سماعها إلا الحكم ببساطة على أنها لا تليق بأفعال خالق الكون جلّ شأنه وعظم أمره . ولهذا كله وجب ردّها والحكم ببطلانها وكذب كتبتها، وتبرئة نسبتها لموسى عليه السلام .

على أنني أرى أنّ لهذه المصارعة بركات!! لكنّ بركاتها المزعومة تنفي صحتها، وتُناقضُ هدفها وهو مباركة يعقوب عليه السلام وتغيير اسمه، حيث لُطّخت سمعته بالأرض، بعد هذه الحادثة؛ حيث اغتصبت ابنته دينة من أحد الوثنيين، وقتل أولاده بل أبادوا مدينةً بأسرها، ونهبوا ما فيها. كما حصل أكثر من حادثة زنا في أسرة يعقوب عليه السلام . وكل ذلك من بركات المصارعة. وهذا تفصيل ذلك:

المبحث الخامس: دعوى اغتصاب دينة ابنة يعقوب عليه السلام ،وارتكاب شمعون ولاوي ابني يعقوب إبادة جماعية انتقاماً لها. (أول بركات المصارعة)([1]):

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وَرَدتْ هذه الدعوى في سفر التكوين، واشتملت على أمور باطلة شرعاً وعقلاً. وفيما يأتي النص الكامل للإصحاح الذي سرد القصة:

([1]وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، [2]فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. [3]وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ. [4]فَكَلَّمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبَاهُ قَائِلاً: «خُذْ لِي هذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً». [5]وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الْحَقْلِ، فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا.

1 . آثرت إضافة هذه العبارة لتبقى قصة المصارعة العجيبة حاضرة لدى القارئ، وكذلك بركاتها التي تمثلت بجملة بلايا ومصائب حدثت بعدها مع يعقوب وآله، أوّلها هذه الدعوى الخبيثة.

[6]فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. [7]وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الْحَقْلِ حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذَا لاَ يُصْنَعُ. [8]وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمَ قَائِلاً: «شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً [9]وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. [10]وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا». [11]ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. [12]كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً».

[13]فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، [14]فَقَالُوا لَهُمَا: «لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هـذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُل أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. [15]غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُواتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. [16]نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. [17]وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي».

[18]فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. [19]وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْغُلاَمُ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ، لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. [20]فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا، وَكَلَّمَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمَا قَائِلِينَ: [21]«هؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. [22]غَيْرَ أَنَّهُ بِهذَا فَقَطْ يُواتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ. [23]أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟ نُواتِيهِمْ فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا». [24]فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ. كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ.

[25]فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. [26]وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. [27]ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. [28]غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. [29]وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ.

[30]فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». [31]فَقَالاَ: «أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟»)(تكوين 34 : 1- 31).

تحليل: يُلاحظ في النصِّ السابق الطاماتُ آلاتية:

1- دعوى زنا شكيم بدينة ابنة يعقوب، واحتجازها في بيت شكيم.

2- يفهم من الفاحشة أنها كانت اغتصاباً دون رضى ابنة يعقوب.

3- موقف يعقوب عليه السلام من حادثة اغتصاب ابنته وسكوته.

4- مجيء حمور يطلب دينة زوجة لابنه شكيم .

5- خديعة أبناء يعقوب عليه السلام وقتلهم جميع ذكور المدينة، وسبي النساء والأطفال،ونهب ما عندهم من الأموال والدواب.

6- موقف يعقوب عليه السلام من جرائم أبنائه.

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

تُعدُّ هذه الدعوى باطلةٌ لمخالفتها الشرعَ والعقلَ، وهذه هي البراهين:

أولاً : أما مخالفة القصة الشرع فيتمثل في أنها مخالِفة لعصمة اللـه تعالى لأنبيائه ولأعراضهم، فلا يمكن أن تصدر فاحشة الزنا من زوجة نبي أو ابنته أو ابنه كما تقدم . فلو صدر ذلك لأدى إلى الإضرار بالرسالة التي كَلّف اللـه الأنبياء عليهم السلام بتبليغها. وهو مناف لقوله تعالى :(**اللـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {75/22}**) (الحج: 75) .

وكذلك الإضرار بسمعة النَّبيّ وأهل بيته، ومعلوم أنّ النَّبيّ وأهل بيته هم أولّ المخاطبين بالإيمان والطهارة من كل رجس يقول تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً {33/33}**) (الأحزاب: 33)

على أنّ هاتين النتيجتين تعدان مانعاً من قَبول الناس لدعوة النَّبيّ ورفض اتباعه لأجلها؛ إذ إنَّ طباع البشر السوية درجت على حبِّ الاستقامة والطهارة، والنفرة من الفواحش وكلِّ ما هو مخالف للفطرة التي فطر اللـه الناس عليها. ولا شك أنّ الزنا هو أبشع الفواحش المنفرة لأصحاب الفطر السليمة والأخلاق القويمة. ولذلك لا يصحُّ صدوره منْ أهل بيت نبي من الأنبياء عليهم السلام، لأنه لو صدر لكان منفرا من محبة الناس واتباعهم للنبي ودعوته.

وقد نصَّ الباجي رحمه اللـه تعالى أنّ الأنبياء عليهم السلام يُصانون عن أنْ يقع منهم مثل هذا الفعل، كما أنّ أبناء الأنبياء عليهم السلام يصانون أيضاً عن مثل ذلك([1]) .

قلت: ومذهب جماهير علماء الإسلام على عصمة زوجات الأنبياء عليهم السلام وبناتهم من الزنا، لأنّ اللـه تعالى أغير من أنْ يُمكّن امرأة نبي من الفاحشة.

ثانيا: موقف يعقوب عليه السلام الذي يسكت على الفاحشة في أهله:

كان الواجب على نبيّ اللـه يعقوب لمَّا سمع أنّ ابنته اغتصبت ثم احتجزت، أنْ يسارع إلى:

- اللجوء إلى اللـه تعالى بالدعاء والصلاة.
- التحري عن الحقّيقة.
- طلب أولاده أو الإسراع إليهم.

---

1 . الباجي، **الرد على التوراة**، ص 113. مرجع سابق.

- أو التوجه إلى بيت شكيم الذي اعتدى على ابنته وأذلّها أو بيت أبيه على الأقل.

إلا أنّ شيئاً من ذلك لم يحدث. وإنما سكت يعقوب منتظراً رجوع أولاده من الحقّل!!

وهذا الموقف من الأمور التي لا يمكن لعاقل، قبول أو تصور صدورها بحال من الأحوال من عاقل فضلاً عن نبي، لِمَا جعل اللـهُ فيهم من كريم الأخلاق، ونبيل السَجايا من الغيرة الشديدة على عرضه وعلى أعراض الناس أيضاً.

ويُعدّ سكوت يعقوب عليه السلام حسب الرواية، وعدم تصرفه التصرف المناسب مع هذه الجريمة البشعة دليلاً قوياً على كذب الرواية من أساسها، لمخالفتها الأخلاق النَّبيّلة المستقرة في نفوس الأنبياء عليهم السلام.

وأمَّا مخالفةُ القصة للعقل والخلق فيظهر من خلال القضايا الآتية:

1- **وقت الحادثة:**

ممّا يلفت نظر المتأمل زمان حدوث هذه الحادثة، حيث جاءت بعد المصارعة العجيبة، وما ترتب عليها من مباركة الربّ نبيه يعقوب عليه السلام . ويبدو أنّ آثار تلك البركة لم تقتصر على خلع عظم يعقوب عليه السلام والتسبب بعرجته، وإنما بتشويه سمعته أيضاً بسبب اغتصاب ابنته دينة !!

موقف نجيب جرجس وتبريره الخاطئ: ذكر نجيب جرجس ثلاثة أسباب لسكوت يعقوب عما سمع من حادثة زني شكيب بابنته دينه وهي:" أنّ الصدمة كانت مفاجئة، ولكي يتدبر الأمر بحكمة، ولأنه في حال تعدد الزوجات كان الوالد يترك الحرية لأولاد كل امرأة لينظروا بالأمور الخاصة بهم وبأخواتهم". ثمّ بعد هذا الكلام مباشرة نرى هذا الواعظ يخطّئ نبي اللـه يعقوب فيقول: " كان من الواجب عليه أنْ يترك هذا الأمر لأبناء ليئه لينظروا في موضوع شقيقتهم"([1]).

ويرد على كلام جرجس: بأنّ الصدمة تكون لأول وهلة أو لساعة أو حتى ساعات، إلا أنّ الرواية لم تذكر أي موقف صدر عن يعقوب لمدة ثلاثة أيام، بل لم يكن له موقف بعد نهاية الجرائم التي حدثت، اللهمّ إلا باللومِ لأبنائه لثأرهم لأختهم.

كما أنّ الحكمة تقتضي عدم سكوت الأبُ عن ابنته التي اغتصبت لمدة أيام.

أما دعوى تركُ الأب لأبنائه التصرف في الأمور الخاصة بأخواتهم من أمهم، فهذا لا يصدُق على دعوى الزنا نظرا لخطورتها وتعلقعها بكل أفراد الأسرة وعلى رأسهم ربّ الأسرة النَّبيّ يعقوب وعلى دعوته.

ثم إنه من المحال أنْ يترك نبي اللـه يعقوب عليه السلام أولاده وَحدَهم في مثل هذا الوضع الحرِج؛ إذ يُعدّ هذا من قبيل ترك الأب مسؤوليته المباشرة عن أهله، كما أنه عملٌ غيرُ أخلاقي ولا إنساني مطلقاً ومنافٍ للمروءة أيضاً. ومعلوم أنّ الأنبياء عليهم السلام هم أكملُ الناس خلقاً ومروءةً، وما نُسِبَ ليعقوب عليه السلام من عدم التدخل بهذا الأمر الخطير أمرٌ لا يرتضيه أبٌ ذو خلق نبيل فضلاً عن نبي كريم .فكيف يوصف يعقوب بمثله !

---

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 337 .

3- مجيء شكيب يطلب دينة زوجة لابنه!!

أرى أنه من المحال أنْ يُقدم شابٌ على إرغام فتاة على الزنا ويحتجزها في بيته، ثم يأتي أبوه إلى أهل الفتاة ليطلبها زوجةً لابنه الزاني. فلو كان هـذا الأمر صحيحاً لأطلقـوا الفتـاة المغتصـبة وأعادوهـا إلى أهلها، ثم بعثوا من يطلبها لأجل التستُّر على الفضيحة.

كما كان من الطبيعي أنْ يقدم إخوة دينة أو أحدهم على الأقل، على قتل أو ضرب شكيم عنـد رؤيتـه وهـو الـذي انتهك عرض أختهم وأذلها، ثأراً لعرضهم الذي انتهك وتشـوّهَتْ معـه سـمعة أسرتهـم، خصوصـاً مـع انتشـار الخـبر السيئ عن العائلة.

أمّا ما ورد في الرواية من قدوم شكيم وأبيه، بغرض طلب الفتاة وهي مغتصبة وما زالت محتجزة في بيت مغتصـبها بعيدة عن أهلها ثم لا يصدر منهم إلا الغضب، فهو أمرٌ لا يمكن تصديقه، بل يجب تكذيبه واتهام كاتبـه، والطعـن في دينه الذي باعه بدراهمَ معدودةٍ مقابل تشويه صورة الأنبياء عليهم السلام والطعن في أعراضهم.

تنبيه : خطأ بعض النقاد في نسبة الزنا العمد إلى دينة ابنة يعقوب:

يُلاحظ وقوعُ بعض النقاد وهم يعقبون على هـذه القصة، أنهم نسبوا لدينة ابنـة يعقـوب أنهـا زنـت مـع شـكيم برضاها وأنها عشقته. وهذا أمرٌ لم يذكره العهد القديم ولا حتى شراحُهُ.

وقد ذكر رحمت الـلـه الهندي ما نصُّه " أنها زَنَتْ وتعشّقت بشخيم كما يدلّ عليه قوله: ووقـع بقلبهـا".([1]) وقالـد. محمد البار: "وهكذا تزعم التوراة أنّ دينة زنت مع شكيم بن حمور برضاها.([2]) والذي ورد في العهد القديم هـو: ([1]وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَـةُ لَيْئَـةَ التِـي وَلَـدَتْهَا لِيَعْقُـوبَ لِتَنْظُـرَ بَنَـاتِ الأرض، [2]فَرَآهَـا شَـكِيمُ ابْـنُ رَئِـيسِ الأرض، وَأَخَـذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا)(تك:34: 1-2).

والأمانة تحتِّم عليّ أن أنبّه على أنّ النصَّ يدلُّ على خلاف ما تقدم؛ حيثُ إنه يدلُّ على أنّ شـكيم زنـا بدينـة وهـي مُرْغَمة وليس برضاها. ولا يوجد ما يدلُّ على رضاها. مع ضرورة العلم بأنّ عصمة الأنبياء عليهم السلام تقتضي منع وقوع الفاحشة رضى أو إكراهاً، والـلـه أعلم.

(برهان الوضع في القصة):

وردت في الدعوى السابقة عبارةٌ تدل بوضوحٍ على التناقض وهذه العبارة هـي: (وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُـوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي)(تك :34 :1- 17).

---

1 . ولم يعلّق المحقق د. محمد الملكاوي بشيء. أنظر: الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص1231.

2 . د. محمد علي البار، **الـلـه والأنبياء في العهد القديم**، ص 146 .مرجع سابق .

فيظهر من هـذه العبارة وكأنّ أبناء يعقوب عليه السلام موجودون في بيت شـكيم، وأنهـم يهـدّدون بأخـذ أخـتهم والعودة إلى بيوتهم بدليل قولهم: (نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي)، أي نرجع إلى بيت يعقوب أو بيوتهم.

وبالقراءة المتأنية للنصّ يتضحَ أنّ أبناء يعقوب عليه السلام لم يذهبوا إلى بيت شكيم إلا بعد مقتلة عظيمة عنـدما استرجعوا أختهم بالقوة. فوجود هـذه العبارة يكذب الرواية التي يتضح منها أنّ أبناء يعقوب بقـوا في بيـت أبـيهم. فالحمد لله الذي كشف زيف كتبة العهد القديم وتناقضهم.

4- إبادة جماعية لأهل المدينة:

بعد موافقة أهل المدينة بما فيهم شكيم وأبوه على الإختتان، قام الوثنيون جميعاً بالإختتان فأصبح الاتفاق سـارياً بين الجانبين مقابل الموافقة على زواج شكيم من دينة، وإقامة علاقاتٍ طبيعية بين الجـانبين بمـا في ذلـك المصـاهرة. وبحسب الرواية أيضاً وفي اليوم الثالث لاختتان جميع ذكور المدينة؛ حيث كانوا متـوجعين، جـاء كـل مـن شـمعون ولاوي شقيقي دينة كل واحد يحمل سيفه فكانت الجرائم الآتية:

أنهم غدروا القوم وخانوا العهد الذي أبرموه . وقتلوا كل ذكر في المدينـة.وقتلـوا زوج أخـتهم شـكيم وأبـاه حمـور. واسترجعوا أختهم التي كان زواجها جزءاً من الاتفاق مع شكيم وحمور. ونهب بقية أبناء يعقوب عليه السلام كـل ما في المدينة. وقاموا بسبي جميع الأطفال والنسـاء. وقـاموا بنهـب كـل البقـر والأغنـام والحمـير.ونهبـوا كـل مـا في البيوت. ونهبوا كل ما في الحقّول. ونهبوا كل ثروتهم.

حقا إنها عشَرَة كاملةٌ، عشرةُ جرائم لا مبررَ لواحدة منها على الإطلاق، ارتكبها أبناء النَّبيّ يعقوب عليه السلام !!

تعليق: إنني أتساءلُ وأتعجبُ حول التشابه بين هـذه القصة وبين أفلام البطولة في العصر الحديث؟! وبعبارة أخرى هـل قرأ كاتب هـذه الأفلام العهد القديم، فكانت البداية بفاحشة تثيرُ إعجاب متابعي الأفـلام مـن المـراهقين، ثـم بعد ذلك كانت البطولات الخرافية والقتل الجماعي، لدرجة أنّ شخصين اثنين استطاعا بالسـلاح الأبـيض إبـادةَ كـل ذكور المدينة، وفكّ أسر أختهما الرهينة المغتصبة، والانتقام ممـن فعـل الفاحشـة بهـا، وإبـادة كـل سـكان المدينـة، ونهب ثرواتها من الأنعام والمزروعات، وسبي النساء والأطفال وكل هـذا دون أنْ يتعرض أحد منهم لأيٍّ أذى!!!

وهنا لا يملك الإنسان إلا الضحك والتأسف معاً على حال أقوام، بل أمم تضمُّ ملايين البشر يسمعون هـذه الخرافات ثم يؤمنون أنها من عند اللـه، على ما فيها من مخالفة للشرع والخلـق والعقـل، فصـدَق فـيهم قـول اللــه الحـقّ تبارك وتعال: (**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** {44/25}) (الفرقان:44).

عشرة بعشرة: وهنا تساؤلات عشرة لأهل الكتاب تقابل الجرائم العشر التي ارتكبت:

1- هـل يعقلً أنّ رجلين اثنين يستطيعان بالسيف قتل رجال كل المدينة؟

2- هـل يُعقلُ أنّ ألمَ الختان بعد ثلاثة أيامٍ يمنع مئات أو آلاف الرجال من الدفاع عن أنفسهم ومن التصدي لرجلين([1])؟

3- هـل يُعقلُ أنّ يُقدم رجلان من بيت النبوة الذي اصطفاه اللـه لهداية النـاس على قتل المئات أو الآلاف من الرجال الذين لم يرتكبوا ذنباً؟

4- هـل يُعقل أنّ أحداً من رجال المدينة، لم يستطع أنْ يقف في وجه ابني يعقوب مدافعاً عن نفسه وأهله وشرفه؟

5- هـل يُعقل أنّ أحداً ولو عدد قليل من ذكور المدينة لم يستطيعوا الاختباء من الفارسَين؟

6- هـل يُعقل أنْ يُقدم أبناءُ نبي على سبي كلِّ نساء وأطفال المدينة؟

7- ما ذنب الأطفال والنساء حتى يؤخذوا كسبايا؟

8- هـل يُعقل أنّ ينقض أبناء الأنبياء عليهم السلام العهد لدرجة الغدر والقتل والسبي والنهب؟

9- هـل يستطيع بضعة أشخاص نهب كل ما في المدينة من أنعام وأموال ومزروعات وسبي نساء وأطفال؟

10- هـل يُعقل أنْ يكتفي النَّبيّ يعقوب بتوجيه عتابٍ باهتٍ وباردٍ لأبنائه، بعد فعل هـذه الجرائم العشر؟!

وهذا هـو عتابُ يعقوب عليه السلام على زعمهم: (فَقَال يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأرض الكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». [31]فَقَالاَ: «أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟»).

والحقّ أنّ هـذه مجموعة أكاذيب ملفقة وأساطير يستحيل تحققها على أرض الواقع . كما أنها لا تنطلي إلا على إنسانٍ عديم العقل. إلاّ أنْ يقال إنّ ملائكة من السماء كانت تقاتل مع أبناء يعقوب وتساعدهم في نهب الثروات. وهذا ما لم يرد في نصّ الرواية، ولو وَرد أنَّ الملائكة قتلت الرجال وسبت النساء الأطفال بغير ذنب لصدقه من لا عقل له. علماً بأنّ قتال الملائكة مع المؤمنين أمرٌ ثابت كما حصل في غزوة بدر، لكنه يكون في حال الجهاد في سبيل اللـه وقتال المحاربين الكافرين فيكون بحق لا بظلم ونهب كما في هذه الدعوى.

وجملة القول: إنّ هـذه القصة وما فيها من مبالغات، وتضخيم لحجم القتل والنهب، يدل على أنّ الكاتب الذي كتبها هـو الكاتب نفسه الذي كتب من خياله الخصب قصَصَ وأعداد القتلى في الحروب التي خاضها داود عليه السلام .

موقف يعقوب عليه السلام من القتل والنهب والسبي:

لم تذكر الرواية أيَّ موقف ليعقوب عليه السلام تجاه قتل آلاف الناس، وقتل زوج ابنته شكيم وأبيه حمور الذين أخذوا العهد على المصاهرة والعلاقة الطيبة، وإنما يلاحظ أنّ يعقوب وجَّهَ عتابه لشمعون ولاوي اللذين قاما بالقتل دون بقية أبنائه الذين نهبوا المدينة بما فيها من بشر وأنعام وزروع وثروات.

1 . الهندي، رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، 1232 بتصرف .

على أنّ هـذا العتابَ ليس حسرةً وتأسفاً من يعقوب عليه السلام على الأنفس التي أزهقـت بغـير ذنـب ولا عـلى الأموال والثروات التي نهبت، وإنما خوفاً على نفسه وأهل بيته من الكراهية التي سيتعامل بها بقية الناس المحيطين به وبأهله طِبْقاً للنصِّ.

أثر الدعوى:

انعكست هـذه الدعوى وأمثالها في العهد القديم على عقيدة وسلوك الإسرائيليـين في حـال تمكـنهم مـن عـدوهم؛ حيث أجازوا لأنفسهم القتل الجماعي والإبادة والتطهير العرقـي لأعـدائهم وممارسـة أقسى أنـواع الـدمار والإهانـة والتعذيب. ولعلّ هـذا كان قياساً على أبناء يعقوب عليه السلام الذين احتالوا عـلى بلـدة كشـيم وحمـور. وهكـذا عمل اليهود المجازر لمَّا سيطروا على أرض فلسطين ولبنان كمجزرة دير ياسين وصـبرا وشـاتيلا وغـزة وغيرهـا الكثـير. على أنّ القانون اليهودي يَعُدُّ قتلَ اليهوديَّ جريمةً كبيرة عقوبتها الإعدام، وعندما يكون الضحيةُ غير يهودي فالفاعل مذنبٌ لكنَّ المحكمة لا تعاقب عليها. أمَّا التسبب بقتل غـير يهـودي بطريقـةٍ غـير مبـاشرة فـلا يعتـبر خطيـة عـلى الإطلاق.([1])

وقد تمّتْ مكافأة أرئيل شارون- رئيس وزراء إسرائيل الأسبق- على التخطيط لمذابح صـبرا وشـاتيلا، بـأنْ عُـيّنَ وزيـراً للإسكان حتى يدعم السياسات الاستيطانية في فلسطين.

ولعلّ من آثار الدعوى السابقة وما شابهها من تطهير يشوع الأرض من الأجانب، ما قام به السكان الجدد لأمريكـا في عمليات إبادتهم للهنود الحمر.([2])

المبحث السادس: دعوى زنا رأوبين([3]) بن يعقوب ببلهة زوجة أبيه يعقوب عليه السلام (البركة الثانية):

المطلب الأول: عرض الدعوى. المطلب الثاني: تحليل الدعوى ونقضها.

---

1. إسرائيل شاحاق، **التاريخ اليهودي، وطأة ثلاثة آلاف عام**، مرجع سابق، ص 120.

2 . إسرائيل شاحاك، **القلم الجريء، مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية**، مرجع سابق، ص 229- 232

3 **رأوبين** : اسم عبري معناه هـوذا ابن. هـو بكر يعقوب ولدته له ليئة، وكان نسله قليلاً وضعيفاً، عنـدما تـآمر إخوتـه لقتـل يوسـف تقدم هـو باقتراح أن يلقى أخاه في البئر آملاً أنْ يرده إلى أبيه حياً. ولم يكن معهم عندما باعوا يوسف إلى الإسماعيليين فاغتاظ جـداً عندما رجع إلى البئر وإذا بيوسف ليس فيه وعندما وجد رأوبين أخوته أنفسهم في ضيقة شـديدة في مصر بعـد عشريـن عامـاً أسرع فذكرهم بأنه لم يشترك معهم في المؤامرة التي قصدوا بها قتل يوسف. وعندما تلكأ يعقوب في إرسال بنيـامين إلى مصر عـرض رأوبـين على أبيه اثنين من أولاده كرهينة إنْ لم يرد بنيامين إليه،وعندما كان يعقوب عليه السلام على فراش الموت أعلن بأن رأوبـين سـوف يكون فائراً (غير ثابت) كالماء، وأنه لا يتفضل أي (لا تكون له الرئاسة). وبسبب خطيئته الشنيعة التي بهـا دنـس فـراش أبيـه، خسر امتياز البكورية، أنظر:، **قاموس الكتاب المقدس** . ص 393.

المطلب الأول: عرض الدعوى:

يؤمن أهل الكتاب طبقا العهد القديم أنّ رأوبين الإبـن البكـر ليعقـوب عليـه السـلام قـد زنـا ببلهـة زوجـة أبيـه يعقوب عليه السلام ، وهذا هـو النصّ عندهم : (ثُمَّ رَحَلَ إسرائيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلَ عِـدْرٍ([1]). [22]وَحَـدَثَ إِذْ كَانَ إسرائيل سَاكِنًا فِي تِلْكَ الأرض، أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إسرائيل.)(تـك: 35: 21-22).

يذهب شُرَّاح العهد القديم إلى أنّ رأوبين الابن البكر ليعقوب عليه السلام قد اقترف إثماً فظيعاً،لأنه زنا مـع بلهـة جارية أبيه التي أعطتها راحيل ليعقوب عليه السلام ، وقد كان عقابه حرمانه من البكوريـة والبركـة، حيـث صـارت البكورية ليوسف([2]).

ويقول القس أنطونيوس فكري:" إنَّ يعقوب ظلَّ يتذكر خطيةَ رأوبين البشعة بمرارةٍ حتى فراش الموت. ومـع أنـه لم يتكلم إلا أنه ظلّ يكتم في قلبه مرارةً لا يمحها الزمن ولا الكلام".([3])

المطلب الثاني: تحليل الدعوى ونقضها:

يمكن تحليل هـذه الدعوى إلى ثلاثة أمور:

الأول: زنا ابن يعقوب عليه السلام مع زوجة أبيه. **الثاني:** موقف يعقوب عليه السلام حيـث سـمع بالفاحشـة ثـم سكت وكتمها في قلبه. **الثالث:** موقف العهد القديم.

أما نقد الدعوى فلا يشُكُّ مسلمٌ أنّ هـذه الدعوى مفتراة وباطلة، ويتضح هـذا البطلان من البراهين آلاتية:

موقف يعقوب عليه السلام من دعوى الفاحشة:

يتضحُ من خلال الدعوى أنّ يعقوب عليه السلام سمع بالجريمة لكن موقفه كان سلبياً؛ إذ:

1- لم يتحرَّ عن صحةِ الخبَر. فلم يُذكر أنه سأل ابنه أو سريته بلهة أو كلمها بشيء، وهـذا أمـرٌ مسـتبعدٌ جـداً وغـير مقبول شرعاً ولا عقلاً، فلا يليق بنبي أنْ يتحدث الناس عن عرضه اتهاماً ثم يسكُت. وإن الآحـاد مـن عقـلاء الـبشر حتى غير المسلمين منهم لا يرضون بالسكوت عن مثل هـذا الفحش في بيوتهم، فكيف يُتَصـورُ سـكوتُ نبـيٍّ كـريم من أنبياء اللـه تعالى على مثله ! وهذا ردٌّ على علة الأب انطونيوس فكري الذي قال: إنّ يعقوب ظـل يكـتم فعلـة ابنه ويتذكرها بمرارة حتى الموت.

2- لم يُقِمْ يعقوبُ عليه السلام الحدَّ أو التعزير على ابنه ولا زوجتـه، والظـاهر أنَّ حـدَّ الزنـا في ذلـك الوقـت كـان إحراق الزاني والزانية بالنار، كما في(تك: 38 : 24)([4])

---

1 .مجدل عدر : مكان شرقي بيت لحم بنحو ميل .أنظر : **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس، ص 344 .

2 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 345.

3 . فكري، أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 264.

4 . رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج4، ص 1232 .

وسواءٌ كان حد الزنا في ذلك الوقت الإحراق بالنار أو غيره، فإنّ الواضح من الرواية التي حملت الخبرَ أنها لم تتضمن أيَّ عقوبة أجراها يعقوب عليه السلام على الآثمين. وهذا يحمل تعطيلاً من النَّبيّ لأحكام الشريعة النافذة آنذاك. وهذا باطلٌ لأنّ الأنبياء عليهم السلام أوَّلُ الناس وأولاهم بتطبيق شرع الله تعالى. وعدم تطبيق الحدِّ دليلٌ آخر على بطلان الدعوى من أساسها.

3- لم تتعرض الرواية لبيان أو ذكر موقف يعقوب عليه السلام من زوجه بلهة، هل أمسكها أم فارقها أم ماذا فعل؟ وكل هذا لم يُذكر نظراً لكذب الأصل وهو عدم حدوث الدعوى أصلاً.

4- أكثر ما عمله يعقوب أنه عند موته عاتبَ ابنه رأوبين على فعلته بقوله: (رأُوبَيْنُ، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ العِزِّ. [4]فَائِرًا كَالمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ، لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ.)(تك : 49 : 3 -5)

ولا شكَّ أنّ كرامة الأنبياء عليهم السلام وغيرتهم تمنعُ سكوت يعقوب عن فعل ابنه الفاحشة مع سريته بلهة ثم يبقى صامتاً سنوات طويلة ولا يتكلم إلا عند موته، مكتفياً بعتابٍ ضعيف وكأن ابنه تكلم بكلمة غير مناسبة، لا أنه زنا بزوجة نبيٍّ حسب العهد القديم !

وحاشَ لغيرة الله تعالى أنْ يقع هذا الأمرُ. لكنه إحسان بني إسرائيل إلى يعقوب عليه السلام أعظم آبائهم الذي نُسب الشعبُ إليه فيما بعدُ، حتى يتذكرَ كلُّ إسرائيلي هذه الفواحش التي حدثت في بيت أبيهم الأعظم يعقوب، ثم لا حرج بعد ذلك على من وقع بمثل تلك الأفعال في بيته أو خارج بيته ما دام أنها حدثت في أطهر البيوت.

وإذا كان ابن حزم تعليقاً على هذا الدعوى، قد تعوذ بالله أنْ يخذل نبيه ولا يعصمه في حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح([1]).فإنني أقول: معاذ الله أنْ يخذل نبيه فيما هو دون الفاحشة، أي بمجرد الإشاعة والكذب فعصمة الله لأعراض الأنبياء عليهم السلام حاصلةٌ حتى في حال الإشاعة كما تقدم من دفاع الله تعالى عن عائشة أمِّ المؤمنين في حادثة الإفك.

موقف العهد القديم من الفاحشة:

1- لم يتعرض العهد القديم لذكر موقف بلهة زوج يعقوب عليه السلام من الفاحشة: هل كانت راضيةً بذلك، أم أنها كانت متفقة سلفاً مع ابن زوجها يعقوب على فعل الفاحشة، وما موقفها بعد سماع زوجها للخبر، كل هذا لم يذكر، وهذا يؤكد بطلان الدعوى من أساسها.

1 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 1، ص 234 .

2- لم يتعرض العهد القديم لذكر موقف إخوة رأوبين الأشقاء من أخيهم الذي زنا بأمِّهم ولا بقية أهل البيت.

3- لم يذكر كاتب القصة هل حصل حملٌ من هذه الفاحشة أمْ لا!

ولا شك أنّ ما سبق هو من نسيجِ خيال كاهنٍ فاسقٍ، ربما وقعت هذه الفاحشة معه أو في بيت قريب منه فاطلع عليها، ثم بدّل شخصياتها بابن نبي وزوج نبي، في وقتٍ كفرَ فيه الكهنة. ومن هنا نعلم أنه لما هانت أعراض الأنبياء عليهم السلام عند بني إسرائيل، هانت عليهم بعد ذلك دماؤهم فقتلوهم.

المبحث السابع: دعوى زنا يهوذا بن يعقوب عليه السلام بكنته ثامار([1]) وتولُّد المسيح عليه السلام من هذه السلالة(البركة الثالثة).

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الثالث: أثر الدعوى(قيمة زنا ثامار)

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

فيما يلي كامل الإصحاح الذي حمل الدعوى:

(1وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ يَهُوذَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ إِخْوَتِهِ، وَمَالَ إِلَى رَجُل عَدُلاَّمِيٍّ اسْمُهُ حِيرَةُ. 2وَنَظَرَ يَهُوذَا هُنَاكَ ابْنَةَ رَجُل كَنْعَانِيٍّ اسْمُهُ شُوعٌ، فَأَخَذَهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، 3فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَا اسْمَهُ «عِيرًا». 4ثُمَّ حَبِلَتْ أَيْضاً وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «أُونَانَ». 5ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَيْضاً ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «شِيلَةَ». وَكَانَ فِي كَزِيبَ حِينَ وَلَدَتْهُ. 6وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ. 7وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيراً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. 8فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلاً لأَخِيكَ». 9فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلاً لأَخِيهِ. 10فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. 11فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَكَنَّتِهِ: «اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي». لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضاً كَأَخَوَيْهِ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا.

---

1 . نظراً لخطورة هذه الدعوى وما ترتب عليها من دعوى مجيء داود والمسيح عليهما السلام من سلالة زنا، فقد أوليتها قدراً مناسباً من التحليل والنقد.

[12]وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شُوعٍ امْرَأَةُ يَهُوذَا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ الْعَدُلاَّمِيُّ. [13]فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ». [14]فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. [15]فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. [16]فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» [17]فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». [18]فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟» فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. [19]ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.

فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ الْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَّمِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا. [21]فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ هھُنَا زَانِيَةٌ». [22]فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضاً قَالُوا: لَمْ تَكُنْ هھُنَا زَانِيَةٌ». [23]فَقَالَ يَهُوذَا: «لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الْجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا».

[24]وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضاً مِنَ الزِّنَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ». [25]أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ». [26]فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ: «هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي». فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضاً.

[27]وَفِي وَقْتِ وِلاَدَتِهَا إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. [28]وَكَانَ فِي وِلاَدَتِهَا أَنَّ أَحَدَهُمَا أَخْرَجَ يَداً فَأَخَذَتِ الْقَابِلَةُ وَرَبَطَتْ عَلَى يَدِهِ قِرْمِزاً، قَائِلَةً: «هذَا خَرَجَ أَوَّلاً». [29]وَلكِنْ حِينَ رَدَّ يَدَهُ، إِذَا أَخُوهُ قَدْ خَرَجَ. فَقَالَتْ: «لِمَاذَا اقْتَحَمْتَ؟ عَلَيْكَ اقْتِحَامٌ!». فَدُعِيَ اسْمُهُ «فَارِصَ». [30]وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ الَّذِي عَلَى يَدِهِ الْقِرْمِزُ. فَدُعِيَ اسْمُهُ «زَارَحَ »(تك: 38 : 1 – 30).

التحليل:

قبل نقد هـذه القصة من أساسها لا بدَّ من بيان ما فيها من فضائحَ وأمور جِسام. وفيما يأتي تحليل لأهمّ ما فيها:

أولا : أبطال القصة: لا بد من التعريف بأبطال القصة وهما يهوذا وثامار فمن هـما؟

شخصية يهوذا([1]) **: مما يجب ذكره أنّ** أصحاب قاموس الكتاب المقدس أوردوا تعريفاً بيهـوذا مـن دونَ أنْ يعرضـوا لزناه بكنته ثامار!

---

1 . **يهوذا:** اسم عبري معناه حمد وهو رابع أبناء يعقوب من ليئة، وأعطي هـذا الاسم لسبب شكر أمه عند ولادته. ولا يـذكر العهـد القديم كثيراً عنه، ولكنه يذكر بعض حقائق هـامة تتعلق به. فقد نال رضى والده وحبه، وحصل على بركته مع أنه أصغر من رأوبين، وشمعون ولاوي (تك49: 8). وكان شهما، وقد تجلى كرم أخلاقه مرتين في قصة يوسـف (تـك37: 26 الـخ، 44: 16-34). وكـان كفـيلا لأخيه بنيامين (تك43: 3-10). وبعد رجوعه إلى كنعان انحدر المصر مع بنيه الثلاثة (تك46: 12). وقد ولد له من ثامـار أرملـة ابنـه ابنان آخران هـما فارص وزارح. ومما هـو جدير بالذكر أن فارص أصبح أحد أسلاف داود والمسيح (مـت1: 3-16). **قـاموس الكتـاب المقدس**، ص 1085 – 1086 .مرجع سابق .

شخصية ثامار([1]) **:** في نهاية التعريف لاحظَ أصحاب قاموس الكتاب المقدس، أنّ اسم ثامار وابنها فـارص، قـد ذكـرا في) راعوث 4: 12 (وفي نسل يسوع المسيح حسب الجسد في (متى 1: 3) بدون أيَّة أشارةٍ شائنةٍ.([2])

ثانيا: ما هـو الشرّ الذي عمله ابنا يهوذا الأكبر حتى أماتهما الـلـه:

ذكر السموأل في كتابه بذل المجهود في إفحام اليهود، أنّ الشر الذي عمله عير ابن يهوذا الأكـبر، هــو أنـه كـان يـأتي زوجته مستدبراً، فغضب الـلـه عليه من فعله. فأماته لذلك. والثاني كان يُنْزِلُ منيَّه عـلى الأرض، أو أنـه لم يحـبَّ أنْ يأتي نسلٌ لأخيه كي لا يقاسمه ميراث أخيه.([3])

ثالثا: ثامار كنة يهوذا تخدع يهوذا (والد زوجها) كي يزني بها :

تمثلت خطةُ ثامار بأنْ خلعت ملابس ترمِلها، ولبست برقعاً لإخفاء وجهها، وتلففتْ وجلستْ في طريق يهوذا. على أنّ الدافع لثامار لهذا الفاحشة حسب شُرَّاح العهد القديم هـو الانتقام من يهوذا والدُ زوجهـا، لإخلافـه الوعـد بـأنْ يزوجها من ابنه شيله لما يكبر. وبمخالفته الوعد أرادت الانتقام، ولإحيـاء نسـلٍ مـن زوجهـا المتـوفى. وثانيـاً لرغبتهـا بمجيء المسيح من نسلها. ولهذين السببين يرون أنّها كانت حسنة النيـة في تصرفهـا([4]). ويلاحـظ وجـود حـوار بـين يهوذا وثامار قبيل الفاحشة وهذا مهم جدا لغاية النقد السليم.

حمل ثامار من الزنا وما ترتيب عليه: بعد ثلاثة شهور من الفاحشة، ظهر حمـل ثامـار فـأُعلِم يهـوذا، فـأراد إقامـة الحدّ عليها حرقاً، لكنه لمّا خاف الفضيحة شهد ببرِّ ثامار الزانية. ثم أنه لم يطلب إقامة الحدّ على نفسه. ثم النتيجـة الكبرى هــي مجيء داود والمسيح عليهما السلام من ذلك الزنا.

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

لقد وجَّهَ النقاد سهامهم إلى هـذه القصة قديماً وحديثاً([5])، وتصدّوا لما حوته من أكاذيـب وافـتراءات. ويمكـن نقـد الدعوى بما يأتي:

أولاً: من التعريف بشخصية يهوذا الوارد في قاموس الكتاب المقدس، كما تقدم، يلاحظ عدم الأمانة العلمية، حيـث التركيز على الإشادة والثناء بيهوذا والثناء على كريم أخلاقه، دون ذكر الصفات السيئة عنده. فلا يتحـدث عـن زنـاه بكنته ولا تعطيله لأحكام الشريعة المتمثلـة بحـرق الـزاني، حتـى وصـل عـدم الموضـوعية عنـد المـؤلفين إلى إخفـاء

---

1 . **ثامار:** اسم عبري معناه نخلة، وجاء في العهد القديم كاسم لثلاثة من النساء واسم لمكان اسم وثامار اسم زوجة عِيرٍ بكر يهوذا، فلما توفي عِيرٍ أعطيت زوجة لأخيه أُونَانَ الذي مات أيضاًعاجلًا لشره، فوعدها يهوذا أنْ يعطيها لابنه الصغير شِيلَةُ متى كبر، حسب العادة، وانتظرت ثامار تحقيق الوعد وطال انتظارها حتى رتبت أنْ تلاقي يهوذا في شكل بغي على الطريق وقت جز غنمه. وقد أخذها فصارت بسببه أما لفارص وزارح . ولما اتهمت بالزنا بررت نفسها مظهرة خطيئة يهوذا فلم تقتل . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 330 .

2 . أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 330.

3 . السموأل، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، مرجع سابق، 174 .

4 . جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 364، وانطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 280 .

5 . أنظر **الفصل**، لابن حزم ج 1، ص 239 – 240، **والرد على التوراة**، ص114،**وبذل المجهود**، ص174، **و إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1235 .

الحقّيقة الفاضحة ليهوذا والاكتفاء بالتغطية على الزنا وعدم التعرض لذكرها. ومن غير تعليـق أو مجـرد إشـارة، إلى أنّ ثامار كنة يهوذا وأنه زنا بها فولدت بذلك الزنا زارح وفارص. وقـد كـان مـن الأخـير الأنبيـاء علـيهم السـلام داود وسليمان والأهم المسيح . فهذا مما وجب التعريف به، لكن مؤلفي قاموس الكتاب المقدس أغفلوا هـذا البيان، ولا أظّن أنّ إغفالهم ذلك نسياناً، نظراً لخطورته وأهميته كما تقدم.!!

- **ثامار:** ورد في التعريف بها أنها ذكرت بدون أية أشارة شائنة.

أرى أنّ الأمر لا يحتاج لكثير كلام، فما قامت به ثامار عملٌ مشروع، فلم يتعرض له الكتـاب المقـدس بأيـة إشـارة شائنة. وبهذا يتضح أنّ الكتاب المقدس يبرّرُ الزنا، خصوصاً إذا ولد من الزنا إنسانٌ صالح !! نعم، إنـه كتـاب مقـدس صالح للتعليم والتهذيب!! ولكن لا أدري أيّة قداسة بقيت في هـذا الكتاب بعد احتوائه هـذه الفواحش المشينة.

ثانيا: ذُكر أنّ سببَ موت (عير) أنـه كـان شريـراً، وفسُّر الشرُ بإتيـان عـيرُ زوجتـه ثامـار في الـدبر، كـما تقـدم عنـد السموأل فأماته اللـه. وأما أونان فكان يُنْزِل منيّه على الأرض، ولا يقترب من زوجته ثامار، لغاية أنْ لا يكون لأخيـه نسل يشاركه الابن في الميراث.وساء هـذا في عين الربّ فأماته اللـه([1]) .

وهنا يحق التساؤل هـل يكون الجزاء عـلى هــذه الـذنوب المـوت، فكـم مـن أخطـاءٍ وقعـت أعظـم مـن هــذه الخطيئات في العهد القديم ولم يترتب عليها الموت؟ .

وقد تساءل الشيخ رحمت اللـه الهندي تساؤلاً أخطر وأهمّ فقال:" إذا كان الربّ أماتَ عيرَ لكونه رديئاً أو شريـراً، ورداءته لم تبين([2]) أكانت هـذه الرداءة - وهذا الشر – أشدّ من رداءة وشرّ عمِّه الكبير الذي زنا بزوجة أبيـه؟ ومِـنْ رداءة عمِّه لاوي وشمعون؛ حيث قتلا أهلَ البلدة كلهم ؟ ومِنْ رداءة وشرِّ أبيه يهوذا حيث زنا بزوجتـه ثامـار بعـد موته ؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفةِ وعدم القتل وكانَ عيرُ قابلاً للقتل فقتله الربُّ"؟ ([3])

والعَجب أنّ الربّ قتل أونان على خطأ عزل المنيِّ، وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات !

أكان العزلُ أشدَّ ذنباً من هـذه الخطيئات([4]) ؟ ولا شكّ أنّ ما فصله الشـيخ الهنـدي رحمـه اللــه تعـالى هــو مـن جملة التناقض البيِّن في العهد القديم.

ثالثا: أما طلب يهوذا من ابنه الدخول على ثامار ليقيم نسلاً لأخيه، فإنه من العجب أنْ تلد امرأة ولداً مـن زوجهـا ثم ينسب الولد إلى الزوج المتوفى.([5]) وهذا هـو الحقّ لأنّ الزرع للباذر فكيف يقيم زرع أخيه؟([6])

---

1 . فكري، أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 280 .

2 . لم يذكر أحد ما هـو الشر الذي عمله عير، الا أنني وجدته عند السموأل رحمه اللـه كما في الفقرة التي سبقتها.

3 . رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1234 بتصرف.

4 . رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**،ج 4، ص 1234 .

5 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج1، ص 238.

6 . الباجي، **الرد على التوراة**، ص 114 بتصرف.

رابعا: خدعة ثامار لكي يزني بها يهوذا والد زوجها.

تقدم أنّ الدافع لإقدام ثامار على الفاحشة، **هـو** الانتقام من يهـوذا الـذي أخلـف وعـده بتزويجهـا ابنـه الصـغير(شيلة) لما يكبر . أما **الدافع الثاني:** فهو طمعاً في مجيء المسيح عليه السلام من نسلها، لا من أجل الشهوة .

الردّ: يمكن الردّ على هـذه الدافع الأول بأنه لو كان هـذا الأمر صحيحاً، لكان تمام الانتقام أنْ تصنع ثامار الفاحشـة مع شيلة لا مع يهوذا .

أما الدافع الثاني فيرد عليه بأنْ يقال إنه إذا كانت ثامـار وثنيـة، كـما نـص عـلى ذلـك أشـهر شُرَّاح العهـد القـديم المعاصرين([1]) فكيف تؤمن بمجيء المسيح عليه السلام ؟ ثمّ هـل يليقُ بالمسيح عليه السلام الـذي سـيأتي لـيخلِّص البشرَ من الخطيئة أنْ يأتي هـو أيضاً من الخطيئة ؟ فبذلك يكون بحاجة إلى من يُخلّصه هـو قبل غيره من الخطيئة السارية في دمه؟

والحقّ أنّ هـذا من التأويلات الباطلة للنصارى؛ إذ لا نصّ ولا إشارة من قريب يمكن أخذها وفهمها من القصـة، ولا بمجرد تلميح بعيد للمسيح عليه السلام . لكنّ عقيـدة النصـارى الفاسـدة تـدعوهم للتعسُـف في تأويـل النصـوص بتأويلات بعيدة عن الحقّ. ولذلك برروا الكذب المنسوب لابنتي لوط عليه السلام مع أبـيهما، بـرغبتهما في مجـيء المسيح عليه السلام من نسلهما.

المطلب الثالث: أثر الدعوى(قيمة زنا ثامار):

جاء في التفسير التطبيقي: بركة يهوذا كانت عظيمة، وهو من أشرّ أبناء يعقوب إلا أنّ اللــه اختـاره، ليكـون سـلفاً للعائلة الملكية في إسرائيل، كما أنّ من نسل يهوذا سيأتي المسيا([2]).

ويقول الأب انطونيوس فكري مادحا ثامار ومبالغا في الثناء عليها: بهذا العمل الإيماني، تأهلت ثامار أنْ تكون جـدةً للمسيح دمها يجري في عروقه، وسُجل اسمها في أنساب السيد المسيح، بينما لم يُسَجَّل اسم سارةَ ورفقة([3]).

قلت: وهكذا يبلغ الكفر بأهله أنْ يجعلهم يرون الباطل حقاً والحقّ باطلاً، فتجد هـؤلاء القساوسة والعلـماء يـرون أنّ ثامار الزانية أعظم من سارة ورفقة. وأنها بالفاحشة ترّقت إلى مرتبة عالية. وحاش لغيرة اللـه العظيم، أنْ تجري دماء امرأة زانية في دم أحد أنبيائه الأطهار.

وهكذا يتحول الزنا عند النصارى إلى عملٍ إيماني عظيم. فلا غرو إذنْ أنْ صاحبته تستحق دخول الجنة لأجلـه، بـل وأعلى الدرجات فيها!!. وهكذا يلاحظ أنّ تصـديق النصـارى بأكاذيـب العهـد القـديم، جعلـتهم غـير مميـزين بـين الأعمال الصالحة، التي تدخل صاحبها الجنة، وبين الزنا والفـواحش التـي اتفقـت الشرائـع السـماوية عـلى تحريمهـا والتحذير منها، وكذلك أصحاب الفطر السوية والعقول السليمة على رفضها، الأمر الذي يجعـل الإنسـان يجـزم بـأنَّ

1 . نص على ذلك أبوهم أنطونيوس فكري في: **تفسير لسفر التكوين** ص 280 .

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص121 .

3 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، ص 281.

التصديق بأكاذيب العهد القديم- ومنها هـذه القصة – يجعل صاحبه بعيداً عن الإيمان الصحيح، كما يجعله مختلّ الفهم، ويؤدي به التبديل الباطل بالحقّ والحقّ بالباطل، وهو يدافع عن معتقده. وهذا ما أصـاب علـماء النصـارى وشُرَّاحُ العهد القديم الذين وصفوا خداع امرأة لمحرم هـو والد زوجها وفعلها الفاحشة معه ب(عمل إيمـاني عظـيم)، أضف إلى ذلك أنّ الكتاب الذي يسمونه مقدساً وصالحاً للتعليم والتهذيب، هـو في الحقّيقة عكس ذلك فهو غـير صالح للتهـذيب والتعلـيم. إلا إذا قـالوا إنـه صـالح لتعلـيم طـرق الخـداع وأسـاليبه لإيقـاع المحـارم في شـباك الزنـا والفواحش.

تساؤل: على فرض إقدام يهوذا على طلب الفاحشة من المرأة الملتفة والمبرقعة؛ حيث أنه لم يَعرِف أنها كنتـه ثامـار، وقد جرى حوار بينه وبين وثامار، حيث طلب منها الفاحشة، وتراجعـا حـول الأجـرة التـي سـيدفعها لهـا، وأخـذها الرهن - وقضية الأجرة محلُ نظر كبير كما سيأتي - وهنا تساؤل مشروع بعد هـذا الحـوار: <u>ألم يعـرف يهـوذا صـوت كنته ؟</u>

والصحيح أنّ هـذا شيء مستبعدٌ، لأنّ الإنسان يستطيع تمييز آلاف الأصوات فكيف لا يميّز صوت كنته. ولكن يمكـن التطوع وإعطاء شُرَّاح أهل الكتاب جواباً لهذا التساؤل وهو أنّ ثامار كانت متبرقعة، وربما وضعت ثياباً عـلى فمهـا أو تظاهرت بتغيير نبرة صوتها . وإذا أمكن التسليم بهذا فانّ التساؤل الـذي لا يمكـن تفسـيره أوتبريـره بحـالٍ هــو الآتي:

<u>ألم يرها يهوذا عند فعل الفاحشة ؟ ألم ينظر إلى وجهها ؟ ألم يسـمع كلامهـا ؟ فيـدرك عنـدها أنهـا (كنتـه) ثامـار ؟ فماذا كان موقفه من ذلك ؟ بل ماذا كان موقفهما معاً؟</u>

أم أنه واقعها وهي ملتفة بكامل ملابسها ومبرقعة وجهها؟ وهذا ما لا يدعيه إلا أحمقٌ جاهل.

فبهذا يبطل دعوى زنا يهوذا بكنته ثامار. علماً بأنه باطل أساساً، لكنَّ ما تمَّ افتراضـه هــو للوصـول إلى إقنـاع أهـل الكتاب أولا، وإلزام علمائهم بأنّ هـذا كذبٌ وزورٌ مهما حاولوا التماس التبريـرات والأعـذار لهـذه الفـواحش، إلاَّ أنّ الكذب حباله قصيرة، والحقّ نوره أبهج من الشمس فلا يستطيع أحدٌ طمسه.

ومهما حاول المحرِّفون واحتاطوا لحبكهم، فستبقى أعراضُ الأنبياء عليهم السلام مصونةً محفوظةً في قلوب المؤمنين وفي عقول العالمين.

وأضيف: إذا كانت ثامار تطمع حقاً في إتيان المسيح عليـه السـلام مـن نسـلها، فلـماذا تطلـب جـدياً أجـرة عـلى الفاحشة، ما دام قصدُها إحياءُ نسلٍ لزوجها المتوفَّى، أو إتيان المسيح عليـه السـلام مـن نسـلها وهـو الأهـمّ . فهـل الزانية الطامعة في شرفِ قدوم المسيح من نسلها، تطمع بثمن جديٍ بخسٍ بعد هـذا الشرف وهذا المقام العظيم؟!! لقد كان الأولى – حسب مفهوم شُرَّاح العهد القديم - أنْ تقوم هـي بالدفع لمن يفعل معها الفاحشة، لأنه سـيكون

سبباً في احتمال قدوم المسيح منها. كما كان من المفروض عليها، وقد رُزقت ولدين من فاحشة الزنا أنْ تتصدق وتقدم الذبائح شكراً لله، على احتمال قدوم المسيح من هذا النسل الطاهر الذي بلغ الكمال في الطهر والعفة؛ حيث أنها لم تزن مع إنسان عادي،وإنما مع ابن نبي عظيم، لاسمه ينتسب أبناءُ الشعب المختار !!

والعَجَبُ كلّ العَجَب أنّ يهوذا لم يبن مُحرقة، ويَصعد ويذبح الذبائح لهذه الغاية الجليلة!!

والعجب أيضا قولُ يهوذا: " لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا ") فيلاحظ أنه يخشى أنْ يُتهم بعدم دفع الأجرة للزانية، ولا يخشى من الزنا ذاته !

ما ترتب على زنا يهوذا بكنته ثامار:

هناك أكثر من موقف ترتب على الزنا وهو كما يلي:

أولا - موقف يهوذا: أنه أراد حرق ثامار ثم ترك ذلك:

ويُلاحظ من النصّ معرفة يهوذا أنّ ثامار هي المرأة لتي خدعته وأوقعته في الزنا، كما يلاحظ عدوله عن إقامة حد الزنا عليها (إحراقها).وكذلك عدم إقامة حد الزنا على نفسه من خلال أبيه يعقوب أو أولاده. ويلاحظ أنه لا يذكر في الرواية، لماذا لم يُقم يهوذا عليها الحد ؟ وكذلك يسكت شُرَّاح العهد القديم. فهل في سكوته ستراً عليها أم على نفسه؟

والعجب كيف أثنى يهوذا على كنته ثامار بعد أنْ علم أنه زنا بها، فأي برّ وتقى هذا منه أو منها ؟! وكما قال رحمت اللـه الهندي متهكماً: " نِعمَ البارُّ ونِعمت البارّةُ الفائقة في البرِّ، حيث لم تكشف عورتَها إلا لأب زوجها، وما زنتْ إلا بحميها، وحصلت منه بهذا الزنا على ابنين كاملين"([1]).

والعجيب أنه لم يُذكر شيء عن موقف يعقوب عليه السلام والد يهوذا من ابنه الذي زنا بكنته ؟ وهل علم بالأمر أم لا؟ فإنْ علم يعقوب، فلا بدّ أنْ يقيم الحدّ فيحرق كلا من ابنه يهوذا وكنته ثامار. لكنّ هذا لم يحصل. فإنْ كان السبب عدم علمه فتلك مصيبة، وإنْ كان يعلم ولم يُقم عليهما الحدّ فالمصيبةُ أعظم.

ولعلَّ ما يدلُّ على كذب هذه القصة أنّ يعقوب عليه السلام لم يُقم الحدّ على ابنه ولا المرأة الفاجرة، بل لم يثبت أنه تنغص من يهوذا لهذا الأمر، بدلالة كلامه عند موته، حيث ذمّ لاوي وشمعون ورأوبين على ما صدر منهم، وما ذمّ يهوذا على ما صدر منه بل سكت عنه، ومدحه مدحاً بليغاً ودعا له دعاءً كاملاً، ورجحه على إخوته([2]) .

والحقّ الذي يجب المصير إليه هو بطلان القصة من أساسها لمخالفتها الشرع والعقل، وبذلك تبرأ ساحة نبي اللـه يعقوب وآله الأطهار.

---

1 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1234.

2 . الهندي، رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، 1234.

ولادة ثامار ولدين من الزنا:

ذكرت الرواية أنّ ثامار ولدت من الزنا ولدين هـما فارص وقد خرج أولا، والثـاني زارخ. أمـا فـارص فقـد ولـد مـن نسله النَّبيّ داود عليه السلام ،ومن نسله أيضاً ولد المسيح عليه السلام .([1])

ويُلاحظ هـنا من الرواية وشُرَّاحُ العهد القديم أنّ داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم مـن أولاد فـارص الـذي جاء من الزنا.

وهذا أمرٌ يعترف به علماء أهل الكتاب ولا ينكرونه، ويعدونه شرفاً وفخـراً. يقـول نجيـب جـرجس: " إنّ انتسـاب المسيح بالجسد إلى البشرية الساقطة، والسبط أخطأ رأسـه يـدل عـلى محبتـه للـبشر، وأنـه جـاء ليقـيم السـاقطين ويخلص الخطاة. وظهوره في الخطاة لم ينقص مقامه الإلهي"([2]). **قلت:** لا يصح خلقاً وعقلاً أنْ يأتي المسـيح المخلـص من سلالة زنا.

وكلام جرجس مرود بعصمة اللـه تعالى لأنبيائه وأنهم مبرؤون من فاحشة الزنا وكذلك بيوتهم . وأنهم جاؤوا مـن نكاح شرعي، لا من سفاح كما زعم كاتب هـذه الرواية الباطلة، وكما ثبت بطلان القصة شرعاً وعقلاً.

وقد جرت عادةُ الأمم على تعظيم قادتها وروّادها المصلحين ونسبة كل خير ومنقبة إليهم، إلا أنّ اليهود والنصارى يخالفون ذلك حيث نسبوا للأنبياء الفواحش وعلى رأسها الزنا بالمحارم، وغيرها من الكبـائر التـي يتنـزه عنهـا آحـاد المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام والمرسلين الذين عصمهم اللـه تعالى من أمثال هـذه الفواحش وما دونها.

ورحم اللـه ابن حزم الذي قال:" واللـه ما رأيت أمّةً تُقِرُ بـالنُّبوة وتنسـب إلى الأنبيـاء علـيهم السـلام مـا ينسـبه هـؤلاء الأنذال الكفرة. فعلى من يصدق بشيء من هـذا الإفك لعنـة اللــه وغضـبه. فـاعجبوا لعظـيم كفـر هــؤلاء القوم، وما افتراه أسلافهم الكفرة على اللـه تعالى، وعلى رسله عليهم السلام".([3])

ثمَ يُقال ما هـدف إيراد مثل هـذه القصـة في العهـد القـديم عـلى مـا فيهـا مـن مخالفـة للعقـل والشرع؟ هــل تحمل موعظة وتذكرةً للقارئ ؟ أين النور والهدى الذي جعله اللـه تعالى في التـوراة ؟هـل هــو الحـديث عـن زنـا المحارم ؟ أم هـي أساليب الخداع والغش والانحلال داخل الأسرة الواحدة ؟ أم وصف مناقب الأنبياء عليهم السـلام ومواقفهم الإيمانية والدعوية!! أم هـي خاتمتهم التي ما فَتَرَ كتبة العهد القديم يسـيئون إلى الأنبيـاء علـيهم السـلام بها ؟

---

1 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 366 .

2 . جرجس، نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 367 .

3 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج1، ص 240 بتصرف.

المبحث الثامن: دعوى أنّ يعقوب عليه السلام وهب ابنه يوسف عليه السلام سهماً زائداً على إخوته:

المطلب الأول: عرض الدعوى

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى:

من الدعاوى التي وردت في العهد القديم، دعوى أنّ يعقوب أعطى يوسف سهماً زائدا عن إخوته. وورد أنّ يعقوب قال ليوسف:(وَأَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ سَهْمًا وَاحِدًا فَوْقَ إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنْ يَدِ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي)(تك: 48 :22).

المطلب الثاني: نقد الدعوى:

هذه الدعوى باطلةٌ ومردودةٌ بحكم عصمة الأنبياء عليهم السلام، فلا يمكن تصديقُها، فالنَّبيّ لا يعطي ابنه النَّبيّ شيئاً زائداً عن إخوانه، لأنه خلاف العدل، والعدل عام لا يختصُّ بشريعة على غيرها. والله تعالى يقول: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) (النحل: 90).

هذا وإنّ دعوى تفضيل يعقوب أو أي نبيّ من الأنبياء عليهم السلام، أحد أبنائه على أخوته في شيء من الأشياء أمرٌ لا يصحُّ، لأنه نقيض العدل والأنبياء معصومون من مثله.والأنبياء عدول حتى في تعاملهم مع عدوهم فلا يظلمونهم، فكيف بأبنائهم؟ وإذا لم يعدل الأنبياء عليهم السلام فلن تجد عادلاً على وجه الأرض. ومن هنا يُعلم سببُ غضب نبينا محمَّد عليه الصلاة والسلام لما قيل له: اعدل فإنّ هذه قسمةٌ ما أريد بها وجهَ الله، فغضب صلى الله عليه وسلم ، وقال للرجل:" ويلك من يعدل إذا لم أعدل"([1]).

قلت: وإنما غضب النَّبيّ عليه الصلاة والسلام هذا الغضب، لأنَّ الرجلَ اتهمه بخلاف العدل، وهو أمر قادحٌ في عصمته عليه الصلاة والسلام.

ومن ناحيةٍ عقلية ينبغي الحكم ببطلان هذه الدعوى لثلاثة أسباب هي: **الأول:** أنّ غنى يوسف عليه السلام ومكانته السياسية والمادية في مصر، كانت كفيلة بعدم احتياجه لسهم أبيه أصلاً.

1 أنظر: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في قول الرجل ويلك،رقم 6163،ج8،ص47. **وصحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم 2505، ج3، ص 112.

الثاني: أنّ النَّبيّ عند الموت يكون أشدُ حرصاً على الوصية بالـدين والتقـوى، ولا يكـترث بـالأمور الماديـة. ولهـذا بـيّن الرازي رحمه اللـه أنّ شفقة الأنبياء عليهم السلام على أبنائهم كانت في بـاب الـدين وهمـتهم مصروفـة إليـه دون غيره([1]) .

الثالث: أنّ هـبة يعقوب سهماً ليوسف دون إخوانه لا عدل فيه، وإنما فيه تمييز واضح بين الأبناء فهـو ظلـم صريـح يؤدي إلى حقد الأبناء وحسدهم لبعضهم. وهذا لا يصدر من نبـي عنـد موتـه، خصوصـاً بعـد المعانـاة التـي لقيهـا يعقوب ويوسف عليهما السلام بسبب كيد أخوتهم له. وعليه فلا يقبل العقل تلك الدعوى.

المبحث التاسع: وصية يعقوب عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم:

المطلب الأول: وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم

المطلب الثاني: نقد وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم

المطلب الثالث: وصية يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم

المطلب الأول: وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم:

فيما يأتي ذكر لوصية يعقوب عليه السلام كما وردت في العهد القديم، ثمّ التحليل:

(وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: «اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. [2]اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِـي يَعْقُـوبَ، وَاصْـغَوْا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ: [3]رَأُوبَيْنُ، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ. [4]فَـائِراً كَـالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّـلُ، لأَنَّـكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيـكَ. حِينَئِـذٍ دَنَّسْـتَهُ. عَـلَى فِـرَاشِي صَـعِدَ. [5]شِـمْعُونُ وَلاَوِي أَخَـوَانِ، آلاَتُ ظُلْـمٍ سُـيُوفُهُمَا. [6]فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَاناً، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْراً. [7]مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ. [8]يَهُـوذَا، إِيَّـاكَ يَحْمَـدُ إِخْوَتُـكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. [9]يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْـوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟ [10]لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. [11]رَابِطاً بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. [12]مُسْوَدُّ الْعَيْنَـيْنِ مِـنَ الْخَمْـرِ، وَمُبْـيَضُّ

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 4 ص 81 – 84 بتصرف .

الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ. [13]زَبُولُونُ، عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُ، وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ، وَجَانِبُهُ عِنْدَ صَيْدُونَ. [14]يَسَّاكَرُ، حِمَارٌ جَسِيمٌ رَابِضٌ بَيْنَ الْحَظَائِرِ. [15]فَرَأَى الْمَحَلَّ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَالأَرْضَ أَنَّهَا نَزِهَةٌ، فَأَحْنَى كَتِفَهُ لِلْحِمْلِ وَصَارَ لِلْجِزْيَةِ عَبْداً. [16]دَانُ، يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. [17]يَكُونُ دَانُ حَيَّةً عَلَى الطَّرِيقِ، أُفْعُواناً عَلَى السَّبِيلِ، يَلْسَعُ عَقِبَيِ الْفَرَسِ فَيَسْقُطُ رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ. [18]لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ.

[19]جَادُ، يَزْحَمُهُ جَيْشٌ، وَلكِنَّهُ يَزْحَمُ مُؤَخَّرَهُ. [20]أَشِيرُ، خُبْزُهُ سَمِينٌ وَهُوَ يُعْطِي لَذَّاتِ مُلُوكٍ. [21]نَفْتَالِي، أَيِّلَةٌ مُسَيَّبَةٌ يُعْطِي أَقْوَالاً حَسَنَةً. [22]يُوسُفُ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ. [23]فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ. [24]وَلكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ، [25]مِنْ إِلهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ، وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ، تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ. بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ. [26]بَرَكَاتُ أَبِيكَ فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبَوَيَّ. إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ. [27]بَنْيَامِينُ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْبًا». [28]جَمِيعُ هؤُلاَءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ. وَهذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ. كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ. [29]وَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي. ادْفِنُونِي عِنْدَ آبَائِي فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ عِفْرُونَ الْحِثِّيِّ. [30]فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ، الَّتِي أَمَامَ مَمْرَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي اشْتَرَاهَا إِبْرَاهِيمُ مَعَ الْحَقْلِ مِنْ عِفْرُونَ الْحِثِّيِّ مُلْكَ قَبْرٍ. [31]هُنَاكَ دَفَنُوا إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ امْرَأَتَهُ. هُنَاكَ دَفَنُوا إِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ امْرَأَتَهُ، وَهُنَاكَ دَفَنْتُ لَيْئَةَ. [32]شِرَاءُ الْحَقْلِ وَالْمَغَارَةِ الَّتِي فِيهِ كَانَ مِنْ بَنِي حِثَّ». [33]وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ.) (تكوين : 49 كاملا).

تحليل: يلاحظ وجود مخالفات في وصية يعقوب عليه السلام ، حيث وردت كاملة في هذا السفر، وهي ليست وصية بمقدار ما هي نبوءات مستقبلية أصلا وهذه المخالفات هي:

- أنها تمثل سوء الخاتمة عند الأنبياء عليهم السلام.
- هذه النبوءات تحقَّق بعضُها وتخلَّف بعضُها.
- فيها عتابٌ لطيفٌ على كبائرَ وجرائم عظيمة.
- فيها مدحٌ وثناء كبيرٌ على ابنه يهوذا الذي زنى بكنته.
- تحوي شهادةً ضمنيةً بتعطيل يعقوب للحدود الإلهية.
- تتضمنُ مخالفة لسنة الله في دفن النَّبيّ حيث يموت.
- استحالة موت يعقوب بعد هذه الكلام مباشرة.
- والأهمُّ والأبرز هو عدم احتواء الوصية على الإيصاء بعبادة الله الواحد الأحد.

المطلب الثاني: نقد وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم:

جرياً على عادة كتبة العهد القديم في الدعوى للأنبياء عند خاتمتهم، وتشويها لحقيقة يعقوب الكريمة وصورته الناصعة حرّف الكتبة وصيتَه زيادةً ونقصاناً، فخرجت متضمنة خللاً كبيراً ومخالفات للشرع والعقل تتمثل بالآتي:

- أنّ ما ورد في النصّ نبوءات مستقبلية نُسِبت إلى يعقوب وليست وصية، لأنّ الوصيَّة عادةً تشتمل على وصايا بصيغة الأمر أو النهي. والأمر بتقوى اللـه والاهتمام بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، سيراً على منهاج يعقوب وأبويه إسحاق وإبراهيم عليهم السلام، وتحذيرهم من الأعمال السيئة. وهذا ما لم يرد في هذه الوصية مطلقاً.

- أنّ هذه النبوءات لم تتحقق كلها، بل حدث خلاف بعضها فيما تحقق بعضها. ومن الممكن لأيِّ إنسان أنْ يتنبأ بأشياء فيقع بعضها ويتخلف بعضها. أما النَّبيّ فدليل صدقه تحققُ كل ما ينبئ به . أما إذا تخلف شيء ولو يسير فليس بنبي وبالضرورة هو كاذب. وقد وردت نبوءات نسبت ليعقوب عليه السلام كقوله: ([10]لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.) على أنّ المراد بالقضيب هو الملك، والمشترع هو الحاكم الذي يضع القوانين فيكون من نسل يهوذا، وهو المراد بقوله من بين رجليه([1]) فهذه نبوءة لم تتحقق كما قال ابن حزم، وقد انقطعت يهوذا المخصرة، وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذي هو رجاؤهم، وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا أكثر من ألف وخمسمائة عام الا مدة يسيرة.([2])

ومما تنبأ به يعقوب قوله:(أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إسرائيل) .وهذه نبوءة مردودة، لأنّ نسل لاوي كان مبدداً في بني إسرائيل كما تنبأ. أما بنو شمعون فكانوا مجتمعين في البلد الذي وقع لهم كسائر الأسباط([3]).

وهكذا ظهر تخلف بعض ما تنبأ به يعقوب . وإذا ثبت صدق النَّبيّ وعدم جواز تخلف نبوءته فقد دلّ على أنّ تلك النبوءات التي تخلفت ليست بكلام نبي ولا يجوز نسبتها لنبي، وإنما كلام الذين حرفوا الكلم عن مواضعه.

أما ما تحقق فيحتمل كونه نبوءة ليعقوب عليه السلام حقاً، أو كلاماً لغيره وافق بعضه صحة الواقع وتخلف بعضه.

- إنّ سكوت يعقوب عليه السلام عن فاحشة الزنا التي اعتدي فيها على سريته بلهة من قبل ابنه يهوذا. سنوات عديدة، ثم عند موته إذا هو يعاتب ابنه الأكبر بكلمات لطيفة هو أمر يستحيل تصديقه من عاقل ولا يرضى به إلا جاهل . فكيف يصدر عن نبيٍّ ؟ حاش لله تعالى . وهذا كله على فرض صحة حادثة الزنا، وقد تقدم إبطالها بحمد اللـه تعالى. وهذا يدل على كذب القصة من أساسها .

---

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 430.

2. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج1، ص245.

3 . ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج1، ص 246.

- كما احتوت هـذه الوصية عتاباً بسيطاً ولعناً لغضب شمعون ولاوي اللذين قتلا أهل بلدة كاملة. فهل يجوز لنبي أنْ يعاتب أولاده مجرد عتاب على قتل وإزهاق أنفس بريئة، قاموا بـه قبـل سـنوات، مـع أنّ القصـة باطلـة، وهـي أقرب إلى الخيال والأساطير منهما إلى الحقّيقة.

- الأنبياء عليهم السلام يخيرون عند الموت:

هذه إحدى خصائص الأنبياء عليهم السلام بخلاف بقية البشر حيث يخير النَّبيّ عند الموت. وما نبي إلا اختار الموت على البقاء في الدنيا. وإذا كان الأنبياء عليهم السلام يخيرون عند الموت فإنه يصدر عنهم كلام أو إشارة، يُفهـم منهـا أنه يخير بين الحياة والموت. وهذا ما ثبت في حق نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . ولـو تـرك كتبـة العهـد القـديم وصية يعقوب على أصلها لبقيت هـناك كلمة ما أو عبارة تدل وتشير الاختيار يعقـوب اللــه تعـالى والـدار الآخـرة على الدنيا الفانية. وهذا ما لم يرد عند موت أي نبي في العهد القديم.

وجملة القول في وصايا الأنبياء عليهم السلام عند الموت هـو أنّ اهتمام النَّبيّ وكل غايته وجل نظره يكون إلى اللـه تعالى والدار الآخرة. وهذا ما أكده القرآن الكريم مظهراً الصورة الحقّيقية والمناسبة لعقيدة الأنبيـاء علـيهم السـلام وهي اهتمامهم بالجانب الديني. وفي المقابل نجد وصية يعقوب في العهد القديم لا وصـية فيهـا بتوحيـد اللــه أو الأمر بتقواه. وهذا فرقٌ عظيم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المطلب الثالث: وصية يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم:

يقول اللـه تعالى: (**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللـهَ اصْـطَفَى لَكُـمُ الـدِّينَ فَـلاَ تَمُـوتُنَّ إَلاَّ وَأَنـتُم مُّسْلِمُونَ {132/2} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْـدِي قَـالُواْ نَعْبُـدُ إِلَهَـكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {133/2}**) (البقـرة: 132-133).وقـد ورد في سبب نزول هـذه الآية أنّ اليهود قالوا للنبيِّ عليه الصلاة والسلام: ألسـت تعلـم أنَّ يعقـوب أوصى بنيـه يـوم مـات باليهودية فنزلت الآية الكريمة.([1])

ونزلت هـذه الآيات تكذيباً لليهود والنصارى، في دعواهم إنّ إبراهيم وولده يعقوب، كانوا على ملتهم. ونُقـل عـن ابن عباس أنّ إبراهيم وصى بنيه بالإسلام ويعقوب وصَّى بنيه بمثل ذلك . وقال الطـبري: وتأويـل الكـلام :" أكنـتم يـا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد حضور يعقوب وشـهوده إذ حضره المـوت، أي إنكـم لم تـحضروا ذلـك، فـلا ترموا على أنبياء اللـه ورسـله الأباطيـل، وتنحلـوهم اليهوديـة والنصرانيـة. فـإني ابتعثـت إبـراهيم وولـده إسـحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصّوا بنيهم وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم".([2])

1 . ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج،ص .

2 . **الطبري، تفسير الطبري**، ج2، 582 – 586 بتصرف.

والحقّ الذي لا مِرْية فيه وهو ما لم يذكر في العهد القديم، أنّ نبي الـلـه يعقوب وصّى بنيه بعبـادة الـلــه الواحـد الأحد، واتباع ملة الإسلام وهي ملة إبراهيم عليه السلام وذكر الرازي رحمه الـلـه هـنا أنّ الـلـه تعـالى لما ذكـر أنّ إبراهيم وصى بنيه وبالغ في وصية بنيه في الدين، ذكر عقيبه أنّ يعقوب وصى بنيه بمثـل ذلـك، تأكيـداً للحجـة عـلى اليهود والنصارى، ومبالغةً في البيان. وخاصة في ذلك الوقت حيث يكـون احتيـاط الإنسـان لدينـه أشـدّ وأتـمّ .كـما استدل رحمه الـلـه من هـذه الآية على أن شفقة الأنبياء عليهم السلام على أبنائهم كانت في بـاب الـدين وهمـتهم مصروفة إليه دون غيره.([1])

وقد جاء يعقوب بصيغة الاستفهام لينظر مقدار ثباتهم على الدين، حتى يطَّلع على خالص طويتهم ليُلقـي إلـيهم ما سيوصيهم به من التذكير([2]).

هـذا وقد أشار القرآن الكريم إلى اهتمام يعقوب عليه السلام وحرصه على عقيدة أبنائه من:

- تكرار الوصية أكثر من مرة، بدليل ورودها بصيغة المبالغة. على أنّ لفظ وصّى أقـوى وآكـد مـن لفـظ أوصى فهـي تفيد معنى التكثير من الشيء وتأكيده([3]).

- ورودها معطوفة على وصية إبراهيم خليل الـلـه، كل هـذا دلّ على أنّ وصية يعقـوب إنمـا كانـت متركـزة حـول الدين وعبادة الـلـه الواحد الأحد.

- التأكيد على نعمة الـلـه عليهم بتخصيصهم بالاصطفاء على غيرهم من شعوب زمانهم من عبدة الأوثان بقوله:(**يَا بَنِيَّ إِنَّ الـلـهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**) فذكرهم بالنعمـة وحـثهم عـلى التمسـك بهـا، ثـم نهاهم عن ترك نعمة ملة الإسلام. بينما تجد وصيته في العهد القديم تتضمن الاعتراف الضـمني بأنـه عطـل حـدود الـلـه، واكتفى بمعاتبة الزاني، وغيره مما لا يناسب المقام حيث حضور الموت فيوصي الإنسان بأخطر وأجلّ أمر، وهو الثبات على دين إبراهيم وملته وهي ملة الإسلام (**فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنـتُم مُّسْـلِمُونَ**)(البقـرة : 132) فشـتّان مـا بـين الحقّ الذي في القرآن الكريم، والباطل الذي في العهد القديم.

المبحث العاشر: يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد أثنى الـلـه تعالى على يعقوب عليه السلام في جملة الأنبياء عليهم السـلام في عـدة مواضـع في القـرآن الكـريم، بالإضافة إلى ثنائه عليه منفرداً، وكان هـذا الثناء ضمنياً أحياناً وصريحاً أحيانـاً أخـرى.وقـد مدحـه ربـه وزكـاه قبـل مولده وعند فاته من خلال وصيته كما تقدم، ومدحه الـلـه كما يظهر في هـذه الآيات الكريمة: (**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَـا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الـلـهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا {49/19} وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَـا وَجَعَلْنَـا لَهُـمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا {50/19}**) (مريم: 49- 50).

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 4 ص 81 – 84 بتصرف .

2. ابن عاشور، **تفسر التحرير والتنوير**،ج1،732 .

3 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 4، ص 80 .والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،، ج 2، ص 408،

والمعنى كما قال الطبري:" رزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل بين الناس. وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو لأنّ جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم"([1]) .

وأيضا قوله تعالى : (**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {45/38} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {46/38} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ {47/38}**) (ص: 45-47) .

والمراد بأولي الأيدي والأبصار العمل الصالح والعلم النافع، والقوة في العبادة والبصيرة النافذة ([2]).كما أنّ اللـه تعالى خصهم بخالصة ذكرى الدار فأطاعوا اللـه وراقبوه، وقد يدخل في وصفهم دعوة غيرهم إلى اللـه والدار الآخرة، فإنّ ذلك من طاعة اللـه والعمل للآخرة([3]).

وقيل: إنّ اللـه أخلصهم بالذكر الحسن في الدنيا ووهب لهم أفضل ما في الآخرة([4]).

ويؤخذ من هذه الآية أنّ هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ما كانوا طلاب شهوة دنيوية ولا طلاب مال، وإنما أفنوا حياتهم خالصة لله تعالى، وإنّ بواطنهم وظواهرهم قد خلصت بالكلية لله تعالى جلّ شأنه. وإذا صح ّأنّ يعقوب عند اللـه تعالى من المصطفين الأخيار، فإنه لن يفعل أبداً فعل الأشرار كما نسب إليه العهد القديم.

وليتَ شعري من أثنى اللـه تعالى على فعلِه بأنه كان قوياً وصاحبَ بصيرةٍ حَقَّةٍ، كيف يَصِحُّ بعد ذلك أنْ يَدّعى أهلُ الكتاب أنه خَدع وغشّ وفرَّط في الحدود الشرعية، أو أنه رضي أنْ يتزوج من امرأة خدعته في نفسها وأنْ يعيش معها سنين طويلة ؟

وقد أثنى اللـه عليه بالعلم والتدبير فقال جل شأنه: (**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {68/12}**) (يوسف: 86). وقد دلّت الآية أنّ يعقوب عمل بما علمه اللـه.([5]).

وقوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {6/12}**) (يوسف : 6).

وإنّ إتمام النعمة الإلهية على آلِ يعقوب يحمل تزكيةً لهم وتبرئةً من كل سوءٍ نُسب إليهم.

وختاماً لهذا الفصل الذي طال فيه الكلام نظراً لكثرة الدعاوى التي نسبها العهد القديم لهذا النَّبيّ الكريم، فإننا نجد أنّ آيات القرآن الكريم حملت تزكيةً صريحةً، في عدة مواضع ليعقوب عليه السلام وآل بيته. كما حملت البشارة الإلهية لسارة وإبراهيم به قبل مولده، وثناء على صفاته الكريمة. ومدح أثناء حياته بصفات الصدق والقوة والاجتهاد في الطاعة وقوة الفكر والنظر وأنه ذو علم. والحمد لله ربّ العالمين. وهكذا يظهر الفرق جلياً بين القرآن الكريم الذي أثنى على يعقوب وآله وزكَّاهم، وبين العهد القديم الذي وصف يعقوب عليه السلام وآله بالفواحش وبالغ في إيذائه وآله، وهو الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

---

1 . **تفسير الطبري**، ج 15، 557.

2 . **تفسير ابن كثير**، ج4، ص 44.

3 . **تفسير الطبري**، ج20، ص 119 بتصرف يسير.

4 . **المحرر الوجيز**، ج 4، 509 بتصرف يسير.

5 . **تفسير التحرير والتنوير**، ج 13، ص 25.

الفصل الثاني: يوسف عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد

- المبحث الأول: دعوى أنّ يوسف عليه السلام حلف بحياة فرعون.

- المبحث الثاني: قصة يوسف عليه السلام والمرأة بين والعهد القديم والقرآن الكريم.

- المبحث الثالث: دعوى وصية يوسف عليه السلام أنْ تنقل عظامه بعد موته إلى كنعان.

تمهيد:

لقد آذى بنو إسرائيل الأنبياء عليهم السلام أذىً كثيراً. ولم يقصر كتبة العهد القديم في رمي الانبياء عليهم السلام بالفواحش التي يستحي آحاد الناس من فعلها. ونسبوا لهم الدعاوى التي طعنت في دينهم وأخلاقهم، إلا أنني لاحظت خلاف هذا الامر فيما يتعلق بنبي الله يوسف عليه السلام ؛ حيث لم ينسبوا إليه أيّة فاحشة، بالرغم من توفر خيوطها من خلال مراودة امرأة الملك له.وإنْ كانوا قد نسبوا لإيه بعض الامور التي لا تليق لكنها لا تقى إلى ما نسيوه لإخوانه الأنبياء عليهم السلام. وبالمقابل فقد وجد في كتب التفسير عند بعض المسلمين ما يسيء إلى هذا النبي الكريم عليه السلام ، ولكنَّ علماء الإسلام أوضحوا الحقّ وكشفوا الشبهة.

وقبل كل هذا وذاك يبقى القرآن الكريم البرهان الساطع على براءة يوسف عليه السلام ؛ حيث زكَّاه ربُّه الذي أرسله وأثنى على دينه وأخلاقه، كما اثنى على إخوانه الأنبياء والمرسلين.

المبحث الأول: دعوى أنّ يوسف عليه السلام حلف بحياة فرعون(1):

المطلب الأول: عرض الدعوى

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى:

وردت هذه الدعوى مكررة مرتين وهذا هو نصُّها:

([14]فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «ذلِكَ مَا كَلَّمْتُكُمْ بِهِ قَائِلاً: جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! [15]بِهذَا تُمْتَحَنُونَ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ لاَ تَخْرُجُونَ مِنْ هنَا إِلاَّ بِمَجِيءِ أَخِيكُمُ الصَّغِيرِ إِلَى هنَا. [16]أَرْسِلُوا مِنْكُمْ وَاحِداً لِيَجِيءَ بِأَخِيكُمْ، وَأَنْتُمْ تُحْبَسُونَ، فَيُمْتَحَنَ كَلاَمُكُمْ هلْ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَجَوَاسِيسُ!». [17]فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ.)(تك: 42 : 14-17).

---

1 . **فرعون**: كلمة مصرية معناها البيت الكبير. وهو لقب لملوك مصر يقرن أحياناً الملك الخاص. ومن الفراعنة المذكورين في الكتاب المقدس عدد من بينهم فراعنة إبراهيم ويوسف والتسخير والخروج وهم غير معروفين بالضبط. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 676 .

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

هـذه الدعوى مردودة بالعهد القديم والقرآن الكريم، والبداية مع العهد القديم:

أولاً: ثبت في العهد القديم أنّ يوسف لم يكن معظماً فرعون، وحَلْفُ يوسفُ عليه السلام بحياة فرعون يخالف ما ورد في العهد القديم ذاته، حيث لا نجد إلاّ تعظيم يوسف لله تعالى، واعترافاً بجميل اللـه ونعمته عليه من أولِّ مرة تكلم فيها مع فرعون بعد خروجه من السجن عندما أراد أنْ يسأله عن حُلمه فردَّ يوسفُ العلم إلى اللـه تعالى، كما في هـذا النصِّ:

[15]فَقَال فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ:حَلُمْتُ حُلْماً وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَماً لِتُعَبِّرَهَا».فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ:«لَيْسَ لِي. اللـهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ»(تك: 41: 14-16) ومعنى كلام يوسف عليه السلام أنّ اللـه هـو الذي يجعل الحلم خيراً لفرعون وحياته([1]).

وموقفٌ آخر يظهر من خلاله تعظيم نبي اللـه يوسف عليه السلام لله الواحد وردّ النعمة كل النعمة له وحده، والفضل له سبحانه، دون ذكر لفرعون أو إسناد أي فضل له، بل أسند الفضل كله لله تعالى. وهـذه شواهد من العهد القديم على كلام يوسف أمام إخوته يظهر فيها تعظيمه فقط لله الذي أنعم عليه واجتباه نبياً:

(فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللـهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. [8]فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هـنَا بَلِ اللـهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّداً لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطاً عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [9]أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هـكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللـهُ سَيِّداً لِكُلِّ مِصْرَ)(تك: 45: 7- 9).

وإذا كان إخوة يوسف وهم أقل منه بدرجات كثيرة ما أقسموا إلا باللـه. وقد اقسموا أربع مرات على ما ورد في سورة يوسف باللـه سبحانه، وهو نبيٌّ وهم ليسوا بأنبياء فكيف يقسم نبيٌّ بغير اللـه وهـو يسمعهم يقسمون باللـه تعالى؟([2]).

فهذه الشواهد من العهد القديم ذاته تكذب دعوى حلف يوسف بحياة فرعون، وتثبت تعظيمه وتقديسه لله الواحد الأحد، وبالتالي فإنّ حلف النَّبيّ لا يكون إلا باللـه تعالى.

1 . نجيب جرجس، **تفسير سفر التكوين**، ص 378 .

2 . الشيخ خليل سليمان، **الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة قصة يوسف**، ، ط 1، 1999، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان. ص 137.

ثانياً: معلوم أنّ الحلف لا يكون إلا بما هـو عظيم ومقدس في نفس الحالف، ومعلـوم أنّ فرعـون كـان كـافراً. وإذا كان الأنبياء عليهم السلام أعلم الخلق بعظمة الـلـه وجلاله فكيف يحلف نبي الـلـه بكافر ؟ وقد ثبت في السنة أنّ من حلف بغير الـلـه فقد كفر أو أشرك([1])، لأنَّ الحلف قضية خطيرة تندرج تحت المسائل العقديـة. كـما أنّ النَّبـيّ الذي أرسله الـلـه تعالى ليدعو إلى التوحيد لا يمكن أنْ يقسم الأيمان بحياة أشخاص، لا سيما إذا كانوا ملوكاً يـدَّعون الألوهية أوأنصافها([2]).

المبحث الثالث: قصة يوسف عليه السلام والمرأة بين القرآن الكريم والعهد القديم

تمهيد:

المطلب الأول: عرض قصة يوسف عليه السلام والمرأة في العهد القديم.

المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام والمرأة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مقارنة.

المطلب الأول: قصة يوسف عليه السلام والمرأة في العهد القديم :

هذا هـو النَّصُّ الكامل للقصة كما ردت في العهد القديم:

(وَحَدَثَ بَعْدَ هـذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجعْ مَعِـي». [8]فَـأَبَى وَقَـالَ لامْـرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَـدِي. [9]لَـيْسَ هـوَ فِي هــذَا الْبَيْـتِ أَعْظَـمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْـفَ أَصْـنَعُ هــذَا الشَّرَّ الْعَظِـيمَ وَأُخْطِـئُ إِلَى الـلــهِ؟». [10]وَكَـانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا.

ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هـذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْـتَ لِيَعْمَـلَ عَمَلَـهُ، وَلَـمْ يَكُـنْ إِنْسَـانٌ مِـنْ أَهْـلِ الْبَيْـتِ هــنَاكَ فِي الْبَيْـتِ. [12]فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجعْ مَعِي!». فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَـرَجَ إِلَى خَـارِجٍ. [13]وَكَـانَ لَـمَّا رَأَتْ أَنَّـهُ تَـرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، [14]أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا!

---

1 . رواه البزار، وانظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بـيروت، ط2، 1993، رقـم 4358، ج 10، ص 199 .

2 .الباش، حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان** ؟ ج 1، ص 205 .

دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. [15]وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ». فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. [17]فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. [18]وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ».

[19]فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ. [20]فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ.)(تك : 39 : 7 – 20).

المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام والمرأة في القرآن الكريم:

في السطور الآتية إزالةٌ للغبش الذي حجب نور الحقّ عن بعض العيون. والبداية من نور القرآن الذي فصّل هذه القضية وحوى الحقّ والردّ على الباطل، إذ يقول جلَّ شأنه:

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {22/12} وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللـهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {23/12} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ {24/12} وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25/12} قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26/12} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27/12} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28/12} يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ {29/12} وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {30/12} فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ {31/12} قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ {32/12} قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ {33/12} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {34/12} ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ {35/12}) (يوسف: 22- 35).

اتفقت آراء المفسرين في أنّ معنى الهمّ الوارد في الآية في حق امرأة العزيز هو الهمّ بالفاحشة، بدليل أنها هي التي راودته واحتاطت لذلك حيث غلّقت الأبواب. ويدل عليه اعترافها وشهادة الشاهد من أهلها وموقفها إمام النسوة.

واختلفوا في المراد بالهمّ في حق يوسف عليه السلام ، فذهب المحققون من المتكلمين والعلماء إلى أنه بريءٌ من الهمّ المحرم، لأن أيّ إنسان عاش في كنف إنسانٍ وتربّى في حجره فإنه يستنكف من نسبة هذا الفعل إليه، فكيف يجوز إسنادها إلى نبيٍّ الله يوسف عليه السلام ([1]). وقال ابن حزم: "ومن الباطل الممتنع أنْ يظنّ ظانٌّ أنّ يوسف عليه السلام همّ بالزنا" ([2]).

وذكر بعض العلماء أنّ همّ يوسف عليه السلام كان أمراً نفسياً خارجاً عن إرادته، وشبهوه بميل الصائم إلى الماء البارد في اليوم الحارّ نفسه تطلبه بحكم الغريزة غيرالإرادية بينما الصائم لله يدافع ذلك الهمّ النفسي. ومعلومٌ أنه لا مؤاخذة في هذا النوع من الهمّ ولا يُعدُّ من الذنوب أصلاً. وقالوا إنّ يوسف عليه السلام مال إلى المرأة بمقتضى الطبيعة البشرية، ولكن هذا الميل بقي خاطراً لم ينتقل به يوسف عليه السلام إلى الهمّ والعزم، لأنه رأى برهان ربِّه تبارك وتعالى([3]).وهي أقوال شنيعة تصف إقدام يوسف عليه السلام على فعل مقدمات الفاحشة.وقد نسبوها لابن عباس، وإنني أنزّهُ ابن عباس أنْ يعتقد مثلها. وخلاصة هذه الروايات أنَّ يوسف عليه السلام حلّ سراويله وقعد بين رجلي المرأة التي استلقت له([4])، إلى غير ذلك مما هو مخالف للعصمة ومناقض لبراءة يوسف عليه السلام التي ثبتت في القرآن الكريم بفضل الله عليه وبشهادة المراة نفسها والشاهد.

أدلة براءة يوسف عليه السلام :

أولاً- قوله تعالى: (**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ {24/12}**)(يوسف: 24).

والآية السابقة تشبه في عدم تحقق هذا الهمّ قوله تعالى: (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {10/28}**) (القصص: 10).

فكما أنّ أمّ موسى عليه السلام لم تُبد بخبر موسى عليه السلام لأنَّ الله تعالى ربط على قلبها، فكذلك فإنّ يوسف عليه السلام لم يهمّ بالمرأة لانّ الله أراه البرهان([5]).

ووجَّه ابن عاشور الدليل لغوياً فقال: " تقدير الكلام في الآية: ولولا أنه رأى برهان ربه لهمّ بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به. ولم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب لولا بها لأنه ليس لازماً. لذلك يحسن الوقف على قوله:(ولقد همّت به) ليظهر معنى الابتداء بجملة وهم بها واضحاً. وبذلك يظهر أنّ يوسف عليه السلام لم يخالطه همّ بامرأة العزيز لأنّ الله تعالى عصمه من الهمّ بالمعصية بما أراه من البرهان([6]).

---

1 . **تفسير الرازي**، ج 117 – 119 .

2 . **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، ج4، ص 29.

3 . **وتنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، ص 78، **وروح المعاني للألوسي**، ج 12، ص 213. **والقول السديد في علم التوحيد**، للشيخ محمود أبو دقيقة ج 2، ص 186.

4 . أنظر مثلاً ما نقله الطبري في تفسيره ج 16، ص 34- 37.

5 . لعلّ أبو حيان الأندلسي أول من قال بهذا الدليل، في **تفسير البحر المحيط**، ج 5، ص 295.

6 . **تفسير التحرير والتنوير**، ج 12، ص 253.

ثانياً: أنّ القصة سيقت أبتداءً للثناء على يوسف ومدحه، فلو اشتملت على همّه بالفاحشة لكان ذلك قدحاً بصفاته فيكون مما لا يليق، لأنه خلاف ما سيقت لأجله الآيات، واللـه تعالى منزَّهٌ عما لا يليق. ومن ذلك أنه استعاذ باللـه فأعاذه ومن هـذه الشواهد الآتية: قوله تعالى : (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**) فاللـه تعالى صرف عن يوسف عليه السلام السوء، وهو الهمّ المحرّم والعزم عليه لأنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من العزم على الزنا([1]).

وأرى أنَّ قوله تعالى: (لنصرفَ عنه السوء) يحملُ تبرئةً ليوسف عليه السلام ،بأنَّ السوء قَدِمَ إليه عن طريق المرأة، بخلاف ما لو كان التعبير لنصرفه عن السوء. واللـه أعلم.

ثالثا: قوله تعالى: (**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**) ويوسف عليه السلام صادق لم يذكر أنه همَّ بها بسوء.

رابعاً: شهادة الشاهد من أهل المرأة:(**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26/12} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27/12}**).

خامساً: إقرار العزيز زوج المرأة ببراءة يوسف عليه السلام ، وأنّ القضية من كيد امرأته، يفهم هـذا من قوله بعد أنْ شهد الشاهد: (**قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**).

سادساً: اعتراف امرأة العزيز:(**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ**). يُضاف لكلّ ما تقدم:

دليل العصمة: اتفق المحققون من المفسرين والعلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام من العزم على الزنا([2]). فيوسف لم يهمّ ولم يعزم على الفاحشة.

وبهذه الشواهد من القرآن الكريم، واللغة،وعصمة الأنبياء عليهم السلام كما اتفق عليها المحققون من العلماء يظهر براءة يوسف مما نسب إليه، ويطمئن المسلم بأنه لم يكن من نبيِّ اللـه يوسف عليه السلام همّ سوء بهذه المرأة.

المطلب الثالث: مقارنة:

فيما يأتي أبرز ما تميزت به القصة في القرآن الكريم عنها في العهد القديم:

1- في القرآن الكريم إضافة مهمة، تتمثل بوجود الشاهد من أهلها الذي شهد ببراءة يوسف وخطيئة المرأة، بينما لا ذكر للشاهد في العهد القديم.

3 – تفرد القرآن الكريم بذكر العناية الإلهية بيوسف وعصمته من السوء والفحشاء، أي من الفاحشة ومقدماتها من الهمّ وغيره. وهذا يظهر في قوله تعالى: (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ {24/12}**) .

1 . **تفسير زاد المسير**، ج 4، ص 205 .

2 . كالرازي وابن الجوزي وأبو حيان الأندلسي كما تقدم، والتفتازاني في **شرح المقاصد**، ج3، ص 313 .

4- تفرد القرآن الكريم بذكر البرهان الذي أظهره اللـه تعالى ليوسف. بينما لا ذكر لهذه البرهان في العهد القـديم: (**لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء**) .

5- الاختلاف في الثوب وهو دليل البراءة؛ إذ ظهر في القرآن أنّ المرأة شقت قميصه أثناء هـروبه منها بينما في العهد القديم وضعت المرأة ثوب يوسف بجانبها .

6- تفرَّد القرآن الكريم بذكر قصة سماع نسوة في المدينة لحادثة المراودة، وقصة جمع امرأة العزيز النسوة وتقطيع أيديهن بالسكاكين لما رأين جمال يوسف. وتبجحها بإصرارها على طلـب الفاحشـة أمـام النسـاء، والتهديـد بسـجنه وإذلاله إنْ أبى ذلك، بينما لا يوجد شيء من هـذه الحادثة في العهد القديم وهي تـدل عـلى صـدق يوسـف وصـبره أمام الإغراء والتهديد معا. كما تظهر دعائه لربه بصرف كيد النساء عنه والعناية به. واللـه تعالى أعلم.

المبحث الرابع: دعوى وصية يوسف عليه السلام أنْ تنقل عظامه بعد موته إلى كنعان:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض والدعوى وتحليلها:

وَرَدَ في العهد القديم أنَّ يوسف عليه السلام أمر إخوته أنْ يأخذوا عظامه ويدفنوها في كنعـان. وهـذا هــو نـصّ الوصية :(وَقَال يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا أَمُوتُ، وَلكِـنَّ اللــهَ سَـيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْـعِدُكُمْ مِـنْ هــذِهِ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ التِـي حَلَفَ لإبراهيم وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ» [25]وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إسرائيل قَائِلاً: «اللـهُ سَـيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْـعِدُونَ عِظَـامِي مِنْ هـنَا». [26]ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ.)(تك:50: 24- 26).

وقد ورد في سفر الخروج أنّ موسى عليه السلام لما خرج من مصر أخذ عظـام يوسـف معـه، وذلـك تنفيـذاً لوصـية يوسف عليه السلام لإخوته قبل موته، وهذا هـو النصُّ على ذلك:

(وَأَخَذَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَحْلَفَ بَنِي إسرائيل بِحَلْفٍ قَائِلاً: «إِنَّ اللـهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْـعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هـنَا مَعَكُمْ»)(خر: 13: 19)

ولأنّ موسى عليه السلام توفي ولم يدخل أرض كنعان، فقد قام بنو إسرائيل بـدفن عظـام يوسـف عليـه السـلام في قطعة أرض كان يعقوب عليه السلام قد اشتراها من بني حمور وهذا هـو النصّ:

(وَعِظَامُ يُوسُفَ التِي أَصْعَدَهَا بَنُو إسرائيل مِنْ مِصْرَ دَفَنُوهَا فِي شَكِيمَ، فِي قِطْعَةِ الحقّلِ التِي اشْتَرَاهَا يَعْقُوبُ مِنْ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ)(يشوع : 24 : 32)

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

ذكر العديد من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً خبر نقل عظام يوسف عليه السلام ودفنه عند آبائه وأنهم قد حنطوه ووضعوه في تابوت. وتنفيذ موسى عليه السلام لهذه الوصية عند خروجه ببني إسرائيل من مصر .وقد ذكر هذا ابن كثير في قصصه([1]) . وذكر الشيخ الصابوني وغيره أنّ رفات يوسف عليه السلام قد نقلت إلى الشّام أيام موسى عليه السلام ودفن بنابلس على الأرجح([2]).

وقد استند بعض الباحثين إلى قصة موسى مع العجوز وبعضهم اكتفى بالرواية التي في العهد القديم.

رأيي: أما بالنسبة لدعوى تحنيط يوسف عليه السلام فقد تقدم نقد دعوى تحنيط يعقوب عليه السلام فهذه مردودة بمثل تلك. وأما بالنسبة لنقل عظام يوسف عليه السلام وكما عبَّر عنها الشيخ الصابوني ب:

(رفات) فهي دعوى متناقضة مع ما تقدم من تحنيط يوسف عليه السلام ؛ إذ لو كان جرى تحنيطٌ لجسد يوسف عليه السلام لحُفظ جسمُه، وما صار عظاماً أو رفاتاً **فهذا عقلاً**. يُضاف إليه أنَّ موسى عليه السلام هرب ببني إسرائيل وتجاوز البحر الأحمر فكيف يصحُّ أنْ يرجع إلى النيل ويستخرج عظام يوسف عليه السلام من هناك كما في الرواية ؟ والعدوُّ متربص به يريد أنْ ينتقم لمقتل فرعون.

أما شرعاً وهو الآكد عند المسلمين فهو أنّ اللـه تعالى حرَّم على الأرض أنْ تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام. فأجسام الأنبياء عليهم السلام محفوظةٌ لا تتغير ولا تصير عظاماً. فكيف يقال إنّ موسى عليه السلام نقل عظام يوسف عليه السلام ؟

وعليه فإنّ الأولى شرعاً وعقلاً عدم تصديق ما ورد في العهد القديم، خاصة وأنّ اليهود يجعلون ذلك عقيدة فينقلون تقليداً ليعقوب ويوسف عليهما السلام جثث شخصياتهم من أماكن بعيدة لتدفن في أرض فلسطين أرض الموعد بحسب اعتقادهم. واللـه تعالى أعلم وأحكم.

أثر الدعوى: نقل اليهود موتاهم إلى فلسطين.

يُلاحظ اهتمامُ اليهود بمسألة نقل موتاهم إلى فلسطين تقليداً لأنبيائهم، فيعقوب عليه السلام طلب نقله ودفنه في تلك المغارة التي دفن فيها إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة. وكذلك استحلف يوسف عليه السلام من حضر موته أنْ ينقلوا عظامه إلى ذات المكان. وموسى عليه السلام نقل عظام يوسف عليه السلام وكلها دعاوى تقدم إبطالها.

---

1 . ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص 239.

2 . الصابوني، **النبوة والأنبياء**، ص 271. مرجع سابق. وانظر : رسالة **موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، دراسة سابقة ص 185، ورسالة **موسى وهارون في الأسفار الخمسة**، للباحث عبداللـه عمر بارشيد، ص 126 – 128، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1426ه ..

ونقلت جثة الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون إلى طبرية ودفنت هـناك بعد موته([1]). إلا أنّ وجودهـا في العهـد القديم كان له أثر ولا زال. وبناءً على هـذا يلاحظ أنّ كثيراً من أثرياء اليهود في العالم يشـترون قطـع أراض ليُـدفنوا فيها.([2])

1 . أنظر: هـامش المقدمة الفقرة الأولى من مقدمة د. حسن آتاي، محقق كتاب **دلالة الحائرين**، مكتبة الثقافة الدينية.

2 . السعدي، غازي السعدي، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ص 48، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحـاث الفلسـطينية، ط 1، 1994. عمّان.الاردن.

الفصل الثالث: موسى عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد

- المبحث الأول: اتهام موسى عليه السلام بالقتل العمد في العهد القديم

- المبحث الثاني: دعوى خيانة موسى وهارون عليهما السلام الـلـه تعالى بعدم إبلاغهما الوحي الإلهي

- المبحث الثالث: دعوى قيام موسى عليه السلام بحرب إبادة.

- المبحث الرابع: صفات موسى عليه السلام بين القرآن الكريم والعهد القديم

تمهيد:

على الرغم منْ أنّ موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل، وهو الذي أنزلت عليه التوراة، وعلى يده أخرج الله بني إسرائيل من الذلة إلى العزة، إلا أنهم آذوه أشد الإيذاء بل ونسبوا إليه ما منعوه عن بقية الأنبياء عليهم السلام وهو الخيانة في تبليغ الوحي إضافةً إلى القتل العمد. وفيما يأتي أبرز الدعاوى التي وقفت عليها في العهد القديم بحق كليم الله موسى عليه السلام :

المبحث الأول: اتهام موسى عليه السلام بالقتل العمد في العهد القديم

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الثالث: براءة موسى عليه السلام في القرآن الكريم من القتل العمد

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت في العهد القديم إساءة صريحة لموسى عليه السلام ،وهي أنه قتل رجلاً مصرياً عمداً، وليس هذا فحسب بل إنه زعموا أنه أخفى جثته بعد قتله كما جاء في سفر الخروج:

(وحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إلى إخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيّاً مِنْ إِخْوَتِهِ، [12]فَالتَفَتَ إلى هنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ المِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. [13]ثُمَّ خَرَجَ فِي اليَوْمِ الثَّانِي وَإِذا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَال لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» [14]فَقَال: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيساً وَقَاضِياً عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ المِصْرِيَّ؟». فَخَافَ مُوسَى وَقَال: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ». [15]فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ البِئْرِ.)(خر :2: 11 – 15).

تحليل النص:

يظهر من خلال النص السابق أنّ موسى عليه السلام ارتكب عدة مخالفات وهي:

1- أنه قتل المصري عن قصد وتصميم لا عن طريق الخطأ.

2- أنه اتخذ احتياطاً قبلياً وبعدياً لإخفاء جريمته. فالاحتياط القبلي هـو أنه التفت ونظـر حولـه، ليتأكـد مـن خلـو المكان حتى لا يكون هـناك إنسان يراه فيكشف جريمته. والاحتياط البعدي قيامه بإخفـاء جثـة المصري بعـد قتلـه حيث طمرها في الرمل.

3- لا يظهر في النص ندمُ موسى عليه السلام أو توبة على القتل العمد الذي قام به.

4- أنّ هـذا القتل كان بغير حق. فضربُ رجلٍ عبراني لا يستأهل الضارب القتل لأجله.

رأي القس د. منيس عبد النور:

يرى هـذا القس أنّ موسى قتل المصري لأنْ عصبيته لجنسه كانت أقوى من حكمته. ثم يخطِّئُه في ذلك ويُلقي عليه تهمة القتل العمد ويقول:" كان على موسى أنْ لا يحذو حذو قابيل فيقتل رجلاً. وقيل إنّ موسى قتل المصري أملاً في أنْ يدرك إخوته أنّ الـلـه سينقذهم به".([1])

المطلب الثالث: نقض الدعوى.

يظهر مما تقدم أنّ العهد القديم يتهم نبي الـلـه موسى عليه السلام بالقتل العمد الذي احتاط فاعله ألاّ يُكشـف أمره عند القتل، كما احتاط أنْ يُخفى جثة المقتول، وهي جريمةٌ إضافية لا تقل بشاعة عن القتل ذاته.

الرد: هـاتان تهمتان باطلتان؛ إذ ثبت في للقرآن الكريم عكـس هــذا تمامـا كـما يتضـح بالأدلـة، وفـيما يـأتي تفنيـد ذلك:

أولا : بطلان دعوى قتل موسى عليه السلام المصري عمداً:

لا شكَّ أنّ القول بالقتل العمد من أي نبي قبل البعثة أو بعدها مخالف للعصمة، لأنّ القتـل مـن أعظـم الكبـائر والذنوب عند الـلـه تعالى، لأنه إزهاق للنفس البشرية. وهو منفر من اتباع النَّبيّ بعد بعثتـه. ومـع أنّ الرجـل كـان كافراً إلا أنّ موسى عليه السلام لم يضربه لأسباب دينية أو دفاعاً عن نفسه أو بأمر من الـلـه تعالى، فهو لم يكن قـد أوحيَ إليه بعد . وإنما ضربه لغضْبَةٍ غضِبَها لأجل ابن جلدته وهذا يوافق كلام القس د.منيس، إلا أننا لا نوافقه على بقية كلامه فقابيل قتل أخاه عمداً بينما موسى عليه السلام قتل المصري خطأً.

ويُقال لهذا القسِّ: كيف ترضى أنْ تشبِّه النَّبيّ موسى عليه السلام كلـيم الـلــه - الـذي جعلـت أعظـم خصائصـه تكليم الـلـه إياه عنواناً لكتابك - برجلٍ قتل متعمداً وعن سابق إصرار أخاه ابن أمـه وأبيـه في أول جريمـة يرتكبهـا إنسان بحق إنسان، في وقت كان البشر معدودين ربما لا يتجاوزون أصابع اليدين؟ إنه لمـن أبشـع الظلـم أنْ يشـبه موسى عليه السلام الذي قتل إنساناً عن غير قصد بقابيل الذي باء بقتل أخيه بإثم ملايين البشر الـذين قتلـوا بغـير حق حتى يومنا هـذا.

---

1 . القس د . منيس عبد النور، **موسى كليم الـلـه**، مرجع سابق، ص 11 .

2- ومن العهد القديم يمكن الاستئناس بنص ينطبق على موسى عليه السلام في قتل الخطأ، وهو أنّ اللـه تعالى أعانه على الخروج من مصر، ويسّر له الهرب من أعدائه الذين تآمروا لقتله، وقد ورد في العهد القديم ما يلي:

(12مَنْ ضَرَبَ إنسانا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلاً. 13وَلكِنَّ الذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ، بَلْ أَوْقَعَ اللـهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرُبُ إليه.)(خر: 21 : 12 – 13).

ففي هذا النص دلالة على براءة موسى عليه السلام من القتل العمد، لأن اللـه أعانه على الهرب.

كما أنّ الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام كالغضب والخوف والحزن لا تنافي العصمة، ولا تقدح في النبوة،لأنها عوارض بشرية تصيب الجنس البشري أيا كانوا أنبياء ومرسلين أو أولياء ومقربين أو عصاة متمردين. وهذه العوارض لا تنفك عن الجبلة الإنسانية، كما أنها لا تصَّنفُ من الذنوب بحقِّ الأنبياء عليهم السلام، وإنما تبقى في دائرة خلاف الأولى([1]).

ثانيا: بطلان دعوى طمر موسى عليه السلام للمقتول في الرمل:

ورد في رواية العهد القديم أنّ موسى عليه السلام طمر المصري في الرمل بعد قتله. وهذه دعوى باطلة شرعاً وعقلاً بدليل:

1- أنّ هذا فعل لا يقوم به إلا قليلو المروءة وأصحاب النفوس الخسيسة، والأنبياء منزهون عن ذلك قبل النبوة وبعدها. نعم قد يقتل النَّبيّ قبل النبوة خطأ لكنه لا يخفي القتل، ولا يدفن المقتول في الرمل ولا يحيل القتل إلى غيره.

2- **أنّ ما يدل عقلاً** على كذب هذه الدعوى ثلاثة أمور مستفادة من الآيات القرآنية المباركة. وهذه الأمور تتضح كما يأتي:

الأول: أنَّ الرجلَ الإسرائيليّ الذي كشف أمر موسى عليه السلام في اليوم التالي – بسبب ظنه أنّ موسى عليه السلام سيضربه – لم يكشف هذه الأمر. ولو كان موسى عليه السلام طَمَرَ المقتولَ لأفصح عنه الإسرائيلي لأنه كان على الأغلب في حالةِ غضب وخوف فكشف الحقّيقة، وهي قتلُ موسى عليه السلام للمصري، ثم سكت لعدم وجود أي شيء آخر حدث بعد القتل، لا طمر للمقتول ولا غيره.

الثاني: أنّ فرعون لمَّا جاء موسى عليه السلام يدعوه للإيمان بعد عودته من مدين عاتبه على القتل وهي التي قال عنها: (**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {19/26}**) (الشعراء: 19). أي قتلت المصري وكفرت نعمتي عليك إذ ربيتك وأكرمتك ثم قتلت رجلاً من اتباعي . ولو كان موسى عليه السلام طَمَرَ الرجلَ بعد قتله لعاتبه فرعون على ذلك، وما سكت وما اكتفى بعتابه على القتل فقط. فدلّ قوله: (وفعلت فعلتك) على القتل وحده، ولو صدر من موسى عليه السلام فعلٌ آخر لقال فرعون: فعلتيك أو غير ذلك ولم يقل فعلتك. واللـه أعلم.

1 . أنظر : **الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم**، ،:رسالة ماجستير للباحث :إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى. مرجع سابق، ص 30 – 31.

الثالث: أنّ موسى عليه السلام اعتذر إلى اللـه تعالى لما أمره بالذهاب إلى فرعون وزمرته بقوله :

(قال رب إني قتلت منهم نفساً) ولم يقل قتلت نفسا وطمرتها في الرمل، ولم يُشر لذلك أبداً، ولـو كـان صـدر منـه ذلك لاعتذر إلى اللـه به وما سكت. ومراجعة موسى لربه تبارك وتعالى ثابتة في أكثر من موضع.

توبة موسى عليه السلام وندمه على القتل الخطأ:

يلاحظ أنّ العهد القديم لا يذكر توبة ولا ندماً لموسى عليه السلام على هـذا القتل الذي يعدونه عمداً، بينما يـراه أهل الإسلام أنه كان خطأ وانه كان قبل البعثة([1]). لكن بالنظر إلى شدة الأمر حيث تسبّبَّ بإزهاق نفس بغـير حـق ولشدة وقعه على موسى عليه السلام ونظراً لأخـلاق النّبـيّ قبـل البعثـة فقـد عَـدَّ فعلـه شـيئاً عظـيماً، فـأكثر مـن الاستغفار وعاهد اللـه أنْ لا يُعين مجرماً أبداً كما أكدت الآيات ذلك:(**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {16/28} قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ**)(القصص :16- 17).

أما اعتراف موسى عليه السلام أمام فرعون بالقتل بعد عودته مـن مـدين بقولـه :(فعلتهـا إذاً وأنـا مـن الضـآلين) فلعله أراد التخلُّص من تركيز فرعون على هـذه المسألة، ليحوِّل التركيز لما هـو أجلّ وأخطر من هـذا الأمـر، إذ إنـه أتى ليدعوه إلى عبادة اللـه وحده، ولمثل ذلك ترك فرعون مسألة القتل لأنه سـمع كلامـاً خطـيراً، يُـدعى إليـه لأول مرة. وهذا هـو تفسير الموقف وحقيقته، لا أنه اعترافٌ بالقتل، واللـه أعلم.

المطلب الثالث: براءة موسى عليه السلام في القرآن الكريم من القتل العمد:

وردت قصة قتل موسى عليه السلام للمصري في القرآن الكريم، لكن مع اختلافات جوهرية عنها في العهد القديم. وفيما يلي نصّ القصة كما وردت مفصلة في سورة القصص:(**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {14/28} وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ {15/28} قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {16/28} قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ {17/28} فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ {18/28} فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ {19/28}وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ {20/28} فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {21/28}**) (القصص:14-21).

1 . أنظر مثلاً: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج3، ص 313.

تحليل النصّ القرآني:

يظهر من النص القرآني السابق أنّ موسى عليه السلام لم يُرد قتل المصري ولا كان هـذا في قصده، للأدلة الآتية:

1- أنه لم يحتطْ ولم يلتفت ليرى أحداً يراه أم لا.

2- أنه لم يُخف جثة المقتول في الرمل أو في أي مكان.

3- أنه نسب القتل إلى عمل الشيطان - وهذا راجع والله أعلم – إلى دافع الغضب الذي أصاب موسى عليه السلام لما رأى المصري يضرب الإسرائيلي وبطريقة مهينة مُذلة على الأغلب، فغضب موسى عليه السلام لذلك فدفعه غضبه لوكز المصري مما أدى إلى موته.

معنى الوكز في الآية يبين طبيعة الضربة :

إنّ التعبير القرآني الدقيق جاء بلفظ الوكز، والوكز له معنيان عند أهل التفسير([1]):

المعنى الأول: الضرب بالأصابع أو بجمع الكف وهو رأي الأكثرين.

المعنى الثاني: الضرب بالعصا، وهو قول ضعيف ذكر عن قتادة. وسيأتي رده لاحقاً.

أما الضرب بالأصابع أو بالكف فهو ضربُ من لا يريد القتل والإماتة، ولو أراده موسى عليه السلام لضربه بشي حادٍّ أو بحجر أو عدة ضربات على مناطق قاتلة كالرأس مثلاً، لكن شيئاً من هـذا لم يكن.

أمّا من قال بأنّ الوكز هـو الضرب بالعصا فلعل موسى عليه السلام لم يكن معـه عصا في ذلك الوقت فهو ابن القصر المدلّل والمُرفّه، وإنما العصا مع عامة الناس وأصحاب الرعي الذين يحتاجونها أو المسافر، كما كانت مع موسى عليه السلام عند رجوعه من مدين إذ اعتاد على حمل العصا وهو يرعى الغنم لسنوات، وكذلك مسافر الصحراء يحتاجها لغايات عديدة. وبناءً على هـذا يكون من غير المناسب في حق موسى عليه السلام حمل العصا، والله أعلم .

يُضاف إلى ذلك أنّ الأمر كان على عجلة ولم يَطُل حتى يبحث موسى عليه السلام عن عصا ليضرب بها الرجل المصري، بدليل حرف الفاء في الكلمات كقوله: (فوجد، فاستغاثه، فوكزه، فقضى) فيُلاحظ أنها كانت آنية سريعة ليس فيها وقت لكي يجد موسى عليه السلام عصاً ليست معه ليضرب الرجل ممّا يدل والله أعلم على أنّ الضربة إنما كانت باليد وأنها كانت مرة واحدة لم تكرر، لكنْ شاءت حكمة الله أنْ تكون تلك الوكزة مميتة.

---

1 . أنظر **مفردات القرآن**، للأصفهاني مادة وكز ص 604، **وتفسير الرازي**، ج 24، ص 234، و **تفسير زاد المسير** ،ص 1060، **وتفسير ابن كثير**، ج3، ص 394، **وتفسير التحرير والتنوير**،ج 20، ص 89 .

4- أنّ موسى عليه السلام ندم واستغفر على ضربته التي أدت إلى قتل المصري بغير قصد:

عاهد موسى عليه السلام ربه تعالى - بعد أنْ أنعم اللـه عليه- أنْ لا يُعين مجرماً. ولعلَّ المراد بالنعمة أنّ اللـه سترَ عليه ولم يكشف أمره في ذلك اليوم. فحفظ اللـه موسى عليه السلام ، لكنه عاد ليُعين المجرم مرة أخرى، فكشف اللـه ستره عنه لمخالفته وعده لله من عدم معاونة المجرمين، فكان جزاء اللـه له في لحظتها إذ قال الإسرائيلي له أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس.)

على أنّ الإسرائيلي هو الذي قال ذلك، لأنه ظن أنّ موسى عليه السلام سيضربه ويبطش به كونه وجه الكلام الشديد له بقوله (إنك لغوي مبين)، فلما ظنّ الإسرائيلي ذلك قال عبارته ليدافع عن نفسه([1]) ولكن مقالة الإسرائيلي هذه هي التي كشفت أمرَ موسى عليه السلام فامتنع عن ضرب المصري، فذهب وأشاع الخبر الذي وصل إلى قصر فرعون، فكان الأمرُ بإلقاء القبض عليه، فيسَّر اللـه لموسى عليه السلام من يخبره بمؤامرة الملأ فهرب إلى أرض مدين طلباً للنجاة.

وبناءً على ما تقدم يظهرُ أنّ موسى عليه السلام لم يقصد القتل مطلقاً، إلا أنّ غضبه دفعه لوكز المصري فكانت ضربة قاضية أدّتْ إلى موته، وأنه لم يدفن المصري بعد موته، وربما خاف موسى عليه السلام وهرب وكذلك العبراني كلّ في طريق، واللـه أعلم .

المبحث الثاني: دعوى خيانة موسى وهارون عليهما السلام لله تعالى بعدم إبلاغهما الوحي في العهد القديم:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

وردت هذه التهمة صريحة في أكثر من موضع، لكل من موسى وهارون عليهما السلام بخيانتهما لله تعالى وعصيانهما قوله، وأنهما لم يقدسا اللـه تعالى أمام بني إسرائيل. وفيما يلي أحد النصوص ثم تحليلها ثم نقدها.

(وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [8]«خُذِ الْعَصَا وَاجْمَعِ الْجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ، وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا، فَتُخْرِجُ لَهُمْ مَاءً مِنَ الصَّخْرَةِ وَتَسْقِي الْجَمَاعَةَ وَمَوَاشِيَهُمْ». [9]فَأَخَذَ مُوسَى الْعَصَا مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ كَمَا أَمَرَهُ، [10]وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ

1 . **تفسير ابن كثير**، ج3، ص 394 بتصرف.

مَاءً؟». [11]وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا. [12]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذلِكَ لاَ تُدْخِلاَنِ هذِهِ الْجَمَاعَةَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». [13]هذَا مَاءُ مَرِيبَةَ، حَيْثُ خَاصَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ، فَتَقَدَّسَ فِيهِمْ.)(عدد:20:7-13).

وقد وردت هـذه الدعوي في الموضعين الآتيين:عدد : 20 : ،24 وتث: 32 : 51 – 52.

التحليل: نسبت هـذه الدعوى تهمة خيانة موسى وهارون عليهما السلام أمرَ اللـه تعالى وقد ذكرت المعصية ونتيجتها كما يأتي: افتقد بنو إسرائيل الماء وعطشوا في برية صين([1])، فأتوا إلى موسى وهارونعليهما السلام مخاصمين مشتكين قلة الماء، متمنين الموت مع إخوانهم في مصر، وصاروا يوجهون اللوم لموسى وهارون عليهما السلام على ما وصل إليه حالهم وحال مواشيهم، وأنهما أخرجوهما من مصر إلى مكان حيث لا تين ولا رمان بل ولا ماء للشرب. عندها توجَّه موسى وهارون عليهما السلام إلى اللـه بالدعاء، فأمر اللـه موسى عليه السلام أنْ يجمع الناسَ ويكلمَ الصخرة أمامهم بأنْ تخرج الماء. إلا أنّ موسى عليه السلام لما جمع الناس قال لهم: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هـذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟) ثمّ ضرب الصخرةَ بعصاه فخرج الماءُ وشرب الناسُ والمواشي.

هـذا وتكمن المعصية في أنّ موسى عليه السلام لم يوجه كلامه للصخرة كما أمره اللـه تعالى، وإنما وجَّه خطابه للشعب بصيغة الاستفهام المتضمنة لوماً لهم فقال: اسمعوا أيها المردة. كما يظهر أنّ موافقة هارون عليه السلام وعدم اعتراضه على موسى عليه السلام عُدتْ معصية كذلك، لأنه أمر أيضا بتكليم الصخرة (وكلما الصخرة) فلم يكلماها.

يقول القس د. منيس عبد النور:" كان ينبغي أنْ يقدم موسى مثالاً كاملاً لكل حرف من أوامر اللـه، ولكننا نكتشف أنه غيّر الأمر. ولربما كان في تصرفه عندما ضرب الصخرة مرتين بدلا من أنْ يكلمها إعلانا لنقص إيمانه، كأنه أحس أنّ الكلام لا يكفي، فكان يجب أنْ يفعل شيئا أقوى، وهو أنْ يضربها بعصاه السحرية مرتين، لذلك قال اللـه له ولهارون: (إنكما لم تؤمنا بي)([2])

نتيجة معصية موسى وهارون عليهما السلام:

يظهر من النصوص أنّ اللـه عاقب كلاً من موسى وهارون عليهما السلام على مخالفتهما أمره وعدم تكليمهما الصخرة، بأنْ غضب عليهما لتغييرهما وتبديلهما الأمر. وأنّ هـذا التبديل عظم لأنه عدّ خيانة منهما لله تعالى. فكانت عاقبتهما أنّ اللـه حرم عليهما دخول الأرض المقدسة، وحكم بموتهما في جبال الأردن. وهذه هي العبارات التي تحوي الذنب والعقوبة لموسى وهارون عليهما السلام:

---

1 . **برية صين**: برية عبرها بنو إسرائيل في طريقهم إلى كنعان. وكانت على التخوم الجنوبية من تلك الأرض . وكانت قادش ضمن حدود هـذه البرية. وكانت حداً لأدوم غرباً وليهوذا إلى الجنوب الشرقي فكانت جزءاً من برية فاران أو كانت قادش حداً بينهما. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 567.

2 . القس د .منيس عبد النور، **موسى كليم اللـه**، ص 72 .

[48]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: [49]«اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هـذَا، جَبَلِ نَبُو[1] الَّـذِي فِي أَرْضِ مُـوآبَ الَّـذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا،وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، [50]وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّـذِي تَصْعَدُ إِلَيْـهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هـارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هـورٍ وَضُمَّ إِلَى وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَـاتَ هــارُونُ أَخُـوكَ فِي جَبَـلِ هــورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. [51]لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَـطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [52]فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هـنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)(تث: 32 : 48 : 52).

تساؤل غير بريء:

يتساءل مؤلفو التفسير التطبيقي تساؤلاً غير بـريء بعـد أنّ حـرّم اللــه عـلى مـوسى عليـه السـلام دخـول الأرض المقدسة بسبب معصيته فيقولون:" هـل **كان قصاص اللـه لموسى أقسى مما يجب ؟**

لأنّ موسى القائد والمثال للأمة كلها، بسبب هـذه المسؤولية العظيمة بالنسبة للشعب لم يكن ممكنا التهـاون معـه، فبضرب الصخرة عصى أمر اللـه الصريح، وأهان اللـه قُدَّام الشعب".([2])

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

هـذه الدعوى مردودة وذلك للأسباب الآتية:

1- أنها تقدح بعصمة الأنبياء عليهم السلام عند أهل الكتاب أنفسهم، لأنها تصرح باتهام كل مـن مـوسى وهـارون عليهما السلام بالخيانة العظمى أقصد خيانة النَّبيّ في تبليغ الوحي الإلهي . وهذا مما يعتقد أهل الكتـاب بعصـمة الأنبياء عليهم السلام منه. فإذا كان كذلك فكيف صح أنّ موسى وهارون عليهما السلام خانـا اللــه ولم يـتكلما كـما أمرهما أمام بني إسرائيل؟

وما قاله القس د. منيس ومؤلفو التفسير التطبيقي هـو قدح جليٌّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام التـي يـؤمن بهـا علماء أهل الكتاب إذ أنها تدخل في الوحي الإلهي .كما أنَّ هـذا من التناقض الذي لـن يجـد الأحبـار وشُرَّاحُ العهـد القديم مهرباً ولا مناصَ من التسليم به.

3- اتهام موسى وهارون عليهما السلام بالشك في قدرة اللـه تعالى:

يفهم من كلام القس د. منيس أنّ موسى وهارون عليهما السلام قد شكّا في قـدرة اللــه تعـالى في إخـراج المـاء مـن الصخرة، ولذلك عبّر عن هـذا الشك بهذه الكلمات: "ولربما كان في تصرف موسى عنـدما ضرب الصـخرة مـرتين بـدلاً من أنْ يكلمها إعلاناً لنقص إيمانه، كأنه أحسَّ أنّ الكلام لا يكفي، فكان يجب أنْ يفعل شيئاً أقوى وهـو أنْ يضربهـا بعصاه السحرية مرتين"([3]).

---

1 . نيبو: جبل في مؤاب مقابل أريحا، وقف عليه موسى عليه السلام قبيل وفاته، وربما هـو جبل النبا شرقي نهر الأردن بثمانية أميال. أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص 953.

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 316 .مرجع سابق .

3 . القس د. منيس عبد النور، **موسى كليم اللـه** . ص 72 .

والحقّ أنّ هـذا أمر لا يجوز في حق النّبيّ، بل إنه محال لأنه يكون كفراً من جانب النَّبيّ لو شـك في قـدرة الـلـه العليِّ القدير. وإذا كان كذلك فقد ثبت كذب نسبته إلى موسى وهارون عليهما السلام.

4- أنها تقدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام التي يؤمن بها كل مسلم، وفيما يأتي بيان ذلك : أما كونها قادحـة في العصمة التي يؤمن بها المسلمون فلأنها تحمل مخالفة صريحة لكلام الـلـه ووحيه، كـما أنهـا تحمـلُ اتهامـاً لمـوسى وهارون عليهما السلام بعدم الإيمان بالـلـه تعالى، وعدم الثقة بكلامه. وهذا كلُّه كفرٌ صريـح؛ إذ إنَّ الأنبيـاء علـيهم السلام أقوى الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً فكيف يَصحُّ أنْ يقال: إنّ الـلــه قـال لهـما لأنكـما لم تؤمنـا بي ؟ لأنكـما لم تقدساني أمام بني إسرائيل.

- موسى وهارون عليهما السلام يمتنعان عن إظهار معجزة الـلـه تعالى في الصخرة:

تحمل هـذه الرواية وبكل وضوح امتناع موسى وهارون علـيهما السـلام عـن إظهـار معجـزة مـن المعجـزات كـما أمرهما الـلـه تعالى. وبيان هـذا أنّ الـلـه تعالى أمرهما بتكليم الصخرة ليخرج منها الماء بإذنه تعالى، وعندها تظهـر أمام بني إسرائيل قدرة الـلـه تعالى ومعجزته من:- سماع الصخرة لكلام البشر، وفهم الصـخرة لمقـتضى كـلام الـبشر، ونبع الماء من الصخرة. إلاَّ أنّ موسى وهارون عليهما السلام، لم يفعلا كما أمرهما الـلـه تعالى فما كلما الصخرة، وإنما قام موسى عليه السلام بتوجيه الكلام أسفاً لبني إسرائيل بأسلوب قاسٍ ربما أنساهم أثر المعجزة.

وهذا لا شك أنه ممتنع في حق الأنبياء علـيهم السـلام، لأنـه منـع مـنهم لإظهـار المعجـزة التـي هــي دليـل النبـوة وبرهانها. ومن قال بهذا فقد خرق وقدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام. وهو أمر باطل قطعاً، مـما يـدلّ عـلى أنّ هـذا افتراء من افتراءاتهم الكثيرة على أنبياء الـلـه ورسله، واتهامهم بتضييع الأمانة ومخالفتهم أمر الـلـه تعالى.

نتيجة المعصية: ترتَّبَ على موسى وهارون عليهما السلام حسب العهد القديم أمران:

الأول: استحقاقهما غضبَ الـلـه تعالى.

الثاني: تحريم دخولهما الأرض المقدسة وموتهما على جبال الأردن.

وهذا هـو النصُّ الذي يحمل غضب الـلـه على موسى عليه السلام :

(«وَتَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: [24]يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، أَنْتَ قَدِ ابْتَدَأْتَ تُرِي عَبْدَكَ عَظَمَتَكَ وَيَدَكَ الشَّدِيدَةَ. فَإِنَّهُ أَيُّ إِلهٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ يَعْمَلُ كَأَعْمَالِكَ وَكَجَبَرُوتِكَ؟ [25]دَعْنِـي أَعْـبُرْ وَأَرَى الأَرْضَ الْجَيِّـدَةَ الَّتِـي فِي عَـبْرِ الأُرْدُنِّ، هـذَا الْجَبَلَ الْجَيِّدَ وَلُبْنَانَ. 26لكِنَّ الرَّبَّ غَضِبَ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ وَلَمْ يَسْمَعْ لِي، بَلْ قَالَ لِي الرَّبُّ: كَفَاكَ! لاَ تَعُدْ تُكَلِّمُنِـي أَيْضاً فِي هـذَا الأَمْرِ. [27]اصْعَدْ إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ وَارْفَعْ عَيْنَيْكَ إِلَى الْغَرْبِ وَالشِّـمَالِ وَالْجَنُـوبِ وَالشَّرْقِ، وَانْظُـرْ بِعَيْنَيْـكَ، لكِنْ لاَ تَعْبُرُ هـذَا الأُرْدُنَّ)(تث : 3 : 24 – 29)

وقد نقل القرآن الكريم حقيقة الموقف، وأن موسى عليه السلام استسقى لقومه فأكرمه ربه بنبع الماء مـن الحجـر دون ذِكرٍ لإمتناعه عن تبليغ الأمر الإلهي كما في هــذه الآيـة الكريمـة: (**وَإِذِ اسْتَسْـقَى مُـوسَى لِقَوْمِـهِ فَقُلْنَـا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ الـلـهِ وَلاَ تَعْثَـوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ {60/2}**) (البقرة: 60).

وهكذا تجد أنَّ التحريف في العهد القديم، حـوّل غضـب الـلــه تعـالى عـلى بنـي إسرائيـل إلى غضبـه عـلى مـوسى وهارون عليهما السلام. كما اتهم كتبة العهد القديم، موسى وهارون غليهما السلام بأنهما قد غيّرا في إظهـار معجـزة من المعجزات، عن غير إيمان بالـلـه تعالى وعدم تقديس ولا تعظيم له تعـالى، أمـام شـعب إسرائيـل. وهـذه خيانـة صريحة لعدم تبليغ الوحي بتمامه.

وجملة القول أنّ هـذه دعوى فاسدة ومخالفة، لما اتفق عليه المسلمون واليهود من عصمة النَّبيّين، في مجال تبليـغ وحي الـلـه تعالى، وعليه فقد ثبت بطلانها وفسادها، والـلـه الموفِّق.

المبحث الثالث: دعوى قيام موسى عليه السلام بحرب إبادة:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها. المطلب الثاني: نقض الدعوى.**

تمهيد : لم أجد تمهيداً أكثر موافقة للمضمون من كلمات كتبها مارتن لوثر في كتابه اليهـود وأكـاذيبهم، حيـث يقـول هـذا الرجل الذي خبرهم: " اليهود على الحقيقة هـم المنافقون وسفاحو الدم بلا مراء. لم يكتفـوا بتحريـف التـوراة وتزييف كلامها من أولها إلى آخرها مضيفين إلى ذلك تفاسيرهم المضلة. وسفر أستير عندهم المنزلة العاليـة لمـا فيـه من الأمور التي تتماشى مع تعطشهم للدَّم والانتقام ونزعة القتل والعدوان"([1]).

ويضيف لوثر: "ومن المؤكد أنَّ الشمس لم تُشرق عـلى شـعبٍ أشـد عطشـاً إلى الـدماء وأكـثر نزوعـاً إلى الحقّـد مـن اليهود، ومع هـذا فهم يتصورون أنَّهم يزدادون زلفى إلى الـلـه باستئصال غيرهم ممن يعـدونهم وثنيـين. وأروع مـا ينتظرون من مَسِيّا، أنه متى ما أتي ذبح سكان العالم بالسيف أجمعـين"([2]). وهـذه النصـوص تؤكـد هــذه النفسـية التي رسمها وصورها مارتن لوثر لليهود.

---

1 . **اليهود وأكاذيبهم**، مارتن لوثر، ص 76 – 78 .مرجع سابق .

2 . **اليهود وأكاذيبهم**، مارتن لوثر، ص 76 – 78 .مرجع سابق .

- **المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.**

المتأملُ في نصوص العهد القديم يجدُ عباراتٍ تتسم بقمة القسوة، ومنتهى الوحشية والدموية، في تعامل موسى عليه السلام مع الشعوب التي قاتلها. والعجيب أنّ موسى أمر بارتكاب هذه المجازر بأمر من الربِّ تبارك وتعالى. وهذا النصّ يبرهن ذلك:

(حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، [11]فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. [12]وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْباً، فَحَاصِرْهَا. [13]وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. [14]وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. [15]هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدّاً الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هنَا. [16]وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، [17]بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، [18]لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ.)(تث:20:10- 18).

وهذا النصُ أيضاً:(«إِذَا حَاصَرْتَ مَدِينَةً أَيَّاماً كَثِيرَةً مُحَارِباً إِيَّاهَا لِتَأْخُذَهَا، فَلاَ تُتْلِفْ شَجَرَهَا بِوَضْعِ فَأْسٍ عَلَيْهِ. إِنَّكَ مِنْهُ تَأْكُلُ. فَلاَ تَقْطَعْهُ. لأَنَّهُ هلْ شَجَرَةُ الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى يَذْهَبَ قُدَّامَكَ فِي الْحِصَارِ؟ [20]وَأَمَّا الشَّجَرُ الَّذِي تَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ شَجَراً يُؤْكَلُ مِنْهُ، فَإِيَّاهُ تُتْلِفُ وَتَقْطَعُ وَتَبْنِي حِصْناً عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي تَعْمَلُ مَعَكَ حَرْباً حَتَّى تَسْقُطَ.)(تث:20 : 10-20).

وكذلك الوحشية في النص الآتي:

(13 فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. [14]فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. [15]وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ [16]إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. [17]فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. [18]لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ)(عدد: 31 : 13 - 18)

التحليل: تحوي الفقرات السابقة بقايا من الشريعة الموسوية الحقّة. وتحوي كذلك تعصب وعنصرية بني إسرائيل. ويظهر منها وحشية موسى عليه السلام وهمجية أوامره،وموقفه من أهل مدين الذين حموه وصاهروه وأكرموه. كما أنها تحمل مصادمةً للوحي الإلهي (الوصايا العشر) والعقل والأخلاق الفاضلة. وفيما يأتي بيانُ كل من خلال النقد الآتي:

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

لا يشك منصفٌ أنّ بعض العبارات السابقة، هـي من بقايا الشريعة الموسوية الحقّة التي سلمت مـن يـد العبـث والتغيير، حيث تجد فيها لمحات الحقّ التي يقبلها العقل والضمير، كما أنها موافقة للإسلام، ومثال ذلك: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إلى الصُّلْحِ)(تثنية : 20: 10)

وأيضاً:(«إذا حَاصَرْتَ مَدِينَةً أَيَّاماً كَثِيرَةً مُحَارِباً إِيَّاهَا لِتَأْخُذَهَا، فَلاَ تُتْلِفْ شَجَرَهَا بِوَضْعِ فَأْسٍ عَلَيْـهِ. إِنَّـكَ مِنْـهُ تَأْكُـلُ. فَلاَ تَقْطَعْهُ.)(تث: 20 :19)

ولكنْ تأتي بعض النصوص لتصدم القارئ ومن أبرزها الأمر بقتل الأطفـال (فَـالآنَ اقْتُلُـوا كُـلَّ ذَكَـرٍ مِـنَ الأَطْفَـال) (عدد: 31:17). فهذا مخالفٌ للشرائع السماوية والأخلاق والفطرة الإنسانية. أضف إلى ذلـك أنّ أهـل مـدين هــم الذين لجأ إليهم موسى عليه السلام بعد أنْ قتل القبطـي وهـرب مـن مصر إلى مـدين، فـأكرموه وحمـوه وأعطـاه يثرون[1] ابنته ومكث عندهم سنوات، ثم بعد ذلك يعود إليهم ناكراً للجميل وسفَّاحاً؛ حيث يأمر بالقتل بـلا رحمـة؟ ثمَّ لا يشفي كل ذلك القتل الغليل حتى يغضب موسى عليه السلام ويسخط على وكلاء الجيش لأنهم أبقوا الأطفال والنساء. فيأمر بقتل كل طفل ؟!

ويتساءل الناقد حنّا حنّا قائلاً:" أيُّ مجرم يرى في هـذه الأمور الشريـرة آيـات مقدسـة؟ وهـل هــذا مـوسى الرَّجـل الحليمُ جداً"([2])؟

كما أنّ هـذا القتل للأطفال ممنوع بنص الوصايا العشر: (لاَ تَقْتُلْ)(تث: 17:5).

أمّا الأمر الثاني الذي تظهر منه ملامح الحقّ وموافقة العقل، فهو النهيُ عن قطع الشجر المثمر لأنه طعام الإنسان، كما أنه ليس عدواً ولا مقصوداً بالحرب أو الحصار. أما الشجر غير المثمر فيقطع لغاية لغايـات حربيـة. وهـذا أيضـاً موافـق للإسلام حيث نهى النَّبيّ عليه الصلاة والسلام عن قطع الشجر إلاّ لمصلحة المسلمين كما حدث عند إحراق الرسول عليـه الصلاة والسلام لأشجار يهود بني النضير([3]). وقد نزل تأييد القرآن لفعل سـيدنا محمـد صـلى اللــه عليـه وسـلم قطعـاً وإبقاءً، وذلك في قوله تعالى: (**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللـهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ {5/59}**) (الحشر: 5).

وفي الإسلام حرَّم خاتم النَّبيّين سيدنا محمّد عليه الصلاة والسلام، قتلَ الأطفال والنساء والأجراء العبيد في الحرب، واتفـق العلماء والأئمة على ذلك([4]). ولذلك فإنّ الأمر بقتل الأطفال هـو من باب الوحشية التي لا يرتضيها موسى عليـه السـلام ولا غيره من الأنبياء عليهم السلام. ولذلك يحكم المرء عليها بالبطلان وأنها مما أضيف إلى توراة موسى عليه السلام .

1 . كاهن مدين وحمو موسى عليه السلام . أنظر: **قاموس الكتاب المقدس،** ص 1054.

2 . حنا حنا، هـ**فوات التوراة**، مرجع سابق، ص 167 – 168 بتصرف .

3 . البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية**، ص 262، ط 8، دار الفكر، 1980 .

4 . البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية**، ص 394 .مرجع سابق .

وأرى بعد استعراض نصوص العهد القديم السابقة وغيرها كما تقدم في قتل أبناء يعقوب عليه السلام مدينة شكيم، وكما حثّ موسى عليه السلام الجند على قتل الأطفال وعلى الإبادة الجماعية، وكما في سفر يشوع- أنَّ هذه االكمَّ الكبير من النصوص المقدسة عند من يؤمن بها يُشجع على القتل وإراقة الدماء بلا حدود ولا قيود.

احصائية: وبالرجوع إلى احصائية للباحث محمد موسى باباعمي يظهر أنَّ ورود القتل ومواده المتعلقة به كالدمار والقتل والسيف والجهاد 814 مرة في التوراة، و170 مرةً في القرآن الكريم، و172 مرةً في الإنجيل([1]).

وأرى ضرورة نشر مثل هذه الإحصائيات نظراً لاتهام الإسلام بأنه يشجع على القتل وإراقة الدماء ، فهذه الإحصائيات – عند مقارنتها بأعداد الذين قتلوا في الغزوات التي شارك فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - تصحح تلك المفاهيم الخاطئة وخاص عند الغربيين.

- الأثر الإجرامي لتحريف العهد القديم:

لعلَّ اليهود الذين آمنوا بهذه الأكذوبة وصدقوا بأنّ موسى عليه السلام أمر بها، ساروا على هذا النهج فتعاملوا بكل وحشية في حروبهم مع العرب والمسلمين، وخاصة في فلسطين في العصر الحديث فقتلوا الأطفال ودخلوا على بعض القرى فلم ينجُ أحد إلا من استطاع الفرار. وهذا ما حصل في مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغزة. فما هذه المذابح إلا صورة مكررة ونسخة مشابهة لما حدث في الحروب التي خاضها موسى عليه السلام وجنده وأنبياء إسرائيل وملوكها من بعده كما يزعم كتبة العهد القديم، وهذا هو أثر تلك الدعوى.

وقد جمع د. عبدالله التل النصوص التي تتسم بالوحشية والدموية، والأمر بالإبادة والقتل الوحشي والتي نسبت زوراً وبهتاناً للأنبياء عليهم السلام([2]) ففيه صورة واضحةٌ للوحشية التي نسبت لموسى عليه السلام وهو منها براءٌ.

المبحث الرابع: صفات موسى عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

المطلب الأول: صفات موسى عليه السلام في العهد القديم

المطلب الثاني: صفات موسى عليه السلام في القرآن الكريم

المطلب الأول: صفات موسى عليه السلام في العهد القديم:

بالرغم من عدم وجود إساءات لموسى عليه السلام في العهد القديم بقبحِ الدعاوى التي نُسبت لإخوانه الأنبياء عليهم السلام ممن كانوا قبله أو بعده وخاصة في الجانب الأخلاقي، لكنك تجدُ بعض المعاصي الصريحة التي لا يمكن قَبولها وتصديقها، ومن ذلك أنّه عصى ربّه ورفض ختان ابنه كما في النص الآتي :

---

1 . د. محمد موسى باباعمي، **مُطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر**، مرجع سابق، ص 53.

2 . انظر : **جذور البلاء**، عبدالله التل، ص 26 -37 . مرجع سابق .

([24]وَحَدَثَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ. [25]فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». [26]فَانْفَكَّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ»)(خر: 4: 24 – 26).

يلاحظ هنا أنّ موسى عليه السلام عصى ربه وأغضبه لدرجة أنَّ اللـه هـمّ أنْ يقتله، وهدده لأنه لم يختن ابنه، حتى قامت زوجته بعملية الختان، فعفا الربّ عنه حينئذٍ.([1])

ولم تقف معصية موسى عليه السلام عند هذا الحدّ، بل تجاوزه حسب العهد القديم إلى الخيانة في التبليغ إذ خان وحي اللـه إليه، وكان عاقبة هذه الخيانة والمعصية تحريم دخول موسى وهارون عليهما السلام الأرض المقدسة ولذلك نورد هذه النصّ الذي سبق ذكره للأهمية:

(لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [52]فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.)(تث : 32 : 51 – 52).

والعجب أنّ علماء أهل لكتاب يناقضون أنفسهم فيقولون إنّ موسى أطاع اللـه تعالى حتى عندما بدا الأمر مستحيلاً([2]). قلت: وهذا هو الحقّ أنّ موسى عليه السلام والأنبياء جميعا يطيعون اللـه حتى لو بدا الأمر غير مستطاع أو مخالفاً للطبائع البشرية في ظاهر الأمر، كما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه وموسى عليه السلام على خوض البحر، إلا أنَّ هذا هو منتهى الطاعة والتسليم لله تعالى . فمن أطاع اللـه تعالى في الصعب فمن السهل أنْ يطيعه فيما هو أهون وأسهل.

وأما صفات موسى عليه السلام ومناقبه، وهو صاحب التوراة، فقليلةٌ جداً. وفيما يأتي ذكر للصفة ثم أورد النصّ الذي تضمنها: قليلة بل نادرة هي الكلمات التي تمدح نبي اللـه موسى عليه السلام أعظم نبي في بني إسرائيل، حيث تذكر صفاته الحميدة في العهد القديم. وقد وقفت على هذه الصفات:

1- أنه حليم جداً .2- أنه أمين. وهذه هي شواهدها:

([3]وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلَى وَجْهِ الأرض.)

(عدد : 12 :3) وأيضاً: ([7]وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هكَذَا، بَلْ هوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. [8]فَمًا إِلَى فَمٍ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لاَ بِالأَلْغَازِ)(عدد : 12 : 7- 8).

أولاً : أنه حليمٌ جداً:

([3]وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلَى وَجْهِ الأرض)وأيضا وصفه بأنه عبد الربّ كما في الفقرة الآتية التي لا تخلو من قدح.

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 139 . مرجع سابق .

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 3015 .

ثانياً : أنه عبد الربِّ:

(4 وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هِـيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَـائِلاً: لِنَسْـلِكَ أُعْطِيهَـا. قَـدْ أَرَيْتُـكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلكِنَّكَ إِلَى هـنَاكَ لاَ تَعْبُرُ». [5]فَمَاتَ هـنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَـبَ قَـوْلِ الـرَّبِّ)(تـث: 34 : 4-5).

ووردت صفة العبودية: في هـذه العبارة :([26]أَرْسَلَ مُوسَى عَبْدَهُ)(مزمور: 105 :26).

ويلاحظ أنّ هـذه الصفة كما تحمل مدحاً لموسى عليه السلام بأنه عبد الربّ، إلا أنّها جاءت في سياق الذمّ؛ حيـث تحقق العقوبة الإلهية لموسى عليه السلام بموته في جبال الأردن، وعدم دخوله الأرض المقدسة. وإنما اسـتحق مـوسى عليه السلام هـذا حسب العهد القديم، لأنه خان الـلـه ولم يتكلم كما أوحى إليه أنْ يفعل عند ما ء مريبة.

قلت: فأيُّ ثناء بقي في هـذه الفقرة، وقد ظهر فيها أنّ موسى عليه السلام مات مغضوباً عليه من ربه ؟

ثالثاً : مناقب بدنية: كقوة بصره ونضارة وجهه حتى وفاته:

(وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ).

(تث : 34 : 7).

رابعاً: أنه لم يقم بعده نبي مثله في بني إسرائيل.

قال الباحث: وهذا يدلُّ على أنّ هـذا ليس من كلام موسى، وإنما إنسان عاش بعد موسى بقـرون حتـى خَـبِر تـاريخَ الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل، ثم عرف أنه لم يقم في بني إسرائيل نبيٌّ كموسى عليه السلام .

خامساً: أنه عرف الربَّ وجهاً لوجه.

سادساً: الآيات والعجائب (المعجزات) التي أيده الـلـه بها ترغيباً وترهيباً.

وهذا هـو النصُّ الذي حمل الصفات الثلاثة الأخيرة:

(وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إسرائيل مِثْلُ مُوسَى الذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ، [11]فِي جَمِيعِ الآيَاتِ وَالعَجَائِبِ التِـي أَرْسَـلَهُ الرَّبُّ لِيَعْمَلَهَا فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَكُلِّ أَرْضِهِ، [12]وَفِي كُلِّ اليَدِ الشَّدِيدَةِ وَكُلِّ المَخَاوِفِ العَظِيمَةِ التِي صَنَعَهَا مُوسَى أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إسرائيل.)(تثنية: 34 – 10 -12).

سابعاً: أنه مختار الـلـه: كما في هـذه العبارة :(لَوْلاَ مُوسَى مُخْتَارُهُ وَقَفَ فِي الثَّغْرِ قُدَّامَهُ لِيَصْرِفَ غَضَبَهُ عَنْ إِتْلاَفِهِمْ)(مزمور: 106 : 23). **قلتُ:** وهذه موافقة للقرآن الكريم؛ حيث اختاره ربُّه تعالى بقوله: (**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْـتَمِعْ لِـمَا يُوحَى**) (طه:13).

المطلب الثاني: صفات موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن موسى **عليـه السـلام** . ويكفيـه شرفـاً أنّ الـلــه ذكـره في القـرآن الكـريم في(129) موضعاً تضمنت كل أطوار حياته ابتداء من طفولته، إلى خروجه من مصر، وحياته في مدين قبل نبوته، ثم رجوعه وتلقيه الوحي وتكليم الـلـه تعالى إياه، ثمّ النور الذي جعله الـلـه في التوراة، ثم سيرة دعوتـه وجهـاده مـع

فرعون، والمعجزات التي أكرمه اللـه بها وإعطاؤه الألواح، ثـم إهـلاك فرعـون وخروجـه ببنـي إسرائيـل، ومواقفـه الإيمانية والدعوية مع قومه.

وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدةٌ تمدح نبيَّ اللـه موسى عليه السلام وتثني عليه، وتذكر بعـض مـا اختصـه اللــه تعالى به. ولا نجد ذنباً واحداً لموسى عليه السلام ، إلا ما كان قبل نبوته من قتل الخطأ، الذي تاب منه. وقـد تقـدم تبرئة موسى عليه السلام من تهمة القتل العمد وإخفاء المقتـول كـما نسـب إليـه كتبـة العهـد القـديم. وفي هــذه السطور ذكر لبعض ما أثنى اللـه به على كليمه موسى عليه السلام ، ثم نقارنه بما في العهد القديم.

ومن أعظم الآيات التي نصَّت على المرتبة الرفيعة لموسى عليه السلام عند ربه تبارك وتعالى:

1- قوله تعالى: (**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي {39/20}**) (طه : 39).

يظهر في هـذه الآية أنَّ اللـه تعالى قد ربّاه قبل النبوة وبعدها وتكفَّل بأمره. وهذه آيةٌ عظيمةٌ تعجز كل التفاسـير والشروح أنْ توفيها حقها لكن لا نعدم بعض معانيها. إذ يظهر منها أنّ اللـه أحبّه وحبَّبَّهُ إلى خلقـه فكـلّ مـن رأى موسى عليه السلام وقع في قلبه حبّه([1]).

وكانت الأيام تمرُّ عليه من ولادته حتى وفاته تحت عين اللـه وعلمه وحراسته وحفظه، ومعلومٌ أنّ الخلق كلهـم في علم اللـه تعالى إلا أنّ استخدام كلمة العين هـنا أفادت الحفـظ والرفـق والعنايـة والحراسـة والاهـتمام إلى جانـب العلم. وهذه التعبير القرآني الدقيق(على عيني) لم يرد في حقٍّ أي نبيٍّ غير موسى عليه السلام .

2- قوله تعالى: (**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ {144/7}**) (الأعراف: 144).

والمراد أنّ اللـه تعالى اتخذ موسى عليه السلام صفوةً على الناس برسالاته. وجاءت على الجمع لتفيد أنّ اللــه أوحـى إليه مرة بعد أخرى. وأما عن سبب اصطفائه بالرسالات والكلام، مع وجود رسل غير موسى عليه السلام فيرجع ذلـك إلى أنّ اللـه تعالى جمع له الرسالة والكلام من غير واسطة، والكلام من غير واسطة سـبب لمزيـد شرف([2]). وقـد كـان هــذا الوحي الإلهي لموسى عليه السلام - كما يظهر من سياق الآيات - بعد اندكاك الجبل من بـاب المؤانسـةِ والترضـيةِ لعـدم استجابة طلبه في الرؤية. فهذه كلّه يُظهر عظيم قدْر موسى عليه السلام وكبير جاهه عند ربِّه جلَّ شأنه.

3- قوله تعالى: (**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللـهُ مُوسَى تَكْلِيمًا {164/4}**) (النساء: 164).

وفي هـذه الآية الكريمة أيضاً، مزيةٌ لموسى عليه السلام خصَّه اللـه بها وهي تكليمه إياه. وتظهر قيمة هـذه المزيـة لأنّ اللـه تعالى ذكرها عند كلامه عن الرسل عليهم السلام، فكانت بمثابة اختصاص اللـه موسى بالكلام من بين هـؤلاء الرسل

---

1 . **تفسير الطبري**، ج 14، ص 58 .

2 . **تفسير الرازي**، ج، ص 245 – 246 بتصرف يسير .

الكرام. والمعنى أنَّ اللـه خاطبه خطاباً، وقيل مشافهةً([1]). وقال صاحبُ البحر المحيط: هـذا إخبارٌ بأنّ اللـه شرف موسى عليه السلام بكلامه وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه.([2])

4- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللـهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللـهِ وَجِيهًا) (الأحزاب: 69). ومعنى وجيهاً أي ذو وجاهة وقدر كريم عند اللـه تعالى .فوق ما وضع اللـه من محبته في قلوب الناس.

وقد آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام كثيراً. ومن جملة هـذا الأذى دعواهم كما ورد في الحديث الصحيح بأنه مريض في بدنه. أما ببرص أو أدرة أو آفة. فكان أنْ اغتسل يوماً فأراد اللـه تبرئته من الأذى، وكان وضع ثيابه على حجر فمشى الحجر بثيابه واتبعه موسى عليه السلام فرآه بنو إسرائيل عرياناً أحسن ما خلق اللـه وابرأه .

قلت: والذي يليق بالأنبياء عليهم السلام أنّ اللـه يستر عوراتهم ويعصمهم من كشفها حتى قبل النبوة كما حدث لنبينا محمد عليه السلام قبل عند مشاركته في بناء الكعبة حيث أغشى عليه لما كادت عورته أنْ تنكشف. وقال الإمام النووي معلقاً على الحديث:" وفيه أنه كان مصوناً عما يستقبح قبل البعثة وبعدها".([3])

وبناء عليه فإنّ الأولى- واللـه أعلم - حمل الحديث الوارد على عريان موسى عليه السلام في بدنه، لا في عورته، لأنّ اللـه يحفظ عورات الأنبياء عليهم السلام من الانكشاف خطأ أو عمداً. وهذا مناسب للحديث الذي جاء فيه أنّ موسى عليه السلام كان رجلا حيّيّاً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياءً منه . فكانت هـذه الحادثة فظهر بدنه لبني إسرائيل وأنه ليس به عيب ولا برص.

ويمكن تلخيص هـذه المسألة بأنْ يقال: إنَّ مما لا شك فيه أنّ ظهور العورة يعدُّ من القبائح للنبي ولغيره، لكنها من النَّبيّ أشد وأعظم كما إنها من الأمور المنفرة. وهي لا شك بعد النبوة أعظم منها قبلها. وإذا كان اللـه أكرم أنبياءه بحفظ عوراتهم عن الانكشاف قبل النبوة كما حدث لنبينا عليه الصلاة والسلام، فالأولى عدم ظهورها بعد النبوة والوحي يتنزل عليه وأعداؤه يتربصون به. واللـه تعالى أعلم وأحكم.

وقد أمر اللـه موسى عليه السلام في العهد القديم بأنْ يحتاط كي لا تظهر عورته: (وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إلى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ.)(خر: 20 : 26).

---

1 . **تفسير الطبري**، ج7، ص 689 .

2 . **تفسير البحر المحيط**، ج 3، 414. وذكر ورود المجاز كمصدر إلا انه قليل.

3 . قال الإمام النووي في منهاجه على شرح مسلم: وفي الحديث بيان بعض ما أكرم اللـه سبحانه وتعالى رسوله صلى اللـه عليه وسلم ، وأنه كان مصوناً محمياً في صغره عن القبائح وأخلاق الجاهلية فنزل الملك وشدَّ عليه إزاره .أنظر **شرح مسلم على المنهاج** ، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، رقم الحديث 340، وانظر ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، كتاب الصلاة، باب كراهة التعري في الصلاة ج 3، ص 475،رقم الحديث 364، وقد ذكر الحافظ ابن حجر روايات أخرى مفصلة في كتاب الحج باب فضل مكة وبنيانها، رقم الحديث 1582.

وخلاصةُ الأمر أنّ اللـه تعالى منّ على موسى وأخيه هـارون عليهما السلام بالرسالة، وآتاهما المعجزات الواضحات والتوراة التي فيها الهدى والنور، ونصرهما على عدوهما. ثم إنهما لم يقصرا ولم يخونا اللـه تعالى الذي أرسلهما كـما زعم أهل الكتاب، بل أنهما كانا من المؤمنين ومن عباد اللـه المحسنين، كما قال جل شأنه: (**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {114/37} وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {115/37} وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ {116/37} وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ {117/37} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {118/37} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ {119/37} سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {120/37} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {121/37} إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**) (الصافات: 114-122)

وهذه هـي صـفات مـوسى كلـيم اللــه تعـالى، والتـي تـنقض دعـاوى التـي سـبق تبيانهـا. وتتميـز بهيمنتهـا عـلى العهد القديم الذي تضمن الحديث عن صفات قليلة لموسى عليه السلام وقد اختلط فيها الخلق الحسـن بـالخلق القبيح. وإذا كان موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل قد شـمله الأذى، ولم يَسـلم مـن أقـلام الكتبـة الـذي غيَّروا وبدَّلوا فما هـو موقفهم تجاه أخيه هـارون عليه السلام ؟ لا شك أنه أعظم وأكثر جرماً كما سيتضح في الفصل الآتي.

الفصل الرابع: هـارون عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

تمهيد:

مبحث: دعوى أنّ هـارون عليه السلام صنع العجل لبني إسرائيل.

تمهيد:

لقد تنوعت الدعاوى التي حوتها فقرات العهد القديم لأنبياء اللـه عليهم السلام ، إلاَّ أن أعظم هـذه الـدعاوى مـا كان في حقِّ نبيّ اللـه هـارون عليه السلام المتمثلة في صناعة الأصنام؛ إذ نُسب إليه أنه صنع العجـل الـذي عبـده بنو إسرائيل واتخذوه إلهاً من دون اللـه تعالى. وقد تقدم أنَّ هـارون ومـوسى علـيهما السـلام خانـا اللـه في عـدم تبليغ الوحي، وقد تمّ إبطال هذه الدعوى. وفيما يأتي نصُّ دعوى صنع العجل:

مبحث: دعوى أنّ هـارون عليه السلام صنع العجل لبني إسرائيل.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الثالث: هـارون عليه السلام في القرآن الكريم

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت هـذه الدعوى في سفر الخروج وفيما يلي كامل الفقرات المتعلقة بها

) 1 وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هـارُونَ وَقَـالُوا لَـهُ: «قُـمِ اصْـنَعْ لَنَـا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هـذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَـاذَا أَصَـابَهُ». 2فَقَـالَ لَهُـمْ هــارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». 3فَنَزَعَ كُلُّ الشَّـعْبِ أَقْـرَاطَ الـذَّهَبِ الَّتِـي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هـارُونَ. 4فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَـالُوا: «هـذِهِ آلِهَتُـكَ يَـا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». 5فَلَمَّا نَظَرَ هـارُونُ بَنَى مَذْبَحاً أَمَامَهُ، وَنَادَى هـارُونُ وَقَالَ: «غَداً عِيـدٌ لِلـرَّبِّ». 6فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

7فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. 8زَاغُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّـذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكاً، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هـذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْـعَدَتْكَ مِـنْ أَرْضِ مِصْرَ». 9وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هـذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هـوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. 10فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَـبِي عَلَـيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْباً عَظِيماً». 11فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَـعْبِكَ الَّـذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ 12لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَـالِ،

وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. [13]اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». [14]فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ.

[15]فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. [16]وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. [17]وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَال فِي الْمَحَلَّةِ». [18]فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». [19]وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. [20]ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

[21]وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» [22]فَقَالَ هَارُونُ: «لاَ يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ. [23]فَقَالُوا لِيَ: اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. [24]فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ». [25]وَلَمَّا رَأَى مُوسَى الشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرًّى لأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ، [26]وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. [27]فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». [28]فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. [29]وَقَالَ مُوسَى: «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً»).(خر: 32 كاملاً).

التحليل:

بعد أنْ رأى بنو إسرائيل أنّ موسى عليه السلام تأخر عليهم؛ حيث ذهب إلى الجبل لتكليم ربّه تبارك وتعالى، فقد دعوا هارون عليه السلام ليَصنع لهم إلهاً ليسير أمامهم، فوافق هارونُ عليه السلام على طلبهم. وطلب منهم الحليّ ليصنع منها العجل فأعطوه ما أراد.

هذا وتتضمنُ الفقرات السابقة تهماً خطيرة لهارون وموسى عليهما السلام، بل وكفراً صريحاً فهذه الطامّات الخطيرات تحمل :

- قدحاً في الذات الإلهية بأنه لا يعلم حالَ النّبيّ الذي أوحى إليه وأنه سيتحول بعد الإيمان إلى الكفر.
- تهمة صريحة لهارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع العجل الذهبي مستسلماً لمطالب الشعب([1]).
- تهمة لهارون عليه السلام بأنه بنى مذبحاً أمام العجل. ويرى علماء الكتاب المقدس وشُرَّاحُ العهد القديم أنّ هارون عليه السلام صنع العجل لتأثره بالمصريين الذين كانوا يعبدون العجل.

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، 195 .

- كما يرون أنّ صنع هـارون عليه السلام للعجل هـي إحدى نقاط ضعف إيمانه.

وقد حاول بعض علماء أهل الكتاب التنصل من هـذه الفرية وتبريرها بإنكار نبوة هـارون عليه السلام .

- أنّ موسى عليه السلام لم يعاقب هـارون على صنعه العجل.

- أنّ موسى عليه السلام أمر أفراد الشعب أن يقتل كل واحـد مـنهم أخـاه أو صـاحبه أو قريبـه، بسـبب عبـادتهم العجل ولم يعاقب هـارون عليه السلام .

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

هـذه الدعوى مردودةٌ لأنها مخالفة للشرع والعقل، وللعهد القديم أيضاً، وذلك أنها :

أولاً: من العهد القديم : نجدُ مخالفةَ هـارون عليه السلام للوصايا العشر، بل لأجلِّ هـذه الوصايا وأعظمها وأولها: (« «أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. [3]لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَـةٌ أُخْـرَى أَمَـامِي. [4]**لاَ تَصْـنَعْ لَـكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً** مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَـا فِي الأَرْضِ مِـنْ تَحْـتُ، وَمَـا فِي الْـمَاءِ مِـنْ تَحْـتِ الأَرْضِ. [5]لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ)(خر: 20: 2 - 5).

وتدلُّ هـذه العبارة الآتيةُ ([20]ثُمَّ أَخَذَ العِجْلَ الذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ) على أنّ بني إسرائيـل هــم الـذين صـنعوا العجل لا هـارون عليه السلام .

ثانياً: لو كان هـارون عليه السلام فعل ذلك لعاقبه الـلـه تعالى وأعلمه بـذلك مـثلما عاقبـه وعاقـب مـوسى عليـه السلام عندما كتما جزءاً من الوحي الإلهي، إذ قـال لهـم حسـب العهـد القـديم: ([51]لأَنَّكُـمَا خُنْـتُمَانِي فِي وَسَـطِ بَنِـي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ) ولو صنع هـارون عليه السلام العجل لعاتبه ربّه على ذلك. لكنَّ عـدم عتابه دلَّ على عدم صحة الدعوى أصلاً.

ثالثاً: تحوي الدعوى طعناً ضمنياً في الذات الإلهية يُفهم منها أنّ الـلــه تعـالى لا يعلـم الغيـب، وأنـه يبعـث أنبيـاء يدعون إلى عبادة غيره. وإلاَّ فما معنى أنّ هـارون عليه السلام وهو نبيُّ الـلـه بدلالة العهـد القـديم وإقـرار أهـل الكتاب يصنع عجلاً ليعبد من دون الـلـه تعالى؟

فأين هـذه الفرية من قوله تعالى: (**الـلـهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) (الأنعام: 124).

ثانياً - تُخالف هـذه الدعوى عصمة الأنبياء عليهم السلام لأنها دعـوة للكفـر الصريـح، والأنبيـاء معصـومون عـن مثلها([1]). وإذا كان هـارون عليه السلام نبياً، فإنه يستحيل أنْ يقدم النَّبيّ على الكفر المتمثل بصنع عجل من أجـل أنْ يعبده الناس من دون الـلـه تعالى.

1 . أنظر : **الرد على التوراة**، للباجي، ص 138، **والأجوبة الفاخرة**، للقرافي ص،165 . **والفصل**،لابن حزم ج1، ص257 .

براءة هـارون في القرآن الكريم:

لقد برّأَ اللـه تعالى نبيَه هـارون عليه السلام في القرآن الكريم وبيَّن موقفه من عبادة بني إسرائيـل، وأنـه نهـاهم وحذّرهم من هـذه الفتنة. وهذه الآيات التي تُجَلِّي حقيقةَ الأمر؛ إذ يقول الحقّ تعالى: (**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى {83/20} قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى {84/20} قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ {85/20} فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي {86/20} قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ {87/20} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ {88/20} أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا {89/20} وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي {90/20} قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى {91/20}**) (طه: 83-91).

قلتُ: هـذه الآيات تتضمنُ شهادةً إلهية كريمة بحقيقة موقف هـارون عليه السلام حيث برَّأَتـهُ مـمّا نَسـب إليـه كتبة العهد القديم. حيث بيّن لهم نبي اللـه هـارون عليه السلام أنهم قد فتنـوا بهـذا العجـل، وأنّ الـرحمن هــو ربهم. كما دعاهم إلى اتباعه وطاعته، لكنهم أبوا ولم يقنعوا بكلامه. وفضَّلوا انتظار مـوسى عليـه السـلام بعـد لقـاء ربِّه تعالى.

ومن المحال أنْ يعصي النَّبيّ ربَّه فيما أوحي إليه، لذلك فإنّ هـارون عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام إنمـا بعثهم اللـه تعالى هـداة ودعاة لعبادة اللـه الواحد الأحد، فلا يَصِحُّ أنْ يدعو الخلق لعبـادة غـيره تعـالى أو يُعـينُ على ذلك ولو بكلمةٍ واحدةٍ.

- كما أنَّ صنع العجل لغاية عبادة الناس له هـو شرك باللـه تعالى، واللـه لا يغفر أنْ يشرك به والأنبيـاء وإنْ وقـع أحد الأنبياء عليهم السلام في مخالفة لكنها تكون من باب خلاف الأولى. فلا تصل مخالفـاتهم إلى الكبـائر ولا الشرك باللـه تعالى كما زعم كتبة العهد القديم.

محاولة خاطئة لالتماس العذر لهارون عليه السلام :

حاول القس د. منيس عبد النور التماس العذر لهارون عليه السلام بأنه" حاول أنْ يعطِّل بني إسرائيل ويمنعهم من عبادة الأوثان، فظنَّ أنّ نساءهم وأولادهم لن يسمحوا للرجال بأخذ الذهب لصناعة العجل، فطلب منهم الـذَّهب والحِّلِّي. لكنْ نزع كل الشعب أقراط الذهب، ولما سـلّم هــارون عليـه السـلام للشـعب مطلبـه الأول فصـنع لهـم العجل الذهبي، سلّم لهم أيضاً بالمطلب الثاني وعمل مذبحاً من الحجارة ووضعه أمام العجل".([1])

1 . القس د. منيس عبد النور، **موسى كليم اللـه**، ص 54.

وهذا كلامٌ ساقطٌ أقل من أنْ يرد عليه، لأنه كمن يحاول إطفاء النار بالزيت. إلا أنه يتوجب القول إنّ الذي يصدق بالكذبة من بدايتها لا حرج عليه أنْ يبحث عن الأعذار الواهية بعد ذلك!!

رابعاً - أمّا دعوى أنّ هـارون عليه السلام قد تأثر بعبادة المصريين للعجل، فهي مردودة لأنّه لو كان هـارون عليـه السلام فعل ذلك لعاقبه اللـه تعالى وأعلمه بذلك مثلما عاقبه وعاقب موسى عليه السلام عنـدما كـتما جـزءاً مـن الوحي؛ إذ قال لهم حسب العهد القديم: ([51]لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْـدَ مَـاءِ مَرِيبَـةِ قَـادَشَ فِي بَرِّيَّـةِ صِينٍ) ولو صنع هـارون عليه السلام العجل لعاتبه ربّه على ذلك. وهذا يقـال جـدلاً، وإلاّ فـإنَّ المسـلم يـوقنُ بـأنَّ النَّبيّ المعصوم لا يتحول عن الإيمان إلى الكفر بحال أبداً. والحقّ أنّ بني إسرائيل هـم الذين تأثروا بعبادة العجل في مصر فعبدوه بعد خروجهم من مصر، كما عبدوه بعد موسى عليه السلام كثيراً، وهم الذين صنعوا العجـل بقيـادة السامري قبَّحه اللـه تعالى.

كما أنّ العلاقة بين بني إسرائيل والأوثان قوية للأدلة الآتية:

- (أَعْيُنُكُمْ قَدْ أَبْصَرَتْ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ بِبَعْلَ فَغُورَ. إِنَّ كُلَّ مَنْ ذَهَبَ وَرَاءَ بَعْلَ فَغُورَ أَبَادَهُ الرَّبُّ الهُكُمْ مِنْ وَسَطِكُمْ) (تثنية: 4 : 3)

وفغور صنم عبده بنو إسرائيل وكذلك عبدوا بلعيم وعشتاروت([1]).

وقد أنكرَ بعض علماء أهل الكتاب نبوة هـارون عليه السـلام للخـروج مـن هــذا المـأزق الحـرج، بَيـدَ أنَّ الأدلـة والشواهد من العهد القديم نفسه أكثر من أنْ يستطيع احد إنكارها أو تأويلها.

وقد ذكر الشيخ رحمت اللـه الهندي أنّ عبارات العهد القديم تدلُّ على نبوة هـارون عليه السلام كتكليم اللــه موسى وهارون عليهما السلام، وأحياناً تكليم هـارون عليه السلام وحده حيث دَّلَّت على أنّ اللـه تعالى أوحـى لـه وحده وبشركة موسى عليه السلام أيضاً. إضافةً إلى أنَّ أكثر المعجزات الواردة في سفر الخـروج قـد ظهـرت عـلى يـد هـارون عليه السلام .([2])

خامسًا: وأما ردّ الدعوى عقلاً فيقال لهم: إنّ حكم اللـه تعالى في عبَدة العجل كان القتـلُ، حتـى قتـل مـنهم ثلاثـة آلاف كما في النصِّ. ولو كان هـارون مخطئاً لعاقبه اللـه تعالى، لأنه هـو الذي صنع لهم العجل. وإلا فإنهم يتهمون الذات الإلهيَّة بعدم العدل والتمييز، ذلك أنه أمرَ بعقاب عبدة العجل فقتل منهم ثلاثة آلاف، وما أمر موسى عليـه السلام بقتل هـارون عليه السلام وهو الذي صنع لهم العجل ودعاهم لعبادته، فهو سبب كفرهم؛ وبالتـالي سـبب قتلهم فمن العدل أنْ يقتل هـو أيضاً. ولكنَّ ذلك لم يحدث لانّ اللـه تعالى ما أمر به، وهذا فيه غمـزٌ ولمـزٌ ضـمنيٌّ بمحاباة اللـه وعدم عدله.

1 . د. عبد الشكور العروسي، **موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء** ص384- 289 .

2 . **إظهار الحقّ**، رحمت اللـه الهندي، ج4، ص 1236 – 1237.

والحقّ أنْ يقال إنَّ عدم معاقبة اللـه تعالى هـارون عليه السلام ، قـد دلّ عـلى أنـه لم يصـنع العجـل، ولم يرتكـب ذنباً. زاد في قوة هـذا أنَّ اللـه تعالى لم يعاتب هـارون عليه السلام ولو بكلمه واحدة، لأنه لم يصدر منه ذنبٌ، ولو كان فعل ذلك لاستحق زجر اللـه تعالى له. لكن لم يكن شيء من هـذا أو ذاك أبداً. فظهـر الحـقّ وبطـل مـا كـانوا يكذبون.

ومقابل هـذا الاتهام الصريح لنبيِّ اللـه هـارون عليه السلام في العهد القديم بالكفر الصريح، فلا بدّ من الوقوف عند نبي اللـه هـارون عليه السلام وصفاته التي وردت في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: هـارون عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد أثنى اللـه على هـارون عليه السلام فقال مادحاً موسى وأخاه هـارون عليهما السلام: (**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَـلَى مُـوسَى وَهَارُونَ {114/37} وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {115/37} وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُـمُ الْغَـالِبِينَ {116/37} وَآتَيْنَـاهُمَا الْكِتَـابَ الْمُسْـتَبِينَ {117/37} وَهَـدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْـتَقِيمَ {118/37} وَتَرَكْنَـا عَلَـيْهِمَا فِي الْآخِـرِينَ {119/37} سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {120/37} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {121/37} إِنَّهُمَا مِـنْ عِبَادِنَـا الْمُـؤْمِنِينَ {122/37}**) (الصافات: 114-122).

في الآيات السابقة تزكية إلهية كريمة لهارون وأخيه مـوسَى علـيهما السـلام بـأنهما مـن المحسـنين والمـؤمنين، وأنَّ اللـه تعالى هـداهما الصراط المستقيم. ومن كانت هـذه صفاته فإنه بعيـدٌ عـن الكفـر، والعيـاذ باللــه مـما زعـم المُبطلون.

- أنَّ اللـه تعالى قد امتن على موسى عليه السلام بأنه جعل- برحمته - أخاه هـارون عليه السلام نبياً لقوله تعـالى: (**وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا {53/19}**) (مريم: 53).

- أنَّ اللـه قد دافع عن هـارون عليه السلام وشهد ببراءته من صناعة العجـل، فقـال جـلَّ شـأنه:(**وَلَقَـدْ قَـالَ لَهُـمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَـاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُـوا أَمْـرِي {90/20} قَـالُوا لَـن نَّـبْرَحَ عَلَيْـهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى {91/20}**) (طه : 90 - 91).

- وقوله تعالى: (**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُـمْ وَأَلْقَـى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَـلاَ تُشْـمِتْ بِيَ الأعْـدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {150/7}**) (الأعراف: 150).

وفي هـاتين الآيتين الكريمتين الأخيرتين شهادة إلهية تضاف إلى الآيات المتقدمة؛ حيـث تؤكـد أنّ نبـي اللــه هــارون عليه السلام كان عضداً شديداً لأخيه موسى عليه السـلام في طريـق الـدعوة إلى الإيمـان ومحاربـة الكفـر والضـلال. ونظراً لغضب موسى عليه السلام غيرةً على دين اللـه تعالى فقد برأس هارون ولحيته وجرّه إليه خوفاً أنْ يكون قد

قصَّر في نهيهم، فأعلمه بأنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه كما في الآية: (**إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي**) أي لا تسوقني مساقهم وتجعلني معهم. فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام قال([1]): (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) (الأعراف: 151).

وفي ظل الآيات المتقدمة يوضح د. بسام العموش عذر نبي اللـه هارون عليه السلام فيقول:" نعم هـارون عليـه السلام كان فصيحاً لكنه لم يكن قادراً على ضبط هذه القطعان المتفلتة فقد تعرّض للقتل، وما كـان منـه إلا النجـاة بنفسه فقد ضلوا جميعاً (**مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا {92/20}**) (طه: 92) وبالتالي فإنَّ هـارون عليه السـلام لم يكـن يملك قوة تلزمهم بالكفِّ عن صناعة العجل، ولا يمكن أنْ يُعدّ ذلك إقراراً منه لفعلهم لأنه نبي جاء ليـدعوا لعبـادة اللـه وحده، وعليه فإنَّ النص التوراتي هـو افتراءٌ آخر على أنبياء اللـه عليهم الصلاة والسلام".([2])

وهكذا يظهر الفرق جلياً بـين موقـف العهـد القـديم وبـين موقـف القـرآن الكـريم مـن هــارون عليـه السـلام ، فالعهد القديم يؤكد أنّ هـارون عليه السلام هو من صَنَعَ العجل، ودعا بني إسرائيل لعبادته، بينما تجد أنَّ القـرآن الكريم يثبت براءة هـارون عليه السلام وأنه كان مسانداً لموسى عليه السـلام وأنـه نهـى وحـذّر بنـي إسرائيـل مـن عبادة العجل، وبيَّن لهم أنهم قد فُتنوا به، ودعاهم إلى طاعتـه، وأقـام علـيهم الحجَّـة لكـنهم عصـوا أمـرَه ورفضـوا طاعته.

---

1 . أنظر: **تفسير القرآن العظيم**،لابن كثير، ج2، ص 258. مرجع سابق.

2 . العموش، د. بسام علي، **قراءة عقائدية في العهد القديم**، ص 747. مرجع سابق.

الفصل الخامس: داود عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- تمهيد

- المبحث الأول: اتهام داود عليه السلام بتقديم مائتي غلفة مهراً لعروسه

- المبحث الثاني: دعوى زنا داود عليه السلام بامرأة جاره المجاهد

- المبحث الثالث: دعوى إتهام داود عليه السلام أمه بالزنا

- المبحث الرابع: دعوى زنا أمنون بن داود عليه السلام بأخته ثامار

- المبحث الخامس: دعوى زنا أبشالوم بن داود بسراري أبيه داود عليه السلام

- المبحث السادس: دعوى سوء خاتمة داود عليه السلام

- المبحث السابع: داود عليه السلام في القرآن الكريم.

.

المبحث الأول: اتهام داود عليه السلام بتقديم مائتي غلفة([1]) مهراً لعروسه:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

جاء في نصِّ الدعوى:

(وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ أَحَبَّتْ دَاوُدَ، فَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَحَسُنَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْهِ. [21]وَقَالَ شَاوُلُ: «أُعْطِيهِ إِيَّاهَا فَتَكُونُ لَهُ شَرَكاً وَتَكُونُ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَلَيْهِ». وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ ثَانِيَةً: «تُصَاهِرُنِي الْيَوْمَ». وَأَمَرَ شَاوُلُ عَبِيدَهُ: «تَكَلَّمُوا مَعَ دَاوُدَ سِرّاً قَائِلِينَ: هُوَذَا قَدْ سُرَّ بِكَ الْمَلِكُ، وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ قَدْ أَحَبُّوكَ. فَالآنَ صَاهِرِ الْمَلِكَ». [23]فَتَكَلَّمَ عَبِيدُ شَاوُلَ فِي أُذُنَيْ دَاوُدَ بِهذَا الْكَلاَمِ. فَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ فِي أَعْيُنِكُمْ مُصَاهَرَةُ الْمَلِكِ وَأَنَا رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَحَقِيرٌ؟» [24]فَأَخْبَرَ شَاوُلَ عَبِيدُهُ قَائِلِينَ: «بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ تَكَلَّمَ دَاوُدُ». [25]فَقَالَ شَاوُلُ: «هكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ». وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. [26]فَأَخْبَرَ عَبِيدُهُ دَاوُدَ بِهذَا الْكَلاَمِ، فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ دَاوُدَ أَنْ يُصَاهِرَ الْمَلِكَ. وَلَمْ تَكْمُلِ الأَيَّامُ [27]حَتَّى قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتَيْ رَجُل، وَأَتَى دَاوُدُ بِغُلَفِهِمْ فَأَكْمَلُوهَا لِلْمَلِكِ لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً. [28]فَرَأَى شَاوُلُ وَعَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ مَعَ دَاوُدَ. وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ كَانَتْ تُحِبُّهُ. [29]وَعَادَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ بَعْدُ، وَصَارَ شَاوُلُ عَدُوًّا لِدَاوُدَ كُلَّ الأَيَّامِ.)(صم 1 : 18: 20 - 29).

التحليل :

يحسُن تلخيص القصة في نقاط ليَسهل فهمُها:

- الحسدُ والغيرة تملآن قلب الملك شاول بسبب انتصارات داود وما نتج عنها من شهرة عند الشعب وغناء القينات باسمه.

- أنَّ شاول أراد قتل داود عليه السلام لتفرغ له ساحات البطولة والشهرة والثناء.

- سمع شاول من عبيده أن ابنته ميكال وقعت في حب داود عليه السلام ، فأراد اغتنام الفرصة للقضاء على داود عليه السلام

1 .**الغلفة:** رأس العضو الذكري. وقال ابن فارس: القلفة والغرلة أيضاً. والأغرل الأقلف، والغرل المسترخي الخَلق. أنظر: **معجم مقاييس اللغة**. المجلد الرابع، ص 419. **وقال إبن منظور**: الغرلة : القلفة، وهي جلدة الذكر التي أُلبستها الحشفة، وهي التي تقطع من ذكر الصبي. ورجل أقلف وأغلف أي لم يختن، وقلف الشجرة : نزع عنها لحاءها، والقلف قشر الرمان، وعام أقلف أي مخصب كثير الخير، **لسان العرب**، مرجع سابق، في ألفاظ غرل. وغلف، وقلف.

- الهدف من الغلف هـو قتل الفلسطينيين، وليس الغلف إلا علامة على ذلك القتل. ومع ذلك فهي علامـة في غايـة البشاعة والبعد عن الأخلاق ولعلها غير مسبوقة في التاريخ الإنساني.

- عرض شاول على داود عليه السلام زواجه من ابنته ميكال، مقابل مائة غلفة من الفلسطينيين.

- حَسُن الأمرُ في عين داود عليه السلام وسُرَّ به، ومضى ليأتي بمهر العروس.

- ذهب داود عليه السلام مع رجاله وقتل مائتي رجل من الفلسطينيين.

- قدَّم داود عليه السلام المهر مائتي غلفة لحماه فأعطاه العروس.

- يُلاحظ إحجام بعضُ شُرَّاح العهد القديم عن التصريح بقضية الغلـف، والاكتفـاء بالحـديث عـن مائـة رجـل، مـع إحضار علامة القتل([1]).

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

هـذه القصة مردودة وباطلة لأنها تخالف العصمة وتخالف الأخلاق وتعبر عن الوحشية والعنصريـة، وهـذا تبيـان ذلك:

- أما مخالفتها لعصمة الأنبياء عليهم السـلام، فـذلك لأنّ النَّبـيّ لا يفعـل الكبـائر متعمـداً، قبـل البعثـة أو بعـدها. خصوصاً أنَّ القتل بغير حقٍّ جريمة عظيمة. وإنّ العاقل ليتساءل: كيف يرضى النَّبيّ بقتل مائتي نفـس لتكـون مهـراً وثمنا لزواجه ومسَرته ؟

- وحتى لو احتج البعض وتمسك بأنّ المقتولين كانوا وثنيين، فإن الأخـلاق الرفيعـة للنبـي داود تمنـع أنْ يقبـل بقتـل مائتي إنسان لغاية تقديم غلفهم مهراً لعروسه. وهذا المانع الثاني وهو الوحشية وغيرالأخلاقية؛ حيـث إنَّ الحـديث عن مسألة الغلف والنصّ عليها هـكذا هـو أمرٌ غير أخلاقي وغير إنساني، وهو أقرب إلى العنصريـة والوحشـية. ولـو نصَّ على قطع رؤؤسهم كما هـي عادة الأعداء في الانتقام من الخصم لكان الأمر أهون من مسألة الغلف لمخالفتهـا الحياء والذوق العام. وإن كان كِلا الأمرين مذموماً.

قال الباحثُ: ولعلّ هـذا الأمر المخجل عالمياً على مدار الزمان هــو سـبب امتنـاع بعـض اللاهـوتيين في زماننـا عـن التصريح للنصارى بحقيقة المهر الذي هــو شرط الـزواج، واكتفـاؤهم بـالقول إنّ داود عليـه السـلام أحضر للملـك شاول علامة انتصاره وهي مائتي غلفة، دون تفصيل لحقيقة الأمر.

- كما يُلاحظ أنّ داود عليه السلام كان سخياً وسفَّاحا معاً، إذ إنَّ المهر كان مائة غلفة إلا أنه لسـخاء نفسـه أو قُـلْ لوحشيته زادها مائةً أخرى، فقدّم مائتي غلفة (نفس) مهراً وكرامةً لعروسه.

– كان من الممكن أنْ يكون للحادثة كلها مغزىً ومعنىً رمزي لو اقـتصر الأمـر عـلى قتـل مـائتي رجـل. أمـا قـتلهم والنصّ على إحضار غلفهم، وتنفيذ داود عليه السلام لذلك مـع الفـرح والسرور فهـذه جريمـةٌ تتضـمن كـل معـاني

---

1 .انظر مثلا: القس د. منيس عبد النور، **النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**، 1990،ص 26، ط 1، call of hope، شتوتجارت، ألمانيا.

الوحشية وغيرالإنسانية، الأمر الذي يجعل كل عاقل يحكم بأنه من المحال أنْ يقبل بهذا الشيء أحد الحكـماء فضـلاً عن أنْ يقبل به ويُسرّ به نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا كله ردَّ العقلاء هـذه القصة وطعنوا فيها. **فكيف يرضاها الإله لأحد أنبيائه ؟ بل كيـف يـوحي بهـا للأنبيـاء ومن بعده لتكون وحياً يتلى على مرِّ الزمان!؟**

على أنَّ هـذا الكذب السافر جعل أحدَ النقاد الساخرين يتساءل فيقول: لا نـدري هــل تـولَّى داود عليـه السـلام بنفسه قطع الغلف إخلاصاً لعروسه ؟ ولا ندري ما الذي فعله شاول بهذه الغلف؟ ولماذا الغلف بالذات ؟ ثم يصـل بتساؤله إلى أنْ يقول: ولا ندري أأخذها شاول ونظمها عقداً في رقبته، أم ألبسها لابنته يوم زفافها([1]).

ولا يجد الإنسانُ شيئا يعلِّق به على هـذه السخرية، إلا بالدعاء إلى لله تعالى أنْ يلعن الكاذبين المفترين الذين بـدَّلوا كلام الـلـه العظيم، بهذا السخف. ثم ارتضوه ديناً وجعلوه سخريةً وهزءاً للعالمين.

المبحث الثاني: دعوى زنا داود عليه السلام بامرأة جاره المجاهد.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: دعوى زنا داود عليه السلام بامرأة جاره المجاهد:

فيما يلي نصُّ الدعوى ثمّ التحليل:

(وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْـتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. [3]فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هـذِهِ بَثْشَـبَعَ بِنْـتَ أَلِيعَـامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». [4]فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. [5]وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَـتْ: «إِنِّي حُـبْلَى». [6]فَأَرْسَـلَ دَاوُدُ إِلَى يُـوآبَ يَقُـولُ: «أَرْسِـلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. [7]فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَـلاَمَةِ يُـوآبَ وَسَـلاَمَةِ الشَّـعْبِ وَنَجَـاحِ الْحَرْبِ. [8]وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِـنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. [9]وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. [10]فأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَـائِلِينَ: «لَـمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» [11]فَقَالَ أُورِيَّـا لِـدَاوُدَ: «إِنَّ

1 . عبد الفتاح . محمد عبد الحليم، **الجنس في العهد اليهودي القديم**، ص 37 .

التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». [12]فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هنَا الْيَوْمَ أَيْضاً، وَغَداً أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. [13]وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.

[14]وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوباً إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. [15]وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». [16]وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. [17]فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً. [18]فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. [19]وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلاً: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، [20]فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ [21]مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ([1])؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً».

22فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. 23وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. 24 فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». 25فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: « هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ».

26فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. 27وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.)(صم 2: 11 : 2 – 25).

تحليل النصّ:

يَتهمُ كتبةُ النصِّ السابق نبيَّ اللـه داود عليه السلام بارتكاب العديد من الجرائم والكبائر المتداخلة، فنذكر ما قاله بعض القساوسة ثم ما قاله رحمت اللـه الهندي.

يرى القس د. منيس عبد النور أن ّداود عليه السلام قد اجتاز مرحلة الشباب بنجاح، لكنه وقع في الخطية على كِبَر ويقول: ليس على الخطية كبير([2]).

وقد عَنْونَ مؤلفو التفسير التطبيقي لهذه الحادثة ب : خطيئة داود وخداعه، وأحياناً يقولون سقطة داود([3]). بينما عَنْونَ القس د. منيس هذه القصة الخطيرة ب: غلطة داود([4]).

1 . تاباص: مدينة قريبة من شكيم(نابلس). أنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، حرف التاء.

2 . القس د. منيس عبد النور .**النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**، ص 53 . طباعة : call of hope، ط1 ، 1990، شتوتجارت، ألمانيا .

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 658 – 659 .

4 . القس د. منيس عبد النور، **النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**،ص 54، شتوتجارت، ألمانيا .

ويلَّخص أصحابُ التفسير التطبيقيّ القصَّة بقولهم: "عندما تطّلّع داودُ من فوق سطح قصره رأى امرأةً جميلةً تستحِمُّ فملأت الشهوةُ قلبَه. كان يجبُ أنْ يغادر السطح ويهربَ من التجربة، لكنه عوضاً عن ذلك استجاب للتجربة بالسؤالِ عن المرأة. وكانت نتيجةُ الخطية في قلبه مدمرةً ".([1])

آراء علماء أهل الكتاب:

عَدَّ شُرَّاحُ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس عشرَ خطايا أو جرائم لنبيِّ اللـه داود عليه السلام كنتائج ترتبت على خطيته. ويقولون:" إنّ داود سمح لنفسه بالتمادي في الخطية كما يلي:

1- تخلَّى عن مسؤوليته بالبقاء في البيت عوضاً عن المشاركة في المعركة .

2- وجّه اهتمامه لشهواته .

3- عندما عرضت له التجربة (الفاحشة)استجاب لها بدلاً من الهروب منها.

4- ارتكب الخطية عامداً.

5- حاول تغطية خطيته بخداع الآخرين.

6- ارتكب جريمة القتل لتغطية فعلته.

7- انكشفت خطيتُه ونال عقابها.

8- امتدت نتيجة خطيته إلى كثيرين غيره.

9- أنه وضع المرأة (بتشبع) شريكته في الخطية، في موقفٍ محرج، ولكنَّ رفضها لرغبة الملك قد يعني الموت أو العقاب.

10- قُتل أوريًّا وجنودٌ كثيرون أبرياء نتيجة خطية داود".([2])

وقد تضمَّن هذا النص كبائر عديدة ذكرها الشيخُ رحمت اللـه الهندي([3]) وهي:

1 - أنّ دا د عليه السلام نظر إلى امرأة أجنبية بشهوة. وقد قال عيسى عليه السلام : (كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه)(متى : 5 : 28).

2 – أنه لم يكتف بالنظرة المحرمة، بل طلبها وزنا بها، ضارباً الوصايا العشر بعرض الحائط : (وَلاَ تَـزْنِ)(خر: 20: 14) و(تث: 5 : 18).

3 - أنّ هـذا الزنا كان بامرأة الجار، وهو أشد أنواع الزنا. وقيل إنها حفيدة أحد مستشاري داود عليه السلام .

4- أنه ما أقام حد الزّنا على نفسه ولا على المرأة. وفي الشريعة: ([22]إذا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْـرَأَةٍ زَوْجَـةِ بَعْـل، يُقْتَلُ الإِثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إسرائيل.)(تث: 22 : 22).

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 659 .

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 658 – 660 .

3 . هـذه الأمور ذكرها الشيخ رحمت اللـه الهندي في كتابه **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1245 – 1246. ما عدا النقطة الخامسة فهي من كلامي.

5- أنّ داود عليه السلام أراد اختلاط الأنساب عن طريق كتمان الجريمة ومخادعة زوج المرأة، لما علم بحبـل المـرأة، فعمل على إسكاره وطلب منه الذهاب إلى بيته، لعله يجامع امرأته ليُنسَـبَ المولـود إليـه. وهـذه خدعـةٌ عظيمـة ومفسدةٌ كبيرة لو تحقَّقَت.

6- أنه لمّا لم تحصل ثمرةُ مقصوده السابقة، تآمرَ على قتـل زوج المـرأة بسـيف بنـي عمـون، مـن خـلال تقديمـه إلى مقدمة الجيش، وقد ورد النهي عن ذلك :(البارّ والزكي فلا تقتله)(خر : 23 : 7)

7 - أنه سُرَّ بمقتل أوريًا زوج المرأة. وفي التفسير التطبيقي أنّ "داود قابل مقتل أوريًّا بكل بـرود وعـدم مبـالاة، فلـم يُبْدِ أقل حزن عليه لأنه أصبح قاسي القلب لخطيته. والخطايا المتعمدة المتكررة أفقـدت داودَ حساسـيته مـن جهـة شريعة اللـه وحقوق الآخرين"([1]) .

8- أنه قد أتاه الخبر بأنّ الولد الذي سيأتي من الزنا سيموت، ومع ذلك فقد دعا بعافيتـه وصـلى وصـام وبـات عـلى الأرض.

آثار الخطيئة عند أهل الكتاب:

لم يكتف كتبة العهد القديم بإلصاق هـذه الدعوى والتي احتوت عدة جرائم بداود عليه السلام ، وإنما رتَّبوا عليهـا نتائج لا تقل بشاعةً وسفلاً مما نسبوا لداود عليه السلام . على أنهم اعتبروا هــذه الجـرائم عقوبـات إلهيـة لـداود بسبب خطيئته. وهذه المتاعب هـي:

" أنّ نساء داود جلبن له الكثيرَ من الأحزان. وأنَّ آخرين سيضطجعون مع نسائه. وأنّ اللـه توعده بأنّ القتل سيظل خطراً دائماً في عائلته. وحدوث زنا المحارم بين ابنه أمنون وابنته ثامار. وأنَّ ابنه ابشالوم ثار عليه واضطجع مع نساء أبيه داود([2]).

وبعد الوقوف على نصَّ الدعوى السابقة، وحيثياتها ونتائجها، يجد القارئ الكريم نقداً ونسـفاً بـإذن اللـــه تعـالى لهذه المزاعم الواهية، من العهد القديم ذاته، ومن العقل والقرآن الكريم، وذلك كما يأتي:

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

لا يرضى أيُّ مسلم إلا أنْ يحكم على هـذه الدعوى بالبطلان، وكذا أي عاقل يقرأها متأملاً. وفيما يأتي نقـض هــذه الحادثة من العهد القديم، ومن النصوص الإسلامية، ومـن العقـل أيضـاً، ويلاحـظ تـداخل البراهـين الثلاثـة ببعضـها أحياناً. والبداية مع نصوص العهد القديم:

البرهان الأول: نقض الحادثة من العهد القديم ذاته:

في العهد القديم ذاته براهينُ تنقض الدعوى السابقة المنسوبة لداود عليه السلام ، كما تنقض كـلَّ مـا نسـب لـه ممّا لا يليق به. وأوَّلُ هـذه البراهين كلماته الأخيرة، فهي خيرُ شاهدٍ على طهارته وبراءته من كلِّ سوء وخاصة تهمة الزِّنا هـذه. وهذا جزء من تلك الكلمات:

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 659 – 661 .

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 665 .

1- (وَكَانَ الرَّبُّ سَنَدِي. [20]أَخْرَجَنِي إِلَى الرُّحْبِ. خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي. [21]يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ عَلَيَّ. [22]لأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ الرَّبِّ، وَلَمْ أَعْصِ إِلهِي. [23]لأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضُهُ لاَ أَحِيدُ عَنْهَا. [24]وَأَكُونُ كَامِلاً لَدَيْهِ، وَأَتَحَفَّظُ مِنْ إِثْمِي. [25]فَيَرُدُّ الرَّبُّ عَلَيَّ كَبِرِّي، وَكَطَهَارَتِي أَمَامَ عَيْنَيْهِ.)(صم 22: 19-25).

وأرى أنَّ هـذه كلماتٌ يمكن لدرجـة كبـيرة نسـبتها إلى داود عليـه السـلام ، إنْ لم يكـن حرفيـاً فبـالمعنى؛ إذ إنهـا موافقة للقرآن الكريم في وصف طهارة داود واستقامته، وأنه لم يعص اللـه تعالى، لأنـه يضـع جميـع أحكـام اللــه تعالى نصب عينيه لا يحيد عنها. وربما يعترض أهل الكتاب زاعمين بـأنّ هــذا الـنصّ كـان قبـل الفاحشـة. فـزعمهم مردودٌ بكلام ابنه سليمان الآتي:

2- وهذه العبارة أشد وضوحاً: ([4]وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ)(مل 1: 11 : 4).

قلتُ: دلّ هـذا النصُّ على كمال داود عليه السلام مع اللـه تعالى. وهذا الكمال كـما يُثبـتُ الـنَّصُ يكـذِّبُ دعـوى الزنا المنسوبة إليه عليه السلام .

3- وفي العهد القديم: ([17]لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ)(خر: 20: 17).

ولا شك أنّ داود عليه السلام أطاع ما في توراة موسى عليه السلام ، فغضَّ بصرَه ولم يشـتهِ امـرأة لا تحـلُّ لـه. ففـي النصِّ تكذيبٌ ضمنيٌّ لدعوى نظر نبيِّ اللـه داود عليه السلام للمرأة جارته بشهوة.

4- ومن نصوص العهد القديم الشاهدة باستقامة داود عليه السلام وبره وأمانته، الدعاء الـذي توجـه بـه سـليمان عليه السلام لله تعالى،وهذا نصه مع مناسبته: ([5]فِي جِبْعُونَ تَرَاءَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ فِي حُلْمٍ لَـيْلاً، وَقَـالَ اللــه: «اسْـأَلْ ماذا أُعْطِيكَ». [6]فَقَال سُلَيْمَانُ : «إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ عَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةً عَظِيمَـةً حَسْـبَمَا سَـارَ أَمَامَـكَ بِأَمَانَـةٍ وَبِـرّ وَاسْتِقَامَةِ قَلْبٍ مَعَكَ، فَحَفِظْتَ لَهُ هـذِهِ الرَّحْمَةَ العَظِيمَةَ وَأَعْطَيْتَهُ ابْنًا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ كَهذَا اليَوْمِ.)(ملـو1: 3 : 5 – 6).

فالنصوصُ السابقةُ تحملُ وبوضوح عبارات التزكية والثناء الإلهي على داود عليه السلام ، وبنفس الوقت تكذِّب مـا نُسب له من فواحش، وتؤكد طهارته وحفظه حدود اللـه، وحفظ اللـه تعالى له.

4- داود عليه السلام **يتنبأ بتحريف كلامه:**

جاء على لسان داود عليه السلام : (**ماذا يَصْنَعُهُ بِي البَشَرُ؟ [5]اليَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي**)(مزمور:56:4)

في العبارة السابقة نبوءةٌ من داود عليه السلام بتحريف كلامه. وقصـة الزِّنـا مـن التحريـف، وكـذلك مـا ورد مـن دعوى اتهامه أمَّه بأنها حملت منه عن طريق الزِّنا كما سيأتي.

وبعد الاستشهاد بنصوص العهد القديم على براءة داود عليه السلام واستقامته وكماله، نأتي إلى البرهان العقلي.

ثانيا: البرهان العقلي:

ويتضمن إبطال معرفة أو رؤية داود عليه السلام بأنّ المرأة جميلة جداً. ولهذه المسألة أهمية هـذا بيانها:

تظهرُ الأهميةُ القصوى لهذا المسألة، بمعرفة أنّ دعوى الزنا وكلَّ ما تبعها مبنيٌ على رؤيةِ داود عليه السـلام امـرأةً جميلة جداً، ممَّا أدى إلى افتتانه بهذا الجمال الذي رآهُ. ووقوعه في الزنـا حسـب الروايـة. وسـوف نـأتي في السـطور الآتية- التي تتضمن براهين عقلية- إلى نفي هـذه الرؤية مـن أساسـها، لنـأتي عـلى قواعـدَ هــذه القصـة المتهافتـة، ليثبُت للجميع كذبُها وبطلانُها، فتخِرَّ على كتبتِها لعناتٌ مستحَقَّةٌ إلى يوم الدين، جزاء بما كانوا يفترون.

وأوَّلُ البرهان العقلي وجودُ مسافة طويلة بين سطح القصر؛ حيث كان يتمشَّى داود عليه السلام ، وبين المرأة. الأمر الذي ينفي رؤيته تلك المرأة. وهذه – بتوفيق الـلـه تعالى - براهين وجود تلك المسافة المانعـة لتمييـز الجـمال بـل ورؤيته أصلاً.

- البرهان المكاني:

وخلاصتُه أنّ داود عليه السلام سكن في قلعة عظيمة وليس في بيتِ عاديٍّ، وهذا القصر أو القلعة كانت عـلى جبـل صهيون([1]) الذي أخذه في أحد حروبه، كما يتضح في الشاهد الآتي:

([7]وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هـيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ ، وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ «مَدِينَـةَ دَاوُدَ». وَبَنَـى دَاوُدُ مُسْـتَدِيرًا مِنَ الْقَلْعَةِ فَدَاخِلاً. [10]وَكَانَ دَاوُدُ يَتَزَايَدُ مُتَعَظِّمًا، وَالرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ مَعَهُ. 11وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ رُسُلاً إِلَى دَاوُدَ، وَخَشَبَ أَرْزٍ وَنَجَّارِينَ وَبَنَّائِينَ فَبَنَوْا لِدَاوُدَ بَيْتًا. [12]وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَثْبَتَهُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ قَدْ رَفَّعَ مُلْكَهُ مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. [13]وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِيَ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ) (صم 2: 5 :9 - 13).

أقول: يجب على العاقل الحكم بتخطئة القول بانَّ داود كان يتمشى فوق سطح بيت الملك الواردة في نصَّ الـدعوى (صم: 2: 11: 2) والأصحُّ أنْ يقال قلعة أو قصر، وحجتي في ذلك من العهد القديم وشراحه، وم علماء الإسلام قديماً وحديثاً كما يأتي:

أولاً: ملك صور الذي أراد التودُّدَ إلى داود عليه السلام ، فأرسل البنّائين والنَّجّارين وخشب الأرْزِ القويِّ لا ليبنوا بيتاً عادياً بل ليبنوا قصراً منيفاً، فشيَّدوا لداود عليه السلام قصراً، كما هــي الترجمـة المعتمـدة عنـد أصـحاب التفسـير التطبيقي، وكذلك شُرَّاح العهد القديم يتحدثون عن قصر وليس عن مجرد بيت. وهكذا شهد شاهد من أهله.

ثانياً: وصف ابن العربي محرابَ داود عليه السلام فقال:" كان مـن الامتنـاع بالارتفـاع بحيـث لا يرقـى إليـه آدمـي بحيلةٍ، إلا أنْ يُقيم إليه أياماً أو أشهراً حسب طاقته، مع أعوانٍ يَكثُر عددهم وآلات جمّة مختلفة الأنواع."([2])

1 . **صِهْيَوْنَ**: اسم عبري معناه على الأرجح حصن وهو: رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم وورد ذكرهـا للمـرة الأولى في العهـد القديم كموقع لحصن يبوسي فاحتل داود الحصن وسماه مدينة داود (2 صم 5: 7) **قاموس الكتاب المقدس**، ص 558 .

2 . ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج4، ص 47 . مرجع سابق.

ويقول د. حسن ظاظا: " إنَّ هـذه القلعة انتزعها داود عليه السلام في إحدى الحروب، ثم نقل إليها قاعدة حكمه"([1]). فهي إذنْ قلعة محصنة على قمَّةِ جبل صِهيون. وكذا ورد في قاموس الكتاب المقدَّس أنَّ داود عليه السلام أقام قصراً بناه له صُنَّاع صوريون.([2])

وأرى أمام كل ما تقدم من نصِّ العهد القديم وقول علماء الإسلام وأهل الكتاب أنفسهم، أنَّهُ لا يمكن الحديث عن بيت عاديٍّ سكنه داود عليه السلام ، وإنما قصر منيفٌ عالٍ على سفح جبل. ذلك أنَّ ملك بني إسرائيل والعظمة التي كانت تتحقق، وكثرة الانتصارات حسب العهد القديم، إضافةً إلى زوجات وسراري داود عليه السلام الكثيرات، كانت هـذه الأشياء كفيلة بتشييد قصر عظيم لملك عظيم.

قلت: وهذا كله يدلُّ على وجود مسافة كافية، لا تمَكِّنُ من كان فوق القصر أنْ يرى إنساناً آخر.

وزيادة في الإقناع والتثبت وليطمئن قلب القارئ الكريم لطول المسافة بين أعلى القصر وبين بيت المرأة، فإنني أذكّر بما يأتي:

أولاً: أنّ قصور الملوك وقلاعهم تكون على الأغلب واسعةً من الداخل، فيها غرف كثيرة وصالات طويلة،وشرفات مطلة، وهذا يجعلُ من الصعب على الإنسان الناظر من أول القصر أنْ يرى بوضوح ملامح وجه إنسان آخرَ في آخرِ القصر، نظراً للمسافة غير القريبة، فكيف بمن هو فوق القصر وينظر إلى بيت آخر! فلا شكّ أنّ المسافة تكونُ أبعد والرؤية أصعب.

ثانياً: أنّ عادةَ الملوك والعظماء خاصة إذا كان محارباً، له ولدولته أعداءٌ كثر كداود عليه السلام وإسرائيل، أنْ يجعل مسافة كافية بين القصر ذاته وبين سور القصر.

ثالثاً : أنّ المألوف في قصور الملوك والعظماء أنْ تجعل مسافة وفاصلاً كافياً بين سور القصر وبين بيوت الرعية، وخاصةً إذا علمنا أنَّ قصر داود كان على جبل. فمن الطبيعي أنْ يكون رعيته قد سكنوا في غير الجبل. مما يؤكد البعد بين قصر داود عليه السلام وبيوت جيرانه، بل يؤكد كل هذا أنّ داود عليه السلام لم يكن له جيران بالمعنى المتعارف عليه من قرب بيت الإنسان لجاره. فهذه توضيحاتٌ كافية وشافية ليبقى صاحب العقل متيقناً من صعوبة تمييز جمال امرأة من عدمه في ظل هـذه المسافة البعيدة.

رابعاً - وممّا يدلُّ على بعد المسافة بين قصر داود عليه السلام وبيت المرأة أيضاً، أنه لو كان البيت قريباً لدرجة الرؤية الواضحة لما خَفِيَ على داود عليه السلام من هو جارُه القريب، وعليه لن يُرسِل داود عليه السلام في السؤال عن المرأة، ولن يخفى عليه بيت أحد قادته العسكريين أيضاً، وخاصة إذا كان القائد جاره، **فليتدبر أولوا العقول.**

---

1 . حسن ظاظا، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص 21 .

2 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص364،و ص 366 .

خامساً - وممّا يدلُّ أيضاً على بعد المسافة بين قصر داود عليه السلام وبيت المرأة، أنّ أوريا لم ينزل إلى بيته عندما طلب منه داود عليه السلام ذلك، وعلى الرغم من عذره الذي تعذر به، إلا أنه لو كان بيتُه قريباً جداً من القصر لذهب إليه إلا أنه لم يكن كذلك.

وإذا ثبت هذا وتقرر لدى القارئ الكريم، فيثبت معه وجود مسافة بعيدة بين قلعة داود عليه السلام وبين أقرب البيوت إليه، وهذه المسافةُ تعدُّ مانعاً قوياً من رؤية داود عليه السلام لهذه المرأة. ولو فرضنا أنّ داود عليه السلام رأى امرأةً من فوق قصره فإنه لن يتحقَّقَ من جمالها ولن يستطيع تمييز هل المرأة جميلةٌ جداً أم لا نظراً لبعد المسافة من القصر إليها، وخاصة إذا علمنا أنه كان يتمشَّى فوق القصر كما في الرواية ولم يكن أسفل القصر أو عند بابه، وهذا سبب آخر لازدياد المسافة وبعدها. وبعد ثبوت طول المسافة بين داود عليه السلام وتلك المرأة نأتي إلى برهان آخر.

ثانياً: (البرهان الزماني):

ومفاده: أنّ طبيعة الوقت كان مساءً كما في الرواية. وقد رجّح علماء أهل الكتاب أنّ المساء الأول ما بين الغروب والظلام([1]). فليس نهاراً، وإنما مع حلول الظلمة. وفي العهد القديم شواهد على أنّ المساء يعني الليل :([15]وَفِي يَوْمِ إِقَامَةِ المَسْكَنِ، غَطَّتِ السَّحَابَةُ المَسْكَنَ، خَيْمَةَ الشَّهَادَةِ. **وَفِي المَسَاءِ** كَانَ عَلَى المَسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلى الصَّبَاحِ.) (عدد : 9 : 15) وفُسِّرَ المساءُ على أنه الليل.([2])

وحلولُ الليل يجعل الرؤيةَ غير ممكنة مع طول المسافة كما تقدم. وحتى لو كانت المسافة قريبة، فإنّ ظلمة الليل تمنع من الرؤية، وعلى الأقل تمنع من الرؤية المميزة. فكيف يستطيع داود عليه السلام عندها تمييز ملامح المرأة ؟ لا شك أنَّ هذا من المُحال. وهذا البرهان الساطع يكذِّبُ القصة وينقضها بالكلية.

وإذا ثبت عند العبرانيين أنّ المساء الأول هو ما بين العشاءين، فإنّ هذا الأمر لوحده يوجب على العاقل التوقف عند هذه الكلمة للتحقق من بطلان الرواية بأكملها. فكيف بهذه البراهين مجتمعة ؟ لا شك أنها تحتِّم على أصحاب العقول وجوب القول بامتناع الرؤية الواضحة المميزة للأشياء ضرورةً.

ولو سلّمنا جدلاً بأنّ إنساناً دقَّقَ النظرَ، على امرأة رآها عن بعد في ظل الظروف السابقة الذكر، فإنّ الرؤية تكون صعبة جداً، لا يستطيع الإنسان معها تمييز المرأة من الرجل. أو على الأقل المرأة الجميلة جداً - كما زعمت الرواية- من غيرها.

---

1 . أنظر **قاموس الكتاب المقدس**، كلمة مساء، ص 890 . وقد قسم العبرانيون المساء إلى مسائين، الأول ما بين الغروب والظلام وسميت المدة بينهما بين العشاءين (لا23: 5 وعد9: 3، 28: 4). والثاني ما بعد ذلك،وزعم بعضهم أنّ المساء الأول كان يبتدئ من الساعة الثالثة بعد الظهر وينتهي عند الغروب، وإن المساء الثاني كان يبتدئ من الغروب. أما عبارة في العشية (خر16: 12، 30: 8) ففي الأصل العبراني بين العشاءين أيضاً.

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 291 .

وبناء على هـذا البرهان العقلي المستند إلى بُعد المسافة وحلول الليل، يجبُ القـول بـأنّ داود عليـه السـلام لم يـرَ المرأة، ولم يعرف أنها جميلة جداً، وبذلك يبطُل سبب افتتانه بها، ويبطل أنْ يكون قد أرسل من يسأل عنها، وتبطل دعوى الزنا من أساسها. والحمد لله ربِّ العالمين.

وبعد هـذا النقض للأساس الذي قامت عليه دعوى الزنا، يمكن التوقف عن الكلام عن باقي أحداثها المزعومة، لأنه إذا انتفى السبب والأساس انتفى معه ما تأسس عليه، ولكن مبالغة مني في نسفِ القصة، ولوقوف القارئ الكريم على جميع جوانب بطلانها يمكن متابعة النقد.

رابعاً: أنه لم تجر العادةُ بأنْ يتمشَّى الملوك فوق القصور، وإنما بجانبها أو في الحديقـة أو عـلى الشرفـات، فلـو كـان النصُّ أنّ داود تمشَّى أو أطَلَّ من على شرفة القصر مثلاً، لكان للأمرِ وجهٌ - عند من لا وجهَ له. أمَّا أنْ يـتمشّى الملـك على سطح القصر، فانّه يظهر من هـذه العبارة وفيها رائحةُ الكذب الذي أنتن الأنـف لفحـشٍ وسـوء أدبِ الكـاذبين بحق أنبياء الـلـه

المطهرين

- أوريا يغيب عن زوجته الفاتنة !!

لا يصدُّق العقل أنّ محارباً قوياً،عنده امرأة فائقة الجـمال، يغيـبُ عنهـا أيامـاً أو أكـثر لانشـغاله بـالحرب وملاقـاة العدو، ثم يرجع من ساحة القتال ولا يذهب إلى زوجته القريبة جداً مـن قصر الملـك الـذي نـام عنـد بابـه حسـب الرواية!!

وبعد البرهان من العهد القديم والعقل على بطلان الرواية نأتي الى البرهان الثالث:

البرهان الثالث: خلق الأنبياءعليهم السلام:

أولاً: أمَّا دعوى شُرَّاح العهد القديم أنّ داود تخلَّى عن مسؤوليته، حيث بقي في البيت ولم يشارك في المعركة:

فيُقال بدايةً إنه لا علم لنا بأنّ داود عليه السلام بقي في بيته أم لا. فربما كانت هـذه الروايـة باطلـةً مـن أساسـها، وفي حال صحة بقائه في قصره فلا حرج في ذلك، فإنّ من هـو خير منه خاتم النَّبيّين سيدنا محمد صـلى الـلــه عليـه وسلم ، كان أحياناً يرسل الجيوش ولا يشارك في المعركة، بل يبقى في المدينة كما حدث في معركة مؤتـة وغيرهـا. ولا يقال إنّ هـذا تخلٍ عن المسؤولية، بل إنّ النَّبيّ يسير وفق وحي الـلـه تعالى. ووفق المصلحة الراجحة عنده وهكـذا داود عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: إبطال مسألة النظر شرعاً: إننا لا نسلِّم بأنّ نبيَّ الـلـه داود ينظر بشهوة إلى امـرأة لا تحـلُّ لـه، فهـذا ممتنـع بداعي العصمة. نعم، ربما ينظر النَّبيّ إلى امرأة سهواً،لكن ليست مكشوفة بعصمة الـلـه له، ومع ذلك فإنـه يصرف بصره ولا يديم النظر لأنه محرَّمٌ لقوله تعالى: (**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الـلـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {30/24}**) (النور: 30).

وفي العهد القديم: ([17]لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ)(خر: 20 : 17).

ولو سُلِّم جدلاً أنّ داود رأى المرأة وجمالها الفتَّان فإنه لن يُديم النظر، كما أنه لن يتمادى ويرسل من يسأل عنها بقصد الوقوع في الفاحشة. حاشا لغيرة اللـه تعالى أنْ يأذن لنبيٍّ بأنْ يفعل مثل هـذا الفعل المعيب.

ومعلومٌ أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الزنا قبل البعثة وبعدها، لأنّ ذلك سبب قوي لنفرة الناس عنهم، لأنّ الزنا من أبشع وأرذل الأفعال الخسيسة التي تبقى في ذاكرة البشر. بل أنهم معصومون عن مجرد العزم على الزنا([1]).

ثالثاً: (البرهان الوجداني) ويتمثل بأثر ذكر اللـه تعالى، الذي يمنع صاحبه من النظر المحرَّم:

بعد أنْ ثبت لكل ذي لبّ استحالة رؤية داود عليه السلام لتلك المرأة، بسبب بعد المسافة بينهما وحلول المساء، صار من الضروري تبيان طبيعة العمل الذي كان يملأ به نبي اللـه داود عليه السلام وقته ذاك الذي قيل إنه نظر فيه إلى المرأة. والحقّ أنَّ نبي اللـه داود عليه السلام كان يُشغل تلك الفترة وما قبلها في الذكر والتسبيح والصلاة. فهو صاحب المزامير والتسبيح الذي كانت الجبال والطير ترَجِّع معه، وكان ذلك قبل غروب الشمس وقبل طلوعها. كما قال اللـه تعالى في القرآن الكريم: (**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ {18/38}**) (ص : 18).

فنبيُّ اللـه داود عليه السلام مشغولٌ في هـذا الوقت بذكر اللـه تعالى وتعظيمه وتمجيده. وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام وأهل الإيمان، إضَافةً إلى ذلك الوقت (المساء) وقت صلاة بني إسرائيل؛ حيث قال صاحب تفسير البحر المحيط" في هـذين الوقتين كانت صلاة بنو إسرائيل"([2]).

وأتساءل : كيف يصحُّ أنْ يقدم داود عليه السلام بعد تسبيحه، وذكره ربِّه جلَّ وعلا وصلاته المشهودة، على النظر إلى امرأة ثم يفتتن بها بعد هـذا الذكر؟ واللـه تعالى يقول: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللـهِ أَكْبَرُ وَاللـهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ {45/29}**)(العنكبوت: 45). وهذا أثرُ الصلاة والذكر في المؤمنين([3])، فكيف بالأنبياء المطهرين؟

فلا شك أنّ الطعن في داود عليه السلام لم ينبع إلا من إنسان قاسى القلب ما عرف اللـه، ولا ذاق حلاوة ذكره ومناجاته، ولو كان ذاق لعرف، ولو عرف لعفَّ.

وخلاصةُ القول إنَّ الصلاة وذكر اللـه تعالى وما يترتب عليهما من حلاوة إيمان ومراقبة لله تعالى يمنعان صاحبهما من فعل الحرام، وأنَّى لمن كان بعيداً عن ذكر اللـه تعالى أنْ يفهم أو يجد هـذا الأثر العظيم. وأنَّى لمن حرَّف كلام اللـه تعالى إدراك هـذا المقام!!

---

1 . **زاد المسير**، ج 4، ص 205 .

2 . **تفسير البحر المحيط**، ج 7، 374.

3 .للوقوف على جانبٍ منْ أثر كلام اللـه تعالى وذكره في النفوس أنظر: د. زياد عوّاد أبو حمّاد، **الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم**، مجلة جامعة دمشق، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص 363- 372 .

خامساً: (البرهان الخارجي) أين الحياء من الناس؟

لا أدري كيف تجرأَ كتبةُ هـذه القصة المتهافتة شرعاً وعقلاً، على زعم أنّ داود عليه السلام سأل عن المرأة، ثم أرسـلَ مـن يستدعيها إلى القصر جهاراً نهاراً ؟ والـلـهِ لا يفعل هـذا إلا من كان أقل الناس في الدناءة؛ حيث يسأل عن النساء ويأتي بهنَّ لبيوته ؟

ومن المُحال أنْ يُقدم داود نبيُّ الـلـه عليه السلام الطاهر الذي آتاه الـلـه الحكمة على هـذه الفعلة الشنيعة، عـلى مـرأىً ومسمعٍ من حُرّاسِه وسُكّان قصره !! لكن الحقّيقة أنَّ كاتب هـذه القصة لمّا كانت هـكذا أخلاقه، وإلى هـذا الحـدِّ وصـلت أفعاله، فقد أراد أنْ يُلْبِسَ النَّبيّ الطاهر هـذه القصة الساقطة شرعاً وعقلاً وخلقاً. والتي لا تمرُّ إلاَّ على أمثاله.

سادساً: (البرهان الخلقي) هـل يخون داود جاره المجاهد في عرضه؟

لقد أظهر كتَبَةُ العهد القديم النَّبيّ داود عليه السلام بصورة الخائن، حيث خان أحد قـادة جنـده وهـو أوريـا زوج المـرأة الجميلة شريكة داود عليه السلام في الفاحشة حسب دعواهم. وفي المقابل أظهر الكتبة أوريًّا بصـورة الأمـين، الـذي حفـظ أمانة داود عليه السلام عندما أرسل معه رسالة إلى يوآب فما فتحها ولا قرأها.

وإذا كان الـلـه تعالى قد أرسل الأنبياء عليهم السلام لهداية الناس لما فيه خير دينهم ودنياهم، فـلا شـك أنّ الأنبيـاء عـليهم السلام أكثر الخلق حرصاً لجلب النفع بجيرانهم ودفع الضر عنهم. وممّا لا شك فيه أنّ جميع الناس يعرفون أنّ للجـار حقـاً أعظم من غيره، وأنّ الذنب مع الجار أكثر إثما مع غيره، وأنّ الزنا أو السرقة من بيت الجار يعدل أضعاف كـون ذلـك بحـق غير الجار. لهذا فإنّه من المحال أن يؤذي النَّبيّ جارَه بأيِّ أذى ويعتدي على عرضه في غيابه ؟ وخاصة إذا كان جـاره يجاهـد في سبيل الـلـه تعالى ؟

والحقُّ إنّ هـذه الدعوى من أفحش الفحش، الذي لا يوجد إلاَّ في أذهان الكتبة الذين وضعوا هـذه الفرية ضد نبي الـلــه داود عليه السلام .

مؤلفو التفسير التطبيقي يلتمسون عذراً للمرأة ويتهمون داود عليه السلام !!

جاء في التفسير التطبيقيِّ أنَّ داود عليه السلام وضع المرأة (بتشبع) شريكته في الخطية، في موقفٍ محرجٍ، ولكـنَّ برفضـها لرغبة الملك ستكون مهددة بالقتل أو العقاب([1]).

أقول: وهكذا يُعلَم قدْر الأنبياء عليهم السلام عند علماء النصارى؛ إذ جعلوا النساء المنحرفات أفضلُ حالاً وأطهر قلبـاً مـن الأنبياء عليهم السلام المُكْرَمين. فسبحان الذي يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

وبمقارنةٍ بين النَّبيّ داود عليه السلام وأوريّا، فإنّ كِّفة أوريّا تَرْجِح على كِّفـة النَّبـيّ، سـواء كـان ذلـك مـن ناحيـة العقيـدة والإخلاص والجهاد في سبيل الـلـه، أو من الناحية الخلُقية والتحلّي بالصفات الحميدة، فقد تفوق أوريّا الجندي عـلى النَّبـيّ الملك. وكل ذلك من الأدلة على التحريف([2]).

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** ، ص 660 .

2 . د . أحمد عيسى الأحمد، **داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم**، ص 435، رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر 1990 .

نقض دعوى اعتراف داود عليه السلام بالخطيئة:

يقولُ شُرَّاح العهد القديم" إنّ داود اعترف بالخطية، فتاب وكتب المزمور الحادي والخمسين"([1]). وهذه قراءة في المزمور الحادي والخمسين:

([1]اِرْحَمْنِي يَا اللـهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. [2]اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. [3]لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً. [4]إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ. [5]هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي ... قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللـهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. [11]لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي. [12]رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي. [13]فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ.نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللـهُ، إِلهَ خَلاَصِي)(مزمور 51: 1 – 13).

يُعلَمُ بعد قراءة النص السابق أنه لا يوجد فيه ما يدلُّ على حادثة الزنا المنسوبة إلى داود عليه السلام . بل ولا تحمل عبارات النَّصِ أدنى إشارة إلى ذلك الجرم المزعوم. بل إنها تنصُّ على أنَّ داود عليه السلام لم يخطئ بينه وبين البشر، إنما كانت خطيئته مع اللـه تعالى. وهذا حال جميع الأنبياء عليهم السلام عليهم الصلاة والسلام ، حياءً من ربهم جلَّ وعلا، وخشيةً من أنْ يكون أحدهم قد قصَّر في شأن الدعوة، أو لم يقم كما يحب ربنا تبارك وتعالى ،كما قال: (إليك وحدك أخطأت)(مزمور 51 :3).

والعبارات السابقة هي أهم عبارات المزمور الحادي والخمسون والتي يُعوّل عليها شُرَّاح العهد القديم ظناً أنها تحملُ اعترافاً من داود عليه السلام بالفاحشة. والحقّ أنها لا تعدو أنْ تكون تعليماً لبني إسرائيل، كي يتوبَ المذنبون والخطاة ويرجعوا إلى اللـه تعالى . ولم تنصُّ على توبة من فاحشة زنا ولا غيرها.

خلاصة النقد:

هذه دعوى واهيةٌ وباطلةٌ ومناقضة لنصوص العهد القديم، وهي باطلة شرعاً وعقلاً وخلقاً ووجداناً. وهي بلا شكّ من توليد عدوّ لله ورسلِه، لم يستطع حبكها بشكل جيد فظهرت سوأتها للمؤمنين ولأولي الألباب؛ وهي خير دليل على وضع كهنة اليهود وتحريفهم التوراة. وفي هذا يقول القرافي رحمه اللـه: "ولو لم يكن في التوراة إلاَّ هذا الموضع لقطعَ العاقل بتحريفها، وأنها لُفِقتْ بالأهوية([2]) والأغراض.([3]).

---

1 . القس د. منيس عبد النور، **النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**، ص 53 .

2 . الأهوية جمع الهواء، والصحيح أنْ يقال الأهواء حيث إنها جمع هوى حسب مراد القرافي رحمه اللـه.

3. القرافي، **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، ص 107 . مرجع سابق .

المبحث الثالث: دعوى إتهام داود عليه السلام أمه بالزنا.

المطلب الأول:عرض الدعوى.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى:

وردت هـذه العبارة في المزمور الحادي والخمسين، ولم يعرض لها أحد في حدود اطلاعي، وهي كما يأتي:
(هـأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمّي)(مزمور : 51 : 5).
ولا يذكر مؤلفو التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أيَّ شرح أو تعليق عـلى هــذه التهمـة الخطـيرة!! وقـد وجـدت القسَّ انطونيوس فكري يفسِّر هـذه الخطية على أنها الخطية الأصلية([1]) أي خطية آدم عليه السلام وحواء في الأكل من الشجرة.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

يظهر في نص الدعوى أنها تحمل اتهام داود عليه السلام الصريح لأمِّه، بأنها حملت به عن طريق الزنا فهـو عـلى علم بذلك. إلا أنّ النصَّ لم يحدِّد مصدر علم داود عليه السلام : أهو وحـيٌ إلهـيٌّ؟ أمْ أنّ أمّـه هـــي التـي تطوعـت وأخبرته بهذا الخبر الذي أوصله داود عليه السلام لكل البشر؟!
فيلاحظ في هـذا المزمور الذي يستدل به اليهود والنصارى، على توبة داود عليـه السـلام مـن الزنـا أنـه بحاجـة إلى توبة أخرى لاتهام أمّه بالزنا !!
وهل يصحُّ أنْ يتوب إنسانٌ ويدعو الـلـه تعالى بأنْ يغفر له ويسامحه، وفي أثناء دعائـه يكـذب عـلى أمـه ويتهمهـا بالزنا ؟ وهل يتهم نبيٌ أمه بمثل هـذه التهمة ؟ ولا أدري لماذا لم يزعُم القساوسةُ أنها مسألةٌ رمزيَّةٌ ترمز إلى المسيح أو الكنيسة؟!
أما تأويل القسِّ انطونيوس وحمله الزّنا على أنها خطية الأكل من الشجرة :فلا أدري كيف استطاع هـذا المحرف أنْ يحوّل العبارة المنسوبة لداود عليه السلام : (وَبِالخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمّي) إلى خطيـة أكـل آدم وحـواء مـن الشـجرة ؟ وكيف تحوَّل الحَبَل إلى الأكل؟ والإجابة لازمة في ذمته لا في ذمتي.
وبعد معرفة حال داود عليه السلام وما نَسب إليه كتبة العهد القديم زوراً وبهتاناً، وإبطال ذلك؛ لا بدَّ مـن تبيـان حقيقة داود عليه السلام وصفاته كما وردت في القرآن الكريم.

1 . القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر المزامير**، نسخة الكترونية، ص 22 .

المبحث الرابع: دعوى زنا أمنُون بن داود عليه السلام بأخته ثامار([1]).

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض الدعوى.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

رتَّبَ كتبةُ العهد القديم العديد من الدعاوى ونسبوها إلى داود عليه السلام وآله، بناءً على دعوى زنا داود عليه السلام بزوجة أوريا. وإذا ثبت كما تقدم بطلان تلك الدعوى فإنه يسقط معه تلقائياً بطلان ما ترتب عليه. ومع ذلك فهذا ذكر هـذه الدعوى المزعومة وتحليلها ثم نقدها بتوفيق اللـه تعالى .

نص الدعوى :

((وجَرَى بَعْدَ ذلِكَ أَنَّهُ كَانَ لأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. [2]وَأُحْصِرَ أَمْنُونُ لِلسُّقْمِ مِنْ أَجْلِ ثَامَارَ أُخْتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَذْرَاءَ، وَعَسُرَ فِي عَيْنَيْ أَمْنُونَ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا شَيْئاً. [3]وَكَانَ لأَمْنُونَ صَاحِبٌ اسْمُهُ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى أَخِي دَاوُدَ. وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلاً حَكِيمًا جِدّاً. [4]فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هـكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تُخْبِرُنِي؟» فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ ثَامَارَ أُخْتَ أَبْشَالُومَ أَخِي». [5]فَقَالَ يُونَادَابُ: «اضْطَجِعْ عَلَى سَرِيرِكَ وَتَمَارَضْ. وَإِذَا جَاءَ أَبُوكَ لِيَرَاكَ فَقُلْ لَهُ: دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِيَ وَتُطْعِمَنِي خُبْزاً، وَتَعْمَلَ أَمَامِي الطَّعَامَ لأَرَى فَآكُلَ مِنْ يَدِهَا». [6]فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارَضَ، فَجَاءَ الْمَلِكُ لِيَرَاهُ. فَقَالَ أَمْنُونُ لِلْمَلِكِ: «دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِيَ وَتَصْنَعَ أَمَامِي كَعْكَتَيْنِ فَآكُلَ مِنْ يَدِهَا». [7]فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى ثَامَارَ إِلَى الْبَيْتِ قَائِلاً: «اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَمْنُونَ أَخِيكِ وَاعْمَلِي لَهُ طَعَامًا». [8]فَذَهَبَتْ ثَامَارُ إِلَى بَيْتِ أَمْنُونَ أَخِيهَا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. وَأَخَذَتِ الْعَجِينَ وَعَجَنَتْ وَعَمِلَتْ كَعْكاً أَمَامَهُ وَخَبَزَتِ الْكَعْكَ، [9]وَأَخَذَتِ الْمِقْلاَةَ وَسَكَبَتْ أَمَامَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ. وَقَالَ أَمْنُونُ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَخَرَجَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْهُ. [10]ثُمَّ قَالَ أَمْنُونُ لِثَامَارَ: «ايتِي بِالطَّعَامِ إِلَى الْمِخْدَعِ فَآكُلَ مِنْ يَدِكِ». فَأَخَذَتْ ثَامَارُ الْكَعْكَ الَّذِي عَمِلَتْهُ وَأَتَتْ بِهِ أَمْنُونَ أَخَاهَا إِلَى الْمِخْدَعِ. [11]وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالَيِ اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». [12]فَقَالَتْ لَهُ:

---

1 . لا شك أنّ القارئ قد أصيب بغثيان أو قريباً من ذلك لكثرة ما ذكر في هـذه الدراسة من فواحش، وخاصة الزنا بين المحارم في أسر الأنبياء عليهم السلام. إلا أنّ هـذه الدراسة مختصةٌ بإيراد وتحليل الدعاوى التي ألصقت بالأنبياء زوراً وبهتاناً، ثم نقدها. فهي تعكس ذلك الواقع المرير في العهد القديم الذي حاول إضفاء شيء من القداسة على تلك الفواحش، وإلباسها لباس الشرعية كما هي الحادثة التي بين أيدينا إذ تمت بناء على غضب الربّ على داود الذي فعل الفاحشة مع زوجة أوريا بحسب العهد القديم.

«لاَ يَا أَخِي، لاَ تُذِلَّنِي لأَنَّهُ لاَ يُفْعَلُ هـكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لاَ تَعْمَلْ هـذِهِ الْقَبَاحَةَ. [13]أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذْهَبُ بِعَارِي؟ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ! وَالآنَ كَلِّمِ الْمَلِكَ لأَنَّهُ لاَ يَمْنَعُنِي مِنْكَ». [14]فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لِصَوْتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا. [15]ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بُغْضَةً شَدِيدَةً جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي». [16]فَقَالَتْ لَهُ: «لاَ سَبَبَ! هـذَا الشَّرُّ بِطَرْدِكَ إِيَّايَ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ الَّذِي عَمِلْتَهُ بِي». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا، [17]بَلْ دَعَا غُلاَمَهُ الَّذِي كَانَ يَخْدِمُهُ وَقَالَ: «اطْرُدْ هـذِهِ عَنِّي خَارِجاً وَأَقْفِلِ الْبَابَ وَرَاءَهَا». [18]وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبٌ مُلَوَّنٌ، لأَنَّ بَنَاتِ الْمَلِكِ الْعَذَارَى كُنَّ يَلْبَسْنَ جُبَّاتٍ مِثْلَ هـذِهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلَى الْخَارِجِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَرَاءَهَا. [19]فَجَعَلَتْ ثَامَارُ رَمَاداً عَلَى رَأْسِهَا، وَمَزَّقَتِ الثَّوْبَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَكَانَتْ تَذْهَبُ صَارِخَةً. [20]فَقَالَ لَهَا أَبْشَالُومُ أَخُوهَا: «هَلْ كَانَ أَمْنُونُ أَخُوكِ مَعَكِ؟ فَالآنَ يَا أُخْتِي اسْكُتِي. أَخُوكِ هُوَ. لاَ تَضَعِي قَلْبَكِ عَلَى هـذَا الأَمْرِ». فَأَقَامَتْ ثَامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبْشَالُومَ أَخِيهَا. [21]وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ دَاوُدُ بِجَمِيعِ هـذِهِ الأُمُورِ اغْتَاظَ جِدًّا. [22]وَلَمْ يُكَلِّمْ أَبْشَالُومُ أَمْنُونَ بِشَرّ وَلاَ بِخَيْرٍ، لأَنَّ أَبْشَالُومَ أَبْغَضَ أَمْنُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ ثَامَارَ أُخْتَهُ)(صم 2: 13: 1- 22).

التحليل:

تلّخص هـذه الدعوى بدعوى زنا أمنون ابن داود الأكبر بأخته غير الشقيقة ثامار، ويمكنُ إبراز أهم ما ورد فيها كما يلي:

1- أمنون يقع في حبِّ أخته الجميلة ثامار. وأنّ مرض أمنون ونحول جسمه مع الأيام، بسبب عشقه ثامار، فهو يتمنى فعل الفاحشة بأخته، لكنه لا يجد لذلك سبيلا لأنها ما زالت عذراء.

2- أنّ رجلا حكيماً جداً اسمه يوناداب([1]) هو من قام بإرشاد أمنون، إلى طريقة يخدع بها أباه داود عليه السلام وأخته ثامار ليوقعهما في الفاحشة. وحدث كما رَسَم الحكيم يوناداب، فنجحت خطتُه؛فاغتصب أمنون أخته التي صرخت وانتشرت الفضيحة.

3- داود عليه السلام يسمع باغتصاب ابنته ثامار من قبل ابنه الأكبر أمنون، ويغتاظ لذلك، لكنه لم يفعل شيئاً.

4- ورد أيضا أنّ داود عليه السلام ناحَ على ابنه أمنون الأيام كلها، بعد أنْ أتاه خبر مقتله.(وَنَاحَ دَاوُدُ عَلَى ابْنِهِ الأَيَّامَ كُلَّهَا)(صم 2 :13 : 37).

1 . **يوناداب:** اسم عبري معناه يهوه كريم ، وهو اسم:ابن شمعى أخي داود (2 صم 13: 3).**قاموس الكتاب المقدس**، ص 945 .

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

لا شك أنَّ هـذه القصة باطلة جملةً وتفصيلاً، فهي تقدح في عصمة اللـه تعالى لأنبيائه. ومعلـومٌ أنّ أبنـاءَ الأنبيـاء عليهم السلام وبناتهم معصومون من الفواحش المنفرة، كما هـي زوجة النبيّ. لأنَّ عدم عصمتهم من هــذه الأمـور تؤثر في دعوة النبي، إلا أنّ كتبة العهد القديم قد طعنوا في شخص النَّبيّ فمن السّـهل أنْ يقـدحوا في بناتـه وأبنائـه وزوجاته. ومن هـنا كانت هـذه الفرية الشنيعة.

والغريب أنه بالرغم من كثرة حالات الزنا والفجور في بني إسرائيل عامة، وفي أسر الأنبياء عليهم السـلام خاصـة إلا أنّ ثامار الجميلة لم تكن تعلم بعشق أخيها لها !! فهل كان أمنون طاهراً لدرجة أنه لم تصدر منه أيّةُ محاولة لإعلام محبوبته بعشقه الذي أمرضه؟ وهكذا تجد أنّ أمنون الابن البكر لداود عليه السلام يحب أخته ويغرم بهـا لدرجـة العشق الذي أضنى جسمه وأمرض فؤاده ثم أدّى إلى قتله بعد ذلك، وهذا من المحال.

والغريب أنّ داود عليه السلام لم يلاحظ ذلك السقَم والضَعف، بينما لاحظه يوناداب عمّ أمنون العاشـق. ولنتـدبر هـذا الفقرة : (وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلاً حَكِيماً جِدّاً. [4]فَقَال لَهُ: «لِمَاذا يَا ابْنَ المَلِكِ أَنْتَ ضَـعِيفٌ هــكَذَا مِـنْ صَـبَاحٍ إلى صَبَاحٍ) فمن هـو يوناداب الحكيم ؟

يوناداب: هـو ابن أخ داود النَّبيّ. فلا ندري سبب وصفه بـالحكيم، بـل الحكـيم جـداً، كـما في الـنصّ. فهـل صـارت الحكمة عند بني إسرائيل أنْ يُرشد الحكيم ابن عمه، ليزني بأخته بطريقة ذكية، خاصة بعـد أنْ عجـز العاشـق عـن الوصول إلى مبتغاه.

ويحق التساؤل: هـل هـذا وحيٌ إلهيٌ حقاً، أنْ يُسمي الدالَّ على الفواحش حكيماً جداً، وأنْ يبقى الفسـاد مسـطراً للبشر إلى أجيال متطاولة، ليقتدي بهذا من أراد أنْ يبحث عن الحكمة ؟ وهل هــذا يتفـق مـع مقولـة أنّ الكتـاب المقدس صالحٌ كله للتعليم والتهذيب.؟

وقد تمثلت خطة الحكيم بأنْ يتظاهر أمنون بالمرض، ويطلب من أبيه داود عليه السـلام أنْ يسـمح لأختـه ثامـار بصنع الطعام له ليأكل من يدها. في خدعـة وغـش ضـد أخيـه النَّبـيّ داود عليـه السـلام مـن أجـل تسـهيل فعـل الفاحشة. ويلاحظ أنّ الخدعة قد انطلت على داود عليه السلام الذي لم يحظ بتحـذير الـربّ مـن الفاحشـة، التـي ستقع لا بإرسال الملك ولا حتى برؤيا. ولماذا ذلك، فالأمر سيحصل بمباركة الربّ الذي توعد داود عليه السـلام عـلى خطيئته على ذمة كتبة العهد القديم !!

وممّا يدعو للحيرة هـو أنّ ثامار مكثت عند أخيها وقتاً طويلاً، ربمـا لسـاعات أو نهـاراً كـاملاً، بدلالـة العجـين الـذي عجنته، وانتظرت حتى خَمِرَ لتعمل منه كعكاً. والغريب كيف استطاع أمنون الذي أمرضه العشق أنْ يمكـث لعـدة ساعات صابراً دون أنْ يراود معشوقته ؟ ألم يكن منتظراً وطـال انتظـاره هــذه اللحظـة الحاسـمة؟ فكيـف لم يـأمر

بإخراج الخدم منذ لحظة وصول ثامار؟ وكيف لم يستغلّ الفرصة ويسرع إليها عندما كانت تروح وتجيء أمامه وتقوم وتجلس وتتحرك بطبيعة عمل صنع العجين والكعك ؟ فهذا من التناقض البيّن الذي لا يتفق مع حال إنسان قد غيَّر العشقُ حالَه وأسقم بدنَه وروحَه.

وأما قول ثامار لأخيها الذي راودها عن نفسه:(وَالآنَ كَلِّمِ الْمَلِكَ لأَنَّهُ لاَ يَمْنَعُنِي مِنْكَ) فقال الباحث منير ذياب: يحتمل أنّ داود يقرُّ الزنا إنْ كان بعلمه، أو لا يمنعني منك بقصد الزواج وكلاهما فاسد([1]).وأرى أنّ هذا تأويلٌ مبالَغ فيه، ولعلَّ ثامار أرادت التخلص من أخيها بهذا العَرْض، إلا أنَّ الكلام لا يستقيم ويبقى إشكالٌ كبير، إذ كيف سيرضى داود عليه السلام تزويج الأخت من أخيها ؟ فهذا من تناقض النَّصّ ودليل الوضع أيضاً.

ما أشبه أمس يعقوب بيوم داود عليهما السلام !!

من أغرب الغريب، ومن أعجب العجيب، أنْ يتشابه موقف النَّبيّ داود عليه السلام بموقف جده - من جهة الأب - يعقوب عليه السلام عند علم كل منهما باغتصاب ابنته. فيعقوب عليه السلام لمّا سمع أنّ شكيم بن حمور قد اغتصب ابنته دينة وزنا بها، ظلّ ساكتا ولم يتكلم. وكذلك داود عليه السلام في هذه القصة لم يتكلم بحرف لمّا سمع بخبر اغتصاب ابنته ثامار. وفي المقابل نجد أنَّ ابشالوم شقيق ثامار قد أضمر نيةَ الانتقام من أمنون وأنفذ ذلك بعد سنتين. وهكذا فعل شمعون ولاوي شقيقي دينة.

ونجد أيضاً أنّ ابن يعقوب عليه السلام قد زنا ببلهة سرية أبيه يعقوب عليه السلام الذي سمع بالفاحشة، ومع ذلك ظلّ ساكتاً ولم يتكلم إلاّ في نهاية عمره. وهنا نجد زنا ابشالوم بسراري أبيه. إلا أنّ الفرق بين الحالين أنّ ابني داود عليه السلام أمنون وابشالوم، قد أقدم كل منهما على الفاحشة بعد مشورة من حكيم مخادع. في حين أنّ رأوبين ويهوذا قد فعلا الفاحشة من تلقاء نفسيهما. ويظهر من كل هذا التشابه أنّ كاتب ذلك السفر هو نفس كاتب هذا السفر.

سبب سكوت داود عليه السلام على اغتصاب ابنه الأكبر لأخته:

ذهب مؤلفو التفسير التطبيقي إلى أنّ داود عليه السلام غضبَ على ابنه أمنون، لكنّه لم يعاقبه. وحسب الشريعة كان عليه أنْ ينفيه، إلا أنه لم يفعل ذلك لسببين، **الأول:** لأنّ أمنون أكبر أبنائه ومن ثمّ فهو وليُّ العهد.**الثاني:** لأنّ داود عليه السلام نفسه قد وقع في خطية مشابهة.([2])

إبطال حجة أصحاب التفسير التطبيقي:

إنّ ما ورد في التفسير التطبيقي أمرٌ باطل. ويُستدل على هذا البطلان من نصوص العهد القديم، وآيات القرآن الكريم.

---

1 . **نبيُّ اللـه داود عليه السلام بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس**، رسالة ماجستير للباحث: منير أحمد حسين ذياب، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2007. ص 185.

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 666.

وممّا يجب علمه أنّ الأنبياء عليهم السلام أسرع الخلق إلى تطبيق حدود اللـه تعالى. وما كان لنبيٍّ اللـه داود عليه السلام أو لأحدٍ من إخوانه الأنبياء عليهم السلام أنْ يُعطِّل حداً شرعياً. حاش لله تعالى، وهو الذي أرسل الأنبياء عليهم السلام لإقامة الشريعة وتطبيق الحدود والتحذير من تعديها. وهذا خاتم النَّبيّين سيدنا محمَّد عليه الصلاة والسلام يقول:" واللـه لو أنّ فاطمة بنت محمَّدٍ سرقتْ لقطعتُ يدَها."([1]).

أما العهد القديم ففيه ردٌّ على مسألة أنّ داود عليه السلام لم يقم الحدّ على ابنه، الذي اغتصب أخته، لأنه ولى العهد فهي حجةٌ مردودة. ذلك أنّ مسألة ولاية العهد ليست بيد داود عليه السلام ولا بعلمه، وإنما هي مردودة إلى اللـه تعالى. فما كان داود عليه السلام ليعطل حداً من حدود اللـه تعالى لهذا الاعتبار، وخاصة إذا علمنا أنه قد سبق في أجداده من لم يحظ بالبكورية بالرغم من أنه الإبن البكر، وذلك كما حدث لإسماعيل بكر إبراهيم عليهما السلام، ولعيسو بكر إسحاق عليه السلام ورأوبين بكر يعقوب عليه السلام . وما كانت مثل هذه المسألة لتخفى على النَّبيّ داود عليه سلام اللـه تعالى .

وإذا كان اللـه تعالى قد مدح داود عليه السلام فلن يضرَّه افتراءُ الكاذبين. وأما دعوى ارتكاب داود صلى اللـه عليه وسلم نفس خطية ابنه أمنون فقد تقدم بطلانها من أساسها.

وهذا الردُّ من القرآن الكريم والعهد القديم والعقل بما فيه الكفاية لمن أراد اللـه له الهداية.

وممّا يؤكد أنّ كاتب هذا الإصحاح هو نفسه كاتب الإصحاح الذي ورد فيه قصة اغتصاب دينة بنت يعقوب، هو توافق موقف النَّبيّين يعقوب وداود عليهما السلام وتوافق موقف أشقاء الأختين وتوافق جزاء الفاعل وهو القتل مع اختلاف في العدد. إذ إنَّ خيال الكاتب كان واسعاً جداً عندما كتب الأحداث لذلك نتج عن انتقام شقيقي دينة مقتل الآلاف وسبي كل نساء وأطفال المدينة، ونهب كل ثرواتها من أموالها إلى حميرها. بينما في قصة اغتصاب ثامار كان الكاتبُ ربّما على عجلٍ أو أصابه المللُ من كثرة أعداد القتلى، الذين أوردهم في الأسفار السابقة، عندما تحدث عن بطولات بني إسرائيل وقتلهم مئات الألوف من أعدائهم، لذلك اكتفى بتدبير قصة قتل أمنون لوحده لكنه زادها تشويها بأنه قُتلَ سكراناً.

كما لا يصدق أنّ داود عليه السلام يبكي على ابنه لما أتاه خبر مقتله وينوح طوال عمره عليه. فابنه ليس نبياً ولا تقيا حتى يحزن كل هذا الحزن، مع أنه لو كان كذلك فلن ينوح داود الأيام كلها على ابنه الميت. فكيف وهو الذي اغتصب أخته. فالنياحة مما لا يجوز شرعاً ولا يليق عقلاً. فهذا كله يثبت كذب هذه الحادثة من أولها إلى آخرها. وأنه يجب على كل مسلم وعاقل أنْ يحكم ببطلانها.

---

1 . انظر:**صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب، رقم الحديث 33475، ج4، 213. **وصحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم 4505، ج5، ص 114.

المبحث الخامس: دعوى زنا أبشالوم([1]) بسراري([2]) أبيه داود عليه السلام :

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها: ورد في نصّ الدعوى ما يلي:

([20]وَقَالَ أَبْشَالُومُ لأَخِيتُوفَلَ :«أَعْطُوا مَشُورَةً، مَاذَا نَفْعَلُ؟». [21]فَقَالَ أَخِيتُوفَلُ لأَبْشَالُومَ: «ادْخُلْ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيكَ اللَّوَاتِي تَرَكَهُنَّ لِحِفْظِ الْبَيْتِ، فَيَسْمَعَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مَكْرُوهاً مِنْ أَبِيكَ، فَتَتَشَدَّدَ أَيْدِي جَمِيعِ الَّذِينَ مَعَكَ». [22]فَنَصَبُوا لأَبْشَالُومَ الْخَيْمَةَ عَلَى السَّطْحِ، وَدَخَلَ أَبْشَالُومُ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيهِ أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. [23]وَكَانَتْ مَشُورَةُ أَخِيتُوفَلَ الَّتِي كَانَ يُشِيرُ بِهَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ كَمَنْ يَسْأَلُ بِكَلاَمِ اللهِ. هكَذَا كُلُّ مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ عَلَى دَاوُدَ وَعَلَى أَبْشَالُومَ جَمِيعاً.)(صم 2: 16: 2-23).

التحليل: يظهر من هـذه الدعوى أمورٌ عديدةٌ هـي:

1- هـذه واحدة من القصص التي ترتبت على خطية داود عليه السلام فكانت عقاباً إلهياً له بحسب شُرّاح العهد القديم.

2- أنّ أبشالوم ابن داود عليه السلام زنا بسراري أبيه على مَسمَعٍ من كل بني إسرائيل. وبهذه الحادثة تحققت نبوءة ناثان بسبب خطية داود عليه السلام من أنّ إنسانا آخر سيضاجع نساءه([3]).

- أنّ مستشار داود عليه السلام رجلٌ اسمه أخيتوفل هـو الذي أشار على أبشالوم بهذا المشورة.

- أنّ ابنهُ خرج عن طوعه وحصلت حربٌ مع أبيه قُتل فيها عشرون ألف إنسان.

- موقف داود عليه السلام من ابنه مع كل هـذه الأفعال أنّه وصّى قادة جنده بأنْ لا يقتلوا ابنه.([4])

1 . **أَبْشَالُومَ:** ومعنى الاسم العبري الأب سلام أو أبو السلام، وهو ثالث أبناء داود عليه السلام ،طلب من عماله قتل أخيه أمنون فقتلوه، فهرب أبشالوم لمدة ثلاث سنوات وجمع جيشاً كبيراً ثم قاتل أبيه داود عليه السلام الذي فر إلى جلعاد، ثم حدثت بينهما معركة كبيرة قتل فيها عشرون ألفاً من جيش أبشالوم، وقد هـلك بين أشجار الغابة الكثيفة عدد يزيد على هـذا العدد ومن ضمن هـؤلاء أبشالوم نفسه وقد كان راكباً على بغل فدخل البغل تحت أغصان شجرة بطم فتعلق رأسه بغصن فمات، ولما بلغ داود عليه السلام خبر موته حزن عليه حزناً شديداً على ابنه العاقّ ورثاه في أحد مزاميره، **أنظر قاموس الكتاب المقدس**، ص 13بتصرف .

2 . **سُرِّيَّة:** زوجة شرعية حسب الناموس اليهودي، ولكنها في درجة أقل من درجة سيدة البيت. وقد كان هـذا جائزاً في نظام تعدد الزوجات، فكانت السراري يؤخذن عادة من العبيد ويشترين بثمن، نظير هـاجر (تك16: 2 و3) وبلهة (تك29: 29) وكن أحياناً من الفتيات اللواتي يبيعهن آباؤهن، أو من أسيرات الحرب. وقد كان طلاق السرية أسهل من طلاق السيدة، ولكن حقوقها محفوظة بحسب الشريعة الموسوية (خر21: 7-11 وتث21: 10-14). ولم يكن الزواج بسراري أجنبيات شرعياً في الناموس اليهودي. **قاموس الكتاب المقدس**، ص

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 674 .

4 . **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1247.

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

بات من السهل على من يقرأ العهد القديم، كشف الأكاذيب نظراً لتشابهها البيّن. فعقدتها واحدةٌ، ونهايتها واحدةٌ، مع اختلاف في أمور جانبية هنا وهناك. وبرهان ذلك مقارنة سريعة بين زنا رأوبين ابن يعقوب عليه السلام بسرية أبيه وزنا ابشالوم بسراري أبيه داود عليه السلام .

<u>أقول:</u> هي الجرائم نفسها التي افتراها الكاتب على الأنبياء عليهم السلام وأسرهم. تحدث مع ابن يعقوب عليه السلام ثم تتكرر مع ابن داود عليه السلام ، لكن مع تغيير في بعض المشاهد أو في الأرقام . فرأوبين ابن يعقوب عليه السلام البكر يزنا ببلهة سرية أبيه، بينما أبشالوم يزني بجميع سراري أبيه. وفعلة رأوبين تنتشر بين الشعب وعلى رأسهم يعقوب عليه السلام الذي يسمع ولا يتكلم بكلمة . وكذلك زنا ابشالوم بسراري أبيه داود عليه السلام ينتشر إذ كان على مرأى ومسمع من الشعب، لأنّ الخيمة التي انتهك فيه عرض سراري أبيه نصبت على السطح . وكذلك سمع داود عليه السلام فلم يفعل شيئا بل نهى قادة جنده عن قتل ابشالوم. وهذا التشابه الكبير إنما يدل على وحدة المصدر، وأنّ الكاتب هو نفسه في القصتين.

من هو أخيتوفل؟

جاء في قاموس الكتاب المقدس أنّ أَخِيتُوفَلَ هو أحد مستشاري داود وأبطاله، وهو اسم عبري ربما معناه أخو الجهل أو أخو الغباء. وكان رجل احتيالٍ ومكر ولم يكن مخلصاً في مشورته. وكان من أكبر مشيري أبشالوم وأعوانه في أثناء عصيانه على أبيه داود. وانتهى أمر أخيتوفل بأنْ قتل نفسه.([1])

وأتساءل أمام هذه الصفات الخبيثة لهذا الرجل، أيُصَّدِقُ عاقلٌ أنْ يتخذه نبي الله داود عليه السلام مستشاراً له؟ لا شكَّ أنَّ بطانة النَّبيّ ومستشاريه، هم أكرم أتباعه خلقاً وأصدقهم نصيحة، وأوفرهم عقلاً وأكثرهم حكمة. فكيف يصدق عاقل أُن يتخذ النَّبيّ مستشاراً له بضد هذه الصفات ؟

وواضحٌ من النصِّ نفسه أنّ كل مشورة أخيتوفل كانت حمقاء على داود عليه السلام وعلى أبيشالوم فلا يرتضي هذا المستشار إلا أحمقٌ مثله.

- كما يقال إنه على فرض صحة ذلك، كيف يرضى ابشالوم بأنْ يزنا بسراري أبيه، وهو الذي انتقم من أمنون لفعلته الشنعاء مع أخته ؟

- وختاماً فإنّ العقل يقضي أنّ زنا ابشالوم بسراري أبيه داود عليه السلام يُبعد الناس عنه، ويبُّغض أنصاره فيه ويجعلهم يتفرقون عنه، فلا يُقدِم على مثله. وهذا كله يؤكد بطلان الحادثة من أساسها.

---

1 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 34.

المبحث السادس: دعوى سوء خاتمة داود عليه السلام .

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

كعادة المفترين الذين أصروا على تشويه خاتمة الأنبياء عليهم السلام. ولكن هـذه المرة مع داود عليه السلام الذي طعن في السنِّ فصار يشعر بالبرد الذي لم يجدوا لغاية تدفئته إلاَّ أجمل عذراء في إسرائيل كما يظهر في هـذا النصِّ: (1وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ. تَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. 2فَقَالَ لَـهُ عَبِيـدُهُ: «لِيُفَتِّشُـوا لِسَـيِّدِنَا الْمَلِـكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ». 3فَفَتَّشُوا عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ. 4وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةً جِدّاً، فَكَانَـتْ حَاضِنَةَ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ تَخْدِمُهُ، وَلكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهَا.)(ملو 1: 1: 1 – 4).

تحليل النص: يحتوي النص على أمورٍ عديدةٍ أبرزُها:

1- أنّ داود عليه السلام تقدم في العمر وطعن في السنّ، وهذا مفهوم من البرد بسبب عدم دفئه عـلى الـرغم مـن تغطيته بالثياب. وقد مات عليه السلام عن سبعين سنة([1]). ويرى القس انطونيوس فكـري أنّ كثـيراً ممـن هــم في هـذا السن يتمتعون بحيوية أكثر من داود . يتساءل القس بـراءة ثـم يجيـب نفسـه: إنّ ذلـك راجـع لخطيـة داود عليه السلام في موضوع أوريّا وحربه ابنه وحزنه على أولاده.([2])

2- عرض عبيد داود عليه السلام وهم وزراؤه ومشيروه - حسب شـهواتهم- عـلى داود عليـه السـلام فتـاةً عـذراء للخدمة والمتعة. وهذه طريقة يونانية للعلاج تعمل الفتاة كممرضة تنام بجوار المريض.([3])

3- يظهر رضى داود عليه السلام بهذا العرض وعدم اعتراضه.

4- بحثوا عن فتاة جميلة جداً في كل أنحاء إسرائيل حتى أحضروا أجمل فتاة.

5- كانت الفتاة تخدم داود عليه السلام لكنّه لم يجامعها.

---

1 . القس د. منيس عبد النور، **النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم** . ص 63 .

2 . القس . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر الملوك الأول**، ص 1 . إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة.

3 . **تفسير سفر الملوك الأول**، ص 1 .

المطلب الثاني: نقض الدعوى:

يمكن توجيه النقد الآتي إلى الدعوى السابقة:

أولا: ردُّ دعوى القسُّ انطونيوس بأنّ الخطية هي سبب الشيخوخة المبكرة لداود عليه السلام . وقد تقدم إبطال قصة الخطية المكذوبة من أساسها

ثانيا: احتجاج القسُّ في عرض الفتاة على داود عليه السلام أنه لم يكن عن رغبته، وأنه كان حسب شهوات وزرائه ومستشاريه مردود من أساسه للأسباب الآتية:

أولاً: أنه لا يذكر أي موقف لداود عليه السلام . بل إنّ سكوته دليلُ رضاه، وخاصة أنه تمّ إنفاذ رغبة وزرائه من خلال إحضار الفتاه. وما كان هذا ليحدث لولا سكوت داود عليه السلام وهذا ما يفهم من النِّص. لكن هذا الخبرَ باطلٌ إذ إنَّ النَّبيّ لا يسكت على باطلٍ، وهذا الباطل تمثل في كلام الوزراء عنده بأنّ الفتاة ستحضر لغايتين اثنتين هما: تدفئته من البرد، والاضطجاع معه.

والحقّ أنّ الغاية الأولى كاذبة فالخادمات لا شكَّ كثيرات في قصر الملك. وإنما المراد الغايةالثانية. كما أنّ العبارة :(وَلْتَضْطَجِعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا المَلِكُ) يدل عليه توجيه الكلام لداود عليه السلام مباشرة. ولو كانت الغايةُ فقط للتدفئة، فلماذا يبحثون عن أجمل فتاة، وإنما يكفي لو كانت فتاة عادية لغايةِ الخدمة والتدفئة. لكنَّ الرواية نصَّت على إحضار أجمل فتاة. وداود عليه السلام بطبيعة حاله لا يقدر على باءة الزواج ؟ ولا شك أنّ هذا يمثل التناقض الموجود في هذه القصة.

ومع ذلك تمّ إحضار أجملَ فتاة في كل إسرائيل، لتضطجع مع الملك وتخدمه، إلاَّ أنه لم يضطجع معها. ولعلَّ حالةً من الحياء استولت على كاتب السفر، فلم يشأ أنْ ينسب الزِّنا لداود في هذه السنِّ.

والسؤالُ ما زال قائماً، هل إذا نامت الفتاة الجميلة بجانب داود عليه السلام المسنّ فإنه سيدفأ ويذهب عنه البردُ ؟ ونتساءل أيضاً: أين زوجات داود عليه السلام وأين سراريه من هذا المشهد؟ وماذا عن دورهنّ في رعاية وتدفئة زوجهنَّ الملك ؟ كل ذلك لا ذكر له وهي أدلة على وضع القصة. ومن المحال أنْ يرضى نبيٌّ بمثل هذه الأمر أصلاً.

اجتهاد داود عليه السلام في عبادة اللـه تعالى:

إنَّ عبادة داود عليه السلام الدائمة لله تعالى تنمعه من فعل ما ينقضها، وقد تكلَّم داود عليه السلام عن أثر عبادته وصومه فقال: (رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ، وَلَحْمِي هـزِلَ عَـنْ سِـمَنٍ.)(مزمور: 109:24). ويمكن الحكم بصحة نسبة هذا الكلام لداود عليه السلام ، إنْ لم يكن حرفياً فبالمعنى؛ حيث إنه موافقٌ لوصف خاتم النَّبيّين

سيدُنا محمَّد صلاة داود وصيامه إذ يقول:" أحبّ الصلاة إلى اللـه صلاة داود، وأحبّ الصيام إلى اللــه صـيام داود. وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما ويفطر يوما".([1])

وإذا كانت هـكذا عبادة داود عليه السلام واجتهاده في التقرب إلى ربه ومولاه جلَّ وعـلا، فهـل يُصـدِّق عاقـلٌ أنْ ينقض هـذه كله في آخر أيامه؟ وهل يصدق مؤمنٌ أنّ الذي استقام مع ربه في شـبابه وقوتـه يفعـل الحـرام عنـد شيخوخته؟

رابعاً: دعاء داود عليه السلام ربّه في المزامير يناقض دعوى الشيخوخة :

ورد في أحد المزامير هـذا الدعاء لنبي اللـه داود:

(9 لا تَرْفُضْنِي فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ. لاَ تَتْرُكْنِي عِنْدَ فَنَاءِ قُوَّتِي. [10]لأَنَّ أَعْدَائِي تَقَاوَلُوا عَلَيَّ، وَالَّذِينَ يَرْصُدُونَ نَفْسِي تَآمَرُوا مَعاً. [11]قَائِلِينَ: «إِنَّ اللـهَ قَدْ تَرَكَهُ. الْحَقُوهُ وَأَمْسِكُوهُ لأَنَّهُ لاَ مُنْقِذَ لَهُ». [12]يَا اللـهُ، لاَ تَبْعُدْ عَنِّي. يَا إِلهِي، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ.)(مزمور: 71: 9 - 12).

وهذا الدعاء هـل فرض صحته كما هـو عند اليهود، لأنَّ اللـه يستجيب لأنبيائه، وإذا استجاب اللــه لـداود عليـه السلام فلا شك أنه سيحفظه عند الشيخوخة ولن يتركه للبطانه الفاسدة.

خامساً: بطانة النَّبيّ عليه السلام :

وختام نقض القصة أنّ الأنبياء عليهم السلام لا تكون بطانتهم سيئة، ولا خبيثةً لدرجة أنْ يتفقوا على إحضـار فتـاة جميلة لغاية رخيصة. بل تكون بطانة النَّبيّ عليه السلام تقية مؤمنة ناصحة، لا فاجرة وحاقدة حتى تخـدع النَّبـيّ وتغشه في نهاية عمره. وهكذا تسقط هـذه القصة كما سقطت سابقاتها.

وإذا كان نبيُ اللــه داود عليـه السـلام صـاحب المجـد والعظمـة، وصـاحب التسـابيح الصـائم القـائم، ومحقّـقُ الانتصارات لبني إسرائيل، قد رماه كتبة العهد القديم واتهموه بفواحش وجرائم شنيعة ووحشية، فكـذلك لم يسـلم ابنَه النَّبيّ سليمان عليه السلام من هـذه التهم، بل تجاوزا في إساءتهم له كل حدٍّ، حتى رموه بالكفر وبنـاء الأصـنام كما سيتضح ذلك في الفصل الآتي إنْ شاء اللـه تعالى.

المبحث السابع: داود عليه السلام في القرآن الكريم

المطلب الاول: صفات داود عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد أثنى اللـه على داود عليه السلام في جملة الأنبياء عليهم السلام كما تقدم. ونصَّ القرآن الكريم عـلى صـفاته الكريمة وشمائله الحميدة منفرداً أو مع ابنه سليمان عليهما السلام، مبيناً نعم اللـه تعالى السابغة عليه وعـلى آلـه الأطهار. ومن ذلك قوله تعالى: (**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَـلَى بَعْـضٍ وَآتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُورًا {55/17}**) (الإسراء: 55).

---

1 . أنظر: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب من نام عن السحر، رقم 1131، ج2، ص 63، **وصحيح مسلم**، كتاب الصيام، بـاب النهـي عم صوم الدهر لمن تضرر به، رقم 2796، ج3، ص 162.

أقول: ولعلّ تخصيص داود عليه السلام بالذكر عند الحديث عن تفضيل الله تعالى بعضَ النَّبيّين، يدلّ على قدْرِه العظيم عند ربِّه مع اقتران ذلك بالكتاب المنزل عليه وهو الزبور.([1])

- وقوله جل شأنه: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ {15/27}**) (النمل: 15) .

وشهادة الله تعالى لداود عليه السلام بأنه آتاه علماً يثبت معها الخشية لأنها ثمرةُ العلم. فإذا ثبت أنَّ العلماء يخشون الله تعالى بما جعل الله في قلوبهم من العلم، فإن خشية داود عليه السلام كنبيٍّ أعظم بكثير من خشية العلماء. ومن كان كذلك فإنه من المحال أنْ يقدم على معصية ربِّه.

- وقوله جلَّ شأنه: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ {10/34} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {11/34} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {12/34} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34}**)(سبأ : 10-13).

- وقوله جلَّ شأنه: (**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ {17/38} إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ {18/38} وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ {19/38} وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ {20/38}**) (ص : 17-20)

يُثنى الله تعالى في هذه الآية على نبيه داود عليه السلام بأنه أوَّابٌ إليه، وعبَّر بالعبودية مضافاً لذاته العلية بصيغة الجمع (عبدنا) للتشريف، ولذلك لمَّا أراد اللهُ جلَّ شأنه تشريف سيدنا محمَّد ليلة الإسراء وصفه فقال تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**) (الإسراء: 1) فدلّ قوله:(عبدنا)على تشريف داود عليه السلام وعلى علوِّ درجته. وقوله: (**ذَا الْأَيْدِ**) أي : ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي. ثم أتبعها بقوله: أوّاب، أي رجَّاع إلى الله تعالى في كل أموره([2]).

وقد أكرمه ربُه تعالى بأنْ سخر له الجبال والطير تسبح معه بالعِشِيِّ والإشراقِ. وهكذا بلغ مقامُ داود عليه السلام عند ربه بأن طوّع له البشر والطير والحجر.

وقوله تعالى: (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**) يعدِّدُ الله تعالى نعمه السابغة على داود؛حيث قوَّى ملكَه وشدَّه بالأسبابِ الدينية والدنيوية. والحكمة هي إتيان الإنسان الفعل الأصوب بمصالح الدنيا

1 . عرف الطاهر ابن عاشور **الزبور** فقال: هو اسم لمجموع أقوال داود عليه السلام التي بعضها أوحاه الله إليه وبعضها مما ألهمه من دعوات ومناجاة . وهو المعروف اليوم بكتاب المزامير من كتب العهد القديم. أنظر: **تفسير التحرير والتنوير**، ج 15، 138.

2 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 26، ص 184 – 185 .

والآخرة([1]). وآتاه اللـه فصلَ الخطاب يعني أنّ داود عليه السلام أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلم جاء بكلام فاصل بين الحقّ والباطل.([2])

قلت: ما جعل اللـه لداود عليه السلام من النعم والصفات الدينية والدنيوية حتى جعله اللـه مثلاً لخاتم وأفضل رسله محمداً صلى اللـه عليه وسلم وأمره أنْ يذكره بقوله : (**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ**) إلا ليدُّل على رفع مكانته عند ربه. وقد تقدم أنّ اللـه ذكره عند الحديث عن تفضيل بعض النَّبيّين على بعض.

هذه إذن صفات داود عليه السلام في القرآن الكريم. فأكرِم بها من صفات،وأعظِم بها من شمائل سطّرها خالقُه ومولاهُ في القرآن الكريم لتكون نوراً وهدايةً للمؤمنين إلى يوم الدّين.

وبالرغم من الثناء الإلهي على داود عليه السلام ، إلا أنّ بعض المفسرين نقلوا روايات ساقطة حول نبأ الخصم، كما يتضح في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: نبأ الخصم في القرآن الكريم:

نورد الآيات ثم آراء العلماء، ثم رأيي، يقول جل شأنه:

} وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ {21/38} إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ {22/38} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {23/38} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ{24/38} فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ {25/38} يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللـهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللـهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ {26/38 }) (ص: 21-26).

ملخص القصة:

قبل ذكر ملخص القصة لا بدّ من التذكير بأنّ هذه القصة قد جاءت بعد آيات الثناء السابقة لأخلاق داود عليه السلام وصفاته الكريمة.

أمّا خلاصة هذه القصة فيرجع إلى دخول خصمين فجأةً على داود عليه السلام ، الأمر الذي أفزعَهُ حيث تجاوزوا الحرس والأبواب([3]). ولمّا رأى الخصمان ما اعترى داود عليه السلام من تغيُر وفزع حاولوا تهدئته، فطلبوا منه ألاّ يخاف فهما ليسا أعداء ولم يأتيا لسوءٍ. ثم عرضوا عليه قضيتهما المتمثلة بتنازعهما حول النِّعاج . فأحد الأخوين له تسعٌ وتسعون نعجة، والآخر له نعجةٌ واحدة فطلب صاحب النعاج الكثيرة من أخيه أنْ يَضُمّ إليه نعجته الوحيدة.

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 26، ص 187 .

2 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 23، ص 229.

3 . **التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان**، د. حسن الباش،ص 325 .مرجع سابق .

ويظهر أنّ المتكلم هـو صاحب النَّعجة الواحدة، وقد أنهى عرضَ حجته، بدعوى أنّ أخاه غلبَهُ في المنطق. فـما هــو موقف داود عليه السلام ؟

والشيء الطبيعيُّ أنْ يسمع داودُ لحجة الطرف الثاني. إلاَّ أنّ ذلك لم يكنْ، فلم يطلب داودُ عليه السلام منه عـرضَ حُجَتِهِ وإنّما قضى بتخطئة الذي سأل ضمَّ نعجة أخيه إليه، وحكم بأنه قد ظَلَمَ أخاه بهذا الأمر. ثمّ بعد الحُكـمِ أراد أنْ يَعِظَ الخصمين فقال هـذه العبارة: (**وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْـضٍ إِلَّا الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**) (ص :24).

والظاهر أنّ داود عليه السلام تنبَّه إلى خطئه وهو يَعِظُ الخصمين، وتذكر أنه لم يسمع من الآخر. وعلم عندها بل تيقَّنَ أنّ هـذا إنما هـو فتنةٌ أي ابتلاءٌ وامتحانٌ من الـلـه تعالى. عندها بادر إلى التوبة والاستغفار فاستغفر ربّه وخرَّ راكعاً ورجع إلى الحقّ. فغفرَ الـلـه له ذلك وهو العليم بحاله من قبلُ ومن بعد؛ حيث له سابقةٌ مع ربّه في الطاعة والاجتهاد، فهو ذو الأيدِ كما أنّ خاتمته حسنةٌ ورجوعه إليه حَسَنٌ. والـلـه أعلم.

آراء العلماء في نبأ الخصم:

انقسم المفسرون في نبأ الخصم إلى قسم ذكر روايات لا تليق بنبي الـلـه داود عليه السلام . وهذا ما فعلـه الطـبري والقرطبي والثعلبي وابن الجوزي، حيث نقلوا رؤية داود عليه السلام لامرأة وإعجابـه بجمالهـا، ثـم سـعيه في قتـلِ زوجها، حتى إذا تمّ له ذلك تزوج المرأة ونـال مـراده([1]). علـما بـأنّ هــذه القصـة مسـتمدة مـن العهـد القـديم في غالبها.- **أما الصنف الثاني فهم العلماء الربانيون**: الذين أبَوا مجرد ذكر هـذا القصص المكذوبة فطهروا كتبهم منهـا. فطهّر الـلـه صحائفهم كما طهروا سِيَرَ الأنبياء عليهم السلام، وجزاهم الـلـه خيرا على ما نبَّهوا وحذَّروا.([2])

3- **ومن العلماء من فصّل وذبّ عن النَّبيّين**، وجعل عصمتَهم سياجاً منيعا لا يخترقه إلاّ كافرٌ أو فاسقٌ. ومن هـؤلاء العلماء ابن حزم رحمه الـلـه، وهو نهج الرازي قدَّس الـلـه روحَه وأسبغ عليه من رحماتـه. والشـيخ رحمـت الـلــه الهندي كناقد للعهد القديم.([3])

وذهب بعضُ العلماء إلى أنّ داود عليه السلام طلب من أوريّـا أنْ يتنـازل لـه عـن زوجتـه، وكـان هــذا سـائغاً في شريعتهم. واستدل كثير من العلماء على احتمال هـذا الوجـه بمـا ورد عـن تنـزل أحـد الصـحابة لأخيـه عـن أحـدى زوجتيه في صدر الإسلام. وقالوا وإنْ كان هـذا جائزاً إلاّ أنّ مقام النُبوة كان يقتضي من داود عليه السلام عدم فعله.

---

1 . أنظر مثلا: **تفسير الطبري**، ج20، ص 52 – 75 ، **وتفسير القرطبـي**، ج 18، ص 155- 159 .**وعـرائس المجـالس**، للثعلبـي، ص 304 – 312 . **وزاد المسير**، ج 7،ص 115 – 116 .

2 . أنظر مثلا : **أحكام القرآن**،لابن العربي، ج 4، ص 45 – 49، و **تفسير البحر المحيط**،ج 7، 374- 378 .**وتفسير ابـن كثـير**، ج 4، ص 34 – 35 .**وتفسير المراغي**، ج23، ص 111.،**وروح المعاني** للألوسي، ج 23،ص 178 – 185، **وقصص الأنبياء عليهم السـلام**، لعبـد الوهـاب النجار، ص 313 .

3 . أنظر **الفصل**، لابن حزم، ج4، ص 39، **وتفسير الرازي**، ج 26، ص 188 – 198، ص، **ونظم الـدرر للبقـاعي**،ج 16، ص 361، **و إظهـار الحقّ**، للشيخ رحمت الـلـه الهندي ، ج 4، ص 1245 – 1246 .

وإذا كان كذلك فلا يكون قد ارتكب كبيرةً ولا صغيرةً، وإنما خلاف الأولى، فعاتبه ربُّه على ذلك، فكان ما كان من نبأِ الخصم قياساً على فعل داود عليه السلام ([1])

ومن الآراء التي ذكرها بعض العلماء والتي لا تدلُّ على فعل صغيرة أنّ رجلاً خطب تلك المرأة من أهلها، فقبلوا ثـمَّ خطبها داود عليه السلام فآثره أهلُها على أوريّا. فكان ذنبه أنه خطب على خطبة أخيه فعوتِبَ لذلك مع كثرة نسائه.([2])

وقيل إنه نظر إليها فمال إليها، ووافق أنّ زوجها خرج إلى الغزو فقُتل، فما بلغ الخبرَ إلى داود لم يجزع كما كان يجزع لمقتل جنده، ثمَّ تزوج المرأة فعوتب على ذلك.([3])

تعقيب وترجيح:

أولاً : لعلّ أنسب الأقوال وأولاها بالصواب أنّ داود عليه السلام تسرّع في الحكم، عندما سمع لطرف دون الآخر([4]). بدليل التعقيب الإلهي بعد القصة الذي تضمَّن إرشاد داود عليه السلام ووعظه؛ حيث يقول تعالى: (**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللـهِ**) وأرى أنه لو كانت زلَّةُ داود عليه السلام لها تعلّقٌ بالمرأة، لكان المناسب في التعقيب على القصة، أنْ يكون الحديث عن فتنة النساء أو زينة الحياة الدنيا، واللـه أعلم.

تبرير زلّة النَّبيّ داود عليه السلام :

أميل إلى ترجيح أنّ داود عليه السلام تسرع في الحكم. ويجب التماس العذر له في ذلك. وأرى أنّ ما صدرعن نبي اللـه داود عليه السلام **يرجع إلى الانفعال النفسي**، فهو من قبيل زلاّت إخوانه الأنبياء عليهم السلام، فموسى عليه السلام قتل رجلاً بالخطأ بدافع الغضب، ونوحٌ عليه السلام دعى لابنه الكافر بدافع عاطفة الأبوة، ولعلّ الفزع الذي طرأ على داود عليه السلام عند دخول الخصمين عليه، استفزّهُ وجعله يتسرع في الحكم، فحكم للأول دون الاستماع إلى الطرف الآخر، ولا يجوز أنْ يقضي القاضي وهو في هذه الحالة النفسية فكيف بالنبي؟ وهذا تفسير وتبرير ما حصل مع داود عليه السلام تحت تأثير الإنفعال النفسي. ومع أنّ هذه الأمور جبلية في النفس الإنسانية إلا أنه صدوره من نبيٍّ يلام عليه نظراً لمقام الأنبياء عليهم السلام الرفيع، واللـه تعالى أعلم وأحكم.

---

1 . أنظر مثلاً: **تنزيه الأنبياء عما نسب اليهم حثالة الأغبياء**، لابن خمير ص 58، **وتفسير التحرير والتنوير ج 23، ص 237**، ولعلّ اللـه تعالى بفضله ولطفه يكتب صاحب هذه الدراسة فيمن ذبّ عن الأنبياء عليهم السلام ونافح، فيجزيه خير الجزاء في الدنيا والآخرة بفضله وعفوه.

2 . **تفسير البيضاوي**، ج 4،ص 83، مكتبة الحقّيقة، اسطنبول، تركيا، 1991م . **وتفسير الرازي**، ج 26، ص 192 .

3 . **تفسير البيضاوي**، ج 4،ص 83. **وتفسير الرازي**، ج 26، ص 192 .

4 . رجّح هذا الرأي البقاعي **في نظم الدرر** ج 16، ص 361.

وأما استغفار داود عليه السلام وأوبته إلى ربّه وركوعه؛ فهو من باب طلب المغفرة، وطلب الأنبياء علـيهم السـلام المغفرة من ربهم ومعرفتهم بقدره الجليل، وما يجب له من الشكر والتعظيم، فـإنهم يكـثرون مـن الاسـتغفار. كـما أنهم يعدون ترك الأفضل إذا وقع منهم في بعض الحالات تقصيراً وذنباً.

وقد شبّه الشيخ رضا ذلك "بالمقرّبين من الملوك والسلاطين يكون لهم ذنوباً غير مخالفة للقوانين يطلبون العفو عنه، ولله المثل الأعلى".([1])

1 . محمد رشيد رضا، **شبهات النصارى وحجج الإسلام**، مرجع سابق، ص 47 .

الفصل السادس: سليمان عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- تمهيد

- المبحث الأول: دعوى الغزل الفاحش في سفر نشيد الأنشاد.

- المبحث الثاني: دعوى كفر سليمان عليه السلام وصنعه الأصنام آخر أيامه.

- المبحث الثالث: سليمان عليه السلام في القرآن الكريم

تمهيد:

في حياة سليمان عليه السلام كما جاءت في العهد القديم، محطاتٌ عديدة تحمل إساءات وتشويهات مقصودة لهذا النَّبيّ الكريم. ويتضمن هذا الفصل الوقوف على أبرز هذه الدعاوى تحليلاً ونقداً، حتى تظهر الصورةُ الحقّيقية الزاهية لهذا النَّبيّ الكريم، كما هي صورة جميع إخوانه الأنبياء عليهم السلام والمرسلين من قبله ومن بعده.

المبحث الأول: دعوى الغزل الفاحش في نشيد الأنشاد.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها.

المطلب الثاني: نقض سفر نشيد الأنشاد.

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها:

وردت العديد من العبارات الفاحشة، المنسوبة إلى سليمان عليه السلام في سفر نشيد الأنشاد، الأمر الذي يوجب التوقف مليّاً لعرض محتوى هذا السفر ونقده([1]).

وقد ابتدأت كلمات السفر بالقبلات:(لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الخَمْرِ)(نشي:1:1). فهذه المقدمة ملائمة لأصحاب الأفلام والبرامج الخلاعية، لتزيين فسادهم لتشجيع المراهقين، وإغرائهم هم وأشباههم على الشر والفساد. وفيما يلي بعض الكلمات المنسوبة لسليمان عليه السلام ، والتي تضمَّنت غزلاً فاضحاً بمحبوبته:

(هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، ها أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ. [2]أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الْجَزَائِزِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ، اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ. [3]شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُكِ حُلْوٌ. خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ. [4]عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِيِّ لِلأَسْلِحَةِ. أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِّقَ عَلَيْهِ، كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ. [5]ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظَبْيَةٍ، تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ)(نش:4 : 1- 5) .

---

1 . وقفت على العديد من الدراسات النقدية والرسائل العلمية فكان أكثر نقد الدارسين الموجه لهذا السفر عامّة ولم أجد فيما وقفت عليه رداً مفصلاً . وقد اجتهدت في الردِّ بشكل فيه تفصيل. أنظر مثلاً: كتاب هو في الأصل رسالة بعنوان : **داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم**، للدكتور، أحمد عيسى الأحمد، وانظر أيضا رسالة : **موقف بنو إسرائيل من الذات الإلهية والأنبياء**، عبد الشكور العروسي، ص 584 – 597.

وبالمقابل نجد أنَّ المحبوبة وفيّةً لمعشوقها سليمان عليه السلام حيث تردُّ الغزل بمثله، فتصفُ جسدَ حبيبها بكلمات حارّة، وكأنَّ الـلـه أرسلَ الأنبياء عليهم السلام لتتغزل بهم محبوباتهم وتصفهم للخلق، وهذه عبارات تصف جسد سليمان عليه السلام بحسب نشيد الأنشاد:

([10] حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ. [11]رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ. [12]عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ، مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ، جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا. [13]خَدَّاهُ كَخَمِيلَةِ الطِّيبِ وَأَتْلاَمِ رَيَاحِينَ ذَكِيَّةٍ. شَفَتَاهُ سُوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرّاً مَائِعاً. [14]يَدَاه حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ. بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضُ مُغَلَّفٌ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. [15]سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ، مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ. طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ. فَتًى كَالأَرْزِ. [16]حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هـذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ)(نش: 5 : 10-16).

يُعلِّق أصحابُ التفسير التطبيقي على الفقرة السابقة بقولهم:" نجدُ أنّ الفتاة قد أخذت زمام المبادرة في مداعبة حبيبها، والكثير من البيئات تضع قوالب جامدة للأدوار التي يقوم بها الرجال والنساء في المداعبة".([1])

ولا يمكن أنْ يبقى هـذا العاشق صامتاً أمام كلمات محبوبته الجميلة، فرجولته لا تسمح له إلاَّ أنْ يُثني على كلماتها الرقيقة بغزلٍ أكثر فحشاً، من خلال ذكر بطولاته بين ثنايا جسم معشوقته الناعم. لنقرأ هـذه العبارات الفيَّاضة بالغزل الجنسي:

([1] مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. [2]سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. [3]ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ. [4]عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ. [5]رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ. [6]مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ! [7]قَامَتُكِ هـذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ. [8]قُلْتُ:«إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، [9]وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ)(نش: 7: 1-9).

وفي الكلمات السابقة ما لا يخفى من المخالفات الدينية والخلقية؛ بحيث تجعل الإنسان يجزم بكذب نسبته إلى سليمان عليه السلام أو أي نبي من الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثاني: نقض سفر نشيد الأنشاد:

أقول: ليس من السّهل الحكم على مشاعر العشّاق؛ إذ لا بدّ من دراسة أشعارهم للخروج بحكمٍ منصف عن معاني ومرامي كلماتهم اللاهبة. وعليه فسأتناول أولاً سبب البوح بهذا الغزل، ثمّ الحديث عن موقف الإسلام منه:

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1372 .مرجع سابق .

أولاً : مشاعر العاشق الجياشة:

يتغزل النَّبيّ سليمان عليه السلام في الفقرات السابقة - كما يزعم كاتب العهد القديم - بمحبوبته غزلاً بالغـاً. فهـو يتحدث عن مفاتن جسد محبوبته بالنصِّ الصريح لا بمجرد التلويح. ويبدو أنّ عاطفة سليمان عليه السلام الجيَّاشة تجاه زوجته وجمالها الفاتن كانت كبيرةً وفياضة، لدرجة أنّ نبيَّ الـلـه الحيي الكريم لم يستطع أنْ يكبتها. فلم يجد بدّاً مع فيضها وغزارتها إلاّ البوح بها والتعبير عنها بكلمات مليئة بالوصف لأجـزاء حساسّـة مـن جسـده محبوبتـه. ليس هـذا فحسب، وإنما تسطيرها لتكون مرجعاً للعاشقين، وبخلاف ذلك فإنه يُخشى عليه الموت عشقاً.

موقف الإسلام من إفشاء أسرار الزوجية :

حرّم الإسلامُ على الزوجين أنْ يصف أحدُهما الآخر، أو أنْ يتحدثا في علاقتهما الجنسية أمام آخـرين. بـل إنّ خـاتم النَّبيّين سيّدَنا محمّد صلى الـلـه عليه وسلم عدّ كلام الرجل عمّا يجرى بينـه وبـين امرأتـه مـن أعظـم الـذنوب وشر الخلق . فهذه خيانة لأنّ ذلك يعد سراً من أسرار الزوجية، يحـرم إفشـاؤه. ولهـذا فـلا عجـب أنْ تكـون إذاعـةُ تلـك الأسرار من الكبائر. وقد ورد في الحديث الشريف أنّ أسـوأ النـاس مـن يـفشي سرَّ زوجتـه. كـما يحـرم إفشـاء أسـار الزوجية بعد الطلاق أيضاً. وهذا كلّه من باب محافظة الإسلام على الأسرار وحفظ الحياء وسدّ الأبواب على النفوس المريضة من باب سد الذرائع.

ويقال أيضاً إنَّ إفشار أسرار الزجية أمرٌ ممقوت فطرةً. فأدبيـاً لا يقبـل أيُّ عاقـل بمثـل هــذا الأمـر لأنـه مضـادٌ للفطرة الإنسانية، المجبولة عـلى حفـظ أسرار الزوجيـة، والحيـاء وكراهيـة رؤيـة أو سـماع الآخـرين لأمـور الإنسـان الجنسية.

فكيف يصحُ بعد هـذا كلّه أنْ يتحدث سليمان عليه السلام عن مشاعره ويصفُ جسدَ محبوبته، وهو نبـيُ الـلــه تعالى المرسل لهداية الخلق وتهذيب أخلاقهم وتطهير ظواهرهم وبواطنهم؟

فإذا كان النَّبيّ سليمان عليه السلام غير قادر على حفظ مشـاعره وعواطفـه تجـاه زوجتـه، فلـيس لله حاجـة في أنْ يختاره نبياً. وذلك أنّ فاقد الشيء لا يعطيه. وبيان ذلك كما يأتي:

فاقد الشيء لا يعطيه:

لو صحت نسبة هـذا الشعر الهابط إلى سليمان، فإنّه من المحال أنْ يختاره الـلـه تعالى نبياً. وإذا كان الـلـه تعـالى قد أرسل الأنبياء عليهم السلام لتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس وتهذيبها، ولمحاربة الرذيلـة وكـل مـا مـن شـأنه أنْ يفسد أخلاق البشر، أو أنْ يكون سبباً في الدعوة الفساد وسوء، وإذا ثبت عنـد أهـل الكتـاب وعنـد المسـلمين نبـوة سليمان، فلا بدّ أنْ تثبت معه طهارته وأخلاقه العظيمة ومحاربة الرذيلة والفساد. وبما أنّ سفر نشيد الأنشاد مـليءٌ بعباراتِ تصف أعضاء حساسة من جسد المرأة، فإنه يمتنع أنْ يكون هـذا الكلام قد تفوه به سليمان عليه السـلام ، لانّها كلمات رخيصة ناشرة للرذيلة، وخادشة بقوة للحياء يستحي آحاد الشعراء عن تمثلها وصفاً لزوجاتهم. فوجـب

أنْ يترفع نبي اللـه سليمان عليه السلام عن مثلها, وأنْ ينزّه لسانه عن قولها وأذنه عن سماعها. أمّا ما يـردِّدُه أهـل الكتاب من أنّ القصيدة وكلماتها رمزية، فهو باطل ومردود كما سيتضح لاحقاً.

موقف خاتم النَّبيّين سيدنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم من إنسان فاسد:

وهنا لا بدّ من ذكر موقف حازمٍ لنبينا محمد عليه السلام ، كنموذجٍ للأنبياء عندما يواجهون أمراً قد يخدش الحياء العام أو قد يكون ذريعةً لفساد وانحلال، وهو موقفه من ذلك الفتى الذي ذكر للرسول عليه السلام وصف أحدى النساء، فأمر الرسول عليه الصلاة السلام بطرده وأنْ لا يـدخل بيـوت أزواجـه. وقـال صـلى اللــه عليـه وسـلم " لا يدخلنّ هـؤلاء عليكنَّ."([1])

فتأمل موقف النَّبيّ عليه السلام من هـذا الفتى مع أنه ليس بشاعر يُحفظ شعره ويُنشر فكيف لو كان شاعراً ؟

سليمان عليه السلام يُحلّف بنات أورشليم بالظباء والحيوانات:

ممّا يلفت الانتباه حلف سليمان عليه السلام بالحيوانات كما في النصّ:(أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِـلِ الحقّولِ، ألاّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ)(نش:3: 5).

وهل يجوز أنْ يحلف النَّبيّ بالحيوانات لغاية عدم إيقاظ محبوبته؟

وربما يقال إنَّ الحلف كان جائزاً في شريعة من قبلنا كالسجود الذي كان جائزاً. والجواب على ذلك بأنـه عـلى فـرض جواز الحلف بالحيوانات في عهد سليمان عليه السلام فإنَّ النبي لا يحلف بمثلـه لغايـة عـدم إيقـاظ المحبوبـة مـن نومها، واللـه أعلم.

ولا مانع أنْ يتساءل الإنسان: هـل تخصيص سليمان عليه السلام الحلف بالظباء، نظـراً للشـبه بـين ثـديي حبيبتـه وخشفتي الظبية([2])؟

موقف شُرَّاح العهد القديم من سفر نشيد الأنشاد:

لاحظتُ وجود موقفين إثنين لشراح العهد القديم من هـذا النشيد، وذلك كما يلي:

الموقف الأول: اللجوء إلى الرمزية للخروج من الحرج الكبير في كلمات النشـيد، حيـث ذهبـوا إلى أنّ السـفر قصـائد تعبر عند اليهود عن محبة اللـه لبني إسرائيل، وعند النصارى عن محبة المسيح للكنيسة.

الموقف الثاني: التهرب من تفسير أكثر فقرات وعبارات السفر، لاحتوائها غزلاً جنسياً محضاً، فهي تتحدث عن فعـل وكلام العاشق سليمان أثناء متعته الجنسية وقبلها. <u>وهذا الحرج عبّر عنـه مؤلفـو التفسـير التطبيقـي حيـث قـالوا:" نحسّ بأننا مشاهدون مزعجون، عندما نقرأُ هذا الحديث الخاص.(</u>[3]<u>)</u>

---

1 .أنظر: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب إخراج المتشبهين من النساء من البيوت، رقم 5887، ج7، ص 205.

2 . **خشفتي الظبية:** أي أولاد الظبية التوأم الصغار. أنظر: أنطونيوس فكري، **نشيد الأناشيد**، ص 33، إصدار كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، 2010.

3 . **التفسير التطبيقي لكتاب المقدس**، ص 1369 .

أقول: تُعدُّ عبارة: **مشاهدون مزعجون السابقة**، التي وردت في التفسير التطبيقي بليغةً جداً، لأنها عبّرت عن حقيقة هـذا السفر، كالتصريح بمواضع المتعة والشعور الناتج عنها، الأمر الذي يجعل القارئ يشعر بأنه ينظر إلى المحبوبين أثناء علاقتهما الجنسية. وهذا اعتراف ضمنيٌ من علمائهم ببعد النشيد عن الذوق والحياء.

وبالرغم من تجاهل معظم القساوسـة وشُرَّاحُ العهـد القـديم لهـذا السـفر، لأنـه محـرج جـداً إلاّ أنـه وُجـد بعـض المتعصبين الذين ما زالوا يُصرون على التأويل المفُرِط الذي لا يرتضيه منصـف ولا عاقـل. وفي السـطور الآتيـة تنـاول لتأويلات أحد المعاصرين المشهورين.([1]) وكما ورد في التفسير التطبيقي، متبوعة بتعقيبي.

تأويلات فاسدة:

وفيما يلي بعض تأويلات شُرَّاح الكتاب المقدس كالقس انطونيوس([2]) ومؤلفو التفسير التطبيقي للكتاب المقدس:

1- **عبارة:** ([3]**شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ**)(نش: 4 : 3) أرى أنـه مـن الواضـح أنّ العاشـق يتغـزل بـاللون القرمـزي لشفتي محبوبته. أما القس انطونيوس فبررّ ذلك بقوله: لأنّ الشفتين مقدستان بدم المسيح.

2- **عبارة:** (**أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ**)(نش: 4 : 12).

جاء في التفسير التطبيقي أنّ سليمان عليه السلام في تشبيهه لعروسه بجنَّة مغلقة، يمتدح عـذراويتها([3]) وأتسـاءل: أيُّ رمزيةٍ في عذراوية المحبوبة يا أيها العقلاء ؟؟؟

3- **عبارة:** (**وَفَمُكِ حُلْوٌ**)(نشيد الأنشاد:3:4).

وقد أرجع القس انطونيوس حلاوة فم المحبوبة لأنه: يخرج منه تسابيح وصلوات .

أقول: لم نسمع في تاريخ جميع الأمم المؤمنة من جميع الديانات أنّ يوصـف فـم المعشـوقة بأنـه حلـو، بسـبب مـا يخرج منه من تسابيح وصلوات.

4- **عبارة:** (**خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ**)(نش:3: 4)

وقد فسرها القس انطونيوس فكري بقوله: أي في حالة خجلٍ من الخطايا. وخـدُّها أحمـر بسـبب خجلهـا وحيائهـا واحتشامها.

وأرى أنه لو كان عندها خجلٌ وحياءٌ واحتشام، لما وصفت عيني حبيبها ولا حلاوة حلقه ولا خديه.

5- **عبارة:** ([5]**ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظَبْيَةٍ**)(نش: 4:5).

فسّرها بقوله: أي أنّ الكنيسة ترضع أولادها كلمات الكتاب المقدس، في العهد القديم والجديد وهما توأمان.

أقول: حيث أوّل القس ثديي محبوبته بالعهدين لأتباع الديانتين، مع أنـه لم يكـن غـير اليهوديـة في زمـان سـليمان عليه السلام . فكيف تحدثت عن ثديي أختها الصغيرة، مع أنها وثنية!؟

---

1 . وهو القس أنطونيوس فكري، وهو من أشهر شُرَّاح العهد القديم في العصر الحديث.

2 . تفسير العبارات الأولى والثالثة والرابعة في **تفسير نشيد الأنشاد**، للقس أنطونيوس ص 32 – 33.

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1369 .

ولو سلمنا بصحة تأويل ثديي أخت المحبوبة الصغيرة في آخر السفر، حيث ذهب إليه القس نفسه وأكثر الشراح إلى أنها ترمز إلى الوثنيين ؟ فالوثنيون ليس لهم عهد قديم أو جديد يرضعون منهما !!

6- **عبارة: (دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الحَلِيِّ)**(نش: 7 : 1) .

فسّرَ القس أنطونيوس دوائر فخذي المحبوبة، بجمال الكنيسة في ترابطها ووحدتها. وإنني أتساءل: وهل يُقبل عقلاً أو خلقاً أو ذوقاً تشبيه جمال الكنيسة وترابطها بدوائر فخذي المحبوبة ؟ ألا يوجد شيء آخر في الكون الرحيب الواسع لتشبيه ترابط الكنيسة به غير دوائر الفخذين ؟ أليس هذا أمر محرجٌ في حق الكنيسة وآبائها وأبنائها ؟

7- **عبارة:(بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ)**(نش: 7 : 2).

فسرها القس أنطونيوس بقوله: داخل الكنيسة مخازن غذاء روحي والحنطة تشير لجسد المسيح. علماً بأنّ المسيح لم يأت إلا بعد سليمان عليه السلام بقرون. فكيف يصحُّ حمل أشعار فاسدة على أنها تمثل جسد المسيح عليه السلام ؟ وهل يجوز تشبيه جسد المسيح ببطن امرأة سوداء؟

8- **عبارة: (**[6]**مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ!**)(نش: 7 : 6) وقد فسرها القسّ أنطونيوس بقوله: الله يتلذذ بشعبه المحبّ له الملتف حوله([1]).

والحقّ أنّ مثل هذا التأويل لا يمكن أنْ يقول به عاقل أو أنْ يرتضيه مؤمن. إلا أنّ التعصب الأعمى لكل ما في الكتاب المقدس بأنه موحى به من عند الله تعالى، وأنه صالحٌ للتعليم هو الذي دفع بعض القساوسة للقول بهذا الرمزية المفرطة شرعاً وعقلاً.

فأيُّ مؤمن أو أي عاقل يصدق أنّ الله يوحي للنبي سليمان عليه السلام ويلهمه، أنْ يصف شفاه محبوبته ودوائر فخذيها وثدييها المتقاربين وبطنها وخدودها بالمحبة بين الله وشعبه أو ترابط الكنيسة ووحدتها ؟ وهل هلك كل ما في الكون إلا جسد وأعضاء المحبوبة، حتى يُشبّه بها الحبُّ بين الله وشعبه ؟ أم هل عقمت اللغة عن تشبيهات وكنايات لتوضح الصورة التي أرادها الله تعالى ؟

نقض دعوى أنّ كل الكتاب المقدس صالح للتعليم والتهذيب:

لعلَّ أهم نتيجة يقدِّمها هذا السفر لنقَّاد العهد القديم بشكل خاص، والكتاب المقدس بشكل عام، هي نقض دعوى علماء أهل الكتاب، القائلة بصلاحية كل الكتاب المقدس للتعليم والتهذيب([2]). ودليل عدم صلاحية كل الكتاب المقدس للتعليم والتهذيب شهادة القسّ أنطونيوس نفسه حيث يقول:"كان اليهود يمنعون قراءة هذا السفر لمن هم دون الثلاثين، حتى لا تشوّه افكارُهم الجسدية معاني السفر"([3]).

1 . تفسير العبارات من 5 – 7 في **تفسير نشيد الأنشاد**، للقس أنطونيوس ص 59- 61 . إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة .

2 . **كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين**، ص 1- 2 .

3 . أنطونيوس فكري، **تفسير نشيد الأناشيد**، ص2، إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة .

وفي كلام هـذا القسّ اعترافٌ ضمنيٌ بالفحش الموجود في هـذا السفر. وأنه قد يكـون سـبباً في تشـجيع مـن يقـرأه على الفواحش والخطايا، خاصة ممن هـم في سنّ الشباب؛ وعليه فإنّ هـذا السـفر وكثـيرٌ مـن الإصـحاحات ليسـت صالحة للتعليم والتهذيب. وإذا اعترف أهل الكتاب بـذلك فهـذا يعنـي تكـذيب عبـارتهم السـابقة أنّ كـل الكتـاب المقدس صالح للتعليم والتهذيب ونقضها وإبطالها.

وهذا الأمر قد فهمه مؤلفو التفسير التطبيقي، الذين انتقدوا البيئات المحافظة على الأخـلاق والتـي تضـع قوالـب جامدة، على الأدوار التي يقوم بها الرجال والنساء عند المداعبة([1]). وهذا بلا شك كلامٌ يَحْمِل القارئ والسـامع عـلى الإنحلال والفساد الخلقي.

رأي النقاد في سفر نشيد الأنشاد :

وصف الشيخ رحمت اللـه الهندي هـذا السفر بأنه سقيمٌ. ونقلَ عن العديـد مـن مسـيحيي زمانـه رفضـهم لهـذا السفر ومن ذلك قول كني كات([2]) :" إنّ القول بأنّ هـذا الكتاب من تصنيف سليمان عليه السلام غلطٌ محضٌ، بل صنف هـذا الكتاب بعد وفاته". ونقل عن آخر أنه غِناء فسقٍ فليُخـرج مـن الكتـب المقدسـة. وقـد حكـم بعضـهم بإخراج هـذا الكتاب من كتب العهد القديم لأنه غناء نجس([3]).

وقد أحسن د. فؤاد حسنين لمّا ذكر أنّ هـذا السفر لا يوجد في كلمة واحدة تتحدث عن الإله([4]).ويقـول أحـد نقـاد النصـارى المعـاصرين:"إنّ سـفر نشـيد الأنشـاد لـيس لـه علاقـة لا بالحكمـة، ولا بالـدين، وإنمـا هـو قصـائد غـزل وجنس".([5])

وتخبَّط مؤلفو التفسير التطبيقي ووقعوا في تناقض من حقيقة موقفهم من هـذا السفر فقالوا في مقـدمتهم عـلى السفر:" دار جدلٌ كثير حول معنى النشيد فيقول البعض إنها رمزية عن محبة اللــه لشـعبه القـديم أو الكنيسـة. ويقول البعض الآخر إنها قصة واقعية عن المحبة الزوجية. وهي في الحقّيقة تعبِّر عن كلـيهما".ثـمّ في آخـر فقـرة في تفسيرهم للسفر نفوا أي رمزية لهذه العلاقة فقـالوا : "ظـنّ علـماء اللاهـوت في العصـور الوسـطى أنّ سـفر نشـيد الأنشاد قصة رمزية عن محبة المسيح لكنيسته، ولكن ولعله من الأصوب أنْ نقـول إنهـا قصـيدة حـبٍّ عـن علاقـة محبة بشرية".([6])

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1372 .

2 . **كني كات**: هـو من كبار علماء البروتستانت وعليه اعتمادهم في تصحيح كتب العهد القـديم. كـما ذكـر ذلـك د. محمـد الملكـاوي محقق كتاب إظهار الحقّ.

3 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 1، ص 145 .

4 .د. فؤاد حسنين علي، **التوراه الهيروغليفية**، مرجع سابق.

5 . حنا حنا، هـ**فوات التوراة**، ص 79 .

6 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1373 .

إلا أنّ الناظر في التفسير التطبيقي لهذه السفر يجد جسد المرأة ظاهراً بقوة، دون ذكر لأيَّة معاني ترمز إليها كلمات السفر ومن ذلك عبارة لعروسه:(**أنت جنة مغلقة**)(نـش: 4:12). حيـث عـدَّ أصحاب التفسـير التطبيقـي هــذه الجملة مدحاً من سليمان عليه السلام لأدق خصائص الفتاة فقالوا: في تشبيهه لعروسه بجنة مغلقة يمتدح سليمان عذراويتها.([1])

وإذا ثبت عند شُرَّاح أهل الكتاب أنّ المراد بعروس سليمان الكنيسة. فلا ندري ما المراد بعذرية الكنيسة ؟ فحبـذا لو تطوّع بعض شراحهم فأعلمنا بذلك.

ويُلاحظ أنّ مدح الفتاة ووصفها أعضاء سليمان عليه السلام ، كحلاوة حلقه، وخديه وبطنه وغير ذلك، قد أسقطه الشراح على الواقع الجسدي، وليس على الرمزية كما يزعمون، فلا يوجد ذكر للمسيح أو الكنيسة. وإنما انطلق منـه أصحاب التفسير التطبيقي لتشجيع المداعبة بين الزوجين، ونقد الواقع الجامد في بعض البيئات، التي تحـد مـن دور الأزواج في المداعبة([2]).

وهكذا لا نجد أيَّة إشارة أو رمز في شروحات القساوسة لهذه الكلمات إلاّ بالواقع الجسدي.

وإنني أرى أنه مهما يكن من محاولات بائسةٍ للشارحين، لإسقاط معاني وتأويلات مفرطة البعد على كلـمات هــذا النشيد، فهي محاولات غير منطقية وغير مقبولة عقلاً ولا شرعاً.

نتيجة لا بد منها:

بعد التطواف في ثنايا هـذا السفر بما يحمله من مخالفات شرعية وأدبية، فليس للمنصف بدٌّ إلاّ أنْ يخرج بنتيجـةٍ حتميةٍ، مفادها استحالة أنْ يكون هـذا السفر وحياً إلهياً علّمه الـلـه سليمان عليه السـلام فنطـق بـه، أو أي نبـي من الأنبياء عليهم السلام. حاشا لله القدوس الذي أرسل الرسل لتزكيـة النفـوس وتهـذيب الأخـلاق أنْ يـوحي بمثـل هـذا.

وبعد تنزيه الذات الإلهية العليّة عن الوحي بهذا السفر. وتنزيه نبي الـلـه سليمان عليه السـلام أنْ ينطـق بمثلـه، فإنه فيمكن إرجاع مصدره إلى الآتي:

1- شاعر ماجن: على الأرجح أنّ هـذا السفر لا يعدو كونه شعراً لشاعر فاسق، تجاوز الحدّ في وصف محبوبته حتى باح بشعوره اللاهب. وكذلك محبوبته.

2- أغان شعبية: ذهب بعض الناقدين إلى أنّ سفر نشيد الأناشيد، هـو مـن وضـع الشـعب الـذي كـان يرددهـا في عصور متعددة في مناسبات الزواج والزفاف([3]).

1. **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1369 .
2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1372 .
3 . أنظر مثلاً: **التوراة الهورغليفية**، د فؤاد حسنين، ص 162، **واليهودية**، د. أحمد شلبي، ص 249 .

وأرى أنه وعلى الرغم من استبعاد أنْ يرضى مجتمع إنساني بترديد مثل هـذه العبارات الفاحشة نظراً لخدشها الحياءْ العام. إلاّ أنّ اليهود وما عُرف من كفرهم وفسقهم - من خلال ما نسبوه للأنبياء الأطهار من الفواحش - يجعل الإنسان لا يستبعد أنّ ذلك غناء اليهود في مناسبات الزواج أو غيرها.

3- **كلا الأمرين السابقين:** أيْ أنّ هـذا السفر في الأصل إنما هـو أشعار قالها شاعر، ثم تناقلها الناس حتى صارت تراثاً وتقليداً عند بني إسرائيل. وفي زمن كفرهم ضمها بعض كتبتهم إلى الأسفار واعتبروها من الوحي الإلهي. ومع مرور الأجيال أدى ذلك إلى توافق الذاكرة الشعبية الإسرائيلية في الأفراح بما هـو مسطور كأسفار مقدسة عندهم. والله تعالى أعلم.

وفي الختام أخاطب علماء أهل الكتاب وأقول: إلى متى العناد والمكابرة؟ إلى متى ستبقى عقولكم تؤوّلُ الثديين بالعهدين، ودوائر الفخذين بترابط الكنيسة ووحدتها ؟ أما سئمتم هـذه المغالطات! وأين هـذا الكلام من كلام ربِّ العالمين ووحيه في القرآن العظيم الذي تنشرح به الصدور وتقشعر منه الجلود. يقول الله جل شأنه: (**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {23/39}**) (الزمر: 23) والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أثر الدعوى:

لا شك أنّ للشعر السابق – المنسوب زوراً وبهتاناً، إلى نبي الله سليمان عليه السلام – أثرٌ وخيمٌ عند الذين يؤمنون به، فهو مفسد للأخلاق ومضيع للقيم وخلق الحياء. ولعلّ ما شاع أخيراً عن فضائح القساوسة والراهبات في الكنائس هـو غيضٌ من فيضٍ من أثر هـذه الدعوى. وهذا حق لأنّ الإنسان شعور وأحاسيس، فيقرأ كلمات سفر نشيد الأنشاد اللاهبة فيضطره شعوره إلى تفريغ شهوته ، ولمّا كان خدام الكنيسة من بعض القساوسة والراهبات لا يتزوجون فإنهم يضطرون لقضاء شهوتهم عند قراءة هـذا السفر الجنسي فيما بينهم.

وقد اعترف الفاتيكان بصحة التقارير الصحفية التي نُشرت، وتحدثت عن انتهاكات أخلاقية في الكنيسة. وقالت إنّ قساوسة ورجال دين كباراً، أرغموا راهباتٍ على ممارسة الجنس، وتعرضت بعض الراهباتُ للاغتصاب، وأُجبِرتْ أخرياتٌ على الإجهاض.([1])

وقد حدثت هـذه الفضائح في ثلاثة وعشرين بلداً، منها الولايات المتحدة الأمريكية، والفلبين، والهند، وبولندا، وإيطاليا نفسها. وقد أدانت وكالة الأنباء التبشيرية (ميسنا) ما أسمته مفاسد المبشرين([2]).

1 . عبد الفتاح، محمد عبد الحليم، 2005، **كلام في الممنوع، الإختراق اليهودي للفاتيكان**، ط1، ص148.

2 . عبد الفتاح، عبد الحليم، **كلام في الممنوع، الإختراق اليهودي للفاتيكان**، نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

المبحث الثاني: دعوى كفر سليمان عليه السلام وصنعه الأصنام في آخر أيامه:

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها

المطلب الثاني: نقض الدعوى

المطلب الأول: عرض الدعوى وتحليلها: وردت هـذه الدعوى جليّةً في النص الآتي:

([1]وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ [2]مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. [3]وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. [4]وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. [5]فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. [6]وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. [7]حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. [8]وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. [9]فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، [10]وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. [11]فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقاً وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. [12]إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. [13]عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطاً وَاحِداً لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا»)(ملو 1: 11: 1- 13).

تحليل:

يتضمن النصُّ السابق الدعاوى الآتية:

1- أنّ سليمان عليه السلام ارتدَّ في آخر عمره. وجزاءُ المرتدِّ في شريعة موسى عليه السلام هـو الرَّجم.

2- أنّه بنى المعابد العالية للأصنام أمام جبل أورشليم، وأنَّ هـذه المعابد بقيت بعـده مئـات السـنين. وبنـاءُ المعبـد مقابل أورشليم يعتبر تحـدياً لله([1]). بـل إنّ د. مـلاك مُحـارب ذكـر أنّ سـليمان عليـه السـلام عبـد عشـتاروت إلـه الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين([2]).

1 . أنطونيوس فكري، **تفسير سفر الملوك الأول**، ص 56 – 57 -

2 . محارب، د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، ص 196 .

3- أنّه خالفَ الشريعةَ فتزوج من نساءٍ وثنيات.

4- أنّه خالفَ الشريعةَ وأسرفَ حتى كان عنده ألف زوجة.

5- أنّ زوجاته كنَّ يذبَحنَ ويبخرْنَّ للأصنام، فما أقام عليهنَّ حداً إلى نهاية عمره.([1])

6- أنَّ اللـه تعالى عاقب سليمان عليه السلام على كفره ومخالفاته بغضبه عليه، ووعيده بتمزيق مملكته، على أنْ لا يتحقق ذلك في حياته وإنما في عهد ابنه.

7- لم تُسَجِّل التوراة لسليمان عليه السلام أنه تاب أو أنّ اللـهَ غفر له نتيجة خطاياه.([2])

8- تفسير موسى بن ميمون لغضب اللـه بأنه لا يُستعمل الاّ في الشرك خاصة([3]).

رأي أصحاب التفسير التطبيقي :

زعم أصحابُ التفسير التطبيقي أنه "على الرغم من كل حكمة سليمان عليه السلام ، الا أنّه كانت فيه نقاطُ ضعفٍ فلم يستطع أنْ يقولَ لا للرغبات الشهوانية. وهؤلاء النساء قُدْنهُ إلى عبادة الأوثان". إلى أنْ خرجوا بنتيجة نصها:" إذا كان رجلٌ في قوة سليمانَ أمكن أنْ يسقط فكم بالحريِّ نحن"!([4])

ويبدو أنّهم أرادوا ألا يظلموا سليمان عليه السلام فقالوا: " إنه لم يبتعد عن اللـه دفعةً واحدة، أي في فترةٍ قصيرة، لكن فتوره الروحيُّ بدأ بابتعاده قليلاً عن شريعةِ اللـه، وعلى مدى السنين الطويلة نَمَتْ هـذه الخطيةُ الصغيرة حتى أدّتْ إلى سقوط سليمان".([5])

المطلب الثاني: نقض الدعوى: يمكن توجيه النَّقد للدعوى السابقة كما يأتي:

أولاً: إبطالُ دعوى كفر سليمان عليه السلام من العهد القديم: ثبت عند أهل الكتاب أنَّ سليمان عليه السلام سألَ ربَّه قلباً فهيماً ليميَّز به بين الخير والشر. وهذا هـو دعاؤُهُ:(فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْباً فَهِيماً لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ)(ملوك1 :3 :9)

فردَّ اللـهُ تعالى عليه بهذه الكلمات: (هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْباً حَكِيماً وَمُمَيِّزاً حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ. [13]وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ أَيْضاً مَا لَمْ تَسْأَلْهُ، غِنًى وَكَرَامَةً حَتَّى إِنَّهُ لاَ يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلَكَ فِي المُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ.)(ملو 1 : 3 : 12 – 13).

---

1 . النقاط من 1 – 5 من **كتاب إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1250 – 1251 بتصرف .

2 . منيس عبد النور، **النَّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**، ص 86 .

3 . ميمون، موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ص 84 .

4 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 732 .

5 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 732 .

ويُلاحظ أنَّ اللـه تعالى أجاب دعاءَ سليمان عليه السلام ، فأعطاه قلباً فهيماً، وزاده فأعطاه غنى مادياً وكرامةً. وبناءً عليه يمكن التساؤل: **هل كان عطاءُ اللـه تعالى لسليمانَ مؤقتاً أم دائماً ؟** هل إذا شاخَ سليمانُ يرفع اللـه عنه الفهم وتمييزَ الخير من الشرِّ؟

فإذا ثبت أنّ عطاء اللـه تعالى دائماً وهو الحقّ، عندها بَطُلَ أنْ يكونَ سليمانُ عليه السلام قد صنع الأصنام وأشرك باللـه تعالى، لأنَّ ذلك من الشرِّ الذي قد وعده اللـه تمييزه. وبهذا بَطُلَ ما نُسب لسليمان من ميل قلبه إلى الآلهة.

ثانياً: لا يشكُّ مسلمٌ بحسن خاتمة النَّبيّ سواءً بلغ الشيخوخةَ وعاش مئات السنين أم مات شاباً. فلا فرق بين نوح عليه السلام الذي عمّرَ قريباً من ألف سنة، وبين وزكريا عليه السلام الذي لم يعمِّر. فلا فرق من ناحية الاستمرار على الطاعة والامتثال التامِّ لأوامر اللـه تعالى ونواهيه. ذلك أنَّ عصمة اللـه للنبيّ لا تتوقف عند الشيخوخة ولا تنتهي قبل وفاته.

ولهذا فإنه يجب الجزم بعدم صحتة الدعوى، وردّ كل ما نُسِبَ للأنبياء من سوءِ خاتمةٍ،. وقد برّأ اللـهُ تعالى سليمان عليه السلام من الكفر بقوله: (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ**) (البقرة: 102).على أنَّ ما نُسِبَ لسليمان وهارون عليهما السلام من صناعة الأصنام يفوق ما نُسِبَ لسائر الأنبياء عليهم السلام؛ إذ الزّنا والكذب والقتل وتعطيل الحدود، أهون من الرِّدَّة وصنع الأصنام وعبادتها.

تساؤل:

زعم أصحابُ التفسير التطبيقي، أنّ سليمان عليه السلام كان يفتر روحياً خلال السنين الطويلة، شيئاً فشيئاً. والسؤال هو لماذا لم يكن اللـه تعالى ينبِّهُ سليمان عليه السلام في تلك الفترة الطويلة ؟

وإذا كان سليمان قد خالفَ أباه داود عليهما السلام سلبياً، فلم يكنْ إيمانه وقلبه مثله كما ورد: (وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهَهُ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ)(ملو1 : 11 : 4) فإنّ الإنسان يتساءل: أيُّ كمال قلبيٍّ كان لداود عليه السلام ، وهو الذي زنا وخدع وتسبب بقتل رجل خداعاً ؟! وأيُّ قلب كان له مع الربّ، وقد رضي أنْ تدخل أجمل فتاة في إسرائيل بين أحضانه عند شيخوخته لتدفئته ؟ ولا شك أنّ هذا من التناقض الذي لا مفرَّ لأهل الكتاب من التسليم به.

هل تاب سليمان عليه السلام من الشرك ؟

يُجمع علماء أهل الكتاب أنّ سليمان عليه السلام لم يتب([1]). وقد أكد ذلك الشيخ الهندي – حسب التوراة المحرفة- إذ لو تاب لهدم المعابد التي أقامها، ولكسر الأصنام التي بناها، ولأقام الحد على زوجاته. على أنّ توبته لم تكن لتنفعه لأنّ عقوبة المرتد في التوراة الرجم([2]).

---

1 كذّبّ الشيخ الهندي رحمه اللـه مزاعم صاحب كتاب ميزان الحقّ الذي القائلة أن لآدم وسليمان توبة في كتبهم . وهذا صواب من الشيخ الهندي، لأنّ جميع شُرَّاح العهد القديم لا يقولون بتوبة سليمان عليه السلام من الشرك.

2 . الشيخ رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، ج4 ص 1251.

والحقّ أنَّ سليمان عليه السلام لم يتب مما نُسب إليـه، وذلـك لسـببين الأول: أنـه لم يفعلـه لحظـة. وكيـف يتـوب الإنسان من شيء لم يقترفه ؟ والثاني أنَّه مات ولم ينسب إليـه أيُّ شيء مـن ذلـك حتـى وفاتـه. وإنمـا دخـل الكـذب والتزييف عليه بعْده بعِدة قرون والـلـه أعلم .

ولم يكتف اليهود بهذه الطعون بحقِّ سليمان عليه السلام حتى اتهمه الأحبار بشناعات كبيرة، فقد ورد في التلمـود أنّ أمهات الشياطين المشهورات أربعـة، وقـد اسـتخدمهنّ سـليمان الحكـيم بمـا كـان لـه علـيهن مـن سـلطة وكـان يجامعهن([1]).

ولا شك أنّ هـذا باطل قد عصم الـلـه أنبياءه عن مثله. وأنّ آحاد البشر يأنفون منه فكيف بالأنبياء عليهم السلام؟.

وبعد ذكر هـذه الطامات والدعاوى المنسوبة لسليمان عليه السلام في العهد القديم، نـذكر آيـات القـرآن العظـيم، لننظر ما هـي أفعال هـذا النَّبيّ وصفاته الحقيقية؟

المبحث الثالث: سليمان عليه السلام في القرآن الكريم:

إذا كان العهد القديم قد اتهم سليمان عليه السلام بالكفر الصريح، وأنّ نساءه أملْن قلبه، فصنع الأوثان لهنّ بـل وعبد هـو الأوثان ولم يتب من ذلك كلّه ؛ فإنّ القرآن الكريم قد برّأ سليمان عليه السـلام مـن الكفـر. وفـوق ذلـك أثنى الـلـه عليه ثناءً عظيماً وفصّل الكلام في معجزاته وفي عطاء الـلـه له. على أنّ سليمان استخدم العطاء الإلهي في الدعوة إلى الـلـه تعالى ونشر دين التوحيد.

وفيما يأتي نسلّط الضوء على بعض الآيات القرآنية، التي وردت في شأن سليمان عليه السلام ومن ذلك كقوله جـل شأنه: (**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {30/38}**) فهذه تزكية إلهيةٌ لسليمان عليه السلام .

وقوله تعالى: (**وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُـونَ النَّـاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**) (البقرة: 102).

في هـذه الآية الكريمة تبرئةٌ من الـلـه تعالى لنبيّه سليمان عليه السلام مـما رمـاه بـه اليهـود مـن الكفـر . وجـاء في سبب نزول هـذه الآية أنّ يهود المدينة قالوا:" أتعجبـون لمحمـدٍ يـزعم أنّ ابـن داود كـان نبيـاً! والـلــه مـا كـان إلا ساحراً، فنزلت الآية([2]).على أنّ اليهود أخذوا هـذا التهمة من الشياطين التي كانت تُخبر بأخبار كاذبـة عـن سـليمان عليه السلام ومنها أنه كان ساحراً.([3])

---

1 . روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص 41 . مرجع سابق .

2 . **ابن الجوزي، تفسير زاد المسير**، ج 1، ص 120 . مرجع سابق .

3 . ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج 1، ص 141 بتصرف .

وقوله تعالى : (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ {81/21} وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ {82/21}**)(الأنبياء: 81-82). فكان دعاؤه هذا برهاناً ساطعاً على موقفه من ربّه الذي أرسله، وأنّه كان شاكراً حقيقة في طلب الشكر. وقد شهد اللـه بذلك لآل داود عليه السلام ، وسليمان عليه السلام في طليعتهم بلا ريب:- (**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**) (النمل: 19).

وقوله تعالى: (**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {30/38} إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ {31/38} فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ {32/38} رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ {33/38} وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ {34/38} قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ {35/38} فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ {36/38} وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ {37/38} وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ {38/38} هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ {39/38} وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ {40/38}**)(ص: 29-40).

تَحمِلُ هذه الآيات ثناءً كريماً على نبي اللـه سليمان عليه السلام . وبالنظر إلى الآية التي سبقت الحديث عن هذا النبي الكريم، نجدها تحمل دعوة لأولى الألباب للتذكر والاعتبار، من خلال هذه النعم والمعجزات التي زادت هذا النّبيّ شكراً وقرباً من ربه، حيث أنه قام بشكرها على قلةٍ من عباد اللـه الشكورين كما قال تعالى:

(**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34}**) (سبأ: 13).

وأما فتنة سليمان عليه السلام الواردة في قوله تعالى: (**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ {34/38}**) (ص: 34). فإنّ الراجح فيها أنَّه لم يستثن لمَّا قال: " لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة([1]) تلدُ كلُّ واحدة غلاماً يُجاهد في سبيل اللـه. فقال له صاحبه قل: إنْ شاء اللـه، فلم يقل. فلم تحمل منهم إلاَّ واحدة جاءت بشقِّ رجل. فوالذي نفس محمَّدٍ بيده لو قال إنْ شاء اللـه لجاهدوا كلهم فرساناً في سبيل اللـه أجمعون".([2])

وذكر القرآن الكريم قصته مع ملكة سبأ، وقد تضمَّنت الآيات فوائد، لعل أهمها- استخدام سليمان عليه السلام قوته وسائر نعم اللـه عليه في الدعوة لملَّة التوحيد. وأنَّ الحيوانات والطيور التي خضعت لسليمان عليه السلام قد دعت للتوحيد وأبَت الكفر واستعظمته. وهذا بيّنٌ من خلال موقف الهدهد الذي قال لسليمان بعد أنْ رأى أهل سبأ يسجدون للشمس من دون اللـه كما في هذه الآيات الكريمة: (**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ {23/27} وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللـهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**

---

1 . لا مانع شرعاً من هذا العد لزوجات سليمان عليه السلام ، بدليل الحديث الصحيح، وأما عقلاً فإذا كان اللـه قد ارتضاه لأحد انبيائه عليهم السلام فإنه تعالى يعينه على ذلك، مع الجزم بانَّ غاية سليمان عليه السلام كانت لأكثار المجاهدين كما فصّل ذلك نبينا محمد صلى اللـه عليه وسلم وليس لغاية جسدية.

2 . أنظر **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب من طلب الولد للجهاد في سبيل اللـه، ج4، ص 27، رقم 2819، وانظر **صحيح مسلم**، كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم 4375، ج 5، ص87 .

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ {24/27} أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ {25/27} اللـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {26/27}) (النمل: 23-26).

وإذا ثبتتْ غيرةُ الهدهد على دين التوحيد الحقّ، وعلمه بحقيقة الحياة، وأنّ العدو الأكبر للإنسان أنما هو الشيطان. فإنّ هذا يدلُّ على معرفة هذا الطير باهتمام سليمان عليه السلام ، وأنَّ الدين غايته والتوحيد منهجه. وإلا لو كان اهتمام سليمان عليه السلام بمالٍ أو معايش لبحثَ عنها الهدهد وذكرها لسليمان عليه السلام إلاَّ أنه عرف السرّ الأعظم للوجود وهو توحيد اللـه تعالى.

فلقد كان أعظم العاملين شكراً لله تعالى امتثالا لقوله تعالى : (**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34}**) (سبأ: 13).

وأما تسخير الجن لسليمان عليه السلام فكانت من عطاء ربه جلَّ وعلا، ولا شك أنّه استخدمها في طاعة اللـه وفي الدعوة إليه، لا كما يزعمُ أحبار اليهود في التلمود أنه كان يجامع أمهات الشياطين الأربعة، حاش لله تعالى. وقاتل اللـه اليهود على كفرهم.

على أنَّ استخدام سليمان عليه السلام للجنِّ كان من باب شكر اللـه تعالى؛ حيث يقول تعالى: (**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {12/34} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34}**) (سبأ : 10-13).

وفي قصة ملكة سبأ دليل على استخدام سليمان عليه السلام الجنَّ للدعوة إلى اللـه تعالى: (**قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ {38/27} قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ {39/27} قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ {40/27}**) (النمل: 38-40).

وأما خاتمة سليمان فإنها كانت بلا شكّ كريمة، وإنْ كانت الآيات لم تنصُّ عليها حرفياً، إلا أنّ هذا يُفهَمُ من قوله تعالى: (**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ {40/38}**) (ص: 40).

وهذا بسبب إيمانه الجمّ ورضى ربِّه، الذي أرسله مبلغً عنه لاستقامته الدائمة بخلاف ما افتراه اليهود عليه من دعوى بنائه الأوثان في آخر عمره.

الفصل السابع: يونُس عليه السلام بين العهد القديم والقرآن الكريم

- المبحث الأول: يونان عليه السلام في العهد القديم (عرض وتحليل)

- المبحث الثاني: نقض دعاوى سفر يونان.

- المبحث الثالث: يونُس عليه السلام في القرآن الكريم

تمهيد

وردت قصة يونس عليه السلام في العهد القديم في سفر سمي باسم(يونان) وهو يونس عليه السلام . إلا أنها قصة قد اختلط على أهل الكتاب فيها الحقّ بالباطل، هذا وبعد الدراسة والتأمل في سفر يونان(يونس عليه السلام) في العهد القديم فإنني خرجت بنتيجة جلية وهي أنّ هذه القصة قد اختلطت على بني إسرائيل، إذ أنها في الأصل كانت مدونة لكن مع ضياع التوراة ومرور الوقت خلَطَ بنو إسرائيل بين أحداثها فخرجت القصة مشوهةً ومناقضةً للعقل في بعض جوانبها كما سيتبين القارئ الكريم هذه الحقيقة خلال السطور القابلة.

المبحث الأول: يونان عليه السلام في العهد القديم (عرض وتحليل):

والبداية مع ما ورد في العهد القديم في هذا النصّ:

([1]وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: [2]«قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي».

فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ.فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. [5]فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ، وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً. [6]فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِماً؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا فَلاَ نَهْلِكَ». [7]وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعاً لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوا قُرَعاً، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ .8فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟» [9]فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ». [10]فَخَافَ الرِّجَالُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هذَا؟» فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ. [11]فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَاباً. [12]فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ».

[13]وَلكِنَّ الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيُرَجِّعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَاباً عَلَيْهِمْ. [14]فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: «آهِ يَا رَبُّ، لاَ نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هذَا الرَّجُلِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَماً بَرِيئاً، لأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ». [15]ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ. [16]فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفاً عَظِيماً، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُوراً. [17]وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتاً عَظِيماً لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.)(يونان: 1:1 - 13) .

التحليل:

يتضمن سفر يونان خمسة أمور رئيسة مناقضة لما ورد في السفر ذاته ومخالفة للشرع والعقل أيضا، نذكرها الآن ثم ننقضها في المطلب الثاني إن شاء اللـه تعالى:

أولا : يونس عليه السلام يرفض أمر اللـه ويهرب:

ورد في بداية هـذا السفر ما يأتي :(فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ).

وقد علّق مؤلفو التفسير التطبيقي على دعوى هـروب يونس عليه السلام فقـالوا: " إنّ يونـان كـان نبيـاً مقاومـاً لم يستسغ الإرسالية الموكلة إليه فاختار أنْ يهرب من اللـه بدلاً من إطاعته([1]) وزعموا أنه تمنـى هــلاك أهـل نينـوى وعدم حصولهم على الغفران"([2]).ومدينة ترشيش تقع في جنوب اسبانيا([3]).

ثانياً: اتهام يونس عليه السلام بعدم المروءة وعدم المبالاة:

تظهرُ هـذه التهمة من خلال الفقرة الآتية :

([4]فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. [5]فَخَـافَ الْمَلاَّحُـونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ، وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَـزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً. [6]فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِـكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا فَلاَ نَهْلِكَ)(يونان : 1: 4 - 6).

ثالثا: رجال السفينة يذبحون ذبيحة لله !!

ورد في رواية العهد القديم هـذه العبارة :([15]ثُمَّ أَخَـذُوا يُونَـانَ وَطَرَحُـوهُ فِي البَحْـرِ، فَوَقَـفَ البَحْـرُ عَـنْ هــيَجَانِهِ. [16]فَخَافَ الرِّجَال مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُوراً. [17]وَأَمَّا الـرَّبُّ فَأَعَـدَّ حُوتـاً عَظِـيماً لِيَبْتَلِـعَ يُونَانَ)(يونان :1: 16) .

وهذه مخالفة للنصّ من السفر ذاته ولبديهيات العقل، كما سيتضح خلال مطلب النقض من هـذا الفصل.

رابعاً: دعوى هـمّ يونس عليه السلام وغمّه بسبب إيمان أهل نينوى ورفع العذاب عنهم،وأنه سأل اللــه المـوت لأجل ذلك:

لعلّ من أكثر الأمور بشاعة في هـذا السفر ما نسب ليونس عليه السلام من غمّه وتمني المـوت بسـبب إيمـان أهـل نينوى حيث ورد: (فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمّاً شَدِيداً، فَاغْتَاظَ) .

---

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1773.

2 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1779 .

3 . **أنظر: مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب**، ص296، **وقاموس الكتاب المقدس**، ص 215 .

وقد زعم أصحاب التفسير التطبيقي أنّ يونس عليه السلام كشف صراحة عن سبب مقاومته الذهاب النينوى لأنـه كان يتمنى هـلاك أهلها، وليس حصولهم على الغفران. ولم يفهم يونان أنّ إله إسرائيل هـو إله العالم؟ محذرين من مشابهة نظرة يونان الضيقة([1]).

خامساً : اليقطينة في سفر يونان:

يُلاحظ هـنا الخلطَ الذي نتج عن التلقي الشفهيِّ للتراث الإسرائيليِّ، لا عن كتاب مسطور، بل عن الذاكرة الشعبية الإسرائيلية التي خلطت في أمر اليقطينة. وبالرجوع إلى القرآن الكريم يتضح أنّ اليقطينة إنما أنبتها اللـه تعالى على يونس عليه السلام بعد أنْ قذفه الحوت، بينما في العهد القديم خلاف ذلك إذ أعدّ اللــهُ اليقطينـة لتظللـه كـما في هـذا النصّ:

([5]وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هـنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّـلِّ، حَتَّـى يَـرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ. [6]فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيماً

[7]ثُمَّ أَعَدَّ اللـهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. [8]وَحَدَثَ عِنْـدَ طُلُـوعِ الشَّـمْسِ أَنَّ اللــهَ أَعَدَّ رِيحاً شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَـلَى رَأْسِ يُونَـانَ فَـذَبُلَ. فَطَلَـبَ لِنَفْسِـهِ الْمَـوْتَ، وَقَـالَ: «مَـوْتِي خَـيْرٌ مِـنْ حَيَاتِي».9 فَقَالَ اللـهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّـى الْمَـوْتِ». [10]فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هــلَكَتْ. [11]أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟».)(يونان : 4 : 5 -11).

المبحث الثاني: نقض دعاوى سفر يونان عليه السلام .

احتوى سفر يونان على إساءاتٍ بحق نبي اللـه يونس عليه السلام ، إضافةً إلى احتوائه أموراً عقليـةً يَصعبُ عـلى العاقل تصديقها، وهذه أبرزها:

أولاً : نقض دعوى فرار يونس عليه السلام لمَّا أمره اللـه بدعوة أهل نينوى:

هذه الدعوى تتضمن مغالطةً واضحة واختلافاً كبيراً عن الحقّ، ففي العهد القديم تجدُ أنّ يـونس عليـه السـلام فـرَّ من الدعوة من بداية الأمر الإلهي كما ورد في النص الآتي:

1 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1779 .مرجع سابق .

(فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ.)(يونان1: 1). بينما نجد في القرآن الكريم على ما ذكر أهل العلم([1]) أنه إنما ترك قومه بعد دعوتهم وعدم إيمانهم، وفرّ من كفرهم وعنادهم لا أنه فرّ من وجه الربّ كما في العهد القديم.

وأمّا ما ذكره أصحاب التفسير التطبيقي من أنّ يونس عليه السلام لم يستسغ الإرسالية الموكلة إليه، وأنه هرب لأنه كان يتمنّى هلاك أهل نينوى فهو طعنٌ في الأنبياء عليهم السلام، بل وفي الذات الإلهية حيث الاختيار الحكيم بصفات النَّبيّ الرَّحيم الحريص على إيمانِ الخلق كلهم وإدخالهم في رحمة اللـه تعالى. وأما دعواهم أنّ يونس عليه السلام لم يفهم أنّ إله إسرائيل هو إلهٌ للعالم، فهي نفسية اليهود، والأنبياء بريئون من هذا المرض العضال الذي ادعاه اليهود والنصارى وكذبوا فيه على اللـه تعالى، ويقول تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللـهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ**) (المائدة:18). وحاش لنبيِّ اللـه يونس عليه السلام أنْ يقول بمثله أبداً.

ثانياً: دعوى نوم يونس عليه السلام لدرجة الغطيط وعدم مبالاته:

الرّدُّ: يتهم كاتبُ النَّصِّ نبي اللـه يونس عليه السلام بعدم المروءة وعدم المبالاة حال وجوده في السفينة؛ حيث أوى إلى النوم، بل حسب الترجمة السبعينية غطّ في نومٍ عميقٍ لدرجة أنَّ غطيط نومه هو الذي نبَّه ربّانَ السفينة حيث جاء إليه مُوبخاً. وكما يقول القسُّ انطونيوس:" إنه شيءٌ مخجلٌ أنْ يطلب الوثنيُّ من يونان النَّبيّ أنْ يُصلّي".([2])

نقض الدعوى السابقة:

هذه الدعوى باطلةٌ شرعاً وعقلاً: **أما شرعاً**: فإنَّ عصمة الأنبياء عليهم السلام تمنعُ وقوع مثل هذا الاستهتار من أي نبيٍّ ؛ ذلك أنّ الأنبياء عليهم السلام هم أكثر الناس مروءة وأنبلهم خلقاً وأكثرهم نجدةً وعوناً للملهوف حتى لو كان بعيداً، فكيف بمن هم رفقائه في السفر وجيرانُه في السفينة ؟

على أنه من المحال على إنسان فيه أدنى شعورٌ بالإنسانية والمروءة أن يبقى منعزلاً بنفسه، وخاصة في ظلِّ خطرٍ مهلكٍ يحيطُ بالسفينة. فهذا لا يفعله إلا إنسان بليدٌ ميتُ الشعور، بل إنَّ الإنسان العاديّ بفطرته لا بدَّ أنْ يقوم ويهَبّ ولو لنجدة نفسه وانجائها في ظلّ العاصفة والأمواج المتلاطمة - فكيف بالنَّبيّ – الذي أرسل ربه رحمةً وقدوة للخلق!؟

أما عقلاً فمن ذا الذي يُصَدِّقُ أنّ رياحاً شديدةً ثائرةً في عَرضِ البحر، وسفينةٌ تتدافعها الأمواج المتلاطمة كل ذلك مترافقاً بصراخ الملاّحين واستغاثاتهم - كما في النصِّ- ومع كل هذه الصرخات البشرية والعواصف الصاخبة وتقلبات السفينة ثم يبقى إنسانٌ نائماً ويغطّ في نوم ثقيل !!؟ وعلى فرض بقائه نائماً، فإنّ العاقل يتساءلُ كيف استطاع ربّانُ

---

1. نفس المراجع السابقة.
2 . القس أنطونيوس فكري، **تفسير سفر يونان**، ، ص 8 .

السفينة سماع غطيطَ يونسَ في ظلّ كل هـذه الفوضى من الصرخات والرياح الشديدة ؟ فهذا برهانُ كذب الكاتب واختلاط الأمر عليه لا حيلة لأحدٍ على نفيه. فوقع الحق وبطل ما كانوا يصنعون، والحمد لله ربِّ العالمين.

ثالثاً: دعوى أنّ رجال السفينة ذبحوا ذبيحةً!!

جاء في سفر يونان هـذه العبارة:([15]ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هـيَجَانِهِ. [16]فَخَافَ الرِّجَـالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفاً عَظِيماً، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُوراً)

(يونان:1: 15 – 16) وقبل ذلك ورد في الأصحاح ذاته: (وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ)

(يونان : 1 : 5)

والحقّ أنّ العقل يكذِّب دعوى ذبح الرجال ذبيحةً. فهذه الدعوى ساقطة لعـدم وجـود الذبيحـة في ذلـك الوقـت. ويحق لنا أنْ نتساءل من أين حصلوا على الذبيحة، وهم الذين ألقوا بأمتعتهم في البحر عند هـيجانه تخفيفاً مـن حمل السفينة وأملاً في النجاة ؟ ولو ادعى أحد أنهم أبقوا الذبيحة معهم فإنه مصادمٌ للعقل، فهل يُعقل أنّ جماعة على وشك انقلاب السفينة بهم وقد ضحّوا برجل منهم، وهم خائفون من تحمل وزر موتـه، ثـم يبقـون عـلى دابّـة معهم ولا يُلقون بها مكان هـذا الرجل!! فلا شك أنهم ألقوا بما معهم من ذبائح في البحر، ربما أبقوا على طعام وماء يسير، أما القول بأنهم أبقوا حيواناً معهم في السفينة فشيءٌ محالٌ وغيرُ مقبولٍ عقلاً؛ وخاصة عنـد وشـك الهـلاك إذ كيف يفضّلُ الإنسان دابّة على نفسه؛ إذْ إنْ بقاءَها يُشكِّل حِملاً وثقلاً عـلى السـفينة التـي كـادت تغـرق ؟ والـلــه أعلم.

رابعاً: دعوى غمّ يونس عليه السلام بسبب إيمان قومه وأنه تمنى الموت لذلك:

ورد في سفر يونان أنّ يونس عليه السلام اغتم وتأثر كثيراً بسبب إيمان أهل نينوى ورفع الـلـه تعالى عذابـه عـنهم لأجل ذلك الإيمان. ليس هـذا فحسب، وإنما ظهر أنَّ الغمَّ سيطرَ على قلبه وكلِّ حياته، حيث اعتـزل النـاس وسـكن وحيداً خارج المدينة، وتمنَّى من الـلـه الموت (لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. [3]فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي»(يونان: 4 : 2- 3).

فهذا كلام لا يصحُّ بحال، وهو مرفوض شرعاً، لأنه مخالفٌ تماماً ومعـاكسٌ للغايـة التـي لأجلهـا أرسـل الـلــه تعـالى الأنبياء عليهم السلام والرسل، وهي هـداية الناس ودخولهم في رحمة الـلـه. وإذا كـان الـلـه تعـالى يفـرح ويـرضى بدخول عباده في رحمته وتركهم الشرك، فكذلك يجب أنْ يكون حال النَّبيّ فرِحاً شـاكراً لله تعـالى عـلى هــدايته، لا مغتماً طالباً الموت بسبب توبة الـلـه على عباده.

كما أنه مرفوض عقلاً. فماذا يَضيرُ النَّبيّ لو آمن قومُه ؟ فهذه إساءةٌ كبيرةٌ لنبي الـلـه يونس عليه السـلام كـما أنهـا من دلائل التحريف والزيادة في هـذا السفر.

ويلاحظ أنّ غمّ يونس عليه السلام في القرآن كان بسبب ابتلائه في بطن الحوت، وهي حقاً مصيبة وغمّ كبير لجأ فيها يونس إلى ربّه تبارك وتعالى ذاكراً مسبحاً مستغفراً، فرحمَه ربُّه وأخرجهُ من بطن الحوت. بينما في العهد القديم إنما حصل غمّه بسبب إيمان أهل نينوى وتوبة اللـه تعالى عليهم. وهذا فرق شاسع أزيد ممّا بين السماء والأرض.

ويتضح حقيقة ما جرى مع يونس عليه السلام من القرآن الكريم الذي تكفل اللـه بحفظه ولم يبق عرضة لذاكرة البشر أو تقواهم، فقال جل شأنه: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9/15}**) (الحجر: 9). بينما لم يتكفل اللـه بحفظ العهد القديم، بل أكّد اللـه تعالى تعرضه للتحريف من قبل اليهود بعملية منظَّمة حيث يقول جل شأنه: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللـهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {75/2}**)(لبقرة: 75) .

وهكذا بعد ضياع التوراة والأسفار الإلهية الأخرى وحرقها، صار بنو إسرائيل يتناقلون هذه القصة كما بقية الأسفار مشافهة، وصارت تراثاً داخَلَهُ الكثيرُ من الغَبَش والزيادة والنقصان والأمور التي تخالف العقل فضلاً عن مخالفة الشرع، كما ظهر خلال التحليل والنقد.

المبحث الثاني: يونُس عليه السلام في القرآن الكريم:

لم يرد في القرآن الكريم ذكر للبلد الذي عاش فيه يونس عليه السلام ، ولكن ذكر الصابوني أنه ذهب من بلاد الشام إلى مدينة نينوى شمال العراق لدعوة أهلها. ولقبه اللـه تعالى (بذي النون) أي الحوت. ونبي اللـه يونس عليه السلام من بني إسرائيل، ولم ينسب إلى أمه من الرسل غير (يونس وعيسى) عليهما السلام.([1])

وقد ذكر اللـه تعالى يونس عليه السلام في عدة سُور في القرآن الكريم، وسمَّى سورةً من القرآن باسمه هي سورة يونس. وذكَرهُ اللـهُ تعالى في سورتي النساء والأنعام مع جملة الأنبياء عليهم السلام الذين أثنى عليهم ربهم وزكاهم، ومن ذلك قوله جلَّ شأنه: (**وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86/6} وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {87/6}**) (الأنعام: 86-87).

قلت: وما كان اللـه ليفضّل يونس عليه السلام لو أنه هرب من أمره وأبى كما زعم اليهود، وإنما فضله ربّه على العالمين لِما جعل فيه من صفات النبوة وأخلاقها العظيمة، ولأنه العليم حيث يجعل رسالته. يقول جل شأنه في شأن يوسف عليه السلام : (**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {139/37} إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ {140/37} فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ {141/37} فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ {142/37} فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ {143/37} لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {144/37} فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ {145/37} وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ {146/37} وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ {147/37} فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**) (الصافات: 139-148). وقوله

1. الصابوني، محمد علي، **النبوة والأنبياء**، مرجع سابق، ص 302.

أيضاً: (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {87/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ {88/21}) (الأنبياء: 87-88).

وفي هذه الآيات مدحٌ من اللـه تعالى وثناءٌ على نبيِّه يونس عليه السلام ، وذلك لما كان عنده من إيمان راسخٍ، وثقة كبيرة بنصرة اللـه له ورحمته إياه وهو في الظلمات. والمعنى أنّ نبيَّ اللـه يونس عليه السلام لمّا ذهب مغاضباً قومه وتركهم لعنادهم وكفرهم، وكان ما كان من أمر ابتلاع الحوت له عندها تَجّلّى إيمانُ النَّبيّ ويقينه بربه وتوكله عليه، حيث تيقَّنَ أنّ اللـهَ تعالى لن يُضيِّق عليه وهو في بطن الحوت، بل سيجعل له مخرجاً، فنادى ربّه ودعاه بدعاء عظيم بلغ من عظمته أنّ اللـه سطّره للمؤمنين وأبقاه خالداً إلى يوم القيامة، هذا وقد مدح النَّبيّ عليه الصلاة والسلام يونُس عليه السلام مدحاً عظيماً، حتى قال فيه:" ما ينبغي لعبدٍ أنْ يقول أنا خيرٌ من يونُس بن مَتَّى"([1]) وما هذا إلا لعظيم صفاته ورفيع أخلاقه.

زلّة نبي اللـه يونس عليه السلام :

ذكر أهل العلماء أنّ زلّةَ يونس عليه السلام إنما هي تركه للدعوة وتركه أهل نينوى بعد دعوتهم، وذلك أنَّه دعاهم فلم يؤمنوا فهدّدهم وتوعدهم بالعذاب، ثم هجرهم وخرج من بينهم دون إذنِ ربه، وذلك بسبب غضبه على قومه لرفضهم دعوته. وكان قد ظنَّ أنّ اللـه تعالى لنْ يضيّق عليه بسبب تركه قومه وخروجه من بينهم دون إذن ربّه الذي أرسله، فعتب اللـه تعالى عليه ولامَه على تركه قومه وعدم صبره عليهم([2]). وكان جزاؤه أنْ ابتلعه الحوت. إلا أنّ اللـه تعالى تداركه بنعمته ورحمته فقذفه الحوت، ثم أعاده ربُّه إلى قومه الذين كانوا قد آمنوا بعد خروجه عنهم.

ويمكن تفسير زلّة نبي اللـه يونس عليه السلام بأنها كانت بدافع الإنفعال النفسي الذي غَلَبَ على مشاعره عليه السلام غضباً لمّا رأى كفرَ أهل نينوى، فالحزنُ والغمُّ المدفوع بالغضب جعله يترك قومه لقوله تعالى: (**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {87/21} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ {88/21}**) (الأنبياء: 87 - 88).

أما قوله تعالى (مغاضباً) فلا يفهم منه انه كان مغاضباً اللـه، فإنَّ مغاضبة اللـه تعالى لا تجوز على أحد من المسلمين فكيف على النبي عليه السلام ؟ فلعله أنما خرج مغاضباً لقومه، واما قوله:(فظنَّ أنْ لن نقدرعليه) أي لن نضيق كما نصَّ على ذلك الرازي والإيجي([3]).

ومع ذلك كان يونس عليه السلام على يقين بأنّ اللـه تعالى لن يُضيّق عليه لهذا الغضب الذي حَلّ به؛ حيث كان خارجاً عن إرادته الأمر الذي لا يملك الانسان معه السيطرة التامّة على نفسه، ومع أنه لا يُعدُّ كبيرة ولا صغيرة إلا أنه لعلو مقامه عاتبه ربّه عليه.

---

1 . أنظر: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب (وهل أتاك حديث موسى)، رقم 3395، ج4، ص 186، **وصحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام ، ج6، ص100، رقم 6300 .

2 . أنظر مثلاً: **زاد المسير**، ج 5، ص 382 ، **و تنزيه الأنبياء عما نسب اليهم حثالة الأغبياء**، ص 158، **وتفسير البحر المحيط**، ج 6، ص 311.. **وتفسير التحرير والتنوير**، ج 23، ص 131 .

3 . أنظر: الرازي، **عصمة الأنبياء**، ص 130، **والمواقف**، للإيجي، ج3، ص 422. بتصرف يسير.

الفصل الثامن: خاتم النَّبيّين سيدنا محمَّدٌ صلى الـلـه عليه وآله وسلم بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- تمهيد.

- المبحث الأول: البشارات بسيدنا محمد صلى الـلـه عليه وسلم في العهد القديم.

- المبحث الثاني: حكاية الشارات بسيدنا محمد صلى الـلـه عليه وسلم في القرآن الكريم.

تمهيد:

تعدُّ الإساءة للنبي الخاتم صلى اللـه عليه وسلم إساءةً لجميع إخوانه الأنبياء عليهم السلام الـذين سـبقوه وهـم الذين بشّروا به. وعلى الرغم من السلبيات المترتبة عـلى الإسـاءة للنبـي الخـاتم محمّـد صـلى اللــه عليـه وسـلم ، كتشويه صورته الناصعة عند غير المسلمين، إلا أنها تحمل إيجابيـات، يقـول تعـالى:(**يُرِيـدُونَ لِيُطْفِـؤُوا نُـورَ اللــهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللـهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) (الصف:8).

فقد أظهرت سيدنا محمداً عند الكثيرين من النصارى الـذين لا يعرفونـه، كـما أبـرزت آياتـه المجيـدة ابتـداءً مـن القرآن العظيم ومعجزاته الكريمة، ودعت بعض المختصين للبحث والدراسـة البعيـدة عـن التعصـب والهـوى، الأمـر الذي أدى إلى دخول بعضهم في الإسلام([1]). وأدتْ هـذه الدعاوى إلى إسلام العديد من رجال الدين المنصـفين، ومـن المفكرين الغربيين، وإقامة الحجّة على من لم يكن يعلم ببعثته عليه الصلاة والسلام.

على أنَّ إنكار نبوة سيِّدنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم ، يحمل قـدحاً في الـذات الإلهيـة، ذلـك أنّ رسـالة الإسـلام هـي الخاتمة، وهي الوحيدةُ المؤهلة كي تتناسب مع كل الظروف والأحوال ابتداءً من زمـن البعثـه الشريفـة وحتـى قيام الساعة، فالإسلامُ صالحٌ لكل زمان ومكان، بخلاف بقية الشرائع الإلهية. فمن أنكـر الإسـلام ونبـي الإسـلام فقـد آذى اللـه ونسب إليه عدم الحكمة وإهمال خلقه.

فاللـه تعالى هـو الحكيم بما يصلح أحوال الخلق حتى آخـر الزمـان، لـذلك أرسـل محمـداً خاتمـاً للنبيـين بشريعـة الإسلام وتكفل بحفظ القرآن الكريم الذي أنزله إليه.([2])

ويقول صاحب الرسالة السبعية، باستحالة عدم وجود شيء في التوراة والزبور، وسائر كتبهم عن هـذا النَّبيّ الـذي تبعه الملايين، إذ كيف يصح أنّ كتبهم أخبرتْ عن أمور كثيرة، جزئية وكلية، ثمّ لا تخبر عن هـذا النَّبيّ.([3])

هـذا وإنّ الإساءة للنبي الخاتم سيدنا محمّد عليه السلام تختلف عن الإساءة لإخوانـه الأنبيـاء علـيهم السـلام بمـا يأتي:

1- أنه أفضلهم عند اللـه وأكرمهم عليه، فالدعوى إليه أعظم جرماً وأكبر وزراً،وبالتالي عقوبتها أغلظ وأشدّ.

2- أنّ الإساءة إليه وجدت قبل أنْ يُخلق صلى اللـه عليه وسلم ، وذلك بحذف اسـمه الـذي كـان منصوصـاًعليه في التوراة والإنجيل،وأما بقية الأنبياء عليهم السلام فكانت الإساءة إليهم في حياتهم وبعد موتهم.

---

1 . أنظر مثلاً كتاب: **سرّ إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وأجلاء أعلام الدين المسيحي**، محمد عبد العظيم علي، دار المنارة، المنصورة، ط 1، بدون تاريخ .

2 . من الكتب المعاصرة في هـذا الموضوع كتاب: **محمدٌ نبـي لزماننـا، 2008**،للكاتبـة: كـارين آرمسـترونج، ترجمـة فـاتن الزلبـاني، دار الشروق الدولية، ط1، 2008، القاهرة.

3 . الأورشليمي، إسرائيل بن شموئيل،**الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية**، ص 24 بتصرف، تحقيـق عبـد الوهـاب طويلـة، ط 1، دار القلم، دمشق، سوريا

3- أنّ أهل الكتاب لو لم يحذفوا البشارات بالنَّبيّ الخاتم من كتبهم، لما أساءوا لبقية الأنبياء عليهم السلام، وذلك من الاطلاع على حقيقة صفات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم.

وقد وردت في العهد القديم بشاراتٌ صريحة ذكرت اسم النَّبيّ الخاتم وصفته، ووردت بشاراتٌ ضمنية حملت الحديث عن النَّبيّ الخاتم، وعن أهم الأحداث التي ستحدث في زمانه.

المبحث الأول: البشارات بسيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم في العهد القديم:

أولا: بشارة جبل فاران(مكة) : وهذا نصها:

(وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللـهِ، بَنِي إسرائيل قَبْلَ مَوْتِهِ، [2]فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. [3]فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ.)(تث : 33 : 1 – 4) .

تدلُّ هـذه البشارة على أماكن ظهور النبوة لأول مرة، فذكرت سيناء وهو المكان الذي كلم اللـه فيه موسى عليه السلام عند جبل الطور، وساعير جبال القدس التي أوحى اللـه فيها لعيسى عليه السلام وفاران مكة المكرمة التي أوحي اللـه فيها لمحمد صلى اللـه عليه وسلم حيث غار حراء بجانب مكة.

وهذا البشارة تحمل دلالةً قويةً وواضحةً على نبوة محمّد صلى اللـه عليه وسلم .

رأي أهل الكتاب :

وقع أهل الكتاب في تناقضٍ فاضحٍ إزاء هـذه البشارة، فتلاعبوا بالنصِّ أحياناً، وأنكروا حقيقة فاران أحياناً أخرى. وقد رجَّحوا في كتبهم أنّ(فاران) هي الجزء الجنوبي من جبال الشمال الشرقي من بادية التيه. وقال القسّ والر: إنّ فاران علم منقول معناه موضع الكهوف ويسمى اليوم جبل مفرعة([1]).

أولية الطبري صاحب كتاب (الدين والدولة) في ذكر البشارة:

أسْهَبَ علماء الإسلام في ذكر هـذه البشارة. ولعلّ أولّ من ذكرها من العلماء الطبري صاحب كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام([2]). ويُفهم من كلام الطبري عدم وجود خلاف في زمانه أنّ فاران هي مكة. وذكر أنّ اسم الربِّ في النَّصِّ يقع بمعنى النَّبيّ وهي كلمةٌ مستخدمة عند العرب والعجم. وبعد أنْ ذكر الاتفاق على أنّ إسماعيل سكن مكة (فاران) وعقبه وذريته فيها، قال: "وقد طلع النَّبيّ محمد عليه الصلاة والسلام من مكّة. ولم يطلُع غيره، وتحدّاهم بأنْ يوجدوا نبياً طلع من مكة ولن يفعلوا"([3]).

---

1 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم** .، ج 2، ص 504 . مرجع سابق .

2 . الطبري، علي بن سهل بن ربن، **الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى اللـه عليه وسلم** ، 1973، تحقيق عادل نويهض، ص 138 – 139، ط 1، 1973، دار الآفاق الجديدة . بيروت، لبنان .

3 . الطبري، علي بن سهل بن ربن، **الدين والدولة**، مرجع سابق، ص 138 – 139

قلت: وقد أحسن الشهرستاني([1])رحمه اللـه في تفسير سرِّ التعبير بالمجيء والظهور والاستعلان بقوله :" لمَّا كانت الأسرارُ الإلهية والأنوار الربانية، في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتبَ ثلاث: مبدأ ووسط وكمال، والمجيء أشبه بالمبدأ والظهور بالوسط والإعلان بالكمال، عبَّرَ عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء على طور سيناء. وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير. وعن بلوغ درجة الكمال والاستواء بالاستعلان على فاران".وفي هـذه الكلمة إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام"([2]).

وذكر الإمام ابن تيمية رحمه اللـه أنّ فاران هـي البرية التي بين مكة وطور سيناء([3]).

وفسَّر الشيخ رحمت اللـه الهندي البشارةَ بإعطاء التوراة والإنجيل والقرآن.([4]).

ونقل العقاد أنّه ورد في ترجمة التوراة السامرية(سنة 185) للميلاد، أنّ إسماعيل عليه السلام سكن في برية فاران بالحجاز، وأخذت له أمّه امرأة من أرض مصر([5]).

وللمهتدي أحمد إبراهيم خليل لفتةٌ طيبة حيث يقول: ومما يعينُ على فهم هـذه البشارة قوله تعالى: (**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ {1/95} وَطُورِ سِينِينَ {2/95} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ {3/95}**) (التين: 1- 3).

ويرجع سبب ذلك للتطابق الواضح في الوسيلة والتعبير، حيث إنها بقاع الخير والبركة.([6])

قلتُ: وتتضمن بشارة فاران أمراً جليلاً، وهو الثناء على الصحابة رضي اللـه عنهم.

الإشارة للصَّحابة في البشارة:

جاء في بعض ترجمات الكتاب المقدس تعيينٌ لعدد الصّحابة رضي اللـه عنهم؛ حيث جاء في بعضها: عشرة آلاف مؤمن، وبعضها عشرة آلاف قديس. وبعضها ذكرت ملائكة، وبعضها أسقط ذكر العشرة آلاف بالمرَّة، كما في الطبعة التي اعتمدتها في هـذه الدراسة، لأنها طبعة حديثة جداً ومتداولة كثيرا نظراً لسهولتها، فتمّ حذف: (عشرة آلاف) مخافة أنْ تُلفت الانتباه، واللـه أعلم. وهذا كلّه من دلائل التحريف المستمرِّ مع مرور الزمن.

---

1 **الشهرستاني** :هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي، المتكلم،صاحب التصانيف،ولد سنة 467 بشهرستان، ورد بغداد وكان يعظ بها، وله كتب منها الملل والنحل، وهو خير كتاب ألّف في هذا الباب كما يقول صاحب طبقات الشافعية، وله أيضاً كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام وغيرها .أنظر ترجمته في **شذرات الذهب**،ج 6،ص 247، **وو فيات الأعيان**، ج4، ض273، **وطبقات الشافعية**، ج6، ص 128 .

2 . الشهرستاني، ، الملل والنحل، ، ج 2، ص235. مرجع سابق.

3. ابن تيميه، **الجواب الصحيح**، ج 5، ص 202 . مرجع سابق .

4 . رحمت اللـه الهندي، **إظهار الحقّ**، مرجع سابق، ج4، 1135 .

5 .العقاد، عباس محمود، **مطلع النور**، ص 15، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة . بدون تاريخ .

6 . أحمد إبراهيم خليل، **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، ص 66، طبعة دار المنار 1989،القاهرة .

وعليه فإنّ البشارة السابقة تحوي تزكيةً وثناءً إلهياً على أصحاب محمد عليه السلام ، أنها تحمل رداً على من يطعن في الصحابة رضي الله عنهم، بالإضافة إلى صريح الثناء في القرآن الكريم. علماً بأنّ القليل من الباحثين من نبّه إلى هذا. ومنهم د. محمد ملكاوي: حيث قال:" إنّ حذف النصارى لعبارة ألوف الأطهار، إلا لأنها واضحةٌ في الدلالة على آلاف الأطهار من الصحابة الذين عزّ الدينُ بمتابعتهم للنبيّ عليه السلام وجهادهم معه"([1]). وأشار إلى ذلك إشارةً عابرةً البروفسور عبد الأحد داود في كتابه محمّدٌ كما ورد في كتب اليهود والنصارى([2]).

إشكال وإزالته:

أرى أنّ من يتأمل نصَّ البشارة يجد أنّ كلمة ربوات القدس تتضمن إشكالاً، يتضح من التساؤل عن علاقة ربوات القدس بالبشارة، إذ إنَّ النُّقاد اتفقوا أنَّ المراد بالبشارات نزول الوحي على موسى عليه السلام في طور سَيناء، وعلى عيسى عليه السلام في القدس وعلى سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في مكة (فاران). فما هو سرٌّ وسبب النصّ على القدس أو ربواتها مرة ثانية([3]) بعد ذكر فاران (مكة)([4])؟

أرى أنّ كلمةَ (ربوات القدس) هي إشارةٌ واضحةٌ، لأبرز معجزات النَّبيّ الخاتم صلى الله عليه وسلم ، وهي الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى، وخاصّة إذا علمنا أنَّ هناك كلاماً محذوفاً له تعلُّق مباشرٌ بمعجزة الإسراء.

رؤية جديدة:

أرى أنَّ الفقرة الأصيلة للبشارة السابقة في التوراة تحملُ ثلاث نبوءات:

البشارة الأمّ، وهي إعلان النبوة من فاران (مكة). ثم ذكرت بعدها نبوءتين عظيمتين:

2- معجزة الإسراء إلى المسجد الأقصى في القدس.وهي من أبرز معجزاته صلى الله عليه وسلم .

3- فتحُ مكة بصحبة عشرة آلاف صحابيٍّ. أبرز أحداث السيرة النبوية.

إلا أنّ التحريف قدّم وأخّر في النصّ مع حذف ما يدل على الإسراء، والله أعلم.

---

1 . د. ملكاوي ، **بشرية المسيح ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام**، ص 2010 بتصرف .

2 . داود، عبد الأحد، **محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى**، ص 21، ترجمة محمد الزين، ط 1، دار العبيكان، 1997، الرياض، السعودية .

3 . حذفت كلمتي(ربوات القدس) من النسخة التي اعتمدها أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. وهو أشهر كتاب تفسير للكتاب المقدس في العصر الحديث. وقد حذفت لأنها تحمل علامةً على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

4 . لم أقف على أحد من المتقدمين أو المعاصرين فصّل الكلام في طبيعة العشرة آلاف الذين أحاطوا بالنَّبيّ عليه الصلاة والسلام. أما الإشارة لابن حجر فهي لذكره النار التي أشعلها الصحابة بأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يتحدث رحمه الله عن البشارات.

وهكذا يزولُ الإشكالُ المتقدم؛ حيث إنَّ العشرة آلاف، هـم عدد الصحابةُ الـذين كـانوا مـع النَّبـيّ عنـد فـتح مكـة المكرمة. وأما النار التي تومِض عن يمينه فهي العشرة آلاف نار التي أوقدها الصحابة ذاتُهـم ليلـة فـتح مكـة بـأمر النَّبيّ عليه الصلاة والسلام.([1])

وصفات الصحابة ذكرت في نفس البشارة، وهي طاعتهم المطلقة لقائدهم النَّبـيّ محمّـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنهم كانوا بين يديه يتسابقون لسماع وتنفيذ أمره.(جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ.)(تث: 33- 3).

وقد يحتج النصارى على البشارات الثلاثة المذكورة بأسبقية ترجمة العهد القديم زمنياً. إلا أنّه يمكـن الإجابـة عـلى ذلك بما تقدمت الإشارة إليه عند الحديث عن حـذف وتحريـف اليهـود لبنـاء إبـراهيم وإسـماعيل علـيهما السـلام الكعبة المشرفة،وهو وجود ما يدل أو يشير إلى أنّ النَّبيّ الذي سيبعث من فـاران هـو مـن ذريـة إسـماعيل عليـه السلام أو من ذرية هـاجر فحذفها اليهود تفضيلاً منهم لإسحاق على إسـماعيل علـيهما السـلام. وإنْ كانـت هـاجر فلكراهيتهم لها وتفضيل سارة عليها. واللـه تعالى أعلم وأحكم .

ولعلّ من المفيد اتخاذ عبارة: (محاطاً بعشرات الألوف مـن القديسـين) مثـالٌ حـيٌّ للتحريـف المسـتمر عنـد أهـل الكتاب، الذين لا يفتئون يستعملونه كغطاء لإخفاء الحقّ وتزوير الباطل([2]).

رأي وردّ :

من المعلوم أنّ أهل الكتاب يردون البشارات بالنَّبيّ الخـاتم إلى المسـيح عليـه السـلام ،والعجـب مـا ورد في تفسـير عبارة (وهم جالسون عند قدميك) حيث قال الشارح :أيها المتكلم من السماء يتقبلون أقوالك ويتلقون أوامرك([3]) .

الرد : يرد على القس والر بأنّ كلامه متناقض ذلك أنّ النصّ يظهر شدة القرب الروحي والمكاني بين النَّبيّ المـبشر بـه وبين أصحابه الأمر الذي ينطبق على سيدنا محمّد صلى اللـه عليه وسلم وأصحابه، بخلاف ما زعمه القـس والـر في شرحه. ويزيد الأمر وضوحاً بأنْ نتساءل: متى كـان للمسـيح عليـه السـلام أصـحاب يُقَّـدّرون بهـذا العـدد الضـخم بالطاعة والسمع؟ فهذا مما لا شك أنه لا ينطبق على المسيح عليه السلام وإنما على من بشر به المسيح عليه السـلام ، وهو سيدنا محمَّد صلى اللـه عليه وسلم .

على أنّ شريعته تكون ميراثاً لجماعة يعقوب عليه السلام أي أنها شريعة خالدة، وهي مـيراث لبنـي إسرائيـل فهـي ناسخة لشريعة موسى عليه السلام . إلا أنّ يد التحريف لعبـت بـالنص وشـوهته، وإنْ كانـت لم تسـتطع محـو نـور الحقّ الذي سيبقي ساطعاً لمن أراد اللـه هـدايته.

---

1 . العسقلاني، **فتح الباري**،كتاب، رقم 4280 . ج 8، ص 18.

2 . علماً بأنّ أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس قد اعتمدوا العبارة التي حذفت من طبع كثيرة، وخاصة الطبعات الالكترونيـة الحديثة كالطبعة الصادرة عن كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت في الإسكندرية والتي على أساسـها، قامـت العديـد مـن تفسـيرات الكتـاب المقدس الالكترونية المتداولة كثيراً بين الباحثين هـذه الأيام، كتفسير القس أنطونيوس فكري والقمص تادروس وغيرهما.

3 . **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**، القس والر، ج2، ص 504. مرجع سابق .

فبهذا يتضح أنّ بشارة فاران إنما تتضمن أربع بشارات هـي على التوالي :

1- بشارة نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الـلـه عليه وسلم في فاران (مكة المكرمة) .

2- بشارة الإسراء بهذا النَّبيّ إلى القدس.

3- بشارة كثرة اتباعه، وشدة طاعتهم لهذا النَّبيّ الخاتم.

4- بشارة فتح مكة.

البشارة الثانية: البشارة بأمّة محمد صلى الـلـه عليه وسلم :

فيما يأتي نصُ البشارة : (هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ)(تث: 32 : 21).

رأي أهل الكتاب:

ذهب بعض شُرَّاح الكتاب المقدس، إلى أنّ المراد بما ليس شعباً، أنهم الشعوب الوثنية. ثم خصصت بالشعوب التـي استذلت بني إسرائيل وهم الرومان. ثم قال هـذا القسّ إنّ كلمة أغيرهم تحمل معنى الحب الإلهـي. وفسرّ بـولس الغيرة على أنها قبول الأمم.([1])

الرّدُّ :

يمكن الردُّ على كلامهما من كلام الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمـون حيـث قـال:" إنّ ألفـاظ السـخط والغضـب والغيرة في التوراة وأسفار الأنبياء عليهم السلام، لا تستعمل إلا في الشرك خاصة"([2]).

وهكذا فغيرة الـلـه له على إغضابهم إياه، لا تقابل بالمحبة بل بالطرد، واستبدالهم بأمة أخرى.

إلا أنّ القس أنطونيوس - بما يحمل من أمانة وإنصاف- حوَّل معاني الغضب الإلهي والسخط إلى المحبة. أمـا بـولس فليس غريباً عليه تغيير المعاني والوحي الإلهي، بل هـو عنده من السهل جـداً؛ إذ إنـه لا يضـير الشـاة سـلخها بعـد ذبحها.

والحقّ أنّ سياق النصِّ يتضمن التهديدَ الإلهي لبنـي إسرائيـل، مـذكّراً إيـاهم بنعمتـه وفضـله علـيهم، وبتمـردهم وعبادتهم آلهة أخرى، فكان الجزاء أنَّ الـلـه أغاظهم بأمّة العرب الأميّة.

ولقد حذر الـلـه تعالى بني إسرائيل على لسان أنبيائهم ابتداءً من موسى عليه السلام وحتى عيسى عليه السلام من الانحراف عن الشريعة، وإلا فإنه سيستبدلهم بغيرهم. وقد أوفى الـلـه تعالى بما وعد فبعـث مـن العـرب محمـداً – صلى الـلـه عليه وسلم - خاتماً للنبيين.على أنّ المراد بالغباء هـنا الأمية، والـلـه أعلم.

1 . أنطونيوس، القس أنطونيوس فكري،**تفسير سفر التثنية** ، مرجع سابق، ص 122.

2 . ميمون، موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**، ص 48، مرجع سابق .

التأويل الصحيح للبشارة:

أما التأويل الصحيح لبشارة: (فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْباً، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ)(تث: 23: 21). فهي أمة العرب، ذلك أنّ العرب قبل الإسلام كانوا في غاية الجهل، وما كان عندهم علم من العلوم الشرعية أو الفلكية أو المعمارية أو الفنية. وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما يفهم من رسالة بولس في الرسالة الرومية. لأنّ اليونانيين قبل ظهور عيسى كانوا فائقين على أهل العالم كلهم في العلوم والفنون، وكان كثيرٌ منهم أعلاماً في الالهيات والرياضيات والطبيعيات، وكان اليونانيون في عهده على أكمل وجوه الكمال في سائر الفنون والعلوم([1]). فهي إذاً صفة أمّة النَّبيّ محمَّد - صلى اللـه عليه وسلم - وقت البعثة وقبلها.

البشارة الثالثة: وهذا نصها:

(أُقِيمُ لَهُمْ نبياً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ)(تث: 18: 18).

يرى علماء الإسلام أنّ هذه بشارة قوية بمحمد عليه الصلاة والسلام، في حين يرى النصارى أنّ المبشر به هو المسيح عليه السلام ([2]) . ومثلك أي نبياً رسولاً، لأنّ موسى عليه السلام كان نبياً رسولاً.([3]) ولا تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام لأنّ النصارى يقولون إنّ عيسى إله.

فكيف يكون مثل موسى عليه السلام ؟ إنما موسى عليه السلام بشر ومحمد صلى اللـه عليه وسلم - بشر مثله فتنطبق البشارة عليه لا على عيسى عليه السلام .

والمراد بالإخوة بنو إسحاق عليه السلام من ولديه عيسو وإسحاق، لأنّ إسماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ويوشع والمسيح عليهما السلام هما من بني إسرائيل لا من إخوتهم، لأنّ نسبهما يرجع إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام فلا تصدق البشارة عليهما.([4])

وقد ردَّ الشيخ رحمت اللـه الهندي على دعواهم بالآتي:

- إنّ اليهود المعاصرين للمسيح عليه السلام ، كانوا ينتظرون نبياً آخر غيره، فلا يكون هذا المبشر به يوشع ولا المسيح عليهما السلام.

- إنّ يوشع والمسيح عليهما السلام يختلفان عن موسى عليه السلام ، وليس مثله، بدلالة العهد القديم (وأنه لم يقم بعده في بني إسرائيل مثله) فلو كان نبياً من بني إسرائيل مثل موسى عليه السلام للزم تكذيب قول التوراة. وكون يوشع والمسيح عليهما السلام من بني إسرائيل فقد دلّ على أنّ النَّبيّ هذا ليس من بني إسرائيل.

- إنّ الأسباط الإثني عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى عليه السلام ، فلو كان النَّبيّ المبشَّرُ به منهم لقال منهم أو من بينهم. وقد ورد استعمال لفظ إخوته في التوراة للدلالة على إسماعيل عليه السلام .

---

1 . الهندي، رحمت اللـه بن خليل، **إظهار الحقّ**، ج4، ص1232 – 1234 .بتصرف .

2 . انظر **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 319، **وتفسير سفر التثنية**، القس أنطونيوس فكري، ص 70 .

3 . **تفسير اتحرير والتنوير**، ج 9، ص 132 .

4 . ملكاوي، **بشرية المسيح ونبوة محمد** ص 202 .

وقد ذكر الرازي أنه لو قيل إنه يمتنع أنْ يكون المبشَّر به محمّداً صلى اللـه عليه وسلم لأنه لـيس مـن بيـنهم،وأنّ البشارة قالت (نبياً من بينهم) فقال:" إنّ الرسول ظهر بمكة بالحجاز، فكانت من بينهم أي من بـين اليهـود الـذين كانوا في المدينة وما حولها، كقبائل بني النضير وبنو قينقاع وخيبر وبين جمهور اليهود الذين كانوا بالشام."([1])

- أمّا عبارة (اجعل كلامي في فمه) فإشارة إلى أنّ النَّبيّ المبشر به سيكون أمياً حافظاً، وهذا لا يصدق على يوشع([2])، ولا المسيح عليهما السلام لأنهما كانا قارئين كاتبين.

- أمّا كون النَّبيّ المبشَّر به مثل موسى عليه السلام فهذا مماثل لنبينا محمّد عليه الصلاة والسـلام، بـدليل العبـارات الآتية: (وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إسرائيل مِثْلُ مُوسَى الذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ، [11]فِي جَمِيعِ الآيَـاتِ وَالعَجَائِـبِ التِـي أَرْسَلَهُ الرَّبُّ لِيَعْمَلَهَا فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَـوْنَ وَبِجَمِيعِ عَبِيـدِهِ وَكُـلِّ أَرْضِـهِ، [12]وَفِي كُـلِّ اليَـدِ الشَّـدِيدَةِ وَكُـلِّ المَخَـاوِفِ العَظِيمَةِ التِي صَنَعَهَا مُوسَى أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إسرائيل.)(تث: 34 : 10-12).

ويرد عليهم من نصوصه العهد القديم بعدم التسليم بأنّ موسى عليه السلام هـو الوحيد الذي عرف اللــه وجهـاً لوجه. فإنّ ذلك حصل ليعقوب أيضاً حيث المصارعة العجيبة كما تقدم!!

البشارة الرابعة :

(يَقُولُ رَبُّ الجُنُودِ. [5]حَسَبَ الكَلاَمِ الذِي عَاهَدْتُكُمْ بِهِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَرُوحِي قَائِمٌ فِي وَسَطِكُمْ. لاَ تَخَـافُوا. [6]لأَنَّهُ هـكَذَا قَال رَبُّ الجُنُودِ: هـيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَالبَحْرَ وَاليَابِسَـةَ، [7]وَأُزَلْـزِلُ كُـلَّ الأُمَـمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هـذَا البَيْتَ مَجْدًا، قَال رَبُّ الجُنُودِ. [8]لِي الفِضَّةُ وَلِي الذَّهَـبُ، يَقُولُ رَبُّ الجُنُـودِ. [9]مَجْـدُ هـذَا البَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأول، قَال رَبُّ الجُنُودِ. وَفِي هـذَا المَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ، يَقُولُ رَبُّ الجُنُودِ».(حجي : 2 : 5 – 9)

التحليل: قبل التحليل لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التحريف المقصود للطبعـات المختلفـة للكتـاب المقـدس، ومـن ذلـك التفسير التطبيقي للكتاب المقدَّس قد حرَّف هـذه البشارة، فاستبدل عبارة :

([7]وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ) بعبارة (فأزعزع جميع أركان الأرض فتجلب نفائسهم إلى هـذا المكان). ثمّ استبدال كلمة البيت بالهيكل فقال: (ويكون مجد هـذا الهيكل الأخير أعظم من مجد الهيكل السابق)([3]).

رأي البرفسور عبد الأحد داود:

تكلم البرفسور عبد الأحد داود في هـذه البشارة واهـتمَّ بهـا. وقـد جعلهـا في الفصـل الأول في كتابـه، مسـتنداً إلى نسخة عنده من عمته الأشورية فيها النص على اسم (حمده) بدل مشتهى (وسوف يأتي حمده لكل الأمم).

---

1 . الرازي، **تفسير الرازي**،ج 3 ن ص 38 .

2 . الهندي، **إظهار الحقّ**، ج 4، ص 1220 – 1221 . .

3 . **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص 1822 .

وقد فنّدَ البرفسور عبد الأحد دعوى اليهود والنصارى، الذين يرون أنّ تلك العبارة نبوءة بالمسيح، ودار كلامه على أمرين: **الأول: من ناحية اللغة**؛ حيث أثبت التشابه بين العربية والعبرية، إذ إنَّ حمده في العبرية بمعنى الأمنية الكبيرة، وفي العربية يأتي الفعل ح م د، من نفس الجذر وتكون بمعنى الإطراء والمديح، ولا أحد أكثر استحقاقاً للإطراء والمديح ممن تتوق إليه وتشتهيه كل الأمم. ثمّ ربط بين هذه البشارة وبشارة المسيح عليه السلام في قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللـهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**) (الصف : 6).

والثاني: أنّ كلمة شالوم بالعبرية تماثلُ كلمة سلام أو استسلام بالعربية، فيكون المعنى أنَّ كلمتي حمده وشالوم المترجمتين تؤديان معنى أحمد الإسلام.([1])

نبوءات صريحة: احتوى الكتاب المقدس بشارات صرحت باسم سيّدِنا محمّد عليه الصلاة والسلام. ومن هذه البشارات ما ذكره صاحب كتاب الدين والدولة، في المزمور الثامن والأربعين نسبة إلى داود عليه السلام حيث يقول: (وإنّ ربنا عظيم ومحمود جداً، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمّد، وعمّت الفرحةُ الأرض كلها). فهذه من نبوة داود عليه السلام هي الإبانة والتصريح، الذي لا تلابسه شكوك فقد سمّى النَّبيّ تسمية.(2).

البشارة الخامسة: وحي من جهة بلاد العرب:

هذه البشارة فيها نبوءةٌ حول غزوة بدر وانتصار سيدنا محمّد عليه الصلاة والسلام على أعدائه :

(وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. [14]هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. [15]فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. [16]فَإِنَّهُ هكَذَا قَال لِيَ السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ، [17]وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَال بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ)(اشعيا: 21 : 13 :17).

تتحدث هذه البشارة عن عدة نبوءات كما يلي:

1- بعثة النَّبيّ محمد عليه الصلاة والسلام ؛ والنصّ فيه دلالةٌ صريحةٌ على نبوة سيدنا محمّد صلى اللـه عليه وسلم فقد نزل الوحيُ عليه في بلاد العرب في غار حراء، وهو جبل وعرٌ ولم ينزل في السهل.([3])

2- ثم تتحدث عن هجرته وهروبه من مكة من بين الفرسان الذين جاءوا لقتله . وخصّ أهل تيماء لأنهم صالحوا النَّبيّ عليه السلام ([4])، أو لأنها مشتهرة في طريق القوافل .فالحاصل أنها تابعة للمدينة التي هاجر إليها هذا النَّبيّ .

---

1 . عبد الأحد داود، **محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى**، ترجمة محمد فاروق الزين، ص 36 – 38 . ط1، مكتبة العبيكان، الرياض . السعودية .

2 . الطبري ، **الدين والدولة**، ص 139 . مرجع سابق .

3 . السامرائي، د. فاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، ص 261 .

4 .زاده، زاده باجه، **الفرق بن الخالق والمخلوق**، تحقيق، عبد المنعم فرج درويش، ص 398.

3- ثمّ احتوت نبوءة تبشر بنصره في غضون سنة أي من هـجرته، بحيث يفنى فيها مجد قيدار، وهذه نتيجة غـزوة بدر حيث قضي فيها على شوكة قريش ومُرغت هـيبتها في الأرض.

البشارة السادسة:

هذه بشارةٌ صريحة في نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حذف منها اسمه وأبقي على صفاته ودلائـل نبوتـه، وهذا نصها:

(هُوَذَا عَبْدِي الذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْـرِجُ الحـقّ لِلأُمَـمِ. [2]لاَ يَصِـيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. [3]قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَـانِ يُخْـرِجُ الحـقّ. [4]لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الحقّ فِي الأرض، وَتَنْتَظِرُ الجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ)(اشعيا : 42 : 1- 4).

ويرى أهل الكتاب أنها بِشارةٌ تشير إلى المسيح عليه السلام . ([1])

الردّ:

وهذا زعم باطلٌ بلا شك، ودليل ذلك اعتراف الذين أسلموا باسم الرسول صلى اللـه عليه وسلم وصفته كما ذكرعن كعب الأحبار قوله: إنا نجد في التوراة: محمّد النَّبيّ المختار، لا فظ ولا غليظ، ولاصخّاب في الأسواق.([2])

ويُردّ عليهم أيضا من كلام المهتدي إبراهيم خليل أحمد، الذي أكد أنها بشارة بسيدنا محمّد النَّبيّ الخاتم. وقـال:" إنّ هـذه النبوءة لا تنطبق على أحد من أنبياء بني إسرائيل، حتى المسيح ابـن مـريم، ثـم استشـهد بـأقوال المسـيح نفسه وأنه لم يُرسل إلى الأمم الأخرى، وإنما أرسل إلى بني إسرائيل."([3])

البشارة السابعة: بشارة فرح الأنصار بالهجرة النبوية:

(غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأرض. أَيُّهَا المُنْحَـدِرُونَ فِي البَحْـرِ وَمِلْـؤُهُ وَالجَزَائـرُ وَسُـكَّانُهَا، [11]<u>لِتَرْفَـعِ البَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ التِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالعَ. مِنْ رُؤُوسِ الجِبَال لِيَهْتِفُوا. [12]لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْـداً وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الجَزَائِرِ. [13]الرَّبُّ كَالجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ.)</u>

(اشعيا :42 :10 – 13).

يرى النصارى أنّ هـذه البشارة تتعلق بالمسيح عليه السلام.والسؤال ما علاقة المسيح بأرض قيدار فهل جاء إليها ؟ وهل وصل المسيح إلى المدينة وجبل سالع ؟ وحتى لو قلنا إنّ سكان سالع هـم أهل البتراء، فهل وصل المسيح إليهـا ؟ بل إنَّ مؤلفي قاموس الكتاب المقدس يقولون بعـدم وجـود دليـل عـلى أنّ بـولس وصـل إليـه كـما هــو التقليـد المسيحي([4]).وبناءً عليه، فإنّ نصّ النبوءة يبشِرُ أهل الأرض كلهم، فهي لا تنطبق على المسيح عليه السـلام . ثـم إنّ

---

1 . **التفسير التطبيقي لكتاب المقدس**، ص 1437 .

2 . ابن سعد، محمد بن سـعد بـن منيـع الزهـري،،**الطبقـات الكـبرى**، تحقيـق د. عـلى محـد عمـير،ج 1 ص 310، ط1، 2001، مكتبـة الخانجي، القاهرة .

3 . أبراهيم خليل، **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، ص 41 . مرجع سابق .

4 . **قاموس الكتاب المقدس**، ص 445 – 446 .

المسيح لم يُفْنِ مجدَ قيدار، وهو لم يحمل سيفاً، ولم يصل إلى تلك الديار! والحقّ أنّ العبارات السابقة تحمل ثلاث بشارات كما يلي:

الأولى : بشارة شاملة لكل سكان الأرض بحرها وبرها تتمثل بقوله:(الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، [11]لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا .)(اشعيا : 42 : 10- 11).

الثانية : بشارة عامة للعرب ، وقد تمثلت بسكان قيدار، لأنّ النَّبيّ منهم ونزل عليه الوحي في مكة من خلال قوله: (الدِّيَارُ التِي سَكَنَهَا قِيدَارُ)(اشعياء 42 : 11).

الثالثة : بشارة خاصة لأهل المدينة، التي ذكرت باسم سالع نسبة إلى جبل سالع أو سلع، الذين خرجوا فرحين مبتهجين بالأناشيد لاستقبال هذا النَّبيّ الخاتم؛ حيث صارت مسكنه وعاصمته التي انتصر فيها على أعدائه.

ومما يؤكد هذا أنّ اليهود في المدينة، كانوا يجدون في كتبهم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها دار هجرته. وقد ورد عن كعب الذي أسلم قوله:" إنا نجد في التوراة: محمد النَّبيّ المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق"([1]).

قلت: وحذف اسم سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، وإبقاء (مختاري) وما بعدها، يؤكد تحريف الكهنة والحاخامات المقصود لاسم سيدنا محمَّد عليه السلام من التوراة، وإنما أبقوا على الصفات العامّة التي قد تنطبق على غيره من الأنبياء عليهم السلام، أما اسمه فكانوا حريصين على حذفه.

وهذه بعض بشارات العهد القديم بسيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا كلها. لأنّ الغاية ذكر نماذج من هذه البشارات التي أساء اليهود بتحريفها وحذفها إلى سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني: حكاية البشارات بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

نصَّ القرآن الكريم عن البشارات بالنَّبيّ الخاتم محمّد صلى الله عليه وسلم ، ابتداءً من أخذ الميثاق الإلهي على الأنبياء عليهم السلام وحتى آخرهم عيسى عليه السلام .

وقد أخذ الله تعالى الميثاق على النَّبيّين، أنْ يؤمنوا ويتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنْ يأمروا أممهم باتباع هذا النَّبيّ([2]) لقوله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {81/3}**) (آل عمران: 81).

وقال الطبري عند قوله تعالى: (ثم جاءكم رسول) يعني: ثمّ إنْ جاءكم رسولٌ يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة(لتؤمننّ به) أيْ ليكوننّ إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره.([3])

---

1 . ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري،،**الطبقات الكبرى**، تحقيق د. على محد عمير،ج 1 ص 310، ط1، 2001، مكتبة الخانجي، القاهرة .

2. الرازي، **تفسير الرازي**، ج8، ص 12 بتصرف.

3 . الطبري، **تفسير الطبري**، ج5، ص 537، مرجع سابق.

ولم تزل الأنبياءعليهم السلام تبشر أقوامها برسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وتأمرهم باتباعه ونصرته ومؤازرتـه إذا بعث. وكان أول ما اشتهر الأمرعلى لسان إبراهيم عليه السلام حيث دعا لأهل مكة أنْ يبعث اللـه فيهم رسولا منهم([1]). لقوله تعالى: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّـكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ {129/2}**) (البقرة: 129).

وأمّا موسى عليه السلام ، فقد بشّره اللـه تعالى في التوراة ببعثة سيدنا محمّد صلى اللـه عليه وسلم ،وذكر صفاته([2])، فقال جل شأنه: (**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157/7}**) (الأعراف: 157).

ويدلُّ قوله تعالى: (**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ**) عـلى أنَّ نعتـه وصحة نبوتـه مكتـوبٌ في التوراة والإنجيل([3]). وقد جعل اللـه المعروفَ والطيبات والمنكر والإصر والأغلال متعلقاتٌ لتشريع النَّبيّ الأمّيّ وعلامات له، فوجب أنْ يكون المراد منها ما يتبادر من معانيها إلى الأفهام المستقيمة. وقد كانت هـذه الآيـة سبب إسلام الحبر الأندلسي السموأل بن يحي اليهودي([4]).

قال الرازي في كلام بديعٍ رحمه اللـه تعالى:"هذا يدل على أنَّ نعتَه وصحةَ نبوته مكتوبٌ في التوراة والإنجيل، لأنّ ذلك لو لم يكن مكتوباً، لكان ذكر هـذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفِّرُ الناس عن قبول قوله. فلمّا قال ذلك دلّ هـذا على أنَّ ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على نبوته".([5])

وأما صفة رسول اللـه في التوراة فهي:" يا أيُها النَّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين. أنتَ عبدي ورسولي، سميتكَ المتوكلَ ليس بفظٍ، ولا غليظٍ ، ولا سخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئةِ السيئةَ، ولكنْ يعفو ويغفر. ولن يقبضهُ اللـهُ حتى يقيمَ به الملةَ العوجاءَ، بأنْ يقولوا لا إله إلا اللـهُ، ويفتحُ بها أعيناً عمياً وآذانا صُماً وقلوباً غلفاً".([6])

---

1 .طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، 1990، **ميثاق النَّبيّين**، دارالقبلة، جده، مؤسسة علوم القرآن، بيروت،

2 . الاندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج4، ص 402.

3 . **تفسير الرازي**، ج 15، ص 26 .

4 . **تفسير التحرير والتنوير**، ج 9، ص 132- 134 .

5 . الرازي، **تفسير الرازي**، ج 15، ص 26.

6 .البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كراهية السخب في السوق،رقم 2125، ج3، ص 87. **ومسند أحمد**، مسند عبداللـه بن عمرو رضي اللـه عنهما، رقم 6622، ج2، ص 174.

وأما بشارته في الإنجيل، فقد حكاها القرآن الكريم جليةً باسمه أحمد صلى اللـه عليه وسلم . فقال جل شأنه: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللـهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {6/61}**) (الصف: 6).

هذه أكثر البشارات تصريحاً باسم خاتم النَّبيّين صلى اللـه عليه وسلم . وهي بشارةٌ صريحة من عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بالرسول الذي يأتي من بعده. وكان بنو اسرائيل لا يزالون ينتظرون مجيء رسول يخلّصهم من براثن المتسلطين عليهم، وهذا الانتظار ديدنهم.([1])

ويعني اسم أحمد، أنه أحمدُ الحامدين لربه، والأنبياء صلوات اللـه عليهم كلهم حامدون اللـه، ونبيّنا صلى اللـه عليه وسلم أكثرهم حمداً.([2])

وأرى أنّ أهل الكتاب وخاصة اليهود الذي سكنوا في المدينة المنورة وما حولها، كانوا يعلمون، بل ويتيقنون بما في كتبهم من البشارات به عليه السلام ، من نبوة محمّد عليه االصلاة والسلام، وفي هـذا العلم يقول جل شأنه: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (البقرة: 146) .

إلا أنّ دافع الحسد منعهم من الايمان به واتباعه. وسيطر هـذا الحسدُ على قلوبهم حتى جعلهم يتمنون ارتدادَ المسلمين وتركهم دينهم. وفي هـذا يقول جل شأنه: **(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)** (البقرة: 109).

وهكذا يتضح بأنَّ يد اليهود قد غيرت وحرَّفت نصوص التوراة وغيرها من العهد القديم الدالَّة على نبوة سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم . وقد أكد القرآن الكريم هـذه الحقيقة، وهذا ما توصلّ اليه الباحثون والناقدون قديما وحديثاً بل ومن نصوص العهد القديم.

1 . ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج28، ص 181.

2 . القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 20، ص 441.

النتائج

أدلة تحريف(العهد القديم):

وفي نهاية هـذه الدراسة لا بدّ من ذكر الأدلة على تحريف العهد القديم، وهي كما يأتي:

1- القرآن الكريم.

2- تناقض نصوص العهد القديم مع بعضها.

3- شهادة العقل السليم.

4- شهادة أنبياء بني إسرائيل.

5- شهادة نُقاد اليهود وعلمائهم.

6- ما تقدم من تاريخ التوراة، وفقدانها بشهادة العهد القديم ذاته.

1- القرآن الكريم:

أكدَّ القرآن الكريم قضية تحريف التوراة في مواضع عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللـهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** {75/2}) (البقرة: 75).

وقوله تعالى: (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللـهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللـهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللـهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** {78/3})(آل عمران: 78). وقوله تعالى: (**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**) (النساء: 46).

2- شهادة الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم ذاته ومن ذلك:

1- **شهادة داود** عليه السلام :كما في هـذه العبارة:(**ماذا يَصْنَعُهُ بِي البَشَرُ؟** [5]**اليَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي**)(مزمور:56:4).

2- **شهادة النَّبيّ إرميا :** حيث ورد: ("[8]كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقًّا إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ. [9]خَزِيَ الْحُكَمَاءُ. ارْتَاعُوا وَأُخِذُوا. هـا قَدْ رَفَضُوا كَلِمَةَ الـرَّبِّ، فَأَيَّـةُ حِكْمَـةٍ لَهُـمْ؟ [10]لِـذلِكَ أُعْطِـي نِسَاءَهُمْ لآخَرِينَ، وَحُقُولَهُمْ لِمَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، كُلُّ وَاحِدٍ مُولَعٌ بِالرِّبْحِ. مِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ.) (إرميا :8 : 8-10).

3- شهادة علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

يقول سبينوزا([1]) أشهر النقاد اليهود ناقداً الأسفار اليهودية: " إنّ كلام الـلـه مزيف ومنقوصٌ ومحرفٌ، وإننا لا نملك منه إلا شذرات، وإنّ الميثاق الذي يشهد بعقد الـلـه مع اليهود قد فقد"([2]) ويؤكد سبينوزا أنَّ مؤلف الأسفار الخمسة شخصٌ عاش بعد موسى عليه السلام بزمن طويل. ويرى سبينوزا أنّ سفر موسى أقل بكثير من الاسفار الخمسة ، وأنّ الكاتب يتحدث بضمير الغائب، وأنَّ بعض الامور المذكورة حدثت بعد موت موسى عليه السلام ، مثل الشهادة بأنه لم يقم في بني إسرائيل رجل كموسى عليه السلام . كما يستشهد ببعض الأماكن التي لم تطلق عليها أسماؤها إلا بعد موسى عليه السلام ([3]).

وأمّا فرويد([4]) فيقول:" يظلُّ تحريف وتحوير الكهنة للعهد القديم عند تحريره، أشبهَ بجريمةٍ قتلٍ، يَسهل فيها الإجهاز على القتيل، لكنه يصعب التخلص من جثته، ويكاد يستحيل طمس كل آثار الجريمة".([5])

وأمّا القسيس فندر([6]) فقد اعترف بوجود التحريف في كتب أهل الكتاب، ووجود أربعين ألف اختلاف عبارة أمام ألف شخصية في المناظرة مع الشيخ رحمت الـلـه الهندي.

وبما سبقتْ الاشارةُ إليه من نصوص القرآن الكريم والعهد القديم، ومن تاريخ بني إسرائيل، وشهادة علماء اليهود، والنقاد، يظهر بجلاءٍ تحريف العهد القديم.

---

1 . **سبينوزا** هو: باروخ سبينوزا الفيلسوف اليهودي الذي اشتهر بنقد اليهودية من خلال كتابه(رسالة في اللاهوت والسياسة) وكان مطلعاً على التوراة حيث نشأ في بيت دين، وقد بيّن تهافت أسطورة الشعب المختار، وحللَّ أسفار التوراة مؤكداً أنّ الذي كتبها إنسان آخر عاش بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة، وعزرا لم يكتب التوراة ، وإنما جمع الروايات من كتب أخرى ونسخها ونقلها دون تحقيق . عاش سبينوزا بين عامي 1632 و 1677، أنظر: **موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية** ، ص 124 – 127 .بتصرف.

2 . سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، 2005، ترجمة د. حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت. ص 327.

3 . **سبيوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة**، مرجع سابق، ص 257 – 262 بتصرف.

4 . **سيجموند فرويد:** يهودي نمساوي، مؤسس التحليل النفسي، حاول تأسيس أخلاق متحررة ودين دنيوي قائم في جوهره على الدين اليهودي، له نظريات عن الإنسان الجنسي والاقتصاد والأخلاق. عاش بين(1865-1939). أنظر: **موسوعة فلاسفة اليهود ومتصوفتها**، د. عبد المنعم حفني، مرجع سابق، ص 251.

5 . مقار، شفيق مقار، **قراءة سياسية للتوراة**، ص 214. رياض الريس للنشر والتوزيع لندن، بريطانيا.

6 . **القسيس فندر** هو الذي واجه العلامة الشيخ رحمت الـلـه الهندي في مناظرة شهيرة في الهند، حيث اضطر فندر للاعتراف بوقوع التحريف في الكتاب المقدس. أنظر **الهندي، إظهار الحق**، ج1، ص 17.

ثانياً: أدلة تحريف العهد القديم التي توصلت إليها في هذه الدراسة:

فيما يأتي ذكرٌ لأبرز براهين تحريف العهد القديم وتناقضه التي ظهرت لي وقمت بتحليلها ونقضها في الدراسة:

أولاً: براهين(داخلية) من نصوص العهد القديم ذاته تثبت تناقض عباراته وتحريفها مثل:

1- عبارة:(لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ)(تك:2: 17) ومعلومٌ أنَّ آدم عليه السلام لم يمت يوم أكل من الشجرة لا موتاً جسدياً ولا روحياً كما نصَّ العهد القديم.

2- عبارة:(وَبَارَكَ اللـهُ نُوحًا وَبَنِيهِ)(تك: 9: 1) تناقض دعوى أنَّ نوحاً عليه السلام لعن إبنه كنعان، فنوحٌ عليه السلام لن يلعن ما باركه اللـه تعالى. لأنَّ اللعن يناقض البركة الإلهية التي باركها نوحاً ومن معه كما نصَّ العهد القديم، وكما وردت في القرآن الكريم.

3- عبارة:(يَا سَيِّدُ، أَأُمَّةً بَارَّةً تَقْتُلُ؟)(تك:20: 4) وهذه عبارة قالها (أبيمالك) لما رأى اللـه في الحلم، وهي فرض صحتها- عبارة خاطئة، لأنَّ تلك الأمة كانت كافرة ولم تكن بارَّةً.

4- عبارة ابنتا لوط عليه السلام :(أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ)(تك: 19: 31) عبارة خاطئة ومناقضة للعهد الإلهي بعد الطوفان كما في هذه العبارة:(وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ)(تك:8: 21) فهذا تناقض، والتناقض الثاني قولهما:(أَبُونَا قَدْ شَاخَ) فدلّ هذا على مرور مدة زمنية كافية بين وقوع العذاب وبين شيخوخة لوط عليه السلام ،الأمر الذي يحتِّم معرفة ابنتا لوط عليه السلام بوجود أناس أحياء غيرهما، وهذا يناقض قولهما:(وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ). وبناءً عليه بطُل السبب الذي دعاهما لفعل الفاحشة مع أبيهما.

5- العبارات الكثيرة المنسوبة لأيوب عليه السلام ، كالسخط والإعتراض على قدر اللـه تعالى كعبارة:(لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ، وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟)(أيو: 3: 20) تناقض الثناء الإلهي على أيوب عليه السلام كما في هذه العبارة:(لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أيوب)(أيو: 42 :7). كما أنّ عباراته الساخطة تناقض الوعد الذي قطعه عليه السلام كما في هذه العبارة:(إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ، وَنَفْخَةُ اللـهِ فِي أَنْفِي، لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا، وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ) (أيوب:27: 2).

6- الدعاوى التي نُسبت ليعقوب عليه السلام كدعوى دخوله على أخت زوجته(زناه بالخطأ) كما في:(تك: 29: 18 – 30) تناقض الحفظ الإلهي له عليه السلام كما في هذه العبارة:(إِنَّ قِسْمَ الرَّبِّ هُوَ شَعْبُهُ. يَعْقُوبُ حَبْلُ نَصِيبِهِ ... أَحَاطَ بِهِ وَلاَحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. [11]كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ)(تك:3 : 9 – 11). وهذا التناقض يطبق على جميع الدعاوى التي نُسبت ليعقوب عليه السلام .

7- تناقض دعوى غشّ يعقوب عليه السلام واحتياله على خاله لإكثار ماله بما جاءه من الوحي الإلهي في الحلم كما في هـذا النصّ:([11] وَقَالَ لِي مَلاَكُ الـلـهِ فِي الْحُلْمِ: يَا يَعْقُـوبُ. فَقُلْـتُ: هـأَنَذَا. [12]فَقَـالَ: ارْفَـعْ عَيْنَيْـكَ وَانْظُـرْ. جَمِيـعُ الْفُحُولِ الصَّاعِدَةِ عَلَى الْغَنَمِ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَـا يَصْـنَعُ بِـكَ لاَبَـانُ)(تـك: 31: 10- 13) وهذا النصّ يناقض دعوى غش يعقوب عليه السلام خاله كما في الإصحاح ذاته: (تك: 30 : 37 – 43).

8- عبارة الملاك ليعقوب عليه السلام عندما صارعه:(لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ)(تـك:32: 28) تناقض نداء الـلـه تعالى نبيه يعقوب عليه السلام بعد المصارعة المزعومة باسم يعقوب لا إسرائيل كـما في عبـارات كثيرة مثل:(فَكَلَّمَ الـلـهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ: «يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا»)(تك: 46 : 2).

9- دعوى قتل موسى عليه السلام المصريَّ عمداً كما ورد:(فَالتَفَتَ إلى هـنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ المِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.)(خر: 2: 12) تناقض تمكين الـلـه تعالى نبيه موسى عليه السلام من الهرب؛ حيث إنَّ هـذا الهرب دليلٌ على القتل الخطأ لا العمد كما في هـذه العبارة:(مَنْ ضَرَبَ إنسانا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلاً. [13]وَلكِنَّ الذِي لَـمْ يَتَعَمَّـدْ، بَلْ أَوْقَعَ الـلـهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرُبُ إليه.)(خر: 21 : 12 – 13).

10- دعوى خيانة موسى عليه السلام الوحي الإلهي كما في:(فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمَا لَـمْ تُؤْمِنَـا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)(تك:عد: 7: 12) تناقض الثناء الإلهي على موسى عليه السلام بأنه أمينٌ في هـذه العبارة:(وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هـكَذَا، بَلْ هـوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي.)(عد: 12: 7).

11- دعوى أمر موسى عليه السلام بقتل الأطفال بقوله:(فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِـنَ الأَطْفَـالِ.)(عـد: 31 :17) ينـاقض حِلم موسى عليه السلام :(وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلَى وَجْـهِ الأرض.)(عـد: 12 :3). ويناقض ما ورد في الوصايا العشر(لاَ تَقْتُلْ)(تث: 17:5).

12- تناقض جميع دعاوى العهد القديم الواردة بحق داود عليه السلام مع شهادة داود عليه السلام :

([21]يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ عَلَيَّ. [22]لأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ الرَّبِّ، وَلَمْ أَعْصِ إِلهِي. [23]لأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضُهُ لاَ أَحِيدُ عَنْهَا. [24]وَأَكُونُ كَامِلاً لَدَيْهِ)(صم2: 21: 24).

13- تناقض دعوى نسبة سفر نشيد الأنشاد إلى سليمان عليه السلام بوحيٍ مـن الـلــه تعـالى، لأنـه مـليٌ بالألفـاظ البذيئة ومخالف للحياء، والـلـه تعالى لا يوحي لنبيه بكلمات تصف أجزاء حساسة في جسد المرأة كـما في(نـش: 7: 1 -9).

14- تناقض دعوى كفر سليمان عليه السلام في هـذه العبارة:(وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَـهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى)(ملو1: 11: 4) مع عبارة (هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْباً حَكِيماً وَمُمَيِّزاً حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُـومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ)(ملو 1: 3 : 12 – 13). فهل يذهب صاحب القلب الحكيم والمميز وراء آلهة اخرى.

15- تناقض دعوى رؤية داود عليه السلام زوجة أوريّا كما في ورد في(صم 2 : 11: 2) مع أنه سكن على جبل صهيون داخل حصنٍ عظيم:([7]وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ ، وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ «مَدِينَةَ دَاوُدَ». وَبَنَى دَاوُدُ مُسْتَدِيرًا مِنَ الْقَلْعَةِ فَدَاخِلاً.)(صم 2: 5 :9) وأنه بُني له داخل الحصن بيتاً عظيماً بدلالة هذه العبارة: ([11]وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ رُسُلاً إِلَى دَاوُدَ، وَخَشَبَ أَرْزٍ وَنَجَّارِينَ وَبَنَّائِينَ فَبَنَوْا لِدَاوُدَ بَيْتًا.)(صم2: 5: 11) يُضاف لهذا أنَّ الوقت كان مساءً حسب الدعوى، والمساء عند الإسرائيليين ما بين المغرب والعشاء كما تقدم في نقض الدعوى.

ثانياً: البراهين العقلية التي ظهرت لي كشواهد على تحريف العهد القديم وهي كثيرة منها:

1- أنَّ إعطاء ابراهيم كلّ ماله لابنه إسحاق عليهما السلام أمر مرفوضٌ عقلاً ، لأنه يورث العداء بين الأب وأبنائه وبين إسحاق وإخوانه.

2- أنَّ العقل يأبى أنْ يعطي يعقوب إبنه يوسف عليهما السلام سهماً زائداً عن إخوته، نظراً لغنى يوسف عليه السلام ومكانته السياسية والمادية، وخوفاً من تجدد حسد إخوته له.

3-أنَّ العقل يأبى عدم تمييز يعقوب عليه السلام بين زوجته راحيل الحقيقية وبين ليئة التي خدع بها، نظراً لوجود السراج في ذلك الزمان حسبما جاء في سفرأيوب عليه السلام ، بناءً على ترجيح علماء أهل الكتاب أنَّ أيوب عليه السلام عاش قبل إبراهيم عليه السلام .

4- لا يصح عقلاً أنَّ يصارع الملاك نبي الله يعقوب عليه السلام لغاية مباركته، ثمّ تكون النتيجة إنخلاع عظم يعقوب عليه السلام .

5- لا يصح عقلاً أنْ يقتل شمعون ولاوي إبني يعقوب عليه السلام مدينة بأسرها دون أذىً يلحقهما.

6- لا يصح عقلاً نسبة النوم الثقيل ليونس عليه السلام كما في هذه العبارة:(فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. [5]فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ، وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً)(يون:1 : 4- 5). فكيف يستطيع إنسان النوم في تلك الظروف الصاخبة والمرعبة جداً؟

7- دعوى ذبح الرجال الذين كانوا في السفينة مع (يونان) يونس عليه السلام ذبيحةً بعد أنْ نجوا من الغرق في عبارة:(فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ.)(يون: 1: 16) تناقض عدم وجود ذبيحة معهم لأنهم طرحوا كلّ ما معهم في البحر عند هيجانه كما في هذه العبارة:(وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ التِي فِي السَّفِينَةِ إلى البَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ.)(يون: 1 : 5) .

ثالثاً: البراهين الخلُقية التي ظهرت لي كشواهد على التحريف والتناقضات الكثيرة منها:

1- لا يصحّ خلقاً انْ يعطي إبراهيم إبنه إسحاق عليهما السلام عطايا أكثر من بقية إخوانه،كما ورد في(تك:25: 5- 6).

2- لا يصحّ خلقاً أنْ يأتي المسيح المخلص من سلالة زنا.

3- لا يصحّ خلقاً أنْ يسأل نبي اللـه داود عليه السلام عن أمرأة جاره، ثم يرسل رسلاً يأخذونها لبيته ليزني بها.

4- لا يصحّ خلقاً لسليمان عليه السلام أنْ يتكلم بكلام يصف فيه محاسن أمراة وعوراتها.

5- لا يصحّ خلقاً احتواء كتاب سماوي على كثير من حالات زنا المحارم.

6- احتواء العهد القديم على كثير من القصص التي لا تصلح للتعليم والتهذيب، وإنما تخدش الحياء وتشجع على الفاحشة، كقصة زنا لوط عليه السلام بابنتيه، وزنا يهوذا بن يعقوب عليه السلام بكنته ثامار، وزنا أمنون بن داود عليه السلام بإخته ثامار وغيرها.

الخاتمة

اتضح لي في هـذه الدراسة أنّ اليهود حرّفوا العهد القديم، وشهد بذلك القرآن الكريم ونصوص العهد القديم ذاته، ودلّ العقل السليم على ذلك، وشهد المنصفون من النقاد بمن فيهم اليهـود والنصـارى عـلى ذلـك التحريـف. ولعـلّ الدعاوى التي نُسبت للأنبياء عليهم السلام هـي أبرز مظاهر هـذا التحريف.

وقد تبين لي بعد التحليل والنقد والمقارنة بطلان هـذه الدعاوى وعدم صحتها، وأنَّ نسبتها للأنبياء علـيهم السـلام متناقض لبعض نصوص العهد القديم، ومناقض للقرآن الكريم ومتناقضٌ مع العقل السليم والخلـق القـويم؛ وعليـه وجب على أهل الإيمان وأصحاب العقول ردّ تلك الدعاوى، والحكم بأنها من كلام البشر، لا من الوحي الإلهي.

ومن الأمانة أنْ يُقال إنه قد ورد في العهد القديم تزكيةً ومدحاً لبعض الأنبياء عليهم السلام، إلاّ أنَّ تلـك الكلـمات قليلةٌ جداً بل هـي نادرةٌ مقارنة مع كثرة الفحش والقبح المنسوب إليهم، وأنّ صفات المدح النـادرة كانـت متبوعـةً أو مسبوقةً بصفات بشعة وأخلاق ذميمة هـدمت ذلك المدح النادر ونقضتْه من أساسه.

وقد ترتّبَ على إيمان أهل الكتاب بنسبة هـذه الصفات والفواحش للأنبيـاء علـيهم السـلام، آثـاراً سـيئة وعواقـبَ وخيمة عند اليهود خاصة تمثلت بالأثر السلوكي الذي يمكن تقسيمه إلى قسمين: الأثر الأخلاقي، والأثر الإجرامي:

الأثر الأخلاقي: ممثلاً بالسقوط الأخلاقي والتردّي في المسألة الجنسية. وقد اتخـذ أهـل الكتـاب الـدعاوى المنسـوبة للأنبياء عليهم السلام مبرراً لهم مما أدى لسهولة انتشار الفـواحش عنـدهم عمومًـا، وعنـد بعـض الدارسـين للعهـد القديم من الأحبار والرُّهبان. ولذلك انتشرت الفـواحش وزنـا المحـارم في العديـد مـن الشـعوب التـي قـرأت هــذه النصوص.([1])

الأثر الإجرامي: والإبادة الجماعية التي انعكست بشكلٍ كبيرٍ على اليهود في حروبهم مع أعدائهم إذا تمكنـوا مـنهم، كما فعلوا في مجازرهم في فلسطين في العصر الحديث، تقليداً لما نسبوا للأنبياء علـيهم السـلام مـن وحشـية وإبـادة جماعية.

1 . العموش، د. بسام علي، **قراءة عقائدية في العهد القديم**، ص 748، مرجع سابق.

وفي ختام هـذه الدراسة التي اختصت بعرض وتحليل ونقض الدعاوى التي نسبت للأنبياء عليهم السلام في العهد القديم، ظهرت لي النتائج الآتية:

1- الكشف عن براهين جديدة تُثبت تحريف العهد القديم([1])، وهـذه البراهـين بعضـها شـواهد نصية دلّـت عـلى تناقض العهد القديم ذاته، وبعضها عقلية، دلَّت على مخالفة العقل السليم. وبعضها خلقية دلّت عـلى مخالفـة الخلُق القويم. وقد ظهرت هـذه البراهين في معظم مباحث الدراسة.

وقد ظهرت لي أيضاً هـذه النتائج:

1- إبطال جميع الدعاوى التي نسبت للأنبياء عليهم السلام في العهد القديم خلال هـذه الدراسـة بالأدلـة النقليـة من العهد القديم والقرآن الكريم، والأدلة العقلية والخُلقية.

2- أنّه لا عصمة للأنبياء عليهم السـلام عنـد أهـل الكتـاب ؛ وبنـاءً عليـه، فقـد نسـبوا إلـيهم الوقـوع في المعـاصي الإعتقاديـة، كـالكفر باللــه وصـناعة الأصـنام، والخيانـة في تبليـغ الـوحي، والمعـاصي السـلوكية كالزنـا، والخـداع، والكذب،والإبادة الجماعية وغيرها الكثير. وقد تمَّ إبطالها جميعاً.

3- سوء خاتمة أكثر الأنبياء عليهم السّلام في العهد القديم، وقد تمَّ إبطالها.

4- أنّ جوهر العقيدة النصرانية قام على إحدى هـذه الدعاوى، وهي أنّ آدم عليه السلام مات ولم يتب من أكلـه من الشجرة. وقد تمَّ إبطالهما.

5- إبطال دعوى عصمة النَّبيّ في تبليغ الوحي عند أهل الكتاب، لما ثبت في العهد القديم من خرق موسَى وهارون ويعقوب عليهم السلام هـذه الدعوى.

6- نقض دعوى علماء أهل الكتاب الشهيرة بأنّ كل الكتاب المقدس صالحٌ للتهذيب والتعليم، نظـراً لمـا حـواه مـن الأخلاق الفاحشة، والقصص المليئة بزنا المحارم.

7- مخالفة علماء أهل الكتاب وشُرَّاحُ العهد القديم خاصَّة، الأمانةَ العلمية والإنصاف، بتناقضهم البيّن، ومبالغاتهم، وتعمّد إغفالهم العديد من فقرات ونصوص العهد القديم، نظراً لما تسببه لهم من حرجٍ وتظهر تناقضـهم، وتنـاقض العهد القديم ذاته.

8- تكريم القرآن الكريم للأنبياء عليهم السلام ورفع شـأنهم جميعـاً، وأظهـار قـدرهم العظـيم عنـد اللــه تعـالى، والثناء على أخلاقهم ومواقفهم الإيمانية، وإبـراز جهـودهم العظيمـة في الـدعوة عـلى اللــه تعـالى وحرصـهم عـلى هـداية أقوامهم وتذكيرهم الدائم بالحياة الآخرة. إضافةً إلى حـثَّ المـؤمنين عـلى الإقتـداء بهـم والتخلـق بـأخلاقهم العظيمة. بينما أغفل كتبة العهد القديم الجهود العظيمة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام وهم يدعون إلى اللــه تعالى وينصحون أقوامهم ويدعونهم لفضائل الأخلاق والإستعداد للدار الآخرة.

---

1 . أنظر الصفحات من 364 – 367.

9- أنه لا وجه للمقارنة بين الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم والقرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم ينسب للأنبياء عليهم السلام أيَّة مخالفة من جنس ما نُسب إليهم في العهد القديم، وإنما كان أكثرها بدافع الانفعالات النفسية الخارجة عن إرادة النَّبيّ، لا من الكبائر أو الفواحش كما في العهد القديم.

10- تعظيم علماء المسلمين وعامّتهم للأنبياء عليهم السلام بمن فيهم أنبياء بني إسرائيل وتوقيرهم والإيمان بعصمتهم وحسن أخلاقهم، والْإقتداء بهم.

11- الأثر السلبي الواضح للدعاوى المنسوبة للأنبياء عليهم السّلام وانعكاسُها على أهل الكتاب الكتاب اعتقادياً وخلقياً وسياسياً ونفسياً واقتصادياً. عامتهم ورجال دينهم،افراداً وجماعات، واتخاذ تلك الخطيئات مبرراً لمعاصيهم.

12- أنّ أخطر وأعظم إساءات العهد القديم، ما كان بحق خاتم النَّبيّين سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم ؛ حيث حُذفت (البشارات) التي تضمنت اسمه الصريح، إضافة إلى حذف حادثة رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد الكعبة المشرفة بيت اللـه الحرام.

13- احتواء العهد القديم الثناء على أصحاب سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم .

14- نقض دعوى أنّ المسيح وداود عليهما السلام جاؤوا من ذرية زنا.

15- ظهر لي اتفاق المسلمين على رفض وتكذيب جميع الخطيئات التي نسبت للأنبياء في العهد القديم، لأنها إما كفر باللـه أو كبائر أو مشعرة بخسَّة. فجميعها خارجة عن خلاف المسلمين في قضية عصمة الأنبياء عليهم السلام.

16- لا احترام ولا تقدير للأنبياء عند علماء أهل الكتاب، حيث يتناولونهم بالنقد بأسلوبٍ بعيد عن الأدب والتقدير ويوبخونهم ولا يكرمونهم الا قليلا. بينما يُجِّلُ علماءُ الاسلام جميع الأنبياء عليهم السلام بإظهار شمائلهم تعظيم قدرهم، وردّ الشبهات عنهم.

توصيات الدراسة: في ختام هذه الدراسة فإنني أوصي بالآتي:

1- تخصيص دراسة حول منهج علماء أهل الكتاب في دراستهم وشروحهم للعهد القديم، لإظهار مزالقهم وتناقضهم وتعصبهم وبعدهم عن الأمانة العلمية.

2- اختصار هذه الدراسة وأمثالها، بحدود مائة صفحة، مع ترجمتها إلى اللغات المختلفة، وخاصة العبرية والإنجليزية والفرنسية، ليسهل على اليهود والنصارى الاطلاع عليها، أملاً في هدايتهم، ولإقامة الحجة عليهم.

3- تخصيص دراسةٍ لأنبياء العهد القديم، الذين لم يُذكروا في القرآن الكريم.

وصلِّ اللـهمّ وسلّم على سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيّين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين. وسبحانك اللـهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله ألاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الأطروحات الجامعية:-

1- التراثُ الإسرائيليّ في العهد القديم، وموقف القرآن منه - رسالة دكتوراه للدكتور صابر طعيمه، من كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، سنة 1978.

2- **بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء**، رسالة دكتوراه، للدكتور: عبد الشكور بن محمد بن أمان العروسي، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1982.

3- داود وسليمان في الأسفار اليهودية، عرض ونقد، رسالة ماجستير للباحثة: مي حسن المدهون، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1421هـ.

4-أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى،رسالة ماجستير للباحثة: هند بنت دخيل الله، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، سنة 1421هـ.

5- **إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد**- رسالة ماجستير للباحثة فاطمة ردمان، من جامعة أم القرى سنة 2005.

6- **يعقوب عليه السلام بين القرآن الكريم والعهد القديم. دراسة مقارنة**، رسالة ماجستير للباحث: محمد حسني عقلة، 2003، جامعة آل البيت – الأردن.

7- **قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن الكريم والعهد القديم** – رسالة ماجستير للباحث نضال عباس دويكات، من جامعة النجاح سنة 2006.

8- **نبيُّ الله داود عليه السلام بين القرآن الكريم والكتاب المقدس**، رسالة ماجستير للباحث: منير أحمد حسين ذياب، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2007.

10- **قصة لوط عليه السلام في القرآن والتوراة**، دراسة مقارنة – رسالة ماجستير، للباحث محمد حماد، جامعة النجاح، فلسطين، سنة 2007.

11- **موسى وهارون عليهما السلام في الأسفار الخمسة، عرض ونقد في ضوء القرن الكريم**، رسالة ماجستير للباحث عبدالله عمر بارشيد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1427 هـ.

12- إيذاء الأنبياء بين العهد القديم والقرآن الكريم،رسالة ماجستير للباحث:أحمد نجم إبراهيم عليات، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2011.

3- الكتب والدراسات الأخرى.

- إبراهيم، د.صلاح عبد العليم، 1996، **عقيدة النصارى في ضوء القرآن الكريم**. دار الطباعة المحمدية، ط1، القاهرة.

- أبو زهرة، الإمام محمد، **محاضرات في النصرانية**. دار الفكر العربي، القاهرة، 2006،

- أحمد، د. محمد خليفة حسن، 1988، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء، ط1، مدينة العاشر من رمضان، مصر.

- أحمد، د. محمد خليفة حسن، 1998،علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، دار الثقافة، القاهرة.

- أحمد، يوسف الحاج أحمد، 2003، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن**، ط2، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا.

- الإسكندري، محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام ، **المسامرة بشرح المسايرة**، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية ،1317 هـ ، بولاق، مصر.

- إسماعيل، د.شعبان اسماعيل، 1980، **من خصائص الرسول وشمائله**، دار المريخ، ط1، الرياض.

- الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، 2004، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط 2004 ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، 1968، **لسان العرب**. دار صادر، بيروت.

- الألوسي، السيد محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- الأندلسي، محمد عبد الحق بن غالب، 2003، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأندلسي، محمد بن يوسف التوحيدي،1993، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق:عادل احمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأورشليمي، إسرائيل بن شموئيل، 1989، **الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية**، تحقيق عبد الوهاب طويلة، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، سوريا.

- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن احمد، 1997، **كتاب المواقف**، بشرح السيد الشريف على الجرجاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ط 1، دار الجيل، بيروت.

- الباحي، علي بن محمد، 2007، **كتاب الرد على التوراة**، تحقيق السيد يوسف احمد ، ص25 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- البار، د. محمد علي،1990، **اللـه جلَّ جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دراسة مقارنة**. دار القلم، دمسق، الدار الشامية، بيروت، ط1.

- البار، د. محمد علي،1990، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية ، بيروت.

- الباش، د.حسن الباش، 2002، **التوراة والقران أين يتفقان وأين يفترقان؟** ط2، دار قتيبة. دمشق. سوريا.

- الباش، د. حسن الباش،2004، **الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام** ، ، دار قتيبة، ط1، دمشق، سوريا.

- الباقلاني، محمد بن الطيب، **نكت الإنتصار لنقل القرآن.** تحقيق د. محمد زغلول سلاّم، منشأة المعارف بالإسكندرية.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، 1989، **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط 3، بيروت.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، 1987، **الجامع الصحيح** ، دار الشعب، ط1، القاهرة.

- برّ، د. فتنت مسيكه، 1996،**حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.** ط1، مؤسسة المعارف، بيروت.

- البزَّار، أحمد بن عمرو،1988- 2009، **مسند البزّار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، ط1، المدينة المنورة.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، 1928، **كتاب أصول الدين.** مطبعة الدولة، استانبول، تركيا.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- البلاغي، شيخ محمد جواد، 1411هـ **التوحيد والتثليث.** ط 2، مهر، قم، إيران.

- البوطي، د. محمد سعيد رمضان،1980، **فقه السيرة النبوية.** ط 8، دار الفكر، دمشق.

- البوطي، محمد سعيد رمضان، **2008، كبرى اليقينيات الكونية**، ، دار الفكر، ط 2008، دمشق.

- بوكاي، د.موريس بوكاي، 1990، **التوراة والإنجيل والقران والعلم**، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية، الطبعة 3،المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

- البيجوري، إبراهيم بن محمد، 2004، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي،1993، **حياة الأنبياء عليهم السلام صلوات الله عليهم بعد وفاتهم**، تحقيق د. أحمد بن عطية الغامدي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، 2005، **الأسماء والصفات**، تحقيق عبدالله عامر، دار الحديث، القاهرة.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،1988، **الشمائل المحمدية**، ،تعليق عزت عبيـد الـدّعاس، ط3، دار الحـديث، بيروت.
- التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبدالـلـه،2001، **شرح المقاصد** ،تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- التويجري، حمود بن عبدالـلـه،1989، **عقيدة أهل الإيمـان في خلـق آدم عـلى صـورة الـرحمن**. ط2، دار اللـواء، الرياض.
- الجبوري، حامد عيدان حمد،2007، **التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السـلبية لليهـود**، دار الكتـب العلميـة، ط1، بيروت.
- الجزري،علي بن محمد بن الأثير، 1996، **أسَد الغابة في معرفـة الصـحابة**، تحقيـق الشـيخ عـلي محمـد معـوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الجهني**، د. مانع بن حماد، 2003، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط 5، دار النـدوة العلمية، الرياض.
- الجوزي، عبد الرحمن بن على، 1984، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيـق محمـد زهـير الشـاويش وآخـرون، ط 1984،المكتب الإسلامي، بيروت .
- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن القيّم، 1407هـ هـ**داية الحيارى في أجوبة اليهود والنصـارى**. تحقيـق د. أحمـد حجازي السقا، المكتبة القيمة، ط4،مدينة نصر، القاهرة.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الـلـه، 1950،**الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق د. محمد يوسـف موسى وعلى عبد المنعم،مكتب الخانجي، القاهرة.
- الحرَّاني، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، 1999، **الجواب الصحيح لمن بـدل ديـن المسـيح**، تحقيـق د. عـلي بـن حسن بن ناصروآخرون، ط2، دار العاصمة، الرياض.
- الحراني، أحمد بن عبد الحليم، **النبوات**. تحقيق د. عبـد العزيـز الطويـان، الجامعـة الإسـلامية، المدينـة المنـورة، طباعة مكتبة أضواء السلف ، الرياض، ط1، 2000م.
- حزم، علي بن أحمد بـن سـعيد، 1960، **الـردّ عـلى ابـن النغريلـة اليهـودي**، تحقيـق د. إحسـان عبـاس، جامعـة الخرطوم، مكتبة العروبة، القاهرة.

- حزم، على بن أحمد بن سعيد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** تحقيق. د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميره. دار الجيل، بيروت.
- الحميري، عبد الملك بن أيوب بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر، بيروت، بغداد.
- الخطيب، د. محمد أحمد، **الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية والإسلام**، مجلة جامعة قطر.
- خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان**، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت.
- خليل، احمد إبراهيم، 1989، **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن** طبعة دار المنار، القاهرة.
- الخولي، د. محمد علي، **التحريف في التوراة**، 1990، دار الفلاح،ط1، عمان، الأردن.
- الخياط، د. عبد العزيز عزت، 2004، **اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس**، ط 4، دار المتقدمة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- **الداري**، بكر بن السيد عمر بن السيد أحمد،2004، **السيف الصقيل في الردّ على اليهود والنصارى**، تحقيق نادي العطار،مركز ابن العطار للتراث، القاهرة.
- داود **عبد الأحد** ، 1997، **محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى**. ترجمة محمد الزين ، ط 1 ، دار العبيكان الرياض، السعودية.
- داود، عبد الأحد، 1985، **محمد في الكتاب المقدس**، ترجمة فهمي شما، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر.
- دراز، د. محمد عبدالله، **دستور الأخلاق في الإسلام**، تعريب وتحقيق د.عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرّسالة ودار البحوث العلمية.
- دقيقة، محمود أبو دقيقة، 1995، **القول السديد في علم التوحيد**، تحقيق د.عوض الله جاد حجازي، ط1، الإدارة العامة لدار إحياء التراث القاهرة.
- الدوري، د. قحطان عبد الرحمن الدوري،2007، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط 1، دار العلوم، عمان ، الأردن.
- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان،1985، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين، - ، **الأربعين في أصول الدين**، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين،1981، تفسير الفخر الرازي، **المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب**، ط 1، دار الفكر، بيروت.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **عصمة الأنبياء عليهم السلام**،1986، تقديم محمد حجازي، ط 1، دار الثقافة الدينية، القاهرة.
- ردمان، فاطمة بنت خالد،2001، **إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، عرض ونقد**، ،رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- رضا، محمد رشيد، 1947، **تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار**، دار المنار، القاهرة.
- رضا، محمد رشيد رضا، 1406 هـ ،**الوحي المحمدي**، ط 3،عز الدين للطباعة والنشر، بيروت .
- رضا، محمد رشيد رضا، **شبهات النصارى وحجج الإسلام**، ط 2، دار المنار،1367هـ.
- الزركلي، خير الدين الزركلي، 2002، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت.
- زكريا، أحمد بن فارس، **1991، معجم مقاييس اللغة.** تحقيق عبد السلام هارون، ط 1، دار الجيل، بيروت.
- **الزهري**، محمد بن سعد بن منيع، 2001،**الطبقات الكبرى**، تحقيق د. على محمد عمير، ط1 ، ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- زوطي، النعمان بن ثابت،1342هـ ، **الفقه الأكبر**، تقديم السيد هاشم الندوي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد.
- الزيوت، د. يوسف الزيوت، 2003، **معايير التفريق بين النَّبيّ والرسول، جمع ودراسة**، جامعة دمشق. المجلد التاسع عشر. العدد الأول.
- السامرائي، د. فاضل صالح، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**،مكتبة القدس، بغداد، مكتبة البشائر ، عمان.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي،1964، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بيروت.
- السحيم، عبدالله السحيم،1430هـ ، **موقف اليهود والنصارى من مخالفيهم أحكام الحرب وتطبيقاتها ، دراسة مقارنة**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد 47 رجب .
- السعدي، غازي السعدي،1994، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود** ، ط1، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية،. عمّان.الاردن.

- السعدي، محمود السعدي، 1985، **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**، ط 1، دار الثقافة ، الدوحة، قطر.

- السقا، د.أحمد حجازي، 1989، **البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**، دار الجيل، ط1، بيروت.

- السقا ، د. احمد حجازي،1978، **من الفروق بين التوراة السامرية والعبرية في الألفاظ والمعاني**، ط 1، دار الأنصار، القاهرة.

- السقار، د. منقذ السقار ، **هـل العهد القديم كلمة اللـه** ؟ نسخة الكترونية.

- سليمان، الشيخ خليل،1999، **الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة قصة يوسف**، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان.

- السمعاني، سعد بن عبد الكريم، 1988،**الأنساب**، تقديم عبدالـلـه البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت.

- السموأل، السموأل بن يحي بن العباس، ، **بذل المجهود في إفحام اليهود** ، تعليق عبد الوهاب طويلة، دار القلـم دمشق ، الدار الشامية، بيروت.

- سوسة، د. أحمد سوسه، **العرب واليهود في التاريخ** ، ط2، العربي للإعلان والنشر، دمشق.

- شايب، د خضر شايب ،2001، **قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الشرقاوي، د. محمـد عبدالـلــه، 1990، في مقارنـة الأديـان، ط2.دار الجيـل، بـيروت ، مكتبـة الزهـراء، بجامعـة القاهرة،

- الشرقاوي، محمود الشرقاوي، 1968، **أورشليم قاتلة الأنبياء** ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

- شلبي، د. أحمد شلبي، **المسيحية**، 1998، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- شلبي، د.أحمد شلبي، **اليهودية**، 1988،ط 8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، 2007، **الملل والنحل**، تحقيق أحمد فهمي محمد، ط 7، دار الكتب العلميـة ، بيروت.

- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل**، تعليق شعيب الارنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

- الصابوني، د.محمد على، 1985، **النبوة والانبياء**، ط3، مؤسسة منهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، 2000، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الطبري، محمد بن جرير، 2003، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، دار هجر للطباعة والنشر،القاهرة .

- الطبري، علي بن سهل بن ربّن، 1973، **الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم** . تحقيق عادل نويهض، ط 1، دار الآفاق الجديدة. بيروت لبنان.

- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، **مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**. دار القلم ، دمشق.

- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، 2002،**الكتب المقدسة في ميزان التوثيق**. ط2، دار السلام، القاهرة.

- طنطاوي،.د. محمد سيد طنطاوي، 1997، **القصة في القران الكريم**. ط1، ، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

- طنطاوي، د. محمد سيد طنطاوي، 1997، **بنو اسرائيل في القرآن والسنة. دار** دار الشروق، ط1، القاهرة.

- **ظاظا،**د. حسن ظاظا،**1987، أبحاث في لفكر اليهودي،** ط 1، دار القلم،دمشق، دار العودة، بيروت.

- ظاظا، د.حسن ظاظا، 1971، **الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**.

- جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية.

- عاشور، الطاهر محمد بن عاشور، 1984، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس.

- عامري، سامي عامري، **هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى**. الموقع الالكتروني المؤسسة العلمية الدعوية العالمية.

- العاملي، محمد على برو، 1993،**الكتاب المقدس في الميزان**. الدار الإسلامية، بيروت.

- عبد الفتاح، محمد عبد الحليم، 2005، **كلام في الممنوع، الإختراق اليهودي للفاتيكان**، ط1.

- العربي، محمد بن عبد الله العربي، 2003،**أحكام القرآن**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت.

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر،1379 هـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة ، بيروت.

- عزيز، د. كارم محمود، 2006، **أساطير التوراة الكبرى**، مكتبة النافذة، ط1، الجيزة، مصر.

- عفيفي، طه عبدالله، 1994، **الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم السلام**. ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

- العقاد، عباس محمود، **إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام**، نهضة مصر للطباعة.

- العقاد، عباس محمود، **مطلع النور**، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

- العقاد، عباس محمود، **اللـه،** المكتبة العصرية، بيروت.
- **العكري**، عبد الحي بن أحمد بن العماد، 1986، **شذرات الذهب في أخبار من**
- **ذهب**. تحقيق عبد القادر الارناؤوط، ومحمود الارناؤوط، ط1، دار ابن كثير،دمشق، بيروت.
- علي، د. فؤاد حسنين، **التوراة الهورغليفية.** دار الكتاب العربي، القاهرة.
- على، د. فؤاد حسنين، 1968، **اليهودية واليهودية المسيحية.** معهد البحوث والدراسات العربي، جامعة الدول العربية.
- علي، محمد عبد العظيم، **سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وأجلاء أعلام**
- **الدين المسيحي.** ط **1**، دار المنارة، المنصورة. مصر.
- عمارة، د.محمد عمارة ، **تقرير علمي**، هـدية مجلة الأزهر لعام 1430ه.
- العموش، د. بسام علي سلامة، **قراءة عقائدية في العهد القديم،** أسفار موسى الخمسة، الجامعة الأرنية، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون،المجلد 26 ملحق 1999**.**
- الغزالي، محمد بن محمد، **الردّ الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل،** تعليق

  أبو عبداللـه السلفي، الداني بن منير. بدون تفاصيل.
- قاسم، د. عبد الستار قاسم، 1994،**إبـراهيم والميثـاق مـع بنـي إسرائيـل في التـوراة والإنجيـل والقـرآن.** ط2، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية،القدس.
- القرافي، أحمد بن إدريس، 2005، **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة.** تحقيق مجدي الشهاوي، ط 1، عالم الكتب ، بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، 2006،**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن.** تحقيق د. عبد اللـه بن عبد المحسن التركي، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القطّان، د. منّاع خليل، **مباحث في علوم القرآن**،مؤسسة الرسالة، ط 14، بيروت، 1983.
- القمني، سيد القمني، 1998، **إسرائيل التوراة التاريخ التضليل**، دار قباء،القاهرة.
- كاظم، د.سلوى كاظم، **الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الحقيقة والأسطورة.**
- كثير، إسماعيل بن عمر، 1986،**تفسير القرآن العظيم** ،تقديم . يوسف المرعشلي، ط1، دار المعرفة، بيروت.

- كثير، إسماعيل بن كثير، 1997، **قصص الأنبياء عليهم السلام**، تحقيق علي أبو الخير و محمد وهبي، ط 8، دار أسامة، عمان، الأردن

- كحالة، عمر رضا، 1993، **معجم المؤلفين**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- كيرتش، جوناثان كيرتش، **حكايا محرمة في التوراة**،2005، ترجمة نذير جزماتي، ط1، نينوى للدراسات، دمشق، سوريا.

- محمد، محمد قاسم محمد1991، **التناقض في تواريخ وأحداث التوراة**. مطابع ستار برس، الهرم.

- المراغي، احمد مصطفى، 1946، **تفسير المراغي**،، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- المسيري، د.عبد الوهاب محمد، 1999، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ط 1، دار الشروق، القاهرة.

- المسيري، د. عبد الوهاب محمد، **الصهيونية والعنف**، دار الشروق، ط2، القاهرة.

- المسيري، د. عبد الوهاب محمد، 2002، **من هو اليهودي**، دار الشروق، ط3 ، القاهرة.

- ملكاوي، د. محمد أحمد عبد القادر، 1993، **بشرية المسيح ونبوة محمد صلى الله عليهما وسلم في نصوص كتب العهدين.** ط1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

- الميداني، عبد الرحمن حبنكه، 1979،**العقيدة الاسلامية وأسسها.** ط،2 دار القلم، دمشق، بيروت.

- النجار، عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء** ، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- النووي، يحيى بن شرف بن مري، 1392ه، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت.

- الهاشمي، عابد توفيق، 2000، **التربية في التوراة العهد القديم،عرض وتقويم بميزان الإسلام.** ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت .

- **همو**، عبد المجيد همو،2004، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**. ط2، دار الأوائل، دمشق.

- الهندي، رحمت الله بن خليل الكيرواني، 1410ه، **إظهار الحق**، تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية ، ط1، الرياض.

- **وافي**، علي عبد الواحد، 1964، **الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام** ، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة.

- اليحصبي، عياض بن موسى، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، ط 1، دار ابن الهيثم ، 2006، القاهرة .



4- **المواقع الإلكترونية:**

(المؤسسة العلمية http://arcri.org/index.php?option=com_content&view=article&id=42&Itemid=4 الدعوية العالمية).

ثانياً : المصادر والمراجع غير الإسلامية :

- **الكتاب المقدس، العهد العتيق. بيروت**، المطبعة الكاثوليكية، **1960**.
- **العهد القديم**، كنيسة الأنبا هـيمانوت، الإسكندرية، مصر. نسخة الكترونية.

- الأكاديمية الوطنية الإسرائيلية للعلوم والآداب، **الترجمة العربية لتوراة السامريين**، تحقيق حسيب شحاده، 1989، القدس.

- أندرسون، فرانسيس أندرسون، 1990، **سفر أيوب**، ترجمة ادوارد وديع عبد المسيح، ط 1، دار الثقافة، القاهرة.
- بارتون، د. بروس بارتون وآخرون،1999، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ترجمة وليم وهبه وآخرون. ط 3، هـولندا.
- حداد، عدنان، 1997، **الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام**، دار البيروني،ط1، بيروت.
- حنّا، حنّا، 2007، هـ**فوات التوراة**. ط 1، دار النايا، دمشق، سوريا.
- خليل، القس صموئيل يوسف،1993، **المدخل إلى العهد القديم**، دار الثقافة، القاهرة.
- ديورانت، ول وايريل، **قصة الحضارة** ، ترجمة محمد بدران. دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- روهلنج، د. روهلنج ، 1899، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**. ترجمة د. يوسف نصرالله، ط 1، مطبعة المعارف، الفجالة. القاهرة.
- السرياني، القديس أفرام،198، **تفسير سفر التكوين**. تقديم الأب يوحنا ثابت، منشورات جامعة الروح القدس- الكسليك،بيروت، لبنان.
- دار الثقافة المسيحية، 1989، **الكتاب المقدس، ترجمة تفسرية**،القاهرة، مصر.
- شاحاك، إسرائيل شاحاك ،1995، **التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة**. ترجمة صالح سوداح، ط1، دار بيسان، بيروت. لبنان.

- شازار، زالمان شازار، **تاريخ نقد العهد القديم**،2000، ترجمة أحمد هويدي، تقديم د. محمد خليفه حسن أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
- عبد النور، القس د. منيس عبد النور، 1988، **إبراهيم خليل الله**، ص12، إصدارcall of hope ،شتوتجارت، ألمانيا
- عبد النور، القس د. منيس عبد النور، **موسى كليم الله** ،1990، ط1، call of hope ، شتوتجارت ، ألمانيا.
- عبد النور، القس د. منيس عبد النور 1990،**النّبيّ داود وابنه سليمان الحكيم**. ط1، call of hope، شتوتجارت، ألمانيا.
- عبد الملك، بطرس، وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، 1994، دار الثقافة، ط9، القاهرة.
- فكري، القس انطونيوس فكري، **تفسير سفر التكوين**، نسخة الكترونية.
- فكري، القس انطونيوس فكري، **تفسير سفر التثنية**، نسخة الكترونية. إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة.القاهرة.
- فكري، القس.انطونيوس فكري، **تفسير سفر الملوك الأول**، إصدار: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، القاهرة.
- قاشا، الأب سهيل قاشا،1988، **أثر الكتابات البابلية في لمدونات التوراتية**. بيسان للنشر والتوزيع، ط1، بيروت.
- القرطبي، موسى بن ميمون، **دلالة الحائرين**. ترجمة وتحقيق د. حسين آتاي.مكتبة الثقافة الدينية.
- كار، الأميرال وليام غاي، **أحجار على رقعة الشطرنج**، ترجمة سعيد جزائرلي،ط1، 1970.
- كمونة، سعيد بن منصور ابن كمونة، **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام**، تحقيق د.عبد العظيم المطعني، ط2، دار الأنصار، القاهرة.
- كيرتش، جوناثان كيرتش، 2005، **حكايا محرمة في التوراة**. ترجمة نذير جزماتي، نينوى للدراسات، دمشق. سوريا.
- لوثر، مارتن لوثر،2007، **اليهود وأكاذيبهم**، تقديم د. محمود النجيري، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر.
- ليوتاكسل، **التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**، ترجمة د.حسان ميخائيل إسحاق، بدون تفاصيل.
- محارب، د. ملاك محارب، **دليل العهد القديم**. الناشر: أبناء الأنبا رويس، مكتب النسر للطباعة.
- **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين**، طبعة بيروت سنة 1869، بدون مؤلف و طبعة.
- مسعد، الأب بولس حنا، 1983، **همجية التعاليم الصهيونية**. ط 2، المكتب الإسلامي، بيروت.

- مقار، القسّ إلياس مقار، **رجال الكتاب المقدس**.دار الثقافة، ط2، القاهرة.
- مقار، القسّ إلياس، **نساء الكتاب المقدس**. دار الثقافة، ط 3، القاهرة.
- مقار، شفيق مقار، **قراءة سياسية للتوراة**. رياض الرس للنشر والتوزيع ، لندن، بريطانيا بدون طبعة وتاريخ .
- منصور، أسعد منصور، 1905، **مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب**.بدون.
- منصور، يسيء منصور، 1964،**عصمة الكتاب المقدس**. ط2، مطبعة الاسكندرية.
- اليكوت، شارل جون، 1907، **السنن القويم في تفسير أسفار الكليم**. ترجمة إبراهيم فندي الحوراني، المطبعة الاميركانية، بيروت.
- شاحاق، إسرائيل شاحاق و آخرون، **القلم الجريء، مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية**. ترجمة وتقديم: البراق عبد الهادي رضا، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2003 .القاهرة.

* المواقع الالكترونية غير الإسلامية:

1) Http://st-takla.org/ كنيسة الأنبا هـيمانوت- الاسكندرية- مصر.

2)Http://www.smcf ag.org/public/HTML/FrAntoniousBooks/PDF/OT/ Genesis.pdf

3) Computer Dept - of Lebanon The Bible Society - Http://coptic-apologetics.com